خاص بمكتبة
أفوز بن صالم بن محمد
ابن مدعش العجيلي
الياوذ
١٤٤٠هـ

الفكر والمجتمع

في

حضرموت

كرامه مبارك سليمان بامؤمن

راجعه

الشيخ العلامة

علي سالم سعيد بكير باغيثان

الجمهورية اليمنية

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رقم الإيـــداع بـدار الكتـب الـوطنـيـة ـ صنعاء

(٣٥٤) ــ ١٤ / ٦ / ٢٠٠٦م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

تـــــوزيـــع

دار التيسير للنشر والتوزيع
الجمهورية اليمنية ــ صنعاء
شارع الحرية جوار صلاح الدين للإنتاج الفني
هاتف (٢٥٩٩١٩)
فاكس (٥٦٠٩٥٩)
سيار (٧٣٣٨٨٤٣٦)

مكتبة الثقافة
الجمهورية اليمنية ــ عـدن
كريتر- ساحة الميدان - خلف فندق قصرالجزيرة
هاتف (٢٥٩٣٢٤)
هاتف المنزل (٢٤٢٤٤٩)
ص . ب (٩٠٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org

مختار محمد الضبيبي

١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة الطبعة الثانية

تأتي الطبعة الثانية من كتاب (الفكر و المجتمع في حضرموت) منقحة و خالية من الأخطاء اللغوية و النحوية و الإملائية و المطبعية قدر المستطاع . كما تم في هذه الطبعة تعديل طفيف في خطة الكتاب فيما يتعلق بعناوين بعض الأبواب و الفصول دون تغيير في النص . ومما لم نتمكن من تلافيه في هذه الطبعة ذلك التقصير في تحديد أرقام صفحات المصادر التي استقينا منها المعلومات عند الإشارة إليها في الهوامش مكتفين فقط باسم المصدر و مؤلفه .

وقد أثار هذا الكتاب لدى القراء و السامعين عنه ردود فعل شتى . ونقول : إن هذا المؤلف المتواضع يخاطب الذين يقرءون و يفهمون ، وبعقولهم يفقهون لا بعواطفهم و ذاتيتهم ينفعلون ، و بجهلهم المركب و ضغينتهم العمياء يلبّسون و يرجفون و يكفّرون إخوانهم . إن الحق أبلج تجليه حركة التجديد و أقلام النقاد البنائين . لا تكدر شمسه المضيئة ظلمة التشويش ، أو تكسر قلمه شوكة المعتدين . إننا ندعو إلى التآخي و التماسك الاجتماعي . لا استعداء و لا استعلاء و لا افتراء . و كلنا عباد الله إخوانا .

أشكر في الأخير الدكتور أحمد سعيد عبيدون الذي نبهني على بعض القضايا اللغوية والمنهجية .

و الله من وراء القصد .

المؤلف

٦ / ٥ /٢٠٠٢ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

يجئ هذا المؤلف رؤية علمية وموضوعية • سلكنا فيـــه طريـــق البحـــث والتـــدقيق والتمحيص والغربلة ، وربط الأسباب بالمسببات واتبعنا فيه منهج الاستقصاء والاستدلال . وصولاً إلى فهم العلاقات الاجتماعية وارتباطها بالأفكار السائدة في المجتمع خلال فترة زمنية معينة والتي كان لها الأثر البالغ في تشكيل البناء الاجتماعي في البقعة الشرقية من اليمن هي حضرموت •

وينسب الأستاذ مالك بن نبي إلى الأفكار دوراً أساسياً في تطور المجتمـــع ســـلباً أم إيجاباً يقول : " إذا تمتع المجتمع بنظام رائع من الأفكار في مرحلة معينة ساد هذا المجتمع حياة إنسانية راقية وتمكن من حل مشاكله الحيوية حلاً مناسباً • وإذا ما تعرض هذا المجتمع لنظام فاسد من الأفكار العفنة انحط ، وسادته الفوضى ، واعترى كيانه الفساد، وعجز عن حـــل مشاكله التي تتفاقم ، ويعجز المجتمع عن حلها • وتنتقل فيه من جيلٍ إلى جيلٍ نحو الهاوية • " وإذا كان هذا هو الدور المهم والخطير للأفكار في حياة الناس أفراداً وجماعات ، علـــواً أو هبوطاً ، عزةً أو ذلاً فهي مع هذا ليست قوالب ثابتة أو صيغاً جامدة أو طقوساً مقدســـة • بل هي قابلة للتطوير والتجديد والتنقية لاسيما وهي معرضة للتشويه والعجز أحياناً إذا مـــا تغيرت أحوال الناس وظروف المجتمع بفعل أفكار أقدر منها أو نتيجة مطالـــب اجتماعيـــة مستجدة لاتحققها الأفكار السالفة . وكل من يحاول فرض أفكار بالية تجاوزها التطور وعفى عليها الدهر فهو كمن يحاول إيقاف عجلة التقدم . فراتب الحداد مثلاً وهو جملة من الأدعية الدينية تقرأ جماعياً بين صلاتي المغرب والعشاء في مساجد تريم وضواحيها هو عمل تعبـــدي رائع في مجتمع أمي . لكنه يفقـــد غرضـــه أمـــام جيـــل جديـــد مـــن المـــتعلمين الـــذين أخذوا يحيون حلقات الدرس والتعليم في المساجد كما فضلها الرسول محمد ﷺ حينمـــا دخل المسجد ورأى حلقة ذكر وحلقة علم . فاختار حلقة العلم وجلس بين طلبتها •

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذ يستعرض هذا المؤلف الأفكار وما صاغته من أنظمة وما نسجته من علاقات اجتماعية سادت حضرموت عبر التاريخ ، فهو لا يستهدف الأفراد ذاتهم ولا الفئات عينها فأولئك قد أدوا دورهم ومضوا . وإنما الذي يهمنا في الدرجة الأولى دراسة المواقف والسلوك بهدف تعزيز الروائع والإيجابيات لتستمر وتؤتي أُكلها كل حين . وإبطال مفعول ما عفن وفسد أو ما أضلَّ وعوَّق . ليظل النبع صافياً وليشق الصالح المتجدد طريقه نحو أفندة الناشئة جيلاً بعد جيل. ونحن إذ نتناول الماضي لا نريد أن نسيء لأحد ، أو نستفز أحداً ، أو نغمط شأن أحد . أو نجمِّل دور آخر أو نعلي قدره . وإنما نريد أن نتعلم ونعتبر من الماضي كدرس وعبرة . فلكل مرحلة رجالها ، وظروفها ، وأفكارها . ومن الخطأ بمكان محاكمة الماضي بظروف الحاضر . ولكن تظل دائماً معايير قيمية وأخلاقية ثابتة هي القيم والآداب الإسلامية المستمدة من تعاليم الحق المطلق والعادل الأرحم وهي معيارنا في الاستدلال والتقييم حسب علمنا وجهدنا. ونحن نعلم يقيناً أن الأفكار الخاطئة التي يفرضها عادة ذوو الجاه والمال في المجتمع تكريساً لمصالحهم وامتيازاتهم . كلما تراكمت وترسخت في البناء الاجتماعي حتى أصبحت تمارس كنظم وعادات وتقاليد بل وعبادات أحياناً كان اجتثاثها أو إصلاحها من أصعب المهام الجهادية للمصلحين الاجتماعيين . كما هو شأن الأنبياء والرسل مع الملأ من قومهم المتجبرين والمستكبرين الذين يرفضون غالباً التنازل عن امتيازاتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . هكذا كانت قريش الظالمة الكافرة مع الرسول محمد ﷺ ومع أصحابه ، وهكذا كان موقف فرعون وهامان وقارون مع موسى وهارون عليهما السلام ومع شيعتهم المؤمنين . وكل ما جرى في حضرموت من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، هو تاريخ وتراث إنساني متكامل

صنعه مجتمع هذا الإقليم الشرقي من اليمن . وأسهم في تكوينه كل فئاته بطريقة أو بأخرى . فهو ميراث للشعب كله . سواء منه العظيم المشرق ، أو الغث المظلم ونحن نعرضه هنا على هذا الأساس والمنوال . فهو من الجميع وللجميع دون أن يستأثر به أحد ، أو يدعيه من دون غيره . ومهمتنا جميعاً أمام هذا التراث أن نأخذ منه النافع الطيب لنستفيد منه ، وننبذ الضار والخبيث منه ونتجنبه . نستلهم من دروسه وعبره ما يلائم حياتنا اليوم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونتخلى عما يعرقل تقدمنا ونهضتنا ، ونتمسك بكل أصيل صالح لنا . والكتاب من خلال فصوله يهدف إلى تربية وتوعية أجيال الحاضر والمستقبل . وبالرغم من خصوصية موضوع الكتاب جغرافياً وبشرياً فهو يستوعب الإنسان اليمني والعربي والمسلم ، لأن حضرموت أرض يمنية عربية مسلمة . تداخل تاريخها يمنياً وعربيا وإسلامياً . والإنسان في حضرموت أثر وتأثر بفكره ونشاطه على امتداد الأرض الإسلامية حتى وصل إلى الأندلس والمحيط الأطلسي غرباً والى مشارف الهند والصين وأواسط جزر الشرق الأقصى شرقاً . وأحاط بسواحل وجزر شرقي أفريقيا كإحاطة السوار بالمعصم . وحضرموت هي مهد الحضارة اليمنية الأولى منذ عهد عاد.واليمن كلها عبر التاريخ لم تعرف الوحدة السياسية من أقصاها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً إلا وحضرموت جزء منها . كان هذا في عهد الملك شمر يهرعش في العصر القديم ، وفي عهد الداعي علي بن محمد الصليحي في العصر الوسيط ، وفي عهد الرئيس علي عبد الله صالح في العصر الحديث المعاصر وهي أرقى صيغ الوحدة اليمنية وأشملها وأقدرها على الرسوخ والدوام إن شاء الله تعالى . أما ما حصل في عهد الإمام الزيدي المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم عام ١٠٧٠هـ من اجتياح لحضرموت ونهب وقتل لأهلها فهو ليس وحدة بل هو غزو كسيل بليل .

هذا وتتتالى فصول الكتاب في أدوار فكرية تاريخية حددت بفترات زمنية متميزة ذات جدر مسامية مما يجعل بعض الأفكار أو بقاياها تتعايش وتتداخل عند الفواصل الزمنية التي تقع بين الأدوار الفكرية . وهذا يعود إلى أنه في مجرى التحولات الفكرية لا يمحى أو يجتث تماماً الفكر المنهزم من أعماق النفس البشرية . إذ قد تترسب بعض ذرات الفكر المنهزم في الأعماق النفسية ، أو قد تتكيف مع الفكر المنتصر وتؤثر فيه بصورة غير مباشرة . ففي الدور التوحيدي مثلاً وهو الدور الذي أعقب الدور الوثني الجاهلي – حسب مصطلحنا في هذا الكتاب – برزت بعض السلوكيات الناشئة عن رواسب الفكر الجاهلي الوثني كالتفاخر الطبقي والعصبية القبلية . وقد لاحظ الرسول محمد ﷺ ذلك عندما سمع أبا ذر ينادي بلالاً الحبشي بقوله يا ابن السوداء . فقال له الرسول : إنك امرؤ فيك جاهلية . وخلال الدور الوثني علقت أفكار توحيدية سابقة بشر بها الرسل من قبل : إبراهيم ، وموسى ، وعيسى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليهم السلام . وتعايش الحنفاء واليهود والنصارى مع الوثنيين في الجزيرة العربية ولكن الأفكار التوحيدية لدى أهل الكتاب قد تشوهت بفعل الزمن ، وتحريفات ذوي المصالح الدنيوية فحرفتها عن خطها التوحيدي وأشربت بالفكر الوثني الطاغي حينها بين العرب . كما لم ينج الفكر الإسلامي التوحيدي من رشقات تحريفية بعد إن هزم الأفكار السابقة له على امتداد الساحة الإسلامية المترامية الأطراف . وتسللت إليه بعض الترشحات الفكرية الزراداشتية الفارسية ، والسبئية اليهودية عن طريق مسلمي فارس ومسلمي إسرائيل بهدف تقويض دعائم العقيدة الإيمانية التوحيدية التي جاء بها القرآن الكريم المترل نصاً من عند الله سبحانه وتعالى ، مما أدى إلى ظهور فرق فكرية مبتدعة وضالة قد تنبأ بها النبي محمد ﷺ ، وحذر منها . فمن هوى إليها ضل ، ومن تمسك بالقرآن والسنة نجا وسلم . ولما لم يجد أتباع الفرق الضالة سبيلاً لتحريف القرآن والسنة الصحيحة لجأو ا إلى التأويل في معاني آيات الله تعالى والاختلاق في أحاديث رسول الله ﷺ . وقد ندد نبينا محمد ﷺ بمن يكذب عليه فقال : "من كذب عليَ متعمداً فليتبوأ مقعده من النّار " رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

والمجتمع في حضرموت كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية تعاقبت عليه أفكار : وثنية ، وتوحيدية ، وإباضية ،وسنية، وصوفية ، وتنويرية بتياراتها:الإسلامية ، والغربية ، والشيوعية . وهو يتطلع اليوم إلى صحوة إسلامية تشده إلى الدور التوحيدي الجهادي كما عاشه المسلمون في صدر الإسلام . إنّ دراسة هذه الأفكار وتأثيرها على المجتمع هو ما نتوخاه في فصول هذا المؤلف المتواضع الذي خرج في طريقته عما سبقه من مؤلفات تدوين تاريخ وتراث حضرموت والتي تناولت الأحداث التاريخية مجردة عن واقعها الاجتماعي أو سردت المناقب افتخاراً أو سجلت المواقف تحزباً وقد نهجت في هذه الدراسة منهج الباحث المدقق واتجهت صوب المجتمع بقضه وقضيضه . أدرس أفكاره ودور هذه الأفكار في تركيب بنيانه وعلاقات أفراده وفئاته بعضهم ببعض . وذلك في حوضها الزماني والمكاني. إن دراسة موضوعية كهذه ستساعد على تمييز الحقيقة عن الأسطورة ة والواقع عن الوهم ، وستكشف أساليب التلبيس والهوى . لقد وقفت موقف الفاحص المدقق ولاسيما أمام المعلومات التي لاتستند إلى دليل أو أثارة من علم ، وربما قيلت حدساً ، أو تبركاً أو تفاؤلاً كما يقال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتزمت في استنباطي للأصوب وفي تقييمي للشئ بما رأيته يوافق طبائع الأشياء وما ينسجم مع ثوابت العقيدة الإسلامية والحقيقة العلمية مستلهماً قول الله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها ، أو أذان يسمعون بها﴾ الحج : ١٤٦ . إننا نعتزّ بتراثنا وتأتي معزتنا له من خلال غربال الباحثين الجادين ليفرزوا القش عن الحب ، ومنخل المدققين ليفصلوا النخالة عن الدقيق ليستساغ تناوله من قبل أجيال الحاضر والمستقبل . وكما اجتهد الأسلاف ومن سبقونا من الباحثين الحضرميين في إطار أحوالهم وظروفهم ندقق نحن ونستخلص النتائج في إطار جهدنا وعلمنا ولسان حالنا يردد : قول صاحب الغرر " والعصمة في حقنا غير موجودة والهفوة مستدركة مردودة . وإذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عنحوما عسر على كثير من المتقدمين " اللهم علمنا مالم نعلم ووفقنا لخير الكلام وسداد الرأي والحمد لله رب العالمين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

وبحمد الله المبتدأ والختام والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام .

وبعد . فهناك كلمة معروفة لشيخنا المؤرخ البحّاثة السيد / عبدالله بن حسن بلفقيه يقول فيها (من شاء أن يكتب أو يؤلف خدمة للتاريخ الحضرمي فليفعل وهو لا ريب بهذا مشكور الصنيع علميا وقوميا لكن عليه أن يدرك فوق ذلك أن الغربلة مقبلة)

وإنني اعتقد أن كتاب الأستاذ الباحث كرامه بن مبارك سليمان بامؤمن (الفكر والمجتمع في حضرموت) قد جاء ليفتتح به هذا المنهج منهج التحقيق والتمحيص والغربلة المقبلة التي تنبأ بها السيد بلفقيه رحمه الله .

فعندما صدرت الطبعة الأولى من ذلك الكتاب استبشر به رواد الحقيقة والباحثون عنها وأثلج صدورهم وشاع وذاع في الأصقاع ونفذت نسخ الطبعة الأولى منه رغم ما فيها من رداءة الورق وسوء الطباعة – في مدة قريبة . . ولقد اخبرني بعض القراء من المهتمين بأبحاث التاريخ والتراث اليمني أن كتاب (الفكر والمجتمع في حضرموت) قد شغله حتى عن أكله ونومه فلم يكد يقع في يده – حتى قرأه كله من الغلاف إلى الغلاف بنهم وشغف شديدين على انه من ناحية ثانية لم يرق لبعض الناس فلم يستطيعوا أن يهضموه أو يفهموا حقائقه – لأنهم لم يحسنوا قراءته – فهاجوا وماجوا و اختلجوا ولم يرضهم عرض الحقائق التاريخية التي فيه – كما جاءت مجردة من كل لبس وزيف – وذلك هو واجب المؤرخ كل مؤرخ منصف – وليرض من رضي وليغضب من غضب . فمن رضي فله الرضاء ومن سخط فله السخط .

وليكن من المعلوم أن المؤرخ يجب أن يكون كالقاضي في محكمته لا يثبت إلا بدليل ولا ينفي إلا بدليل وان التاريخ أمانة يجب أن تؤدى كاملة كما هي لا تغير ولا تبدل ولا تجحد – وكما أمر الله جل شأنه وعز وتعالى في علاه .

كما إنني لا أبرىء المؤلف – حفظه الله – من النقص الذي يعتري البشر كل البشر ولكنه كما عرفناه رحب الصدر واسع البال متقبل لكل نقد هادف أو تصحيح مفيد أو ملاحظة صائبة . فمن عنده شيء من هذا القبيل فليوافه به (والحقيقة بنت البحث) كما يقال .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما أحوجنا إلى مثل هذه الكتابات المتأنية الرصينة – فقد سئمنا قراءة الكتب التي ترسل القول على عواهنه وتكيل المديح جزافا – وتختلق الكرامات الخارقة للعادة والعقل والنقل والشرع .

والأمثلة كثيرة ورحم الله الإمام الشوكاني آذ يقول

كم بين من يقـــضي بما * قام الدليل عليه قطعا

وفتى عن التحقيق عاطل

يروي من الرأي المجـــرد * كل فـــاقرة وشنعا

مقصوده قد قال قائل

وفي ختام هذا التقديم فإننا نأمل ونرجو من الله تعالى أن تأتي الطبعة الثالثة من الكتاب أحسن من الطبعة الثانية كما قد جاءت الثانية خير من الأولى والله يتولى ثواب من أحسن عمـــلا واليـــه المرجع والمصير .

حرر في : ٢٩ محرم الحرام ١٤٢٧هـ الموافق ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٦م .

وكتبه / علي بن سالم بن سعيد بكيّر باغيثان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباب الأول

المكونات البنائية للمجتمع في حضرموت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول البيئة الحضرمية

تؤثر البيئة بمكوناتها الأساسية: الجغرافية، والسكانية، والاقتصادية في العلاقات المتبادلة بين الفكر والبناء الاجتماعي في سياقهما التاريخي والتعرف على هذه المكونات وما طرأ عليها من تغيرات يمهد لنا السبيل نحو فهم موضوعي لما سنتناوله في فصول هذا البحث لاسيما وإن حضرموت - موضوع البحث والدراسة - قد تعرضت خلال تاريخها الطويل لمد وجزر في مساحتها؟ ولهجرة بشرية منها وإليها؟ ولجفاف متنام؟ ولتصحر يزحف عليها من شمالها وبصورة عامة يتمتع هذا الإقليم الشرقي من اليمن بساحل طويل يحف به من الجنوب؟ اشتهر بالثروة السمكية؟ وبالملاحة والتجارة والاسم العام لهذا الساحل قديمًا هو الشحر، وبوادٍ في وسطه تنحدر إليه أودية الشعاب الملتوية كالشرايين من هضبتين بين جنبيه، أطلق عليه قديمًا اسم حضرموت، وقد تميَّزَ بالواحات الظليلة وبالعلماء وبرجال الحروب، وبصحراء في شماله تهب منها رياح السموم.

وكتمهيد للدراسة التي نحن بصددها علينا أن نلمَّ بالمعارف الأساسية عن أبعاد البيئة الحضرمية وهي كما في الشكل رقم (١).

١- البعد الجغرافي:

تتكون حضرموت جغرافيًا من أربعة أقسام هي من الجنوب إلى الشمال:

أ- الشريط الساحلي:

هو أراضٍ ضيقة تطل على البحر العربي من المحيط الهندي وهو ما أطلق عليه قديمًا اسم الشحر وسمي قسمه الشرقي المشقاص. وتتبع الساحل جزيرة سقطرى المتميزة طبيعيًا وهي أكبر جزر الجمهورية اليمنية اليوم.

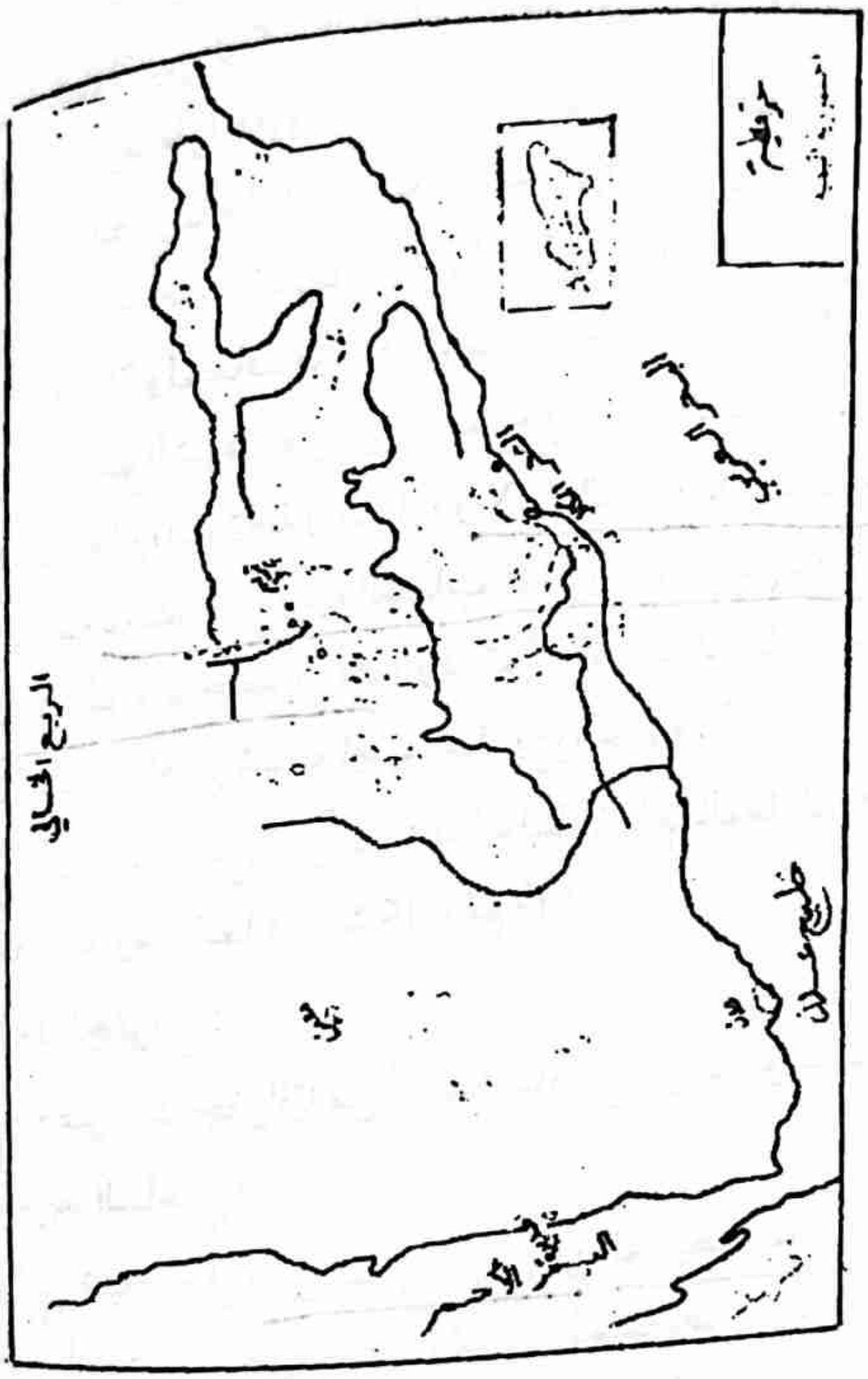
وتنحدر إلى هذا الساحل من الهضبة الملاصقة له عدة أودية أهمها وادي ميفعة ووادي حجر الذي يتسع في ميفعة ليشكل دلتا خصبة يغذيها ماء جارٍ طيلة العام يصب في البحر.

ومن أشهر موانيه ومدن ساحل حضرموت: رضوم، وميفعة، وبئر علي (قنا) والمكلا، وغيل باوزير، والشحر، والديس، وسيحوت، والغيضة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكل رقم (١)

خريطة لليمن تبين موقع حضرموت وتضاريسها الطبيعية



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - الهضبتان :

تشكل المناطق المرتفعة من حضرموت هضبتين تمتدان من الغرب إلى الشرق سميت كل منهما جولاً . ويقع بينهما وادي حضرموت، تقترب الهضبة الجنوبية من الساحل وتنحدر منها أودية إما إلى الساحل وإما إلى الوادي الرئيسي في الداخل وتقع فيها أعلى قمتين في حضرموت هما كورسيبان ومولى مطر .

وفي هذه الهضبة اكتشفت حقول النفط أخيرًا ومدت أنابيبه إلى الساحل للتجميع والتصدير .

أما الهضبة الشمالية فهي أقل ارتفاعًا من الهضبة الجنوبية وتشرف على الصحراء المترامية الأطراف كامتداد للربع الخالي في الجزيرة العربية .

جـ - الوادي :

يقع هذا الوادي بين الهضبتين ويسمى وادي حضرموت وهو ثالث أودية شبه الجزيرة العربية الطويلة بعد وادي الدمة والدواسر حيث يربط كل منها المناطق الشرقية والغربية في منطقته . ويتكون من ثلاثة أقسام هي :

(١)- وادي الكسر : ويقع في القسم الغربي من الوادي وهو عبارة عن ملتقى أودية دوعن، والعين، وعمد .

(٢)- وادي السرير : ويمتد من غربي شبام إلى مسيلة عدم بالقرب من مدينة تريم . ويرفد وادي السرير من مبدئه وادي سر الذي ينحدر من الهضبة الشمالية .

(٣)- وادي المسيلة : وهو الجزء الشرقي من وادي حضرموت ويرفده من مبدئه وادي عدم الذي ينحدر من الهضبة الجنوبية وينعطف في أسفله نحو الجنوب ليشكِّل مسيلة العبيد قبل أن يصب في البحر قرب سيحوت .

وأهم مدن وادي حضرموت شبوة، والهجرين، وشبام، وسيؤن، وتريم وقسم وهذا الوادي جاف طيلة أيام السنة ماعدا مواسم الأمطار فتجري فيه السيول وتغذي سهوله بالطمي ويخضر فيه النبات وتروي أشجار النخيل المزروعة حول ضفافه وهذا الوادي مهدد اليوم بالجرف فتذهب سيوله سدى في البحر ولا تجد مياهه السطحية والجوفية فرصة للتغذية التي تستنزف عبر حفر الآبار هنا وهناك مما يستلزم بناء السدود والحواجز كما فعل الأقدمون من أبناء هذا الوادي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د - الصحراء :

وتقع في شمال حضرموت وهي عبارة عن كثبان رملية تنتهي إليها الأودية المنحدرة من شمال الهضبة الشمالية حيث تغور وتجف وهي نادرة السيول دائمة الجفاف لايرتادها إلا البدو الرُّحل وهي امتداد للربع الخالي وتاريخ يروي التصحر الذي يزحف نحو حضرموت من شمالها .

وفي الواقع فإن حضرموت قد تمتعت قديمًا بظروف مناخية جيدة ساعدت على قيام حضارات باهرة خاصة في المناطق الشمالية منها امتدت من براري عمان شرقًا إلى براري الجوف غربًا . وقد غمرتها اليوم الصحراء التى تشكل أطراف الربع الخالي الجنوبية وهذه الحضارة هي حضارة عاد البائدة التي نشأت في أحقاف حضرموت إذ يلعب المناخ الدور الأهم في نشوء وتتابع الحضارات اليمنية القديمة .

والمتتبع لتعاقب الحضارات اليمنية يجد أن الجفاف والتصحر كان هو المِعْول الهدام في مطاردة الحضارات اليمنية من الشرق إلى الغرب ، ومن السهول إلى المرتفعات وهكذا نشأت عاد بالأحقاف في أقصى الشمال والشرق ثم معين بالجوف فحضرموت وسبأ في شبوة ومأرب حيث ظهرت رملة السبعتين وأخيرًا تسلقت حضارة حمير المرتفعات هروبًا من الصحراء الزاحفة واستقرارًا في القيعان المرتفعة الخصبة ذات المناخ المعتدل . انظر إلى الخريطة في الشكل رقم (٢) .

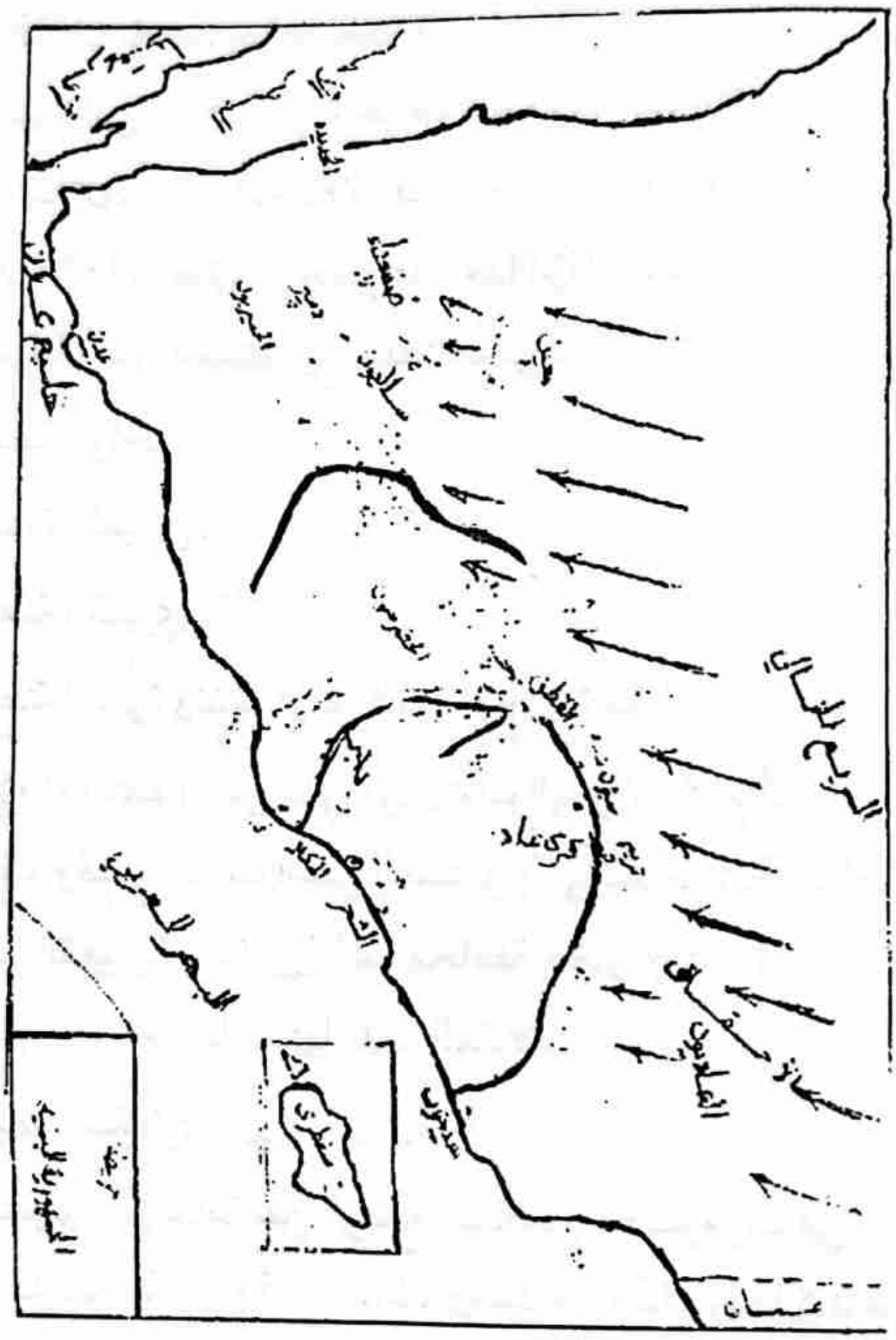
هذا وقد تميزت حضرموت حضاريًا في كونها حضارة طين ونخل وبخور فهي تعتمد في عمارتها على الطين وفي زراعتها على النخيل ، وفي تجارتها على نقل الحرير والبخور واللبان على قوافل من الجمال تسلك الطرق البرية الممتدة من الثغور على ساحلها المطل على المحيط الهندي إلى شمال الجزيرة العربية ، ومنها إلى حضارات الشرق القديم في بلاد الرافدين والشام ومصر .

وقد أكسبت هذه الحضارة الحضرمي عراقة في سلوكه المتميز إلى اليوم سواء في جمال مسكنه أو رقة مشاعره ، أو الأمانة في معاملته ، أو التمسك بأهداب دينه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكل رقم (٢)

خريطة تبين عامل المناخ في نشوء وتتابع الحضارات اليمنية



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتشكل حضرموت في بعدها التاريخي الإقليم الشرقي لليمن وتغطي مساحة تقع بين خطي طول ٤٦° - ٥٦° درجة شرقي جرينتش، وخطي عرض ١٣° - ١٩° درجة شمالي خط الاستواء أي في المنطقة المحددة بالربع الخالي شمالاً والبحر العربي جنوبًا (وهما الحدان الثابتان إلى اليوم) وعمان شرقًا وأبين غربًا؟ وهما الحدان اللذان تقلصا إذ أصبحت ظفار عمانية شرقًا ودخلت أودية دهر وعرمة ومدينة شبوة إلى بئر علي في محافظة شبوةٌ وشكلت أرض المهرةٌ محافظة بذاتها بعد الاستقلال. ومنذ الاحتلال البريطاني للجنوب اليمني الذي دشن باحتلال عدن عام ١٨٣٩م أطلق الإنجليز على هذا الإقليم الشرقي من اليمن اسم (محمية عدن الشرقية) التي ضمت أربع سلطنات هي:

- سلطنة الواحدي.
- سلطنة القعيطي.
- سلطنة الكثيري.
- سلطنة المهرة وتضم أرض المهرة وجزيرة سقطرى.

وبجلاء الاستعمار البريطاني من جنوب اليمن ١٩٦٧م ألغيت جميع السلطنات العشائرية، وقسم جنوب اليمن المستقل إلى ست محافظات أطلق على أراضي السلطنتين القعيطية والكثيرية اسم محافظة حضرموت وظلت كذلك بعد الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م وعاصمتها مدينة المكلا.

٢- البعد السكاني:

لا تستقيم أية إلمامة عن الوضع السكاني لحضرموت في معزل عن الواقع السكاني لليمن ككل فهذا من ذاك، وذلك من هذا. ولما كان موضوع دراستنا يتناول الفكر والمجتمع فهو يعني دراسة الإنسان صاحب الفكر وصانع المجتمع ولا يهمنا في هذا الإنسان هنا أصوله وجذوره التي تضاربت حولها الأقوال والاجتهادات بل والاختلافات أحيانًا كما أننا سنتجنب التفصيلات التي تقودنا إلى متاهات ومداخل مسدودة طَرَقَها الباحثون والمؤرخون اليمنيون والعرب والأجانب في ضوء ما وصل إلى علمهم من الروايات أو ما وقفوا عليه في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رحلاتهم، أو ما اكتشفوه أثناء تنقيباتهم وحفرياتهم التي مازالت في مهدها وهي كلها لا تجلي كل الغموض الذي يحيط بالإنسان اليمني القديم وأنشطته وتجمعاته.

وحسبي بعد استقراء ما وصل إليه علمي مما دوَّنه هؤلاء المهتمون بحضارة اليمن وتاريخه، وباستخدام الاستدلال القياسي بالواقع الجغرافي والبشري لليمن اليوم، أن أخلص إلى بعض الحقائق الآتية:

(١) ينتسب اليمنيون ككل البشر إلى آدم عليه السلام أبى الناس جميعًا وقد انتشرت ذرية آدم وحواء عبر السنين الطويلة في جميع أنحاء المعمورة الملائمة للتجمعات البشرية. إذ أخذت الطلائع البشرية تكون لها تجمعات على ضفاف الأنهار وعيون الغيول، وأودية السيول، وشواطئ البحار قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ولقد كشفت الحفريات الحديثة في ربوع بوادي دوعن غربي حضرموت عن وجود تجمع سكاني حضرمي منذ العصر الحجري.

(٢) إن أول نكبة جماعية تعرضت لها هذه التجمعات السكانية قد تحدث عنها القرآن الكريم هي ما حل بقوم نوح عليه السلام حين أُغرقوا جميعًا بفيضان عظيم ما نجا منهم إلا مَنْ حُمل على الفلك من المؤمنين الموحدين وعلى رأسهم سيدنا نوح عليه السلام قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤].

(٣) بعد تكاثر ذرية قوم نوح الناجين وتزاحمهم، شهد الشرق القديم هجرات واسعة إلى عدة مناطق بحثًا عن الأمن والرخاء وكانت بلاد الرافدين، وأرض الشام، وأرض النيل وهضبة الحبشة وبلاد اليمن مرتعًا خصبًا لهذه الهجرات الواسعة فيما بعد عهد نوح ونكبة الفيضان العظيم ومنها تسللت الأقوام البشرية إلى بقية قارات العالم.

(٤) كانت عاد من أقدم الأقوام التي هاجرت من بلاد الرافدين بعد عهد الفيضان العظيم والتي استقرت وترعرعت في أرض الأحقاف وهي المنطقة الشمالية الشرقية من اليمن والممتدة من ظفار عمان شرقًا إلى جوف اليمن غربًا وقد تعرضت عاد في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عهد نبيها هود عليه السلام إلى النكبة الطبيعية الثانية المتمثلة في ريح صرصر عاتية من عند الله تعالى هوت بالقوم جميعًا ما خلا الناجين منهم وهم المؤمنون الموحدون وعلى رأسهم هود عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: ٦-٨]. وكان من آثار هذه النكبة تحول في المناخ نتج عنه جفاف دائم وتصحر زاحف من الشمال والشرق فجفت أودية عاد وأقفرت جنّاتهم.

(٥) وإلى الغرب من رمال الأحقاف وفدت موجة أخرى من بلاد الرافدين بعد تزاحم سكانها واستقرت في وادي مذاب وجعلوا من مدينة قرناوى عاصمة لهم في الجوف اليمني عرفت بالمعينيين وورث المعينيون قوم عاد في حضارتهم، وبتقادم السنين تعرضوا لما تعرض له أسلافهم فطالهم الجفاف والتصحر الذي أخذ يتجه نحو الجنوب والغرب فوهنوا ونهض من بعدهم الحضرميون والسبئيون يبنون حضارتهم وينشئون دولهم حيث الأودية الممطرة والخصبة فبنى الحضرميون عاصمتهم شبوة على وادي عرمة وشيد السبئيون عاصمتهم مأرب في وادي ذنة ويطاردهم الجفاف والتصحر في اتجاهه نحو الجنوب والغرب وتظهر رملة السبعتين التي عرفت بصحراء صيهد فيضعف شأن الحضرميين ويتفرق السبئيون قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٥-١٦] وتستقبل بلاد الرافدين الأحفاد الجدد في هجرتهم المعاكسة من اليمن إلى العراق.

وفي اليمن تتجه الأنشطة السكانية والحضارية إلى الغرب وتتسلق الجبال حيث المناخ أفضل والأمطار أغزر والحقول والقيعان أخصب. ونهض الحميريون في وادي بنا وشيدوا في ظفار اليمنية المطلة على قاع (الحقل) عاصمتهم. وأخذوا يتوسعون على المرتفعات الجبلية فكانت صنعاء عاصمة خالدة لليمن بقصورها العامرة وأشهرها كان قصر غمدان الشاهد على الحضارة اليمنية إلى اليوم. راجع الخريطة في الشكل (٢). وتبيَّن كيف أن التجمعات الحضارية في اليمن نشأت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حول الأودية مما يجعلها حضارة أودية لا حضارة أنهار أو شواطئ.

(٦) وتبادلت اليمن والحبشة الهجرات البشرية لقرب المسافة بينهما خاصة أمام بوابة باب المندب وقد احتفظت البلدان بتجمعات سكانية بعضها من بعض. وخلف الغزو الحبشي لليمن تجمعات سكانية من أصل حبشي على طول الشاطئ الغربي والجنوبي لليمن فيما يعرف بتهامة وأودية حضرموت الساحلية في ميفعة وحجر والمسيلة. ولم يخرج الغزو الحبشي لليمن إلاّ بغزو فارسي له ترك تجمعات سكانية في المرتفعات اليمنية حول صنعاء وهم الأبناء الذين دخلوا في دين الله أفواجًا مع كل اليمنيين واندمجوا في المجتمع اليمني.

(٧) وفي صدر الإسلام وأثناء الفتوحات الإسلامية عرفت اليمن أكبر هجرة جهادية شملت عباهلة اليمن وملوكها ورجالها وأطفالها ونساءها كانوا جند الفتح الإسلامي وقادته من العراق إلى السند ومن مصر إلى الأندلس وشكلوا تجمعات سكانية متميزة في البصرة والكوفة وفارس ودمشق وحمص والقاهرة وقرطاجة وغرناطة إلخ. وقد أردف اليمنيون خاصة الحضرميين هذه الهجرة الجهادية بهجرة مماثلة في زمن لاحق إلى سواحل وجزر شرقي إفريقيا وسواحل وجزر الشرق الأقصى في ماليزيا وإندونيسيا والفلبيين فنشروا الإسلام هناك كما عوّضوا عن طبيعة أرضهم الطاردة بطبيعة أرض جاذبة معطاء واندمجوا في مجتمعاتها وأسهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية.

(٨) ومنذ القرن الثالث الهجري وفدت إلى اليمن عدة أسر هاشمية كان أشهرها وأعظمها تأثيرًا على الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في اليمن الأسر العلوية كأسرة يحيى الهادي وآل الأهدل وقد استقرتا في شمال اليمن، وأسرة أحمد بن عيسى النقيب التي استقرت في حضرموت. ولحقت بالأُسرة العلوية إلى حضرموت أُسر عربية آخرى كآل باوزير وآل باعبَّاد وغيرهم وقد اشتهرت هذه الأُسر بالعلم والثقافة.

كما استقرت في شمال اليمن أُسر بعض الحكَّام والعسكر الذين رافقوا الحملات التي شكَّلت في اليمن دولاً مستقلة كالدولة الزيادية والأيوبية والرسولية وأخيرًا الأتراك الذين حكموا اليمن. وفي حضرموت استقرت أسر هندية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصومالية أثناء الحكم البريطاني بقيت منها بعض الأُسر في المكلا والشحر وقد ذابت جميع هذه الأُسر المهاجرة إلى اليمن في محيط المجتمع وأدغمت فيه محتفظة ببعض ملامحها.

(٩) وخلال تاريخ حضرموت الطويل الذي لا ينفصم عن تاريخ اليمن عامة تبادلت حضرموت وبقية أجزاء اليمن الهجرة خاصة إلى عدن والوهط وإلى ظفار العمانية ومنها وكانت القبائل الوافدة إلى حضرموت من الغرب والشرق كنهد وبني حرام وبني ضبة وآل كثير ويافع الأقوى شكيمة قد أزاحت القبائل القديمة: الحضرمية والكندية من مواقع الرئاسة القبلية والنفوذ والسطوة مما أدى إلى أكبر انقلاب اجتماعي في حضرموت حيث تمسكنت بعض هذه القبائل الحضرمية والكندية وتركت السلاح واتجهت إلى المساجد تعلم الناس أو إلى المزارع أو إلى التجارة خاصة في الجانب الأوسط والسفلي من وادي حضرموت.

وفي عصر الوحدة اليمنية الحديثة تداخل الشعب اليمني شماله وجنوبه وشهدت حضرموت تدفقًا بشريًا من مختلف محافظات الجمهورية اليمنية مما سيعكس الاندماج الفكري والسياسي والاجتماعي في اليمن الموحد فيها إذا ما ترك لهذا الاندماج أن يأخذ طريقه الطبيعي الهادئ دون أن يعكر صفوه أحد.

٣ - البعد الاقتصادي:

تتركز الأنشطة الاقتصادية في اليمن عامة وحضرموت خاصة في الزراعة والتجارة والعمارة وتكاد تكون هذه الأنشطة أعمدة الحضارة اليمنية قديمًا والتنمية اليمنية حديثًا في ظل الأمن والاستقرار، فإذا ما وهنت هذه الأنشطة أو حلّت الفوضى في البلاد تعرض السكان إلى الهلاك أو الهجرة، فقد بادت عاد وضعف المعينيون لما طاف بأرضهم طائف من الريح العاتية والجفاف وتفرق السبئيون لما انهار سد مأرب العظيم أبدلت جناتهم بشيء من أثل وسدر وخمط قليل. قال الله تعالى في حقهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٥-١٦]. وتقاطر الحضرميون إلى شرقي إفريقيا وآسيا القصوى لما سادت بلادهم الفوضى القبلية وأقفرت أرضهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والأنشطة الاقتصادية في حضرموت تتمثل في الجوانب الآتية:

أ - الجانب الزراعي والسمكي:

تتميز تضاريس حضرموت الطبيعية بوادٍ متشعب بين نجدين، وساحل يطل على البحر العربي فيمنح الأولُ الزرعَ والضرع ويجود الثاني بنعمة دائمة من الأسماك ذات الأنواع الجيدة فقام الاقتصاد اليمني على أكتاف القوى المنتجة من الفلاحين والصيادين والرعاة ويشكل هؤلاء السواد الأعظم من السكان.ولما كانت المياه أساس الزراعة في بلاد لا أنهار جارية فيها، وأمطارها موسمية فقد اعتنى سكانها منذ القدم ببناء السدود (المضالع) على مجاري الوديان، وشقوا الصخور لجر المياه من المرتفعات إلى السهول فيما يعرف بـ (المعايين) وحفروا الآبار لرفع المياه من الأعماق. وشكلت (السناوة) [1] والنخلة ملحمة اقتصادية مفعمة بالتفاعل بين عطاء الأرض وجهد الفلاح. وشكّل البحر بأمواجه الهادرة ملحمة اقتصادية أخرى تميزت بالصراع بين الصياد المغامر وأسراب الأسماك المتدفقة بين الأمواج الصاخبة وفي خضم هذا الصراع مع الأرض والبحر تطلع الحضرمي في جهله وكدحه إلى الوسيط الرباني لتجود له السماء بسحابة ممطرة أو لتحميه من غدر البحر وقد يكتفي أحيانًا بحرز من الوسيط.

في العصور القديمة كانت الزراعة والمراعي مزدهرة في حضرموت وقد وصف الله تعالى هذا الازدهار في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشعراء :١٣٢-١٣٤].

وقد تغنى قديمًا الشاعر الحضرمي بجروب الهجرين:

الـهـجـران كـفـة بـكـفـة الـنـخـل والـذبـر بـهـا مـجـفـة

وفي العصور الوسطى اكتفى الحضرميون بما تنتجه بلادهم في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم فوسعوا الزراعة بالحبوب والخضروات، وغرسوا أشجار النخيل واعتنوا بأشجار السدر والقطن وبعض الفواكه.وفي العصر الحديث أدخلوا الميكنة الزراعية واستخدموا مراكب الصيد الحديثة والأشباك الحديثة مما خفف

(١) السناوة: رفع المياه من الإبار بواسطة الإنسان أو الحيوان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أعباء الإنسان المنتج وضاعف الإنتاج الزراعي والسمكي في مواجهة تزايد السكان وتضاعف الطلب،وتميز الجانب الزراعي بعلاقات مُرضية بين مالك الأرض والفلاح عبر اتفاقات خاصة عرفت بالمخابرة تحدد ماعلى كل طرف وحصة كل طرف من المردود وقد انهارت هذه العلاقات التي تحفظ لكل طرف حقوقه في بداية السبعينيات من القرن العشرين الميلادي حين عصفت بالوادي الانتفاضات الفلاحية والتي رافقتها انتفاضات الصيادين بالساحل بدفع وتضليل من الحزب الاشتراكي اليمني الحاكم ذى الفكر الاشتراكي الماركسي؛ فكسدت الزراعة وتقيد صيد الأسماك.

وقبل أن يصادر الملكيات الزراعية النظام الماركسي فقد عرفت حضرموت منذ العصر الجاهلي أنواعًا من الملكيات الكبيرة منها:

(أ) ملكيات الإله المعبود ويتصرف بها نائبه وهو الملك والكهان.

(ب) ملكيات رؤساء العشائر والسلاطين.

(ج) ملكيات التجار وذوي المناصب.

(د) ملكيات الأوقاف الإسلامية.

ولعبت النخلة في حضرموت دورًا اقتصاديًا واجتماعيًا وفكريًا منقطع النظير مما يجعلنا نفرد لها موضعًا في هذا الكتاب.

١- النخلة في الفكر:

النخلة شجرة مقدسة مباركة قديمة قدم آدم فقد عبده ا اليمنيون في نجران وقيل إنها خلقت من التراب الذي خلق منه آدم عليه السلام وفي حديث عن النبي محمد ﷺ لم يصح «أكرموا عمتكم النخلة» ووصف الله سبحانه وتعالى حالة الهلكى من قوم عاد بأنهم كأعجاز نخل خاوية ووُصِف الإنسان البسيط الذي يتطلع إلى ماهو أعلى منه كمن يتطلع إلى أرقى أنواع النخل وهو المديني فقيل: (إيش لك في المديني يامشنق عيونك).

وذهب علوي بن طاهر الحداد المؤرخ والعالم الحضرمي المشهور إلى أبعد من ذلك فهو حينما صنّف الحضارمة جعلهم كأصناف النخل فيهم الوضيع كالعبد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخادم فهو بمثابة أردأ أنواع النخل وهو الحمراء الذي يتحمل الجفاف وفيهم السيد العلوي وهو بمثابة أرقى أنواع النخل وهو المديني أو المجراف ويقول: «لايمكن أن ترتقي نخلة الحمراء إلى مستوى نخلة المديني مهما بُذل لها من سُقي وتربية».

وفي النخلة شبه من الصفات البشرية ففيها الذكر والأنثى، ولطلع الذكر منها رائحة تشبه رائحة مني الرجل،ويوصي الدجالون بإضافة شيء من طلع النخل إلى مني الرجل ليعزز مفعوله في إخصاب الأنثى ومدة حمل النخلة من طلوع الإغريض إلى نُضج الثمار إلى تمر تسعة أشهر كحمل المرأة تمامًا.

وخدمة النخلة ورعايتها قائمة على علاقات اجتماعية ومنافع متبادلة بين مالكها وخادمها وشارحها إنه عالم عجيب بين الإنسان والنخلة.

٢- النخلة في الاقتصاد:

النخلة كلها خير وبركة للإنسان: ثمارها وأوراقها وجذعها وقد شبه بها النبيُ محمد ﷺ المؤمنَ، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ماهي؟**» فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: وقع في نفسي أنها النخلة فاستَحَيْتُ. ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «هي النخلة»؟ قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لإن تكون قلتَ: هي النخلة، أحبُّ إليَّ من كذا وكذا. رواه مسلم.

أ- الثمر:

التمر هو الثمر الناضج للنخلة، وإلى عهد قريب كان التمر يشكل الوجبة الأساسية للسكان في وادي حضرموت وبه يفطر الصائمون في شهر رمضان المبارك عملاً بالسنة النبوية،وهو زاد المسافرين في رحلاتهم والزهاد في خلواتهم. لا يستغني عنه البدو الرحل في رحلهم وظعنهم ومن يملك جروب النخل تملّك ثروة كبيرة غالى في ثمنه الأثرياء وتنافسوا في غرسه وبالمال الوفير الذي أتى به العلويون معهم من البصرة خلعوا في منطقة العجز شرقي مدينة تريم مساحة واسعة بالنخل سموها «قسم» تذكارًا لقسم في البصرة المزروعة نخلاً، وخلدوا جدهم علي بن علوي الذي غرس نخل قسم حضرموت بلقب خالع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قسم. ويقال إن القطب الصوفي الأول الفقيه المقدم محمد بن علي برزمُ [١] ٣٦٠ زيرًا بالتمر، يسع الزير الواحد ألف رطل من محصول نخله سنويًا حيث يتصدق يوميًا بزير واحد [٢]. والعناية بثمار النخل تمر بمراحل من تفخيط [٣] وترديد [٤] وتخبير [٥] وقطيع [٦] وتقليف [٧] ورزامة [٨].

ب - الأوراق:

تسمى أوراق النخيل السعف مفردها سعفة. وهي ورقة مركبة تتكون من سلسلة طويلة من الوريقات المتقابلة التي يطلق عليها الخوص مفردها خوصة. ويسمى كرسي الورقة الكربة جمعها كرب وهي مشدودة على جذع النخلة بألياف. وأثناء نمو النخلة تجف الأوراق السفلية وتنمو في القمة أوراق جديدة. ويستعمل خوص الأوراق في أعمال الوظن [٩] لصنع المسارف [١٠] والمراوح اليدوية، والحصر، والقفف [١١] والعبي [١٢] والخبر [١٣] إلخ. وأما لحاف الورقة وهو الليف فيستعمل لصناعة الحبال والمِعْلة [١٤] والسرة [١٥].

---

(١) برزم: يهرس التمر المنزوع النواة بالقدمين بعد أن يعرض للشمس ويضاف قليل من الماء.
(٢) المدقق في أرقام محصول الفقيه المقدم من التمر يجد فيها مبالغة غلو وترتيبًا خاصًا.
(٣) التفخيط: هو التأبير والتلقيح.
(٤) الترديد: وضع العثقول المثمر على سعفة النخلة وقطع كل عثقول يزيد عن حمل النخلة.
(٥) التخبير: حفظ العثقول عندما يصبح الثمر رطبًا وذلك في أوعية تسمى الخبر من خوص نوع من النخل حتى لا يتساقط التمر قبل نضجه وقطفه.
(٦) القطيع: قطع عثقول التمر بعد أن ينضج.
(٧) التقليف: فصل النوى عن التمر.
(٨) الرزامة: عملية هرس التمر بالقدمين.
(٩) أعمال الوظن: أعمال صناعة الخوص وقد استعيض عن خوص النخل بخوص مثيله.
(١٠) المسارف: ج مسرفة وهي الطبق من الخوص.
(١١) القفف: مفردها قفة وهي وعاء له عمق وغطاء.
(١٢) العبي: أوعية لتعبئة التمور.
(١٣) الخبر: أوعية لحفظ ثمار النخلة قبل نضجها على الشجرة.
(١٤) المِعْلة: ج مَعَل وهو حبل يستعمل لربط الخبرة حول العثقول.
(١٥) السرة: الرشا وهي حبل سميك وطويل يستعمل في رفع المياه من الآبار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جـ - السوق:

ساق النخلة هو جذعها وهو معرى من الأوراق بعد قطعها وتساقط كربها. وتستعمل جذوع النخل كوقود لتسخين مياه حمامات المساجد أو لحرق الأحجار الجيرية في ميافي [١] صناعة النورة التي تستعمل في تبييض جدران البيوت أو تلميعها. كما كانت تستعمل في سقوف البيوت وقد بني مسجد النبي محمد ﷺ من جذوع النخل بالمدينة المنورة ومن معجزاته ﷺ حنين جذع النخلة إليه الذي كان يقف عليه في خطبته حينما تركه ﷺ.

د - النوى:

النوى جمع نواة وهي بذرة ثمرة النخل وتفصل من التمرة بعملية التقليف التي سبق أن أشرنا إليها. ويطلق على النوى العجم ويستخدم كمادة غذائية لتسمين الأغنام بعد رضحه [٢].

وللنخل أنواع يستطيع ذو الخبرة تمييزها بأوراقها وثمرها ونواتها. ولهذه الأنواع مسميات قد تختلف من منطقة إلى أخرى كالحمراء والسريعي واليتيمة والزار والسبي والمجراف والزجاج، والمديني والعشدلي إلخ. كما أن لتجمعاته مسميات فإن كانت النخلة مفردة فاسمها منقر وإن كانت اثنتين فاسمها قرين وإن كانت أكثر من اثنين فاسمها دوارة. وقد تطرقنا إلى كثير من المفردات اللغوية حول النخلة وهي في طريقها اليوم إلى النسيان من ذاكرة الأجيال لما آل إليه حال النخلة من الإهمال والضياع ولاسيما بعد نكبة مصادرة المزارع والممتلكات الزراعية أثناء الانتفاضة الفلاحية في الوادي في بداية السبعينيات عام ١٩٧٢م.

ولابد من العودة إلى النخلة والاهتمام بها وبمساقيها إذا ما أردنا نهضة زراعية حديثة في حضرموت والنخل هو الأمن الغذائي في النكبات وللشاعر الحضرمي عبد الرحمن بن محمد بن شهاب قصيدة عن أنواع النخل تخميسها:

(ماشي كما التمر في الدار)

---

(١) الميافي: ج ميفى وهو الفرن.
(٢) رضح: رضخ وكسر نوى التمر إلى قطع صغيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - الجانب التجاري:

تشكل التجارة عبر التاريخ أحد أعمدة الاقتصاد في حضرموت ففي عهد الدولة الحضرمية التي عاصمتها شبوة كانت القوافل البرية تنقل البخور والعطور والبهارات والذهب والحرير والأحجار الكريمة القادمة من الهند وإفريقيا إلى ميناء قنا (بئر علي) على الساحل الحضرمي عبر الطريق البري المعروف بطريق البخور والذي يبدأ من ميناء قنا فمدينة شبوة فمأرب فنجران ومنها إلى الشام ومصر حيث قام التجار الحضارمة بدور الوسيط التجاري بين سواحل المحيط الهندي وحوض البحر الأبيض المتوسط. كما اشتهرت حضرموت بالأسواق المركزية في عدة مناطق منها لتبادل المنافع الاقتصادية بين السكان وكان سوق الشحر الذي يبدأ نشاطه من ١٥ شعبان حتى نهايته من أهم هذه الأسواق المركزية الموسمية الداخلية. وكذا سوق رابية في وادي العين الذي يقام في شهر ذي القعدة متزامنًا مع سوق عكاظ وكانت قريش ترسل قوافلها إليه [١].

وعِشْق الحضارمة للبخور والذهب ظل ملازمًا حياتهم إلى اليوم فاعتنوا بأشجار اللبان والمر التي تنمو في المهرة وسقطرى وظفار واستوردوا من الخارج أيضاً مختلف أنواع البخور فهم إلى اليوم يستوردون اللبان بأنواعه من الصومال والدخون [٢] من الهند وإندونيسيا فيحرقون بخور اللبان لتطييب غرف الدار وحماماته وأوعية الشرب ولطرد الأرواح الشريرة.

وأما الدخون فهو من أطيب الروائح وأزكاها عندما يحرق يتفاخر به الأثرياء ويكرم به الضيوف والزوار ويستخدم في تجمعات المآتم والأفراح حيث يدار على الحاضرين وهو يفوح بدخانه الزكي وهو طِيْب الشيوخ والعلماء والفقهاء إلى اليوم.

ويعتبر الذهب والدخون من أغلى وأعز الهدايا التي لاينساها العائدون إلى حضرموت وقد قال شاعرهم الحمينى:

عسى آل جاوى بيجون على الذهب والدخون

---

(١) غالب بن عوض القعيطي: تأملات عن تاريخ حضرموت.
(٢) الدخون: قشور نباتية ذات رائحة زكية عندما توضع على الجمر في مداخن خاصة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتبارك الحضرميون بالتجارة ويقولون: إن ثلاثة أرباعها بركة: ولا يأنف من مزاولتها أفراد الطبقات العليا في المجتمع وقد اشتهر الحضارمة بالأمانة وهي خلق التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة وفي العصر الحديث برز في عدن وشمال اليمن وفي المهجر العربي والإسلامي كبار التجار من أبناء حضرموت وتعتبر محافظة حضرموت اليوم أكبر قوة اقتصادية في المهجر فلو أتيح لرأس المال الحضرمي في المهجر بالاستثمار داخل اليمن لكان قوة داعمة للاقتصاد اليمني وللتنمية في اليمن وبأموال المغتربين الحضارمة نشاهد انتعاشًا اقتصاديًا محدودًا في حضرموت في ظل الظروف الاقتصادية الداخلية الصعبة التي تمر بها اليمن عمومًا في الوقت الراهن.

وقد رأينا خلال الحرب العالمية الثانية حينما انقطعت التحاويل من إندونيسيا عن حضرموت كيف أنها تعرضت لمجاعة مروعة أهلكت وشردت آلاف الناس خاصة من سكان الوادي واستقبل الساحل الحضرمي هؤلاء المشردين حيث الحياة المعيشية أفضل.

جـ - الجانب الصناعي:

إذا كان الفلاحون والصيادون هم القوى المنتجة لتأمين الغذاء للسكان فإن الصناع والحرفيين بمختلف مهنهم هم القوى المنتجة لتأمين السكن والملبس ومختلف الأدوات والآلات التي يستعملها الإنسان الحضرمي في مسكنه وعمله وكما ارتبطت الزراعة تاريخيًا بعطاء الأرض فقد ارتبطت به أيضًا الصناعة المحلية ومن أشهر الصناعات الحضرمية القديمة الحياكة والتطريز وكانت البرود الحضرمية قد ملأت شهرتها أسواق الجزيرة العربية وقد برع أهل حضرموت في بناء السدود وتشييد البيوت العالية من الطين، وناطحات السحاب في شبام خير شاهد على حضارة الطين الحضرمية. واشتهرت حضرموت بأفران الأحجار الجيرية والطين الغضارية التي تستخدم جذوع النخل في أفران صناعة النورة وكل الأدوات الفخارية،وفي العصور الوسطى كان الحضرميون يأكلون مما يزرعون ويصيدون، ويلبسون مما يحيكون، ويسكنون فيما يبنون. وكل المواد متوفرة محليًا ولايحتاجون إلا إلى الإبرة وتستورد من الهند أو الحجاز والبن ويستورد من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مزارع البن في يافع وشمال اليمن.

أما في العصر الحديث فقد اعتمدوا على الخارج من زر الملابس إلى السيارة الشبح ولم يعد فنجان القهوة ينشطهم ويكيفهم فاستوردوا القات من نفس مزارع البن التي تحولت إلى مزارع للقات

ودخلت حضرموت في طور حضارة يمنية خاصة هي حضارة العلف كما وصفها الشاعر السوري سليمان العيسى:

سمٌّ به وطن الاحرار يقتاتُ سمٌّ يدمر من عاشوا ومن ماتوا
متى ستنفض عنك الداء يا بلدي؟ متى سيعدم هذا المجرم القاتُ؟

وأخيرًا اكتشف النفط في حضرموت بكميات تجارية فكان من أهم موارد الجمهورية اليمنية لدعم الاقتصاد الوطني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني النسب

لعب النسب دورًا كبيرًا في تكوين المفاهيم والقيم، وفي تحديد العلاقات الاجتماعية، وفي اتخاذ المواقف لدى الإنسان الحضرمي مما يلجئنا إلى الخوض فيه كجزء هام في التمهيد للدراسة التي نحن بصددها لاسيما وأنَّ النسب قد زجَّ به في خضم الصراع الفكري والاجتماعي خلال أدوار الفكر الحضرمي

١ - الأصل الواحد:

يتنسب البشر جميعًا دون استثناء إلى إنسان واحد هو آدم عليه السلام، قد خلقه الله سبحانه وتعالى من طين، وخلق منه زوجه حواء ومن ذريتهما تكونت البشرية جميعها قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١] فأصل البشرية إذن واحد ونسبها واحد، والناس كلهم عبيد الله. وأي اصطفاء يبعد إنسانًا أو فئة من الناس عن أصله الطيني وعن عبوديته لله سبحانه وتعالى، فلا أساس له وهو باطل وافتراء على رب العباد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة:١٨]. وقال محمد رسول الله ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب» ونسب اليابانيون إمبراطورهم إلى آلهتهم الشمس المقدسة فهذه النسبة بمختلف صورها لا أساس لها من الصحة ولا تمت إلى الحقيقة بشيء ألبتة. وكل ما ترتب على هذه النسبة من فضل وامتياز لفرد دون الآخرين أو لفئة دون أخرى فلا أصل له ولم يرد في القرآن أو السنة أن نبينا محمد ﷺ خلق من نور الله وأنه أصل الكائنات ثم نسخت منه العوالم كلها كما ورد في «شمس الظهيرة» [1].

٢ - التكوين الواحد:

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد بدأ خلق الإنسان من طين فقد قضت إرادته أن يكون نسله من ماءٍ مهين عبر التزاوج الجنسي بين الذكر والأنثى. فيندمج الحيوان

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور: شمس الظهيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنوي الذكري في البويضة الأُنثوية، وتستقر البويضة الملقحة في رحم الأُنثى حيث القرار المكين وقد اشتملت هذه البيضة الملقحة على الصفات الوراثية القادمة من الأب والأم والمثبتة في كروموزومات الخليتين الجنسيتين المتحدتين على شكل بويضة ملقحة. وفي القرار المكين يبدأ التكوين إلى إنسان حي بعد أن ينفخ فيه. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج :٥]. هذا الإنسان الكامل قد ورث من أبويه بعض صفاتهما وبعض صفات أبويهما في إطار نظام وراثي قد سنه الله تعالى. وهكذا تنتقل الصفات الوراثية من جيل إلى جيل منذ أن تكون الجيل الأول من الأبوين آدم وحواء. وكل الناس عرضة لتلقي هذه الصفات ولم يأت أي إنسان مهما بلغ شأنه خارج نظام هذه النشأة وهذا التكوين. قال الرسول محمد ﷺ فيما رواه أحمد: **«إنّ الله خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض. فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك»** إن الرسول محمد ﷺ يبين لنا في حديثه انتقال الصفات الوراثية البشرية من الآباء إلى الأبناء ضمن قوانين وراثية قد توصل إليها العلماء فيما بعد من دون أن يخص فئة معينة من الناس بأطيب الصفات ودون أن يخص فئة أخرى دون الناس جميعًا بأخبث الصفات ماداموا جميعًا قد انحدروا من أصل واحد ويمرون جميعًا بتكوين واحد ويخضعون جميعًا لقوانين وراثية واحدة.

هذا وقد تتغلب بعض الصفات القادمة من الأم على بعض الصفات القادمة من الأب في تكوين الابن أو البنت وهذا يعني أن الأبناء لا يرثون صفات آبائهم فحسب بل قد تتغلب عليهم صفات الأم وهنا تنتفي خاصية الأصالة النسبية للأب وحده وقد لاحظ العرب هذه الخاصية الوراثية في جاهليتهم وإسلامهم. قال الشاعر الجاهلي الحضرمي امرؤ القيس الكندي:

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيدُ ومن حُجرْ
سماحةَ ذا، وبِر ذا، ووفاء ذا ونائل ذا، إذا صحا وإذا سكرْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا موضع الأكفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبه أخواله» وفي رواية: «تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن». وقيل إن الحسين بن علي بن أبي طالب كان كثير الشبه بجده محمد ﷺ وإن فاطمة الزهراء كثيرة الشبه بأبيها محمد ﷺ في وقفتها ومشيتها وهذا ما يتفق تمامًا مع القوانين الحديثة في علم الوراثة التي تبين أن انتقال الصفات الوراثية يأتي عبر الأبوين معًا وبالتالي يكون من غير الموضوعي ولا العلمي ولا الإسلامي القول بالاصطفاء الوراثي عن طريق الأب فقط الذي يملك وحده السيادة الوراثية، ولاعن طريق الأم وحدها بل يرث الأبناء صفات أبويهما على تفاوت وفقًا لقوانين علم الوراثة التي هي سنن الله في خلقه.

هذا وقد طبقت بعض القبائل العربية خاصية نقل الصفات الوراثية فإلى عهد قريب كانت بعض القبائل الحضرمية تمارس ما يسمى بالتفريخ وهو مضاجعة غير شرعية بهدف إنجاب رجال ذوي شجاعة وبأس تتصف بها قبيلة الرجل المضاجع ينسبون إلى قبيلة أمهم ويقال إن عادة التفريخ هذه قد سنها شيخ القبيلة المنهزمة في الحروب لدعم قبيلته المنهزمة، وأصبحت بمرور الزمن عرفًا مقبولاً وبفضل الوعظ والإرشاد الإسلامي الذي انتشر بين صفوف البادية ولانتهاء الحروب القبلية في حضرموت بعد هدنة القبائل الشهيرة التي عرفت بهدنة إنجرامز أول مستشار بريطاني في حضرموت تقلصت عادة التفريخ وتكاد تكون متلاشية اليوم.

والمتمعن في تعاليم الإسلام وحقائق علم الوراثة تنتفي لديه أسطورة أعراق طيبة بذاتها وأخرى خبيثة بذاتها وأنساب طاهرة وأخرى فاسدة وسلالات نقية تعلو ولا يعلى عليها لا تكافئها سلالات أخرى وفي النسب العربي لا عدنانية ولا قحطانية.

وإسماعيل عليه السلام نفسه جد عدنان قد تزوج جرهمية قحطانية وعبر السنين تمازجت ذرية من وصف بالعدنانيين مع ذرية من وصف بالقحطانيين. وذرية فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ قد تناكحوا مع غير بني هاشم بل ومع العجم واشتركوا مع كل المسلمين في صفاتهم البشرية التي ورثها كل البشر عن أبيهم آدم عليه السلام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ - الاصطفاء:

لا معنى للاصطفاء والتفاضل بين الناس على أساس الأصل والنسب لأن أصلهم واحد، وتكوينهم واحد كما قد بينا وإنما يكون التفاضل الحقيقي على أساس العمل الصالح والإخلاص في العبودية لله سبحانه وتعالى قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] فالاصطفاء الأدائي إذن هو المعني عند الله تعالى ورسوله ﷺ، لا الاصطفاء على أساس النسب قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة :١١٣-١١٤]. وعدو الله أبو لهب لم ينفعه نسبه كعم لرسول الله ﷺ فوعده وزوجه بنار جهنم. قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد :١-٥] والاصطفاء الرباني والذي يعني اختياره عبد ا من عباده البشر لحمل الرسالة الإلهية وتبليغها للناس لا يقوم على أساس النسب الرفيع أو المال العريض أو الجاه العريق أو لرغبات بشرية أو اعتبارات اجتماعية بل هو إرادة ربانية وهو يعلم أين يضع رسالته. فقد استنكر اليهود وتساءلوا كيف اختار الله طالوت ملكًا عليهم قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٤٧]. ودهشت قريش واحتجت كيف اختار الله محمدًا ﷺ وهو اليتيم الفقير ولم يختر الله الوليد بن المغيرة عظيم القريتين قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف :٣١] إن التاريخ العالمي زاخر بالعظماء والأبطال والعباقرة بل بالأنبياء والرسل والأولياء الصالحين من مختلف الشعوب إن الله سبحانه وتعالى يهب نعمه لمن يشاء من عباده وهم المصطفون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- المتعالون :

المتعالون من البشر هم الطبقيون والمتعصبون والعنصريون وهم المنحرفون عن الصراط المستقيم. فقد تعالوا على من يشترك معهم في الأصل الواحد والتكوين الواحد واتخذوا لهم نسبًا يميزهم عن غيرهم ويشتركون جميعًا في نبذهم للأخوة والمساواة وفي تمسكهم بحصانة اجتماعية وفواصل تعزل بقية الناس عنهم ولم أر شيئًا كالزواج يحطم حواجز النسب ويبني سياجه ويحافظ على كرامة الإنسان والله سبحانه وتعالى لم يضع أمام الزواج عائقًا نسبيًا بين الرجل والمرأة إلا عائق الرحم قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ [النساء :٢٣] ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء :٢٤] ولا عائقًا اجتماعيًا إلاّ زواج الحر من الأمة كيلا يقع الأولاد في قيود العبودية. واعتبر العقيدة الإسلامية أساس الكفاءة* الزوجية فنهى عن زواج المسلم من المشركة مهما كان موقع المشركة من الحسن والجاه وعن زواج المسلمة من الكافر مهما كان موقع الكافر من الحسب والنسب قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾ [البقرة :٢٢١] والزواج في الإسلام قائم على الإرادة الحرة بين الرجل والمرأة أو وليها. دون اعتبار لنسب أو حسب فقد زوّج الرسول محمد ﷺ زيد بن حارثة المولى ابنة عمته القرشية زينب ابنة جحش، كما زوّج ابنتيه زينب ورقية أبي العاص بن الربيع وعثمان بن عفان غير الهاشميين أيضًا وتزوج عمر بن الخطاب غير الهاشمي أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب شقيقة الحسن والحسين وأنجب منها ابنه زيدا.

وضمنيًا أفتى في تريم بحضرموت الشيخ أبوبكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب بأن الحضرمي غير العلوي كفؤ للحضرمية العلوية وأعطى أهمية خاصة للعوامل الاجتماعية والنفسية في استقرار واستمرار الحياة الزوجية وأفتى مفتي الديار الحضرمية السيد عبد الرحمن المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠هـ بإجازة زواج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رجال آل باحرمي بنات آل بافضل وآل الخطيب وهم من أعرق مشايخ تريم وفقهائها القدامى وأفاد السيد المشهور في حيثيات فتواه أن السادة العلويين لا يكافئهم غيرهم ولوكان قرشيًا لانتسابهم إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وأن العرب من غير السادة مهما اختلفت قبائلهم وأنسابهم متكافئون. ويقرع المفتي بشكل خفي ومبطن مَنْ يقول بأن آل باحرمي لايكافئون آل الخطيب وآل بافضل بقوله في فتواه: (إنّ مشايخ عصره يغلب عليهم أنهم يوافقون آباءهم في الاسم والجسد ولا يوافقونهم حقيقة ورسمًا فافهم واسترشد) [1] هذا ويفهم من حيثيات فتوى السيد عبد الرحمن أنه قد استبعد الكفاءة الزوجية على أساس النسب ولكنه استعلى فاستثنى العلويين الذين ينتسب هو إليهم. والمتعالون كما ذكرنا هُمْ الطبقيون والمتعصبون والعنصريون:

أ - الطبقيون:

يشكل الفكر الديني الهندوسي أعتى المذاهب الفكرية تكريسًا للتمايز الاجتماعي على أساس نظام طبقي وراثي تشكل فيه طبقة البراهمة أعلى وأشرف وأرقى طبقة ويشكل المنبوذون أدنى وأحط وأذل طبقة في المجتمع الهندي الهندوسي فهي منبوذة نجسة مقهورة. ويكاد كل مجتمع إنساني لا يخلو من الترتيب الطبقي ويبقى التعالي والاستغلال سمة المنحرفين الطبقيين.

ب - المتعصبون:

العصبية صفة مميزة للقبيلة وهي أقوى لدى البدو منها لدى الحضر الذين استقروا وأمنوا وقد ورث العرب من جاهليتهم العصبية القبلية التي فرضتها عليهم ظروف الحروب التناحرية بينهم في بيئة اقتصادية شحيحة وقد خلد العرب شعرًا جاهُليًا مشحونًا بعواطف الاعتزاز بالقبيلة والسؤدد والتحدي والأخذ بالثأر لقتلاهم. فقد قال الشاعر حراشة عمرو العبسي المتعصب لقومه:

فلا قوم إلا نحن خير سياسة وأربط أحلامًا إذا العقل أجهلا
وأكثر منا سيدًا وابن سيد وأجدر منا أن يقول فيفعلا

(١) علي بن أبي بكر محمد بافضل: تحقيقات تاريخيه لقبيلة آل باحرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما الشاعر يزيد بن مقسم الصدفي فيفتخر بقبيلته الحضرمية ويتعصب لها ويقول:

يا حضرموت هنيئًا ما خصصت به من الحكومة بين العجم والعرب
في الجاهلية والإسلام تعرفه أهل الرواية والتفتيش والطلب

وأما قبيلة قريش فقد كانت تفاخر العرب في الجاهلية بمكانتها الدينية كسادنة للكعبة مركز الآلهة الوثنية (الأصنام) ولكنها في نظر وائل بن حجر الحضرمي لم تبلغ مستوى الملوك في عزهم وسؤددهم. فهاهو الملك وائل بن حجر الحضرمي يتعالى على معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي وقد اعتنق الاثنان الإسلام وذلك عندما كلف الرسول محمد ﷺ معاوية أن يرافق وائل إلى مكان نزوله بالحرة في ضاحية المدينة المنورة وفي الطريق يركب وائل جمله ويطلب معاوية من وائل أن يردفه ولكن وائل يتعالى ويأنف من أن يردف هذا القرشي وهو الملك الحضرمي ويسير معاوية على قدميه ويطلب من وائل أن يعيره نعليه فيأبى وائل وتمر الأيام وتتغير الأحوال ويلتقي الرجلان وقد تقلد معاوية خلافة المسلمين وأصبح ذا ملك واسع وعندها - وفي اللقاء الجديد بين الرجلين -تمنى وائل ألا يكون قد تصرف مع معاوية ذلك التصرف المتعالي أثناء مرافقة معاوية له.

في هذه الرواية العبرة والدرس بصرف النظر عن حدوثها فعلاً.

والعصبية القبلية تحمي القبيلة وتحافظ على شكيمتها وهي كما يقول ابن خلدون أساس الملك ولكنها تنحرف إذا هي تحولت إلى تعصب وتعالٍ على الآخرين واحتقار لهم وهذا ما حدث في الدولة الأموية عندما اعتمد بنو أمية على اليمانية القحطانية لمقاومة معارضيهم من قريش العدنانية وعندما جاء مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قلب لهم ظهر المجن فقرب مضر وعادى اليمانية فكانوا السباقين للثورة ضد الدولة الأموية بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي وكردّ فعل للعصبية العربية المتعالية التي مارسها العرب أثناء الحكم الأموي، ظهرت في صفوف الفرس - وهم الأمة العريقة التي قوضها العرب المسلمون لقيام حكم الإسلام- الحركة الشعوبية التي اتخذت من قول الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣]. شعارًا لمواجهة العصبية العربية بعصبية فارسية. وستارًا للنيل من العرب الذين قوضوا ملكهم. فالتفوا حول الحركة العلوية السرية المناوئة للحكم الأموي وكانوا بفرسانهم وجيشهم طلائع الانقضاض على الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

وهكذا كانت العصبية القبلية من عربية أو فارسية أو بربرية تعاليًا ممقوتًا لشعب ضد شعب واستبدالاً للرابطة الإسلامية التي تجاوزت روابط النسب وأرجعت الشعوب كلها إلى أصلها الطيني الواحد وتكوينها البشري الواحد وعبوديتها للإله الواحد الفرد الصمد.

جـ - العنصريون:

العنصريون هم الفئة المتعالية الثالثة التي تعتمد العرق والنسب أساسًا للتفاضل على بني البشر. وتتميز بتخريجاتها الدينية والفلسفية والعلمية. وبممارساتها الممقوتة إسلاميًا وإنسانيًا. وأهم العنصريات المتعالية اثنتان هما اليهودية والآرية. وقد اقتبس السيد الحضرمي علوي بن سقاف الجفري بعض الأفكار العنصرية حول تفاضل البشر حسب عروقهم واجتهد العلامة والمؤرخ العلوي الحضرمي علوي بن طاهر الحداد في وضع تخريجات عنصرية في نفس الاتجاه العنصري في كتابه: (القول الفصل) [1] والذي تعصب فيه لأهل البيت تعصبًا شيعيًا أعمى. فأوَّل وغالى وشطح في فضل أهل بيت رسول الله ﷺ فورد مورد العنصريين. وهم أي أهل البيت في نظرنا واعتقادنا أبعد ما يكونون عن العنصرية والتعصب لا في عقيدتهم الإسلامية ولا في سلوكهم فشكلت أفكار الجفري والحداد ما يمكن أن نطلق عليه العنصرية الببغاوية؛ لأنهما رددا كما تردد الببغاء بعض أفكار وتخريجات العنصريتين اليهودية والآرية وذلك في خضم الصراع الفكري (الإرشادي - العلوي) في إندونيسيا والذي قد انتهى الآن والحمد لله. ونستعرض النظرية الببغاوية هنا في إطار النظريات العنصرية الأخرى لأنها عبرت

(١) علوي بن طاهر الحداد القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل وهو بقع في مجلدين كبيرين طبع مرتين وقد كانت الأولى عام ١٣٣٤هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن بعض الأفكار ذات الأثر الاجتماعي في حضرموت خلال بعض أدوار الفكر الحضرمي التي نحن بصدد دراستها في هذا الكتاب وسأسميها العنصرية الاستعلائية.

(١) العنصرية اليهودية:

تستمد العنصرية اليهودية فكرها من التوراة والتلمود المحرفين ومن بروتوكولات حكماء صهيون وتمارس الحركة الصهيونية اليوم العنصرية اليهودية بهدف الاستيلاء الكامل على فلسطين أرض الميعاد ومنها للانطلاق نحو حكم العالم ويعتبر تيودور هرتزل اليهودي النمساوي (١٨٣٠- ١٩٠٤م) المؤسس الأول للصهيونية الحديثة الذي تمكن من عقد أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م ونجح في جمع دهاة اليهود في العالم الذين صاغوا الفكر الصهيوني العنصري وسموه (بروتوكولات حكماء صهيون). وتستند العنصرية اليهودية على فكرة أن اليهود هم العنصر البشري الممتاز والمختار الذي اصطفاه الله للسيادة على البهائم وهي الأمم الأخرى وهي التي سخرها الإله (يهوه) لخدمتهم وأنه لا ضير عليهم في خداعهم والكذب عليهم وخيانتهم وإفسادهم لتحقيق مآربهم [1] وقد فضحهم الله سبحانه وتعالى فقال عنهم: الفصل الأول﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١].

هذا ويعمل اليوم عباقرة العلم والثقافة ودهاقنة السياسة والإعلام ورجال الاقتصاد من اليهود المتمكنين في مواقع النفوذ العالمية على ترسيخ دولتهم العنصرية (إسرائيل) التي أقاموها في فلسطين وذلك بالإرهاب وبدعم وتواطؤ مباشر ومكشوف من الولايات المتحدة الأمريكية خاصة وصولاً للهيمنة العالمية المطلقة على بقية الشعوب وهي البهائم في نظرهم.

هذا ولن يوقف هذا الطغيان العنصري إلا المسلمون الموحدون والمؤمنون الصادقون المجاهدون في وجه هذا الطغيان اليهودي العنصري. وقد وعد الله

---

(١) راجع الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الدورة العالمية للشباب الإسلامي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى بذلك وبشر به نبيه محمدًا ﷺ فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

(٢) العنصرية الآرية:

وكُردّ فعل للعنصرية اليهودية السامية ظهرت في أوربا العنصرية الآرية التي تمجد العنصر الآري الأوربي وظهر فلاسفة وكتاب ألمان ينادون بتفوق العنصر الآري وبلغت هذه العنصرية أوجها في عهد الزعيم الألماني هتلر الذي صنف شعوب العالم حسب نظريته وأفكاره النازية في سلسلة من الاصطفاء والتفاضل جعل في قمتها الشعوب الجرمانية وهبط بالشعب العربي في الدرك الأسفل من السلسلة وتأتي من بعدهم الشعوب الزنجية. وقد شن الزعيم النازي هتلر حربًا على العالم هي الحرب العالمية الثانية وصولاً إلى السيادة في أوربا ثم في العالم وصب جام غضبه على العنصرية اليهودية المنافسة الخطيرة لطموحاته في السيطرة على العالم فلاقى اليهودُ الألمانُ منه شتى ألوان العذاب والاضطهاد بما في ذلك الحرق في الأفران واتهم النازيون بمعاداة السامية واستغل اليهود ما ارتكب في حقهم فغالوا وبالغوا واستدروا عطف الأوربيين أنفسهم وابتزوهم وما زالوا إلى اليوم.

ومارس الأوربيون الغربيون العنصرية في مستعمراتهم خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية قبل استقلالها وفي جنوب إفريقيا مارس البيض العنصريون فيها الفصل العنصري مسكنًا ومطعمًا وملبسًا وثقافة إلخ فقاومهم الإفريقيون بقيادة زعيمهم مانديلا حتى انتصروا وأنهوا العنصرية الآرية المتمثلة في الأقلية البيضاء من الأوربيين. وتمارس العنصرية الآرية اليوم بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية نشاطها الاستكباري والاستغلالي على دول العالم الثالث. وامتازت العنصرية الآرية الأمريكية عن العنصرية النازية بتحالفها مع العنصرية اليهودية في حين وقفت العنصرية النازية في عداء سافر مع العنصرية اليهودية حتى انهارت النازية.

(٣) العنصرية الاستعلائية:

رددت العنصرية الاستعلائية بعض أفكار العنصريتين السابقتين لها وهما العنصرية اليهودية السامية والعنصرية الأوربية الآرية فيما يتعلق بالاصطفاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتفاضل البشري وأخذت تضرب الأمثال من عالم الإنسان والحيوان والنبات وتتمثل بآراء العنصريين من علماء الوراثة والبيئة والتربية وتستشهد بأفكار غلاة الشيعة في تأويل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وظهرت أفكار العنصرية الاستعلائية لمواجهة الفكر المستنير في دور الفكر التنويري الحضرمي الذي أعقب الدور الصّوفي سواء في المهجر بإندونيسيا وماليزيا أم في حضرموت نفسها. وأبرز ما تميز به فكر المستنيرين الحضارمة دعوتهم إلى المساواة بين جميع الحضارمة وإنهاء التمايز الاجتماعي القائم على النسب ومن ضمن ذلك الكفاءة الزوجية.

كان علوي بن سقاف بن محمد الجفري العلوي الحضرمي المتوفى عام ١٢٧٣هـ يطرح أفكار التفاضل والاصطفاء النَّسَبي ومما قاله: (القبائل تتفاضل وأفضلهم آل المصطفى ﷺ، وهم: بنو هاشم وبنو عبد المطلب. وهؤلاء يتفاوتون في الفضل، فيفضل السبطان الحسن والحسين على غيرهما من بني هاشم. ويفضل بنو هاشم على بني عبد المطلب ثم قريش لأنها أقرب إلى النبي ﷺ. ثم بنو إسرائيل وهم نسل يعقوب لأن فيهم الأنبياء ثم بقية الآدميين. والآدميون أفضل من الجن. وقد قال الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧] وكما قسمت العنصرية اليهودية البشر إلى قسمين فقط هما اليهود شعب الله المختار وبقية الآدميين وهم البهائم. وقسمت النازية المنبثقة عن العنصرية الآرية البشر إلى سلسلة من المراتب المتفاضلة أرقاها وأسيدها الجرمان. وفي أسفلها يأتي العرب وأدنى منهم الزنوج. فإن الجفري في تخريجاته العنصرية تميّز بالآتي:

(أ) إدخال عنصر الجن في سلسلته التفاضلية وجعلهم أدنى من الإنس، وهذا لم تدخله النظريات العنصرية الأخرى.

(ب) تقديم بني إسرائيل على بقية العرب بعد قريش وهذا ما يتفق مع السلسلة العنصرية النازية التي جاء فيها اليهود قبل العرب.

(ج) تقديم ذرية الحسن والحسين على غيرهم من بني هاشم.

والجدير بالذكر أن بعض المغالين من العلويين الحضارمة قد اشترط في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التفاضل نقاء السلالة فذكر أن العلويين الحضرميين أفضل من بقية ذرية الحسن والحسين الذين ادغموا واندمجوا في مجتمعاتهم العربية في حين حافظت ذرية العلويين على نقاء السلالة .

هذا وقد جاء علوي بن طاهر الحداد العلوي الحضرمي والمفتي الشهير والمؤرخ الكبير والشيعي المتطرف فأغنى العنصرية الاستعلائية بأفكاره وتخريجاته العنصرية . فأبعد من السلسلة الجفرية كل كافر وأنكر المساواة بين مسلمي الشعوب ففضل العرب على العجم دون اعتبار لسلوكهم الإسلامي القائم على التقوى واستخدم أفكار علماء الوراثة والتربية العنصريين لتأكيد آرائه العنصرية التي ضمنها كتابه (القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل بجزأيه الأول والثاني) .

لقد كان للنظرية الاستعلائية صدى واسع في صفوف الحضارمة المحافظين والتقليديين والمتأثرين بالفكر الصوفي الشيعي السائد في حضرموت منذ القرن السابع الهجري . كما كان للفتوى التي أطلقها الإرشاديون الحضارمة المنادون بالمساواة والخاصة بعدم اشتراط النسب في الكفاءة الزوجية ما يشبه القنبلة الاجتماعية التي هزت أركان البنيان الاجتماعي الطبقي في حضرموت والمهجر .

(٥) القول الفصل والنظرية الاستعلائية:

يعتبر كتاب : (القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل) لمؤلفه علوي بن طاهر الحداد الدليل النظري لنظرية العنصرية الاستعلائية وللأفكار الشيعية المرتهن ها الفكر الصوفي الحضرمي . وحسبنا هنا أن نورد بعض الآراء والأفكار التي اجتهد العلامة صاحب القول الفصل في تجميعها وعرضها وتوظيفها لدعم العنصرية الاستعلائية والمأخوذة من معطيات علوم الوراثة والبيئة والتربية . تطرح العنصرية الاستعلائية مبدأ أساسيًا هو أن ذرية سبطي رسول الله محمد ﷺ هم أفضل البشر جميعًا وصولاً إلى القول بأن العلويين الحضرميين هم أفضل من بقية الحضارمة مهما تعلموا وتعبدوا وثروا لأن فضلهم جوهري وذاتي وغير مكتسب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويعول صاحب القول الفصل على الوراثة في نقل الصفات التي ترتبط بالأجناس والأعراق ويرى أنه لا يمكن أن يرتقي أي إنسان من عنصر أدنى إلى عنصر أرقى؛ لأن الدم الذي يجري في جسمه غير دم من هو أرقى منه.

هذه المعلومة غير علمية وساذجة جدًّا ويعطي لذلك أمثلة على مستوى الإنسان والحيوان والنبات للتدليل على وجود الاصطفاء والتفاضل النوعي في كلٍّ منها. فالناس عنده يتفاوتون، والجياد تتمايز، والنخل يتفاضل ولكي ينفي المؤلف المساواة بين الناس يتجاهل أن أصلهم واحد وتكوينهم واحد ودماءهم واحدة ويذهب إلى القول بأن البشر أجناس وأعراق فيها الطيب وفيها الخبيث ومنها الشريف ومنها الدنيء ذاتيًّا. فالإنسان الزنجي في نظره دنئ بطبعه يتصف بالرعونة والطيش. وقد ورث ذلك من أسلافه فهو بهذا يختلف عن الإنسان الأصيل (السوبر) الذي يتصف بالطباع الكريمة التي ورثها عن أجداده.

وهكذا في اعتقاده يولد الوضيع وضيعًا والسيد سيدًا ولا علاقة للتربية والبيئة في ذلك ويقسم البشر إلى عروق طيبة ذات معادن كريمة وعروق لئيمة ذات معادن خبيثة ولا يمكن أن تتغير أو تتحول مستشهدًا بقول الشاعر:

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم ذلك النسب

ويقول المؤلف: إن الدماء التي تجري في عروق البشر ليست واحدة فالتي تجري في عروق السلالات الراقية غير تلك التي تجري في عروق السلالات الدنيئة. فالمؤلف هنا يكرر بغباء أسطورة الدماء الزرقاء التي كان ملوك ونبلاء أوربا يتبجحون بها. وهو يصر على أن الزنوج صنف منحط لا يقبل الترقي منطلقًا من نفس النظرة العنصرية المتعالية التي عامل بها المستعمرون الأوربيون العنصريون سكان أمريكا وإفريقيا. ويستدل صاحب القول الفصل في تحقيره للزنوج بتركيب قحف رأس الزنجي ويقول: إنه عند نموه يلتئم قبل تمامه وقبل أوانه وإن ذلك يبدو واضحًا في رسمه وعند مقارنته بين الزنجي والعربي يقول: إن الفرق واضح في اللون والصورة حتى في العقل والغريزة والبيان وفي سائر مقومات الإنسانية. فهي في العربي أوضح وأصرح وأغزر وأقوى مادة وأوسع مجالاً وأعلى مثالاً وألطف وأشرف هذا ويكذب الواقع الإسلامي هذه الترهات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففي حديث جرى بين الزهري والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كما نقل ذلك صاحب النور السافر. ذكر الزهري عددًا من عظماء الإسلام في أنحاء العالم الإسلامي في وقته كلهم من الموالي والعجم إلا عربيًا واحدًا هو إبراهيم النخعي مما أثلج صدر عبد الملك بذكره فقال: ويلك يا زهري فرجت عني، فوالله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر، وأن العرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد، ومن ضيعه سقط [1].

ويورد أيضًا صاحب النور السافر نموذجًا رائعًا لأصحاب الفضل الحقيقي هو الإمام العالم العابد المجاهد عبد الله بن المبارك فقد كان والده عبدا هنديًا لقاضي ورئيس (مرو) وعندما جرب هذا القاضي أمانة وذكاء هذا الغلام الهندي زوجه ابنته ذات الحسن والجمال بالرغم من أن جماعة من الأعيان والأكابر قد طلب خطبتها فولدت له عبد الله بن المبارك المشهور بالعلم والورع والذي كان يحج عامًا ويغزو عامًا. وكان معاصرًا للفضيل بن عياض العابد المشهور والمجاور للحرمين، فخاطب عبد الله بن المبارك الفضيل بن عياض:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
وغبار خيل الله في أنف امرئ ... ودخان نار جهنم لا يذهب
هذا كتاب الله يحكم بيننا ... ليس الشهيد كغيره لا يكذب

ويلجأ صاحب القول الفصل في تخريجاته العنصرية الاستعلائية إلى علم الوراثة ويزعم أن صفات الشرف من الصفات المقهورة وصفات الخسة من الصفات القاهرة. فالشعب الدنيء لايزكو بمصاهرة الشعب الشريف، في حين يهبط الشعب الشريف بمصاهرة الشعب الدنيء. وتختفي في أجياله الصفات الحميدة وتهيمن عليهم الصفات الدنيئة. ويبدو أن سمو مفتي جهور بإندونيسيا صاحب القول الفصل ومنظر العنصرية الاستعلائية قد أذهلته نتائج النكاح بين العربي الأصيل والدنيئات في نظره وتخريجاته من الجاويات والهنديات

(١) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس: النور السافر عن أخبار القرن العاشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإفريقيات فجاء الأبناء المولدون بألوانهم وسحناتهم وتقاطيعهم الجاوية والهندية والإفريقية التي لا تروق له لأنه علوي شريف أصيل.

هذا ومن منطلق النظرية العنصرية الاستعلائية لا يقر صاحب القول الفصل بالمساواة الطبيعية بين البشر لأنها كما يقول توقظ الفتنة بين الناس، وتخلق التناقض بين العقل والدين في حين هو نفسه بإصراره هذا قد أيقظ الفتنة بين الحضارمة وزعم التناقض بين العقل والدين. ويفترض المؤلف كما أشرنا وجود سلالات بشرية راقية وعريقة وأخرى دنيا ووضيعة. لا يمكن أن ترتقي الثانية إلى الأولى ولا أن تفضل عليها. والتفاضل عنده وضده النقص ثلاث مراتب:

١- **فضل من حيث الجنس**: وهو جوهري ولا سبيل للناقص إلى اكتسابه كفضل العرب على العجم ويستشهد بقولة منسوبة للصحابي الجليل سلمان الفارسي يقول فيها: (فضلتمونا معاشر العرب باثنتين لا ننكح نساءكم ولا نؤمكم في صلاتكم) ولسخف هذه الحجة ومناقضتها لقول الرسول محمد ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**» لا تحتاج إلى تعليق.

٢- **فضل من حيث الذات**: وهو جوهري ولا سبيل للناقص إلى اكتسابه أو بلوغه كفضل أهل البيت على بني هاشم. وهو بهذا يعلن بأن فضل أهل البيت فضل ذاتي وجنسي فلا سبيل للحضرميين كعرب ولا للجاويين كعجم إلى اكتسابه وهذا هو لب النظرية البيغاوية الاستعلائية.

٣- **فضل عرضي**: ويمكن اكتسابه كفضل الأغنياء على الفقراء إذ يمكن لكل الناس اكتساب المال.

وككل النظريات العنصرية التي لا تقر المساواة الطبيعية بين كل البشر يطرح مفتي جهور صاحب الموسوعة (القول الفصل) أفكاره وتخريجاته التي نستخلص منها النتائج الآتية:

١- تفضيل أهل البيت على غيرهم من الناس فضلاً ذاتيًا وجوهريًا وهم يشكلون سلالة عريقة راقية لا سبيل لغيرهم إلى الارتقاء إليها ولو كان عربيًا صحابيًا من شهداء بدر. فلا يصح أن يكافئ رجل من خارجها أية امرأة في داخلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للزواج منها مادامت الكفاءة الزوجية تعني المساواة. والمساواة غير واردة هنا.

٢- محاكاة النظرية الداروينية فيما تطرح حول أصل الإنسان والتي ترى أن الإنسان قد تطور من سلالة القرود. وأن الزنوج في جماجمهم يشبهون أسلافهم الذين اكتشفت هياكلهم كإنسان جاوا وغيره والذي اعتبرته النظرية الداروينية حلقة الوصل بين الإنسان القديم والإنسان الحديث.

٣- التقليل من شأن البيئة ودور التربية والتعليم في اكتساب الصفات الجسمية والعقلية والخلقية وفي تنمية المدارك وتقويم السلوك. فهو يرى مثلاً أن الأذكياء ينجبون أذكياء وينجب البُلداء أبناء بُلداء أمثالهم. وهو يعلم تمامًا أنه لا يوجد فرز في العالم كله لسلالات أو حتى لعوائل تختص بالذكاء وأخرى بالبلادة وأن الأب الذكي يمكن أن ينجب ولدًا بليدًا. وهو ينكر أو يتجاهل كثيرًا من الحقائق التي توصلت إليها البحوث التربوية والاجتماعية التي تؤكد تأثير ودور التربية والبيئة في تحديد السلوك الإنساني للأطفال أكثر مما تحدده عوامل الوراثة.

٤- إن الخوارج والنواصب والشعوبيين فرق مبتدعة ضالة لأنها تطرح أفكارها على أساس المساواة بين الناس ولا تقر المفاضلة بين العرب والعجم ولا بين أهل البيت وغيرهم من المسلمين.

٥ - عدم التطرق إلى فرقة الروافض وهي من أضل الفرق المبتدعة لأنها توافق هواه في التشيع المتطرف لأهل البيت.

ونحن نرى أن المبتدع الحقيقي هو من فارق أهل السنة والجماعة وأوَّل القرآن وحرف في الحديث وأن الشعوبي الحقيقي ليس من نادى بالمساواة بين المسلمين وإنما من حقد عليهم لأنهم دكوا معاقل الكفر والإمبراطوريات المستكبرة الظالمة لشعوبها وللإنسانية.

وكما لبَّست الشعوبية الحاقدة بالأمس على الإسلام والمسلمين أفكارها التخريبية من باطنية وتحريفية لتقويض وحدة المسلمين تلبّس اليوم العنصرية الصهيونية والغربية أفكارها على العرب والمسلمين باسم حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية لتحول دون وحدتهم ونهضتهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦ - الاصطفاء في الإسلام:

تختص العقيدة الإسلامية بأنها للناس كافة وبأن المسلمين إخوة. والأخوة الإسلامية أرقى وأمتن الروابط بين البشر أفرادًا، وجماعاتٍ، وشعوبًا، وأممًا. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبا:٢٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠] وقد غرس الإسلام بالتعليم والوعظ والإرشاد لا بالوراثة أرقى الصفات الإنسانية في نفوس المؤمنين قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون:١-٤] إلخ فالاصطفاء في الإسلام اصطفاء أداء لا اصطفاء نسب. والفضل فضل عمل لا فضل وراثة قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٥-٤٦] وإن فضل العرب قد قرره الإسلام على أنه فضل صفات وأعمال وأخلاق دون نزعة عنصرية أو شطط شعوبي. ونفى الله سبحانه وتعالى صفة الفضل عن اليهود بعد أن خالفوا شريعة الله ولعنهم. قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠] والله سبحانه وتعالى ما اختار العرب لرسالة الإسلام واصطفى محمدًا ﷺ لتبليغ هذه الرسالة إلا لكونهم مؤهلين لأداء هذه المهمة الربانية. وإذا كان للعرب ولقريش ولعلي بن أبي طالب من فضل فذاك لأعمالهم الخالدة في نصرة الإسلام ونشره بدمائهم وأرواحهم [1]. وإن من أخطر مزالق الترجيه والتربية أن يستخدم القرآن والسنة مغالاة وتأويلاً لأغراض عرقية ولأهداف تربرية. ولترسيخ السلوكيات العنصرية، ولاضطهاد فئات اجتماعية معينة في مجتمع طبقي. إن الله وحده هو الذي يهيء في زمن معين ظروفًا وخصائص تجعل من أمة معينة، أو شعب معين، أو قبيلة معينة، أو شخص معين للقيام بالمهام الربانية والإنسانية العظيمة. وهذه

(١) الشيخ محمد الغزالي: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخصائص غير ثابتة ولا تورث أي لا تنتقل من جيل إلى جيل. فالعرب مثلاً أيام البعثة المحمدية من أقدر الناس على نشر الإسلام. وكانت قريش من بين العرب لهيبتها وموقعها من الكعبة في مكة أجدر العرب بظهور النبوة فيها. وكان بنو هاشم لوجاهتهم في قريش هم الأنسب لأن تبرز النبوة فيهم. ولموقع أبي طالب لم تتجرأ قريش على إيذاء النبي في حياته. ولقد كان الرسول محمد ﷺ لما أودع الله فيه من خصائص وما يتمتع به من أخلاق وسجايا حميدة كالصدق والأمانة والبعد عن فسق الجاهلية هو أجدر بني هاشم بحمل الرسالة الإلهية [1].

وما قِصّة شق صدره وهو طفل إلا إشارة إلى تطهيره ﷺ هو شخصيًا وإعداده جسميًا ونفسيًا لحمل عبء الرسالة القادمة حين بلوغه سن الأربعين سن اكتمال العقل واتزان العواطف [2]. هذا هو الاصطفاء الرباني للعرب ولقريش ولبني هاشم ولمحمد ﷺ في ظروف وزمان البعثة المحمدية وهو اصطفاء لا يورثه الأجداد للأحفاد عبر قوانين الوراثة فلا هيبة لقريش اليوم بين العرب بل ولا موقع ولا كيان لها. إن الرسالات الإلهية مسئولية عظيمة وأمانة ثقيلة يحملها أنبياء الله المصطفون قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب :٧-٨].

إن الاصطفاء الرباني تكليف ومشقة وصبر لهداية البشر لا للتعالي عليهم أو للتميز عليهم بل هو أبعد من ذلك أمام محاسبة عسيرة في حالة النكوث أو التقصير. فاليهود مثلاً قد اصطفى الله منهم الأنبياء والمرسلين ولما ضلو وفسقوا وانحدروا في سلوكهم لعنهم الله ومسخهم قردة وخنازير. وصفات العرب المجيدة والحميدة من شجاعة وكرم وتطلع إلى المجد والسؤدد بدون عقيدة ترشدهم تتحول هذه الصفات إلى سلب ونهب وقتل وحرب ضروس وطغيان وجور. وهاهو عمرو بن كلثوم يقول مفتخرًا:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

---

(١)، (٢) الشيخ محمد الغزالي: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول المهلهل:

ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهارا

والعربي الذي تربى على أن البنت عار يسودّ وجهه إذا بشر بها وقد يئدها جاء الإسلام فهذب سجاياه وملأ قلبه رحمة وشفقة.

إن الفضل والاصطفاء عند الله هو فضل عمل لا اصطفاء نسب والرسول ﷺ يقدر فضل العمل لا فضل النسب ويقول: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» وقد خاطب الرسول محمد ﷺ قتلى قريش في بدر عندما وُضعوا في القليب: «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم. كذبتموني وصدقني الناس. وأخرجتموني وآواني الناس. وقاتلتموني ونصرني الناس» [1]. فأية قيمة للانتساب إلى قريش في مواقفها هذه وأي اعتبار للنسب الهاشمي في موقف أبي لهب من النبي ﷺ. وهكذا نرى أن فضل بني هاشم وفضل العرب ليس فضل نسب إنما هو فضل أداء لأن الفضل عند الله لا يكون إلا بالمواقف المحمودة والشريفة [2]. والناس عند الله متساوون خلقهم كلهم من أبوين هما آدم وحواء قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع بمنى: «يا أيها الناس ألا إنّ ربكم عزّ وجّل واحد ألا إنّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى». رواه أحمد.

هذا الإعلان العالمي من رسول الله ﷺ إلى الناس كافة بالمساواة الطبيعية بين الناس جميعًا وبإلغاء التمييز العنصري بين البشر في أكبر حشد للمسلمين لم تنصت إليه النظريات العنصرية من يهودية ساميّة وغربية آرية وببغاوية استعلائية ويصر صاحب القول الفصل على أن المساواة إيقاظ للفتن وإثارة للتناقض بين العقل والدين.

---

(١)، (٢) د. محمد رشاد جليل: علم النفس الإسلامي العام والتربوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث العلاقات الاجتماعية

١ - المجتمع الإنساني :

خلق الإنسان اجتماعيًا أي أنه لا يستطيع العيش إلا في جماعة إنسانية فهو في حاجة إلى رعاية وخدمة الآخرين منذ الولادة وتعتبر طفولة الإنسان أطول مرحلة يظل فيها عاجزًا عن الاعتماد على نفسه إذا ما قورن بالحيوانات التي تعيش في بيئته وتشتد حاجة الإنسان إلى مساعدة أخيه الإنسان كلما تطورت الحياة البشرية وتعقدت سبل المعيشة فيها وقديمًا كانت سبل معيشة الإنسان بسيطة ومن ثَمّ كانت العلاقات البشرية بسيطة لا تعقيد فيها. ومحدودة لا توسع فيها. وكانت الجماعات الإنسانية معزولة لا تواصل بينها أما اليوم فقد أصبح العالم كقرية واحدة اختصرت فيه المسافات والزمن للتواصل والتعارف ولتبادل المنافع والمصالح وأصبح التأثير على بعضها بعضًا سلبًا أو إيجابًا سهلاً وميسرًا بفضل التقدم في العلوم والتكنولوجيا الذي أحرزه البشر.

إن التطور الحضاري الذي شهدته البشرية في عصرها الراهن قد يسّرَ حياة الناس وخفف الأعباء الشاقة التي كانت تفرض قسرًا على الفئات الاجتماعية المقهورة والمغلوبة على أمرها فكريًا واقتصاديًا وعسكريًا وفي الوقت ذاته تعددت وتنوعت سبل تبادل المنافع وتقديم الخدمات الاجتماعية فتعددت المهن وارتقى بعضها إلى مستويات التخصص العالي مما اقتضى التعمق والتبحر في العلم الواحد وتطبيقاته التكنولوجية فبناء الأهرامات وتشييد القصور وزراعة الأحواض بالأمس اقتضى السخرة في العمل الشاق المضني الذي لا يمكن أن يقبله إلا العبيد والخدم لأسيادهم يقابله بذخ وترفع وتعالٍ من ذوي الجاه والسلطان في المجتمع.

وهكذا قُسّم المجتمع الإنساني في تلك الظروف القاسية إلى فئات اجتماعية حسب طبيعة ونوع العمل وحسب توزيع الثروة بينهم وحسب قوة النفوذ والجاه فيهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- السخرة الاجتماعية:

تبادل الخدمات والمنافع بين الناس في جو من الحرية والاحترام والعدل ضرورة اجتماعية لا تستقيم وتزدهر حياة المجتمع بدونها وتبلغ هذه الخدمات مستوى عاليًا من الإنسانية حينما تؤدى بإتقان وإخلاص وتعبدًا لله تعالى واهب النعم كلها ومسخر الكون كله لصالح الإنسان وتأخذ السخرة الاجتماعية حينها مفهومها الرباني قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] بهذا يفضل الناس على بعضهم بعضًا في ضوء هذه السخرة الربانية.

وتنحرف السخرة الاجتماعية عن خطها المستقيم ومدارها الرباني إذا ما أخذت شكل الاضطهاد الاجتماعي وفقدت مفهومها الإنساني كما مارسها الملأ الأعلى في العصور القديمة في المجتمعات الفرعونية المصرية واليونانية والرومانية والفارسية والهندوسية والوثنية بشكل عام وكما مارسها العنصريون في العصور الحديثة.

وتبقى دائمًا عبر العصور الإنسانية منذ أن خلق الله آدم وعلّمه الأسماء كلها الرسالاتُ الربانية هي المنقذ من السخرة البشرية ويكاد كل الأنبياء والرسل قد كذبهم وصدهم وحاربهم ممارسو السخرة البشرية من إذلال وعبودية واضطهاد وتعالٍ على البشر.

٣- حضرموت والسخرة البشرية:

تأخذ السخرة البشرية ألوانًا متعددة وتنطوي كلها تحت لواء الإذلال والاستغلال والجبروت وتشتد وطأة السخرة البشرية في ظل الأنظمة الدكتاتورية الاستبدادية وفي حالات الفوضى الاجتماعية.

وقد شهدت حضرموت أنواعًا من الاضطهاد الاجتماعي والسخرة البشرية فقد ذكر المؤرخون الحضارمة [١] أن معن بن زائدة القائد العباسي في غزوه الكاسح

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.
علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لليمن وحضرموت سنة ١٤٠٠هـ قد أباح حضرموت وخرب ديارها ومنابع مياهها وأذل أهلها ألبسهم السواد وألزم نساءها لبس الثياب ذات الذيول الساحبة على الأرض مع كشف جزء من الساق في الأمام.

وفي عام ١٩٧٢م شهدت حضرموت طغيانًا اجتماعيًا أشد وطأة مما فعله معن بن زائدة فصادر النظامُ الاشتراكي العلمي الذي حكم جنوب اليمن الممتلكاتِ وأمَّم الأرض والعقار وانتهك الحرمات أبدل سخرة بشرية بأخرى أظلم منها وأقسى وأعتى وأجهل فسحل وسجن وأذلّ عليي المجتمع من علماء وقبائل وقيادات عمالية شريفة وأقام من أراذل المجتمع والانتهازيين القافزين إلى حلبة كل سلطان حكامًا طاغين جددًا.

وهناك لون ثالث للسخرة البشرية التي عرفتها حضرموت فهي قد بدأت بجبروت السلاح ثم انتقلت بقوة المال واستقرت بحكم التقاليد وضحيتها الإنسان الضعيف. يروى لنا هذا النموذج من السخرة البشرية التربوي الاجتماعي الأستاذ محمد أحمد الشاطري [1]: خلال سنوات الفوضى القبلية التي ضربت أطنابها جميع حضرموت وقبل أن تفرض هدنة القبائل التي عرفت بهدنة إنجرامس. لا يكتفي القبيلي المسلح بالنهب والسلب وقطع الطرق. بل يعمل البعض منهم على خطف الضعفاء والمساكين وبيعهم على الأثرياء في حضرموت وخارجها. وكان الثري الكبير السيد عوض الشاطري قد اشترى أربعة رجال من المستضعفين المسترقين بحكم الخطف - شراء صوريًا - بوثائق بيع من القبلي المختطف بعد أن ينقد الشاطري للقبلي الثمن. ويطلق الشاطري الرجل المختطف ويكون بذلك قد خلصه من الرق القبلي. ويذكر الأستاذ محمد أحمد الشاطري أن الأربعة الرجال الذين افتداهم جده عوض الشاطري هم:

١- جد أسرة آل بريك بامقيشم من تريم.

٢- جد أسرة آل حيمود من تريم.

٣- جد أسرة آل عبود من تريم.

(١) محمد أحمد الشاطري: كيفية وضع كتاب مفصل عن مناقب آل الشاطري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- جد أسرة آل عطيفة من تريم.

ويقول السيد محمد الشاطري: وكان هؤلاء الأربعة ونسلهم يشعرون بالفضل لأهلنا لأنهم أنقذوهم من أولئك الظلمة ويقولون لآل الشاطري: نحن خدمكم اعترافًا بجميلهم عليهم ويأتون رجالاً ونساء وأطفالاً في يومي العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى إلى منازل آل الشاطري ويهنئونهم بالعيد ويتناولون القهوة ويغنون بالأشعار الشعبية (الحمينية) تجديدًا للترابط الذي ربط المظلومين ومنقذيهم، وذكرى لأيام خلاصهم. وتحليلاً لرواية أستاذنا الجليل الذي يعترف بأن وثائق الشراء والتي سماها (وثائق الافتداء) هذه وغيرها لم يحتفظ بها المفتدون من السادة آل باعلوي وآبائهم آل الشاطري.

وفي ضوء الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي عاشته حضرموت خلال تلك الفترة يتبين لنا كيف تمارس مختلف ألوان السخرة البشرية في وضع أمني مضطرب يتمثل فيه قول الشاعر:

والظلم من شيم النفوس ومن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

إن المختطفين المستضعفين قد تحولوا من ربقة العبودية المؤقتة إلى ربقة المخدومية الدائمة المتوارثة جيلاً بعد جيل فالقبلي الضعيف في ماله ودينه ليس في حاجة إلى عبد يصرف عليه وإنما كان هدفه المال وقد حصل عليه ممن يملك المال وكسب المشتري خادمًا مطيعًا هو وما أنسل وهل هناك أبشع ظلمًا وأشد إمعانًا في السخرة البشرية من أن يمنع المسلم من أداء فريضة الحج.

يقول أستاذنا الجليل محمد أحمد الشاطري: إن سعيد بريك أخبره أن جده عوض الشاطري قد منعه من أداء فريضة الحج لأنه في حاجة إليه لأداء عمل له ولم تشفع وتثن الشاطري عن إصراره توسلاتُ ودموع سعيد بريك ليسمح له بالذهاب إلى الحج في تلك السنة وبدلاً من ذلك ضرب الشاطري خادمه بريك ١٧ ضربة بمروحة كانت بيده، قائلاً له: هذه الضربات بسبع عشرة حجة تحجها إن شاء الله فحج المحب الخادم المسكين فعلاً ١٧ حجة كما تقول الرواية وتحققت للشاطري الثري الكرامة أيضًا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أمثلة العبودية المؤقتة إلى المخدومية الوراثية ما نجده أيضًا عند آل الخطيب كما يروي ذلك صاحب (برد النعيم) فيقول: خدم آل الخطيب هم آل أبي مختار وآل أبي مقشم. وسبب خدمة آل أبي مختار لآل الخطيب هو أن جدتهم القديمة كانت جارية للخطباء من الزمن القديم وكان آل أبى مختار يحملون نعال آل الخطيب في الأعراس، وقلدة بيت أهل العروس. أما آل أبى مقشم فكانوا ضعفاء في بيت جبير فلما خربت التجوا إلى الخطباء وتخدموا لهم إلى الآن. وإن جدهم لبيد دخل على جارية للشيخ محمد بن عبد الله الخطيب المكنى هاني فكان منها أولاده (المقاشمه) [1].

ولاتقتصر هذه النماذج من المخدومية الوراثية على المسفلة من حضرموت بل نجد ما يماثلها في (علوا) (ودوعن) من حضرموت خلال الدور الصوفي.

٤- الحوف ونظام السخرة الحميدة:

الحوف جمع حافة وهي نظام لتجمع سكاني صغير داخل المدن ويشمل حيًّا من أحيائها يطلق عليه الحارة. فالحافة إذن نظام مدني لأداء مهام اجتماعية مجانية تحت قيادة رجل كفء من أبناء الحي يدعى(اللبو) (أبو الحافة) يتمتع بصلاحيات مطلقة في إطار حافته، يعبر عنها بأن (أمره مطاع وحبله مشدود) ومن صلاحيته تحريج ابن الحي المحسوب من العاملين في خدمة الحي إن هو رفض الخدمة. والتحريج يعني الإيقاف عن العمل وهو دخل رزقه. ويقرب أبو الحافة في المدن من الشيخ أو المقدم في المناطق القبلية. وللحوف في حضرموت تاريخ مجيد في الخدمة المجانية لسكان المدن من إطفاء حريق وإنقاذ غريق وخدمة في الأفراح والأتراح وأثناء النزلات والملمات وفي الدفاع المدني أثناء الحروب كنقل الجرحى والقتلى وبناء الحصون والقلاع (الأكوات).

تأسس نظام الحوف في حضرموت منذ عهد بعيد في إطار النظام الاجتماعي الطبقي. وتعرض هذا النظام الصارم في أداء أعمال السخرة الحميدة إلى هزات فككت أوصاله وأوهنت عظامه بسبب التحولات الثقافية والاقتصادية لفئات

---

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب: برد النعيم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجتمع، وأخيرًا التحولات السياسية في بداية السبعينيات من القرن العشرين الميلادي التي أدت إلى إلغاء الحارات وقيام لجان الدفاع الشعبي.

وأهم ما يميز نظام الحوف في حضرموت أنه أسس على أساس طبقي اقتصادي تتولى فيه الطبقة العاملة خدمة الطبقة الثرية والقيام بالأعمال اليدوية العامة والمشتركة التي تأنف منها الطبقة العلوية في المجتمع. وكان نظام الإنكلوسلاطيني حليف الطبقة العليا في المجتمع قد دخل في تجربة خاصة مع رجال حافة عيديد والخليف بمدينة تريم كشفت زيف العلاقة الاجتماعية بين فئات المجتمع في النظام الاجتماعي الطبقي وتحولت الحافة من نظام سخرة حميدة إلى نظام سخرة إذلالية استغلالية مما أدى في النهاية إلى وهن في الحافة حتى قضى عليها نظام لجان الدفاع الشعبي.

وإليكم القصة باختصار كما يرويها العاقل علي سعيد بكير باغيثان إمام مسجد أحمد بعيديد وشقيق العلامة سالم سعيد بكير وأحد أبطال الملحمة الاجتماعية التي خاضها رجال الحافة مع السلطة الإنكلو سلاطينية وحلفائها من أثرياء تريم الذين يطلق عليهم (الطبانة):

ا- انهيار الحدود الوهمية للحافة:

لكل حافة حدود وهمية لجارتها وواجب رجال الحافة حماية هذه الحدود من أن يجتازها رجال الحافة الأخرى في واجباتهم الحافية، مما يعني بسط نفوذ حافة داخل حدود حافة أخرى وكم من مشاحنات ومشاكسات ولكم وطعن يفتعل على هذه الحدود بين سكان المدينة الواحدة التي كثيرًا ما يدفع بها النظام الإنكلوسلاطيني وحلفاؤه (الطبانة). فكان أول خطوة اتخذها أبطال حافة عيديد والخليف إلغاء الحدود الوهمية بين الحوف والتخلي النهائي عن الدفاع عنها وبذلك تمكنوا من دق أول مسمار في نظام الحوف الطبقي.

ب - التخلي عن الالتزام بخدمة الطبانة:

كانت الخطوة الثانية لرجال الحافة رفضهم خدمة الطبانة في إطار نظام الحافة إحس أصحاب القصور المترفون أن الأرض تهتز من تحت أقدامهم الناعمة وأن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النار تشب في وسائدهم الأثيرة وكأن القيامة قد قامت على امتيازاتهم الاجتماعية . وكان أحد الطبانة مقبلاً على زواج ابنته فاستدعى رجال حافة عيديد والخليف وكان في نفس الحارة وطلب منهم الرجوع عن قرارهم في التخلي عن خدمة الطبانة بعد أن قدّم لهم عشاء شهيًا وقدّم لهم الشاي فطلبوا منه التشاور فيما بينهم في جانب من قصره . فسمح لهم واتفقوا على الثبات في الرأي والوقوف صفًا واحدًا ورفض طلب الطبين وغادروا القصر .

ج- مناصرة السلطة للطبانة:

أمام رفض رجال الحافة العودة إلى خدمة الطبانة لجأ الطبين إلى حليفته السلطة الانكلوسلاطينية التي وقفت معه وقامت باعتقال بعض رجال الحافة بالقبض العشوائي عليهم من الشوارع دون إبلاغ مسبق أو إشعار ذويهم؟ ونقلوا تحت حراسة الشرطة من تريم إلى سيؤن عاصمة السلطنة الكثيرية آنذاك . ثم دفعوا إلى الشارع في سيؤن وقيل لهم امكثوا في سيؤن فأنتم تحت الرقابة ودبروا مسكنكم ومأكلكم وأشار علي سعيد بكير باغيثان راوي قصة هذه الملحمة الاجتماعية على زملائه بتحدي أوامر الإقامة الجبرية في سيؤن والعودة إلى مدينتهم تريم بحجة أن لا مأوى لهم في سيؤن وأن لا ذنب عليهم اقترفوه غير أنهم اتفقوا على المبيت في تلك الليلة عند زعيم الفلاحين (حمود باضاوي) في بيته بقرن سيؤن وفي صباح اليوم التالي توجه نفر من هؤلاء المنفيين من رجال الحافة إلى مقر الضابط السياسي البريطاني بسيؤن . وعلى رأسهم محدثنا علي سعيد بكير وطرحوا عليه مشكلتهم عن طريق المترجم أبانوا له بأنهم لا يدرون أسباب اعتقالهم ونفيهم فقال لهم : إنه لا يعلم شيئًا عن مشكلتهم وأحالهم إلى سكرتير السلطنة الكثيرية حينها أمين عبد الماجد السوداني فتوجهوا إليه فوجدوه في حالة سكر وقال لهم : عليكم بالطاعة والالتزام بمهام الحافة كما جرت العادة وعادوا إلى تريم حيث تم القبض على مجموعة من رجال الحافة منهم من كان مقصودًا بعينه ومنهم من كان اعتقاله عشوائيًا من الشوارع ونقلوا جميعًا على شاحنة مكشوفة إلى قرية غيل عمر وأودعوا سجنًا في حصن قرن الظبي وفي هذه الأثناء وصلتهم رسالة من زملائهم رجال الحافة بالثبات والصبر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د - الثغرة التي حقق منها الطبانة نصرهم:

منذ أن أعلن زعماء الرفض من رجال حافة عيديد والخليف في قصر الطبين الوجيه تخليهم عن خدمة الطبانة، تحرك الطبانة وظلوا على اتصال مستمر مع السلطة التي تعاونت معهم في إحداث ثغرة في صفوف رجال الحافة بالتأثير على السذج منهم والذين لم يتعودوا الوقوف في وجه الظالمين فطلب من هؤلاء تحت الترغيب والتهديد التوقيع على رسالة بالموافقة على العودة إلى عاداتهم في خدمة الطبانة وأرسلت هذه الرسالة إلى رجال الرفض المعتقلين في سجن غيل عمر فأسقط في أيديهم ووقعوا على نفس الرسالة وكان من بينهم علي سعيد بكير الذي وضع النقاب على وجهه قائلاً عند التوقيع: لا يفعل هذا إلا الحريم أي النساء. وتمضي الأيام ويسقط النظام الإنكلوسلاطيني ويقف علي سعيد بكير باغيثان في أول القافلة التي تتحرك إلى سجن المنورة بالمكلا ومعه رفيقه في التمرد على الظلم سالم بارجيب وكان الذي يسوق هذه القافلة إلى السجن رموز النظام الاشتراكي الماركسي الذي أسدل على حضرموت ستارًا أسود من الظلم والسخرة البشعة التي فاقت سخرة النظام الإنكلوسلاطيني.

٥ - التركيب الاجتماعي:

كما سبق أنه بينا أنه لا تستقيم حياة الناس وتنتظم وتدوم في أي مجتمع إلا بالتعاون والاحترام المتبادل وهو ما عبرنا عنه بالسخرة الربانية وتضطرب حياة الناس ويتكدر صفاؤها في مجتمع يسوده الظلم والاضطهاد وتعوزه العدالة الاجتماعية فتستغل فئة المال والقوة والعلم الفئات الأخرى بحسب ما تفتقر إلى المال والقوة والعلم ويتحول الاستغلال هذا إلى ما قد عبرنا عنه بالسخرة البشرية فالسخرة البشرية صفة مميزة للمجتمع الطبقي وقد قسم الفلاسفة اليونان المجتمع البشري إلى ثلاث طبقات رئيسة هي:

١- طبقة الحكماء.

٢- طبقة الجند.

٣- طبقة الأقنان والعبيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويروي لنا علي بن أحمد بن شهاب الدين أن القطب الصوفي محمد بن علي الملقب بالفقيه المقدم قد قسم المجتمع الحضرمي إلى ثلاث طبقات رئيسة أيضًا هي:

١- طبقة الملوك.

٢- طبقة العسكر.

٣- طبقة العلماء.

وأن الملك والعلم قد وقع في أيدي السادة العلويين واستحوذت القبائل بالجانب العسكري وبالرغم من أن هذا التصنيف الاجتماعي المروي عن الفقيه المقدم قد أهمل السواد الأعظم من المجتمع الحضرمي وهو القوى المنتجة فيه فإن البحاثة الإنجليزي الدكتور سرجنت الذي كتب دراسات عن الفكر والمجتمع في حضرموت قد علق على المقولة المروية عن الفقيه المقدم بأنها مغلوطة تاريخيًا.

وتروي الأسطورة الحضرمية بداية تشكل المجتمع الطبقي في حضرموت فتقول: نظم في قديم الزمان سباق بين الأجداد وكانوا وقتها متساوين ووضع في نهاية السباق الكتاب والسيف والمسحاة. حيث ترمز الثلاثة إلى العلم والقوة والعمل بالتتالي فانطلق الأجداد الثلاثة في سباقهم نحو الأهداف الثلاثة فاستلم الأول الكتاب فكان هو العالم الفاضل جد طبقة السادة واستلم الثاني السيف فكان هو القبلي المسلح جد طبقة القبائل وأما الجد الثالث فقد فاجأه البول أثناء السباق فجلس ليبول ووصل آخر المتسابقين فاستلم المسحاة فكان هو العامل المسكين جد طبقة المساكين، ولقب بالبخسوس (البخسوس اسم لحشرة زراعية غير ضارة وهي الخنفساء) وقد ضرب به المثل في المسكنة والتذلل والمسالمة فقيل: (تبخسس تسلم) وهكذا تشكل المجتمع الطبقي الحضرمي المكون من الطبقات الرئيسة التالية:

١- طبقة السادة.

٢- طبقة القبائل.

٣- طبقة المساكين.

والواقع إن الناس جميعًا متساوون فأصلهم واحد وتكوينهم واحد وهو ما نود أن نؤكده باستمرار في هذا الكتاب وللإسلام موقف مميز به تجاه الخدمة الاجتماعية (السخرة) فهو يعتبر أكثر الناس خدمة للناس وتضحية لمصالحه من أجل الآخرين أفضلهم وأسودهم وأحبهم إلى الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «الناس كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله». وهكذا تصبح خدمة المجتمع السخرة الربانية لا التسلط عليهم، ويصبح الاهتمام بالناس والاحتكاك بهم والتواضع لهم لا التعالي عليهم هي العلاقة الإنسانية المرغوبة والتي ينبغي أن تسود لا في المجتمع الإسلامي فحسب بل في المجتمع الإنساني كله. وإذا ما تعززت هذه العلاقة الإنسانية المرغوبة تلاشت علاقات الهيمنة القائمة على اعتبارات مادية وترسخت بين الناس علاقات رحم ورحمة ومحبة.

٦- الهرم الاجتماعي في حضرموت:

تقدم لنا المدونات التاريخية التي ازدهرت منذ القرن العاشر الهجري كثيرًا من المعلومات عن الوضع الاجتماعي في حضرموت. فمن هذه المعلومات بروز المصطلح (با) في نهاية أسماء الأشخاص للدلالة على الانتماء العائلي والتي تعني (آل) فيقال مثلاً: باعلوي - باذيب - باعبّاد - باوزير - باعيسى - باسودان - بامروان إلخ. كما أنه قد أعيد تركيب المجتمع الحضرمي ولاسيما بعد ترسخ الفكر الصوفي وظهور ذوي المناصب الذين اعتلوا قمة الهرم الاجتماعي. وتبادلت فئات اجتماعية المواقع في التركيب الاجتماعي منذ أن غزا حضرموت من يطلق عليهم المؤرخون الحضارمة (القبائل الناقلة) وهي تلك القبائل اليمنية القادمة من شمال حضرموت أو شرقيها في ظفار مثل قبائل: نهد، وبني ظنة، وبني حرام، وآل كثير والتي أخذت تغير على حضرموت وتعلو على القبائل المتنفذة السابقة لها وهي قبائل حضرموت (القبيلة) وكندة والتي استقر الكثير منها في المدن وتركوا السلاح واشتغلوا بالعلم والتجارة والمهن الأخرى أو لاذوا بالجبال والصحراء وعاشوا حياة البداوة. ومن تمدن وتحضر من القبائل لم يعد يهتم كثيرًا بالنسب الذي هو أساس العصبية التي لم يعد في حاجه إليها. وبقي ذلك عند حملة السلاح. وفي العهد السلاطيني ظهر في المجتمع العبيد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإفريقيون الذين جلبهم السلاطين والأمراء وبعض الأثرياء لحمايتهم وخدمتهم في قصورهم وبيوتهم .

إن من يتفحص نسيج وعلاقات البناء الاجتماعي في حضرموت خاصة في الدور الصوفي يجد أن المجتمع الحضرمي يتكون من ثلاث فئات (طبقات) اجتماعية رئيسة هي : -

١- فئة التعالي وسلاحها العلم ويمثلها السادة .

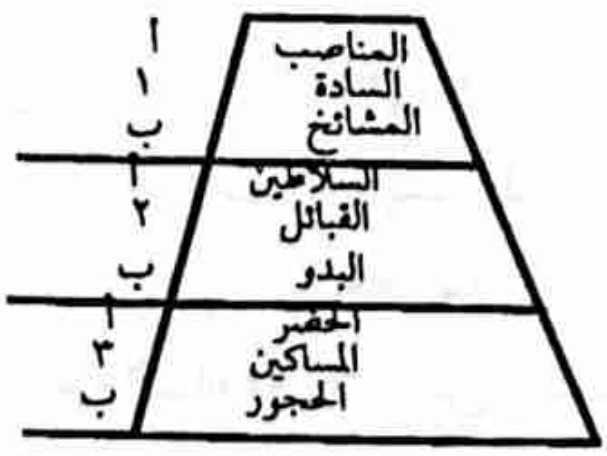
٢- فئة التسلط وسلاحها القوة ويمثلها القبائل .

٣- فئة التمسكن وسلاحها العمل ويمثلها المساكين .

وتحمي كل فئة من هذه الفئات الثلاث نفسها وتحافظ على وجودها من الفناء وعلى تماسكها من الانقراض بسلاحها . فبالعلم حافظ السادة على تميزهم وبه اعتلوا قمة الهرم الاجتماعي وروضوا به بطش القبلي وجلافة البدوي، وقادوا به خطام المسكين وبالقوة حافظت القبائل على تميزها وانتزعوا مكانتهم في المجتمع بالحق وبالباطل وبباطل الباطل أحيانًا وبالعمل والصبر والانقياد سلم المساكين من بطش القبائل وكسبوا مودة السادة لهم وفي خدمة الجميع عاشوا سالمين . وهكذا استمر المجتمع الطبقي في حضرموت في تحقيق منافع ومصالح متبادلة بين فئاته .

ولكل فئة أساسية في المجتمع الحضرمي الطبقي فوق فئة وتحت فئة على النحو الآتي انظر الشكل رقم (٣) .

شكل رقم (٣) الهرم الاجتماعي في الدور الصوفي



١- فئة التعالي :

٢- فئة التسلط :

٣- فئة التمسكن :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- أ: فوق فئة التعالي وهي المناصب ومنهم أقطاب الصوفية.

١- ب: تحت فئة التعالي: وهي المشايخ ومنهم الفقهاء.

٢- أ: فوق فئة التسلط وهي المقادمه ومنهم: السلاطين.

٢- ب: تحت فئة التسلط: وهي البدو ومنهم عسكر الحكومة.

٣- أ: فوق فئة التمسكن: وهي القرار (الحضر) ومنهم: المهنيون.

٣- ب: تحت فئة التمسكن: وهي الحجور ومنهم: الأقنان [1].

أما عبيد السلاطين فهم فئة طارئة في المجتمع الحضرمي استجلبهم السلاطين لحراسة قصورهم وحصونهم في المدن ولاقترابهم من موقع السلاطين لكونهم فوق فئة التسلط تمكنوا من اكتساب موقع اجتماعي استثنائي كقوة مسلحة داخل المدن ووظفها الأثرياء لحماية ممتلكاتهم أثناء الفتن ولم يسلم من تسلطها مَنْ لاحماية له كما برزت منهم شخصيات كان لها دور سياسي وإداري في النظام الإنكلوسلاطيني لما عرفت به من شجاعة نادرة ورأي حصيف وقد حررهم أسيادهم وانتهى دورهم كقوة مسلحة بعد أن تكون للنظام الإنكلوسلاطيني جيش وشرطة واندمجوا في المجتمع الحضرمي. هذا وتشمل فئة المساكين-كقوة عريضة من المنتجين والعاملين في المجتمع.: الفلاحين المرتبطين بالأرض، والصيادين المرتبطين بالبحر، والعمال القائمين بالأعمال الإنشائية والعمرانية عامة. وفئة المساكين بشرائحها المختلفة كما يدل عليها اسمها أكثر فئات المجتمع إيمانًا بالخرافات، وأبلغها سذاجة في التفكير والسلوك، وأسرعها تقبلاً بخوارق العادات، وأبطؤها تحررًا من وطأة العادات والتقاليد لاسيما وأن الأمية والجهل قد لفها بجلبابه الأسود حينًا من الدهر.

وقد تعرض الهرم الاجتماعي الحضرمي لهزات صدعت بنيانه نتيجة انتشار التعليم وتحسن الظروف المعيشية للسكان ولكن كانت أشدها وطأة تلك التي أحدثها النظام الاشتراكي العلمي الذي ورث النظام الإنكلوسلاطيني بعد الاستقلال فخرب البناء الاجتماعي تركيبًا وعلاقات بالعنف الوحشي فجمد دور

(١) الأقنان: عبيد الأرض وهم بقايا الاحتلال الحبشي ويوجدون في حجر ومسيلة العبيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المناصب وألغى وجود السلاطين وسلح الفلاحين والعمال والصيادين وخلق منهم قوة مسلحة هي المليشيا أنهوا بها مفعول القبولة تحت حماية النظام الثوري واستبدلوا نظام الحوف بلجان الدفاع الشعبي العين الرقيبة بين أوساط المجتمع الذي انهار طبقيًا.

وإذا كان قد نجح النظام الاشتراكي في هدم البناء الاجتماعي الطبقي فإنه لم ينجح في إقامة بناء جديد قائم على العدل والتراحم والاحترام بين الناس وإنما استبدل سخرة بشرية بأبشع منها تحافظ على مصالحه وتحقق امتيازاته في ظل أمن واستقرار صوريين ظاهريين لأن الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي لم يتحققا بعد حتى الآن في حضرموت بل وفي اليمن كلها.

٧- دور النسب في العلاقات الاجتماعية:

لعب النسب دورًا مميزًا في تكريس المجتمع الطبقي وفي فرز السكان في حضرموت حسب أنسابهم أو بالأحرى تثبيت أنساب السكان حسب مواقعهم الاجتماعية على أساس أن النسب المناسب لصاحب الموقع الملائم كما سبق أن تعرضنا لهذا. وفي الهرم الاجتماعي الطبقي في حضرموت يعزز النسب مواقع الفئات الاجتماعية ويحدد مكانتها الاجتماعية وطبيعة العلاقات التي تنشأ بينها داخليًا أو خارجيًا كما نعرض ذلك في الآتي:

أ- السادة:

ينتسب السادة في حضرموت إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد بذل السادة جهدًا ومالاً واستغرقوا زمنًا غير قصير لإقناع المجتمع الحضرمي بنسبهم. وقد اكتسب السادة بهذا النسب الشريف الذي يقربهم للرسول محمد ﷺ الموقع الأعلى في المجتمع الحضرمي وتعزز هذا الموقع الذي يحتل رأس الهرم الاجتماعي بعاملين هما العلم والمال.

وأفرز الفكر الصوفي الشيعي الذي تربع على عرشه الفقيه المقدم شريحة اجتماعية فوق فئة السادة هي المناصب الذين اعتلوا قمة الهرم الاجتماعي وهم أقطاب الصوفية الذين أسسوا الحوط كعواصم لمراكز نفوذهم الروحي الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هيمن على كل فئات المجتمع وارتبطت كل حوطة بقبيلة من القبائل حملة السلاح تحميها وتنصاع لتوجيهات منصبها. ولعب السادة [١] من خلال موقعهم الاجتماعي هذا المعزز بالنسب الشريف والعلم اللدني والمال الوفير دورًا ثقافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا بارزًا في الوطن والمهجر. وحرصوا على عادات وتقاليد وشعائر بل وزيّ خاص يميزهم ويحفظ لهم هذه المكانة الاجتماعية المرموقة ويقولون: إن الفقيه المقدم قد دعا لهم بثلاث خصال هي:

١- ألا يردوا إلى العمومية (أي زي العوام وسيرتهم).

٢- ألا يجعل عليهم يدًا لأحد.

٣- ألا يموتوا إلا مستورين.

وكانوا يحذرون أبناءهم من الخروج عن طريق السلف الصالح التي خططت لهم ويلومون مَنْ تبدى منهم وتشرب عادات البدو في الملبس وحمل السلاح ورعي الأغنام وربما الوقوع في عادة التفريخ المشاعة لدى البدو المجاورين لهم وقد سبق لنا شرحها.

ب - المشايخ:

هم الفقهاء وأصحاب القيادة الدينية في حضرموت من أهل السنة قبل أن ينتزعها منهم السادة. وقد ذهب الدكتور سرجنت إلى أبعد من ذلك ولا أخاله موفقًا في حدسه بأن المشايخ قد حلوا محل رجال الدين في العهد الوثني بحضرموت، بعد أن دخل السادة مدينة تريم وحلوا فيها اعترف المشايخ بنسب السادة وقبّلوا أيديهم وتنازلوا لهم عن لقب سيد إلا إن المشايخ آل (باعباد) احتفظوا بلقب سيد لفترة أطول كما تشير إلى ذلك مدوناتهم [٢]. ولعل هذا يعود إلى اعتزازهم بانتسابهم إلى الخليفة عثمان بن عفان ذي النورين فيرون أنهم كفؤ للسادة آل (باعلوي) بلقب (سيد). وقد عزز المشايخ مكانتهم الاجتماعية برفع انتسابهم إلى بعض الصحابة كأبي بكر الصديق، وعباد بن بشر، وعقيل بن أبي

---

(١) هارلود إنجرامز: تقرير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في حضرموت.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الله بامزروع الشبامي: الإكليل في مناقب الشيخ محمد بن أحمد عباد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طالب وغيرهم؟ يقول صاحب الشامل [١]: (الأنساب الحضرمية إنها كلها للتملق. وليست قائمة على علم الأنساب بل هي توهمات وزعم واشتقاقات يقولها السذج والعوام والمتملقون أوقالها سلفنا (السادة آل باعلوي) تفاؤلاً!! أو عن طريق عقد النسب (الولاء) فسعيد غير القبلي يعقد مع سعيد القبلي بالنسب فيصبح قبيليًا بالولاء). واحتفظ المشايخ بالعلم والانتساب هذا بموقعهم في الفئة الرئيسة الأولى في مرتبة تحت فئة التعالي انظر إلى الشكل رقم (٣).

وشرب المشايخ من نفس المنهل الصوفي المتشيع لأهل البيت واحتفظ البعض بحياته البدوية فظل محافظًا على حمل السلاح لابسًا زي البدو ممارسًا للعادات البدوية خاصة في غرب حضرموت. ومن أشهر أسر المشايخ على سبيل المثال لا الحصر ودون اعتبار للترتيب [٢]:

(١) آل بافضل
(٢) آل الخطيب
(٣) آل العمودي
(٤) آل باوزير
(٥) آل اسحاق
(٦) آل باحنان
(٧) آل باجابر
(٨) آل الزبيدي
(٩) آل باعباد
(١٠) آل باسودان
(١١) آل باحميد
(١٢) آل حسان
(١٣) آل باكثير
(١٤) آل باحرمي
(١٥) آل باعمر
(١٦) آل بارجاء

وفي البدء كانت أسر المشايخ متولية شئون الفقه والتعليم والإرشاد كل في منطقتها ولكنها اليوم قد توزعت في كل مناطق حضرموت وترك الكثير من المشايخ وظيفتهم الفقهية والإرشادية وامتهنوا كل الأعمال خاصة التجارة كغيرهم من سكان حضرموت.

جـ - القبائل:

تحتل القبائل موقع الفئة الرئيسة الثانية في الهرم الاجتماعي الحضرمي وترتبط في داخلها بوشائج النسب، وتحتفظ فيما بينها بروابط الحلف والاتحاد. ويشكل

(١) علوي طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها.
(٢) هارلود إنجرامس: تقرير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البدو معظم أفراد هذه الفئة حيث يحتلون مرتبة تحت فئة التسلط في حين يحتل السلاطين مرتبة فوق فئة التسلط انظر إلى الشكل رقم (٣).

وكانت القبائل مصدر الجيوش في النظام الإنكلوسلاطيني وبلغ الجيش البدوي الحضرمي تحت القيادة البريطانية أقوى قوة عسكرية في حضرموت كلها وقد لعب دورًا أساسيًا في إنهاء الوجود السلاطيني بانحيازه إلى الثورة في حضرموت وجنوب اليمن ولكن هذا الجيش القوي الشجاع قد فتته وشردته السلطة المركزية في العاصمة عدن بعد الاستقلال. وقد لا تروق للسلطة المركزية في صنعاء هذه الأطراف الواسعة من محافظة حضرموت فتقسمها بهدف الإضعاف لا التنمية. ومن أهم الاتحادات القبلية التي عرفتها حضرموت هي:

(١) الزي:

وهو اتحاد عدة قبائل تحت قائد واحد. وهناك ثلاثة اتحادات من نوع الزي هي: - أ - سيبان، ب - نوح، جـ - الحموم.

(٢) عصبة بني ظنة:

وهي من العصب القديمة بحضرموت التي استقرت في وادي المسيلة ورئاسة هذه العصبة لابن يماني بالوراثة وتسكن في قسم شرقي تريم.

(٣) الاتحاد الشنفري:

وهذا يختلف عن الزي في مسألة القيادة فسلاطين آل عبد الله الكثيريين لا يرأسون الاتحاد الشنفري بالرغم من أن السلطة السياسية فيهم قبل سقوط السلطنة الكثيرية.

(٤) يافع [١]:

هي وحدة عشائر حميرية تجتمع في قسمين رئيسين هما يافع العليا وعلى رأسها القعيطيون سلاطين معظم حضرموت. ويافع السفلى وعلى رأسها الكساديون. وقد لعبت يافع دورًا مهمًّا في حكم حضرموت.

---

(١) تنحدر قبائل يافع من أرض يافع جنوب اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د - المساكين :

يشكل المساكين في الهرم الاجتماعي الحضرمي فئة التمسكن وترجع أصولها إلى قبائل كندة وحضرموت القديمة وقد تركت السلاح وتمسكنت خلال الحروب التناحرية خاصة بعد أن وفدت إلى حضرموت قبائل أقوى شكيمة منها وأكثر بداوة وعصبية فعلت عليها وتسلطت. ولم يعد المساكين في حاجة إلى عصبية نسبية مما أدى إلى وهن علاقات النسب فيما بينها واعتمدت على العمل المنتج والخضوع للقبائل المسلحة والتودد للسادة عن طريق الخدمة لهم في علاقة تبادل منافع هي التي عرفت بعلاقة الخادم بالطبين. ويشكل الحضر ويشتغلون بالتجارة والحرف المهنية مرتبة فوق فئة المساكين بينما يشكل الحجور والصبيان ويمارسون الزراعة على مصبات الوديان الساحلية مرتبة تحت فئة المساكين انظر إلى الشكل رقم (٣).

والجدير بالذكر أمام هذا الهرم الاجتماعي الطبقي أنه قد تبرز وتنبغ شخصية أو عدة شخصيات في العلوم الإسلامية والعربية من فئتي التسلط والتمسكن كالسلطان صالح بن غالب القعيطي وكالعلامة سالم الكلالي، والعلامة عبد الله الناخبي من فئة التسلط وكالعلامة سعيد الكبير والعلامة عبد الله عوض بكير والعلامة سالم سعيد بكيّر والعلامة مبارك عمير باحريش من فئة التمسكن. أما اليوم وقد انهار هذا الهرم الاجتماعي الطبقي وتقاربت بل وتمازجت فئاته الاجتماعية وبرزت في المجتمع الحضرمي قيادات علمية واقتصادية وسياسية لم يعد يؤبه من أية فئة أتت أو من أي نسب انحدرت كل ذلك بفضل التربية والتعليم لا بفضل الأصل والنسب وعاد المجتمع الحضرمي كما خلقه الله أصلاً واحدًا وتكوينًا واحدًا فتساوى الناس وانهارت الحواجز الاجتماعية بينهم. ومن يفكر اليوم بغير ذلك فهو حالم تائه ضائع وأبلغ مثال على كسر الحواجز الاجتماعية والنسبية بين فئات المجتمع الثلاث هو الزواج الحر المتبادل بينها الذي أخذ يجري في كيان المجتمع، فتزوج ابن فئة التسلط ابنة فئة التعالي كما تزوج ابن فئة التمسكن ابنة فئة التسلط والتعالي في حين كان لا يكافئ ابن المرتبة الأدنى ابنة المرتبة الأعلى داخل الفئة نفسها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع تطور المجتمع حضاريًا

يعكس المستوى الحضاري لأي مجتمع طريقة حياته المعيشية من ملبس ومسكن وأسلوب عمل وطريقة اتصال وتخاطب وطباع وتفكير. وفي المجتمع الطبقي تتفاوت المستويات الحضرية لدى فئاته إذ ترتقي وتسمو هذه المستويات من أدنى إلى أعلى.

١- تطور الملبس:

منذ الدور الوثني وإلى عهد قريب لا يتجاوز عقد الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي كان البدو والفلاحون والصيادون في حضرموت حفاة عراة إلا من مئزر يلف حول وسطهم خاصة في فصل الصيف حين تشتد درجة الحرارة في داخل حضرموت وتشتد الرطوبة على الساحل الحضرمي. ويضيف الرجال في فصل الشتاء حين يبرد الجو قميصًا مخيطًا على ظهورهم أما نساء هولاء البدو والفلاحين والصيادين والعمال فيلبسن ثوبًا مخيطًا يستر بدنهن ونقابًا يستر شعرهن ماعدا الوجه والكفين والقدمين مع تجاوز في كشف بعض من الساق وشعر الرأس كبقية من أثر الجاهلية. وكان الأطفال في القرى والمزارع والبادية وشواطئ الصيد عراة تمامًا في فصل الصيف. وتلبس الفتاة الصغيرة (الستارة) وهي خيوط جلدية تتدلى من وسطها حول سوأتيها وقد تقتصر خيوط الستارة على الجانب الأمامي فقط عند الفتيات الأصغر سنًّا. وتضيف بعض النساء البرقع على الوجه ويضيف الرجال العمامة على الرأس ويكتفي البدوي بعصب رأسه بعقال بعيره. وبدءًا من مرتبة الحضر في فئة التمسكن [وقد سموا كذلك لارتفاع مستوى حضارتهم عمن دونهم] ومراتب الفئتين الأعلى ماعدا البدو يلبس الرجال منهم النعال والمآزر والقمصان والعمائم والأردية. وتتفاوت هذه في نوع نسيجها وطريقة حياكتها حسب ثراء الفرد منهم وموقعه الاجتماعي. فللملوك والسلاطين والمناصب ملابسهم الفاخرة الناعمة إلاّ من تواضع منهم لزهده في متاع الحياة. أما النساء فيتحجبن منذ أن فرض الحجاب في الإسلام ووصلت تعاليمه وتغلغلت في المجتمع الحضرمي، ويستعملن الأحذية. وتظل دائمًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملابس وجهاء المجتمع وعليي القوم رجالاً ونساءً وأطفالاً دالة على مستوى الرفاهية التي عرفها المجتمع الحضرمي على مدار أدواره التاريخية. وقد اشتهر الحضرميون منذ القدم بالبردة الحضرمية الفاخرة الصنعة. وعندما قدم الوفد الحضرمي برئاسة الملك وائل بن حجر الحضرمي إلى المدينة المنورة ولقي رسول الله محمد ﷺ، كانوا يرتدون ملابس الحرير فأمرهم النبي ﷺ بنزع الحرير فمزقوه جميعًا. وظل الحضرميون ردحًا من الزمن يلبسون مما ينسجون ويأكلون مما يزرعون ويتزيون بزيهم العربي حتى اختلطوا بالمهاجر فاستوردوا منها الكوافي الجاوية والمآزر المعروفة (بالصواريم) وملابس النساء المتنوعة. وللباس الأسود في حضرموت تاريخ فيقال إن معن بن زائدة القائد العباسي الذي قضى على التمرد في اليمن وحضرموت قد فرض على أهل حضرموت اللباس الأسود. والسواد في الواقع شعار العباسيين وشعار الشيعة. وسواء فرضه العباسيون للدلالة على الخضوع لهم أم نشره شيعة أهل البيت للدلالة على الاقتداء والمحبة فلم يعد الآن ذا اعتبار إلاّ في مناسبات الحزن عند النساء. كما حافظ إلى اليوم على العمامة السوداء رجال أناشيد السماع في الحضرات ومواكب الجنائز لدى من يسمون بخدام السقاف.

وفي تطور لاحق للمجتمع الحضرمي خاصة بعد أن تحسنت الظروف الاقتصادية واتسعت رقعة التعليم لدى فئات المجتمع الدنيا لبس جميع السكان الملابس والأحذية واقتنت النساء الحضرميات أفخر الملابس والعطور وأدوات الزينة. وتطور زف العروسة بحلي من الودع فالفضة إلى الذهب والألماس.

ب - تطور المسكن:

يقول المثل الحضرمي: «طلب واضو دارك» للدلالة على حرص الحضرمي على أن يكون له سكن يأوي إليه ليكتمل أمنه واستقراره بجانب أولاده وزوجه التي جعلها الله سبحانه وتعالى سكنًا له منذ أن خلق الله آدم وحواء. وقد تطور المسكن في حضرموت بتطور المجتمع الحضاري سعة وارتفاعًا وجمالاً من الكهف إلى القصر وتفاوت من البساطة إلى الفخامة وفقًا وفئاته الاجتماعية كتطور الملبس تمامًا الذي تطرقنا إليه آنفًا. وكما أخذ الحضارمة عن مهاجرهم طراز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملابس فقد أخذوا أيضًا طراز المساكن الهندية والجاوية كالبنقلة الهندية في بعض البيوت مثلاً . وإذا عدنا إلى فئات المجتمع في الهرم الاجتماعي الطبقي نجد إلى عهد قريب أن البدو الرعاة يعيشون في الكهوف وتحت الخيام . ونجد الحجور والصيادين يعيشون في مساكن من القش ذات الغرفة الواحدة أو الغرفتين . أما الفلاح الذي يأكل أجر يومه فكان يسكن أسرته في منزل ضيق في سلسلة أو كومة من البيوت المتلاصقة . وعندما يتزوج شباب هذه الأسرة التي تظل وحدة اقتصادية متماسكة تجتمع الزوجات ليليًا في غرفة واحدة ليتزينَّ ثم تأوي كل واحدة منهن إلى غرفة أضيق لتبيت مع زوجها . وإذا لم تكن الغرف الصغيرة كافية تناوب المتزوجون الغرف . وقد يرفع ستار في الغرفة الواحدة للفصل بين المتزوجين . وأما في البادية فالفلاة واسعة والأرض رحبة يجد فيها الأزواج متسعًا لممارسة حياتهم الزوجية .

أما الملأ الأعلى من الحضارمة فقد سكنوا القصور وتحصنوا بالقلاع منذ عهد عاد . وكانت مواقع البيوت في سفوح الجبال احترازًا من غائلة العدو المهاجم أو السيل الجارف المباغت . وتبقى الأودية والجروب حقولاً لمزارعهم ومرتعًا خصبًا لمراعيهم .

وخلال مسار التطور الحضاري للمجتمع الحضرمي وتحسن ظروف السكان كلهم الاقتصادية والتعليمية تقاربوا في مستوى مساكنهم كما تساووا في مستوى ملبسهم ومأكلهم . وتطور طراز العمارة لديهم التي ما زال الكثير منها من الطين حتى أطلق على حضارة حضرموت الداخلُ حضارةَ الطين . وسواء كانت البيوت من الطين في الداخل أم من الحجارة في الساحل فقد توسعت عرضًا وارتفعت طولاً حيث تعددت الطوابق حيث كان يخصص الطابق الأسفل لتخزين المؤن ويسمى (المربعات) ويخصص الطابق الثاني للسكن ويسمى (الغيل) ويبنى الطابق الثالث للعرسان ويسمى (المراويح) وقد اشتهرت شبام بمبانيها الطينية العالية فأطلق عليها ناطحات السحاب وهي كعبة السواح في الوقت الحاضر . وفي الوقت الحاضر تأثر بناء البيوت بمواد البناء المستوردة بعد أن كانت تعتمد على مواد البناء المحلية في أساسها وسقفها وأبوابها ونوافذها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد واكب تطور المساكن تطور أثاثها من مواد الخوص والخشب والحجر والخزف المحلية إلى المستوردات في أحدث طراز وعلى آخر موضة كما يقولون.

جـ - تطور المواصلات:

لا يستغني أي مجتمع إنساني عن التواصل بين أفراده مهما بعدت الشقة بينهم وهم في حاجة إلى تموين من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك وإلى السفر طلب العلم أو لأداء فريضة الحج أو لطلب الرزق ولا حياة لمنعزل عن غيره. لتحقيق ذلك استخدم الحضرميون السير على الأقدام والركوب على الدواب من حمير والجمال وأخيرًا على المركبات الآلية. ومن بين الفئة الاجتماعية الدنيا ن (المكتِّب) [1] يجتاز العقاب ويقطع الفلاة بين الشعاب وفوق الجبال بين حل حضرموت وساحلها سيرًا على الأقدام ليسلم الرسائل لأصحابها من التجار ثرياء والوجهاء. وكان (الجمَّال) ورجال القوافل من البدو ينقلون المؤن من حر إلى شبام وينقلون الملح من شبوة إلى تريم وينقلون الحطب من البوادي المدن منذ الدور الوثني وإلى عهد قريب. وقد اشتهر الحضارمة قديمًا بنقل خور والتوابل والحرير والذهب من موانئهم وأسواقهم إلى بلاد الرافدين والشام صر عبر طرق عرفت تاريخيًّا بطرق (البخور). وتبارى عليو القوم من حضارمة في اقتناء الخيول والجمال المهرية المشهورة لركوبها وإلى عهد قريب ان العيدروس منصب ثبي يخرج على الناس بحصانه في أُبهة عظيمة أمام حشد ن الجمهور. وفي مجتمع يكاد الفقر فيه أن يكون كفرًا يحمل الفقراء المساكين على أكتافهم الطبين الثري على هودج يدعى (الميانة) من تريم إلى شعب هود ذهابًا وإيابًا فترة زيارة النبي هود المشهورة. وواضح كما يبدو أن حمل الهودج على أعناق البشر أسلم وأريح من حمل الهودج على ظهر الجمل. وهناك مثل آخر للسخرة البشرية التي عرفها المجتمع الحضرمي وهو أن يركب السيد الحمار ويجري الخادم أمام الحمار ليوصل حبيبه إلى حيث يشاء وهي سخرة ارتضاها المحب لسد رمق حياته وللتبرك أحيانًا.

---

(١) المكتب بتشديد التاء وكسرها هو صاحب البريد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما اليوم فقد ودع المجتمع حياة القهر والضنك وتحسنت أحوال الناس جميعًا واختفت وسائل النقل والمواصلات البدائية لتحل محلها وسائل التكنولوجيا الحديثة من سيارات وطائرات واتصالات سلكية ولاسلكية وتواصلت المجتمعات وتداخلت الشعوب والأمم وأصبح العالم أشبه بقرية صغيرة تتلقى الحدث والخبر والمعلومة مباشرة من أقصى المعمورة إلى أقصاها عبر وسائل الاتصالات الحديثة كالأقمار الصناعية وغيرها.

د ـ تطور اسلوب العمل:

يقول مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي: (اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش. وأن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله) [1] وفي المجتمع الحضرمي تولت فئة التمسكن الأعمال الشاقة وتولت فئة التسلط الحكم والحماية وتولت فئة التعالي التعليم والتوجيه. وهكذا انتظمت حياة الناس في سكينة ورضا حينًا واضطراب وتململ حينًا آخر. وتبقى الأسطورة الحضرمية التي سبق ذكرها من أبلغ العبر والحكم والدروس للتعبير عن الواقع الاجتماعي. لقد كانت (السناوة) وهي رفع مياه الآبار بواسطة الإنسان والحيوان لري المزارع من أشد الأعمال سخرة على الفلاح المسكين. وكان الفلاح يعمل في مزرعته شمس نهاره من الفلق إلى الغسق. وتروى الأسطورة أن البقر التي كانت تستخدم في السناوة قد اشتكت من جور تسخيرها في السناوة طيلة النهار عند قاضي تريم الشيخ أحمد محمد باعيسى. فأفتى بإنصافهن بأن يعملن بالتناوب في السناوة على فترتين: صباحية ومسائية فمنهن (الغوادي) ومنهن (الروائح) [2]. وجاء التقدم العلمي والتكنولوجي بالفرج والإنقاذ من عمل السخرة البشرية فاستخدمت الآلة في القيام بالأعمال الشاقة فرفعت المياه من أعماق الأرض وبكميات غزيرة وحرثت الأرض أعمق وأوسع وأسدل الستار على عناء الإنسان الحضرمي وتقاربت

(١) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون.
(٢) استخدمت نون النسوة لأن البقر قد نطقت لشدة مابهن من جور الإنسان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأجيال في ملبسها ومسكنها وأسلوب عملها واندرست شريعة القبولة شريعة الغاب والناب وترويع الألباب ليسود النظام والقانون والعدالة الاجتماعية فقد وعى الناس حقوقهم وكفى؟وصحوا صحوتهم المباركة .

هـ - تطور اللغة:

تعبر اللغة عن المستوى الفكري لدى المجتمع وهي ديوان حضارته . وقد تطورت لغة الحضرميين ككل اليمنيين وككل العرب من أصولها الأولية إلى اللغة العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم وصانها إلى يوم الدين من التغيير. وبالرغم من أن الحضرميين قد تكلموا اللغة اليمنية القديمة والتي مازالت آثارها وبقاياها لهجات ومفردات عند الحميريين في عهد الرسول محمد ﷺ وعند المهرة وأهل سقطرى إلى اليوم . فان النصوص الحضرمية من شعر وخطب وأحاديث وقصص تشهد منذ العصر الجاهلي إلى اليوم على أن الحضارمة أهل الثقافة منهم خاصة يتكلمون العربية الفصحى [١] . وهذا لاينفي وجود بقايا لهجات ولغات قديمة . والشعر الحميني يشهد على ذلك وكذا لغة أهل المهرة وهي لغة ذات جذور سبئية . يقول الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف : إن قبيلة (جزعة) المهرية التي سكنت وادي جزعة المعروف إلى اليوم في المهرة قد استقرت في إقليم كوش الأفريقي في القرن الخامس قبل الميلاد [٢] وأنشأت مملكة إكسوم في أثيوبيا . وقد نقلت هذه القبيلة المهرية لغتها . وقد أكد علماء اللغات أن اللغة الأمحرية أوالأمهرية المتداولة اليوم كتابة ونطقًا في أثيوبيا ترجع في أصولها إلى اللغة الجزعية المهرية . ويقول الأستاذ علوي بن طاهر الحداد [٣] : إن لغة الأمحريين تقرب قربًا قويًا من لغة الحميريين وتشبه كتاباتهم المسند اليمني القديم ولغتهم المسماة (الجيز) هي مشابهة للغة اليمنية القديمة والمنسوبة إلى قبيلة الجيز (الجزعة) المهرية . إن الذي دعانا إلى الاستطراد في

---

(١) راجع تاريخ الشعراء الحضرميين للسقاف وراجع خطب رؤساء وفود الحضارمة إلى رسول الله ﷺ وخطبة يحيى بن عبد الله الكندي (طالب الحق).
(٢) **محمد عبد القادر بامطرف**: الجامع الجزء الأول.
(٣) **علوي بن طاهر الحداد**: القول الفصل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحديث عن لغة المهرة هو ما احتج به بعض الباحثين الحضرميين من أن أهل حضرموت غنم وحوش مستدلاً بقول ابن حوقل والسخاوي وابن خلدون بأن أهل شحر مهرة غنم وحوش يسكنون الكهوف. فلغة أهل المهرة ذات عراقة تاريخية وإذا كانت غير عربية فصحى فلاتدل على أن سكانها وحوش. كما أن قبيلة المهرة ليست كل الحضرميين. وكان أهل العلم والثقافة والملك من الحضارمة منذ العصر الجاهلي أهل حضارة ويتكلمون اللغة العربية الفصحى ومنذ أن انتشر الإسلام في حضرموت وحتى قدوم المهاجر أحمد بن عيسى إليها قد سادت اللغة العربية بفضل انتشار الإسلام وقراءة القرآن الكريم واختلاط الحضارمة بالعرب كلهم أثناء الحج والفتوحات الإسلامية. ومن يقول غير ذلك فقد جانب الحقيقة. وسنأتي إلى مزيد من التوضيح حول هذا الجانب في موضعه وحينه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول الدور الوثني

الحالة السياسية

١. دولة التبابعة:

دخلت حضرموت في وحدة سياسية وفكرية في إطار وحدة يمنية في عهد التبابعة من ملوك حمير. وكان الملك (شمر يهرعش) أول ملوك التبابعة هو الذي وسع نفوذه السياسي ليشمل كل اليمن. ولقب بملك [سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة]. وتمكن الملك (كرب يهامن) من إنهاء الاحتلال الحبشي الأول لليمن الذي استولى على اليمن في الفترة ٣٤٠-٣٧٥م. أما الملك (أب كرب أسعد) الذي عرف في التاريخ باسم (أسعد الكامل) فقد وسع نفوذ مملكته فتوسع لقبه الملكي ليصبح ملك [سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طودم وتهمت] أي بإضافة عرب الجبال والتهائم. وكانت فترة حكم الملك (أسعد الكامل) هي من عام ٤٠٠م - ٤٣٠م. أي أنه حكم لمدة ٣٠عامًا. أما الملك (شرحبيل يعفر) فقد خلَّد اسمه في نقش كقائم بترميم سد مأرب المتصدع عام ٤٥٠م حيث يقول النص: (بنصر ودالهن بعل سمن وأرض) أي (بنصر وبعون الإله ود رب السماء والأرض). هذا وكان آخر ملوك التبابعة هو الملك (معد يكرب يعفر) الذي وصلت في عهده دولة التبابعة منتهى ضعفها سنة ٥١٦م، بعد أن دامت زهاء قرنين من الزمن.

٢. ثورة يوسف ذي نواس:

خلال فترة الضعف الذي أصاب كيان دولة التبابعة تمكن المبشرون المسيحيون القادمون من الدولة البيزنطية المسيحية والدولة الحبشية المسيحية الواقعة تحت النفوذ البيزنطي، من نشر الدين المسيحي في أوساط اليمنيين، ونجحوا في إقناع بعض القبائل اليمنية باعتناق الديانة المسيحية فتكونت بذلك داخل اليمن جيوب مسيحية في نجران والمخا ومناطق أخرى من تهامة. وأمام هذا التوسع الفكري الأجنبي الذي يخفي وراءه أهدافًا سياسيةً واقتصاديةً في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليمن، برزت شخصية يمنية ثائرة مسنودة بدعم قبلي يمني تلك الشخصية المعروفة هي (يوسف أسار يتار) المعروفة باسم (يوسف ذي نواس). فأعلن هذا نفسه ملكًا على عموم اليمن واستعاض عن ذلك اللقب الملكي الطويل لملوك التبابعة بلقب مختصر شامل هو (ملك الشعوب) أي القبائل. واعتنق الملك الثائر الدين اليهودي ودعا شعبه إلى اعتناقه. وشن سلسلة من الحروب ضد المسيحيين من اليمنيين والأحباش المناصرين لهم في نجران والمخا وتهامة. والجدير بالذكر أن من بين القبائل التي وقفت مع الثائر اليمني يوسف ذي نواس قبائل من شرقي اليمن من كندة ومراد ومذحج. وتمكن يوسف ذو نواس من إنهاء الوجود المسيحي في نجران سنة ٥٢٣م.

ولم ينجح يوسف ذو نواس المتهود الذي أعلن نفسه ملكًا لكل الشعوب أي القبائل في فرض العقيدة اليهودية على كل اليمنيين، كما لم يتمكن من إخضاع كل أقيال اليمن الذين تعودوا على حكم مناطقهم وعشائرهم. فانتهز الأحباش الفرصة لاحتلال اليمن مرة أخرى فغزوها عسكريًا وتمكنوا من بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على اليمن، واتخذوا من مسألة اضطهاد المسيحيين اليمنيين والأحباش في اليمن ذريعة للغزو العسكري الذي شنوه عام ٥٢٥م، ودام حتى ٥٧٥م أي قرابة خمسين عامًا.

٣- ثورة سيف ذي يزن:

تمكن الثائر الحميري (سيف ذي يزن) من تحرير بلاده من الاحتلال الحبشي لا بثورة داخلية. ولكن باللجوء إلى المعسكر الشرقي الفارسي المناوئ للمعسكر الغربي البيزنطي المسيحي. فقد توجه سيف ذو يزن إلى كسرى أنوشروان إمبراطور الدولة الفارسية المجوسية وطلب منه أن يمده. بمقاتلين فرس. وبعد لأي حصل الثائر اليمني على المدد الفارسي الذي غزا به اليمن عام ٥٧٥م وتمكن من السيطرة عليااليمن وطرد الأحباش منها.

ويقضى على ثورة سيف ذي يزن من قبل الأجنبي فيغتاله أحد حرسه من الأحباش ويتحول جيش الإنقاذ الفارسي المكون أساسًا من نزلاء سجون فارس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى جيش احتلال فارسي مجوسي لليمن فرض على اليمنيين المكوس التي ترسل إلى فارس. وتقلصت العقيدتان السماويتان المسيحية واليهودية المفروضتان على الشعب اليمني. وتعايشت العقيدة الزرادشتية التي تقدس النار مع العقيدة اليمنية الوثنية المتغلغلة في كل أنحاء اليمن دون أن تطغى عليها. وتدهورت الأوضاع السياسية. وتطلع شيوخ القبائل في مختلف المناطق اليمنية إلى الاستقلال والملك. وظهر في حضرموت وحدها العديد من الملوك والعباهلة والأقيال. وجاء الإسلام إلى اليمن عام ٦٣٠م فحررها من الوثنية والمجوسية وأنهى الاحتلال الفارسي لليمن الذي دام ٥٥عامًا ودخل اليمنيون في دين الله أفواجا قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر :١-٣].

الحالة الفكرية

تتمثل الحالة الفكرية خلال الدور الوثني في اليمن عامة وحضرموت خاصة في المعتقد الديني والشعر الجاهلي والأسطورة الخيالية التي نقلها إلينا الإخباريون والمؤرخون والباحثون عن طريق الرواة أو النقوش المكتشفة أو الكتب المقدسة خاصة التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

١. عقيدة اليمنيين في الدور الوثني:

التوحيد هو أساس عقيدة البشر كلهم لأنهم ينتمون جميعًا إلى آدم عليه السلام وهو نبي موحد، علمه ربه وأمره هو وزوجه حواء بطاعة الله واجتناب الشيطان وحذرهما من غوايته. فكان آدم أبو البشر عالمًا عاقلاً حكيمًا ولم يكن قط همجيًا متوحشًا. وإن كانت وسائل حياته وحياة عائلته على الأرض بسيطة بدائية. لقد كونت أسرة آدم المؤلفة منه وزوجه وأولاده أوّل مجتمع بشري على الأرض. وكان يعبد الله سبحانه وتعالى ولم يكن وثنيًا قط. وظل الناس أمة واحدة عشرة قرون حتى عهد نوح عليه السلام [١]. إذ أخذ الشرك بالله تعالى يأخذ طريقه في نفوس الناس باتخاذ وسيط في الأرض يقربهم إلى الإله المجرد الذي في السماء.

(١) د. محمد رشاد جليل: علم النفس الإسلامي (مرجع سابق).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاتخذ قوم نوح عليه السلام أولياء صالحين قد سموهم ثم جسدوهم أصنامًا اتخذوها قربى إلى الله ومودة بينهم. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤] وقد تناقلت الموجات البشرية في انتشارها في الأرض عبادة الأصنام وورثها الآباء للأبناء قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣] وفي دراسة عن الإلهة المعبودة عند الساميين يقول المستشرق (رينان): كانت الشعوب السامية تعبد إلهًا واحدًا يسمى (إيل) الذي عرف عند العرب باسم (إله) أو (اللات) [١]. ومع توالي العصور والدهور نسي الناس الإله المجرد رب السموات والأرض الخالق والمحيي والمميت وركنوا إلى عبادة الأصنام قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وعلى فترات من الزمن يرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لتذكير الناس بربهم الواحد الأحد، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام. وقد خص الله سبحانه وتعالى العرب بأنبياء ورسل تدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الوثنية والشرك وكان محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء جميعًا ومرسلاً إلى الناس كافة.

١ - الوثنية ارتداد عن التوحيد:

جاء من بعد آدم ذريته التي انتشرت في رحاب الأرض وكونت مجتمعاتها الخاصة حيث الخصب والاستقرار المعيشي. وعاشت حياتها البدائية ثم المتحضرة وانقطعت صلتها بربها ولم تعد تستوعب الإله غير المحسوس ولا المنظور فجسدته صنمًا يعبد. وتحول بعض الأولياء والصالحين من البشر رموزًا تعبد لتقربهم إلى الله البعيد عن إدراكهم. وقد كرر بنو إسرائيل في حياة موسى هذا الانحدار البشري السريع من التوحيد إلى الوثنية فلما مروا على قوم يعكفون على عبادة الصنم طلبوا من موسى أن يكون لهم صنم كما لأولئك القوم صنم

(١) هادون أحمد العطاس: عاد في التاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فذكرهم بربهم الواحد الأحد ثم لما غاب عنهم موسى لملاقاة ربه غرر بهم السامري وصنع لهم صنمًا له خوار فعبدوه ولم يهتموا بنهي وتحذير هارون لهم حتى جاء موسى وغضب على قومه لهذا الارتداد السريع من التوحيد إلى الوثنية فحرق الصنم ونسفه ورماه في البحر قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف :١٣٨-١٤٠]. وقال الله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه :٨٦-٩٨].

هذا الانحراف السريع عند بني البشر عن توحيد الله وعبادته يعلمه الله سبحانه وتعالى منهم فينزل الرسل تترا تذكر عباده بربهم رحمة منه سبحانه وتعالى وهداية منه لهم من غواية الشيطان. إن هذا الفهم للتطور الديني يناقض التفسير المادي للدين عند العلمانيين الملحدين الذين زعموا أن الإنسان في مساره التاريخي قد تطور فكره الديني من عبادة الطبيعة إلى عبادة الطوطم فالصنم وصولاً إلى عبادة إله واحد. وأن الدين حسب زعمهم سيتلاشى من حياة المجتمع البشري بنمو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوعي لدى الإنسان وبتطور العلوم والتكنولوجيا ورفاهية الإنسان. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والملحدون ويتعزز في المجتمعات البشرية يومًا بعد يوم الإيمان بالله الواحد القهار.

ب - التعددية الدينية في الدور الوثني:

الطابع العام للعقيدة الدينية عند عرب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام هو الشرك بالله سبحانه وتعالى وعبادة الأصنام ولكن لدى البعض منهم بقية من عبادة الكواكب وبقية من ملة إبراهيم وموسى وعيسى وزرادشت مما يدل على أن الشعب اليمني الذي هو جزء من الشعب العربي لم يكن بمعزل عن التيارات الدينية العالمية: .

(١) عبادة الأصنام والكواكب:

عبادة الأصنام في المجتمع الحضرمي قديمة قدم عاد. وقد أرسل الله لهم رسولاً منهم هو هود. يتلو عليهم آياته ويدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده فكذبوه وأصروا على عقيدتهم الوثنية وعلى التمسك بأصنامهم، فأهلكهم الله تعالى بريح صرصر عاتية.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف :٢١] وقال تعالى عن قوم هود: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الشعراء :١٣٦-١٣٩].

هذا وقد ذكر الطبري وابن كثير أن عادًا عبد ت ثلاثة أصنام هي: صمد وصمود وهبا وهذه غير الأصنام التي عبدها العرب والمعروفة منذ عهد نوح وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. ويقال إن عمرو بن لحي بن قمعة جد خزاعة أول من أدخل الأصنام إلى مكة باستجلابه الصنم (هبل) من الشام إلى مكة. فكان أول صنم يدخل جوف الكعبة. ثم أخذت الأصنام تنتشر في مختلف مناطق الجزيرة العربية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن الأصنام الحضرمية: مُرحب - دُرَع - الجلسد - ذريح وقيس [وقد عبد تهما كندة] - صنم وائل [١] المصنوع من العقيق. وتصنع الأصنام عند العرب عادة [٢] من حجر أو خشب أو طعام يؤكل كصنم عمر بن الخطاب المصنوع من التمر فيأكله إذا جاع.

ويعتقد العرب أن روح الإله تحل في الصنم فتكسبه قوة خارقة مؤثرة على الإنسان.

وقد روي أن نساء ثقيف قد ذهلن واعتراهن الفزع والرعب لما رأين المسلمين يهدمون صنم ثقيف المعبود. وإلى جانب عبادة الأصنام فقد عبد اليمنيون والحضارمة الكواكب خاصة الثالوث الإلهي الفلكي المكون من القمر (الأب) والشمس (الأم) والزهرة (الابن). وأثبتت النقوش اليمنية المكتشفة أن الدول اليمنية القديمة من معين وسبأ وحضرموت وقتبان وحمير ذات عقيدة وثنية تقوم على أساس الثالوث الفلكي للأسرة الإلهية حيث كانت تقدس كمعبودات رسمية وشعبية في آن واحد. وتخصص لها المعابد والسدنة والكهنة. وتقدم لها النذور والقرابين. وتوقف عليها الأراضي [٣].

وقد ورد في القرآن الكريم إشارة إلى أن سبأ كانت تعبد الشمس قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل :٢٤] كما وردت إشارات أخرى في القرآن الكريم إلى عبادة الشمس والقمر والنجوم قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

هذا وقد أعطيت للثالوث الفلكي الإلهي أسماء ورموز تعرف بها وتعبر عنها كما هو موضح في الجدول رقم (١) التالي:

---

(١) صالح علي الحامد: تاريخ حضرموت.
(٢) طه الهاشمي: تاريخ الأديان وفلسفتها.
(٣) عز الدين كشار: اليمن دنيا ودين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدول رقم (١)
الثالوث الفلكي الإلهي

الإله	الإسم	الرمز
القمر	ود - عم - المقه - سين	هلال - ثور - وعل
الشمس	ذات حميم	قرص - حصان - دائرة
الزهرة	عشتر . أو عشتر	نجمة - طفل - غزال

هذا وقد عبد الحضرميون الكواكب الثلاثة . فكانوا يسمون إله القمر باس
(سين) ويرمزون له بالهلال كما يرمزون لألهتهم الشمس بالحصان . ومن ضمن
آلهتهم المتعددة الإله (حول) .

ومما يثير الدهشة أن الحضارمة ينادون اليوم بكلمة (ياسين) وكلمة (ياحول
عند تهدئة الأطفال وعند سقوط الأمطار على التتالي . ومن آلهة الحضارمة الزهر
ويسمونه عشتر أو عشتر ويرمزون له بالغزال . وعندما انتقلت قبيلة الجزعة المهر
إلى الحبشة نقلت معها آلهتها عشتر حيث عبد الأكسوم هذه الآلهة . والمهرة ق
اشتهروا بمعرفتهم بعلم النجوم وتقديسهم لها لما لها من تأثير على حياته
البحرية . ووصف الهمداني المهرة بأنهم محبون لعلم النجوم ويعظمون الشم
خاصة ويسجدون لها . وذكر عز الدين كشار [١] أن للمعابد اليمنية سدنة
وكهانها، ويزورها المتدينون ويقدمون للآلهة في هذه المعابد الذبائح والقرابين
ومن أشهر المعابد اليمنية والحضرمية : -

(١) معبد الربة : ويعرف بالكعبة اليمانية . ويوجد في نجران .

(٢) معبد المقة : ويعرف بمحرم بلقيس . ويوجد في مأرب .

---

(١) عز الدين كشار : اليمن دنيا ودين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) معبد عشتر (عثتر): ويوجد بالقرب من مدينة السوداء ويسمى حاليًا بنات عاد.

(٤) معبد جلسم: معبد الإله سين. ويوجد في سنا بحضرموت.

(٥) معبد مذاب: معبد الإله سين. ويوجد في حريضة بحضرموت.

(٦) معبد مشور: معبد الإله سين. ويوجد بحضرموت أيضًا.

(٧) معبد ماوية: ويوجد في حصن الغراب بالقرب من بئر علي حاليًا.

هذا ولم تكن عبادة الكواكب خاصة باليمنيين فقد عبد تها شعوب قديمة مثلهم كالبابليين والفينيقيين والكلدانيين وغيرهم. ويحدثنا القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام قد تطلع إلى الثالوث الفلكي باحثًا عن ربه حتى اهتدى إلى الحي القيوم رب الكواكب كلها قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام :٧٦-٧٩].

وإلى جانب عبادة الأصنام والكواكب فقد عبد اليمنيون الأشجار. وكانت النخلة من أقدس المعبودات عند أهل نجران كما كانت من أكرم المغروسات عند أهل حضرموت كما وصفناها في موضع سابق من هذه الدراسة. وفكرة الدولة عند اليمنيين الأقدمين يعبر عنها أيضًا بالثالوث: (الإله - الحاكم - الشعب). وكان الإله الرسمي بمثابة أب الشعوب. وعليه فقد أطلق على السبئيين (ولد المقه) وأطلق على القتبانيين (ولد عم). كما أطلق ملوك أوسان على أنفسهم (أبناء ود) [١]. واليوم يطل علينا الثالوث المقدس تحت شعار (الله - الثورة - الشعب).

(٢) الأثر التوحيدي في الوثنية اليمنية:

لقد سبق أن ذكرنا وأكدنا أن عقيدة التوحيد هي الأصل والأساس لدى البشر. فهي فطرتهم التي فطرهم الله عليها منذ أن خلق الله أباهم آدم. وأنه لما امتدت بهم

(١) الدكتور علي محمد عبد القوي الصليحي: الموسوعة اليمنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرون وطال عليهم الأمد أخذوا يخلطون الحق بالباطل الذي أخذ يتسلل إلى عقيدتهم التوحيدية [١]. فدخل فيهم الشرك واعتادوا عبادة الأصنام. وهذا دين الشعوب التي يغشاها الجهل ويدلس عليها المشعوذون والمبطلون والمحرفون. ولم يترك الله تعالى القرون في غيها ونسيانها لربها. فبعث الله الأنبياء والرسل ليذكروا أقوامهم بوجود إله واحد منزه، وبالإيمان باليوم الآخر. وأن هناك حسابًا وبعثًا وجنة ونارا. قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد عرف اليمنيون الإله الواحد رب السموات والأرض عن طريق أنبيائهم ورسلهم منذ عهد هود عليه السلام. ومن هؤلاء الرسل اليمنيين الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم:

(أ) هود: أرسله الله تعالى إلى عاد الأولى. قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

(ب) صالح: أرسله الله تعالى إلى ثمود. قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

(جـ) تبع: أرسله الله تعالى إلى قومه التبابعة. قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧]. وقال بعض المفسرين أنه أسعد الكامل ويروى عن النبي ﷺ قوله: لا أدري تبع كان نبيًا أم لا.

(د) نبي أصحاب الرس: لم يذكر القرآن اسم هذا الرسول وقيل: إن اسمه (حنظلة) وقد أشار القرآن إلى قومه أصحاب الرس بعد ذكر قوم عاد وقوم ثمود. قال الله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. وتقول الأسطورة التي يرويها الهمداني في إكليله إن جماعة قبل الإسلام اكتشفوا قبر حنظلة بن صفوان ورأوا مكتوبًا عند رأسه: (بعثني الله إلى حمير والعرب من أهل اليمن فكذبوني وقتلوني) [٢].

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية.
(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذن ففكرة التوحيد والإيمان بإله واحد رحمن رحيم سميع عليم رب السموات والأرض متوغلة في العقيدة اليمنية منذ أقدم العصور. ومن الممكن التعرف عليها من خلال النصوص التي وردت في النقوش اليمنية القديمة والتوراة:

(أ) نقش حصن الغراب:

من المعروف وكما ذكرنا إن الله سبحانه وتعالى قد أهلك عادًا الأولى لما كذبت نبيها هودًا عليه السلام. وقد أنجاه الله ومن آمن معه. ويقال إن هؤلاء المؤمنين من قوم عاد اتجهوا من أحقاف الصحراء إلى منطقة الشحر الممتدة على ساحل حضرموت [1]. ومن قراءة لنص نقش حصن الغراب يستدل المرء أن هؤلاء المؤمنين الناجين من قوم عاد والمعروفين بعاد الثانية قد استقروا في منطقة ميفع حجر في الامتداد الغربي لمنطقة الشحر. حيث الأرض الخصبة وميناء قنا البحري التجاري والقلعة الحصينة المعروفة بحصن الغراب المطلة على البحر الزاخر بالأسماك إلى اليوم.

وقد تحدث الأستاذ: سيد مظفر الدين تادثي عن عاد الناجية في بحث له عنوانه (أدلة الحفائر) فقال: لم يكتشف سوى نقش واحد يتصل بعاد الثانية سنة ١٨٨٤م، في أطلال حصن الغراب على مقربة من (عدن). وهو أول النقوش العربية التي اكتشفها الأوربيون في بلاد العرب. وسمة هذا النقش ولغته عربية جنوبية يحسبها البعض خطأ حميرية. وإليك نص هذا النقش نقلاً عن كتاب فورستر (الجغرافيا التاريخية لبلاد العرب):

١ - لقد قضينا دهورًا بين أفنية هذه القلعة في عيشة راضيةٍ، لايشوبها ضيق أو عسر.

٢ - وتحيط بنا مياه البحر في حالة طغيان المد. وأنهارنا تفيض مندفعة غزيرة.

٣ - وبين النخيل الباسقات التي يتساقط منها الرطب الجني على ضفاف الجداول المتعرجة الدافعة بالماء، أو الجافة.

---

(١) **هادون أحمد العطاس**: عاد في التاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ - وكنا نصيد صيد البر بالجمال في الغاب، كما كنا نخرج الأسماك من أعماق البحار.

٥ - وكنا نختال في مشيتنا رافلين في ملابسنا الحريرية الموشاة عند أطرافها، وثيابنا سندسية خالصة، وأرديتنا ملونة بخطوط أقلام خضراء.

٦ - وكان الملوك الذين يحكموننا منزهين عن الدنايا، أشداء على أهل الخديعة والغدر.

٧ - وقد اختاروا لنا شريعة محكمة مستمدة من ديانة هود. وكنا نؤمن بالمعجزات والبعث وإحياء الموتى بإذن الله.

٨ - ولما نزل بنا الأعداء لقهر أراضينا اندفعنا جميعًا وحرابنا مشرعة.

٩ - وكنا ندافع في قوة وحماسة لنحمي نساءنا وأطفالنا على خيول طويلة الرقاب رمادية وداكنة، وخيول كميتية زاهية.

١٠ - وأثخنا أولئك الذين اعتدوا علينا جراحًا حتى ارتدوا على أعقابهم.

إن أثر التوحيد والإيمان بالله وباليوم الآخر واتباع شريعة هود عليه السلام واضح في نصوص هذا النقش وهذا ما ينطبق على عاد الثانية الناجية مع هود عليه السلام والمؤمنة بشريعته.

ب - نقوش ملوك التبابعة:

لقب أواخر ملوك الحميريين بالتبابعة الذين امتد حكمهم زهاء قرنين من الزمن بدءًا من الملك (شمر يهرعش) موحد اليمن، وانتهاء بالملك (معد يكرب يعفر) الذي بلغت في عهده دولة التبابعة منتهى ضعفها سنة ٥١٦م. هذا وأن أول ملك من التبابعة دلت الآثار والنقوش على نبذه عبادة الكواكب والإيمان بإله واحد اسمه ذي سموي أي رب السماء هو الملك (كرب يهامن) [١]. لقد وردت في عدة نقوش للملوك التبابعة عبارات تدل على عبادتهم للإله الرحمن رب السموات والأرض، كما في النقش الذي تحدث عن إنجاز ترميم سد مأرب سنة ٤٥٠م من قبل الملك (شرحبيل يعفر) حفيد الملك (كرب يهامن) يقول نص هذا النقش:

(١) عز الدين كشار: اليمن دنيا ودين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(بنصر ود ألهن بعل سمن وأرض) أي إن إنجاز ترميم السد قد تم (بنصر وعون الإله ود رب السماء والأرض) وقد سجلت نقوش ملوك التبابعة العديد من أسماء الله الحسنى مثل :

رحمن : أي الرحمن .

رحم : أي الرحيم .

سمع : أي السميع .

حكم : أي الحكيم .

وكذا بعض العبارات مثل العبارة : (رحمنن بعل سمين وأرض) أي : الرحمن رب السموات والأرض . قد ورد ما يشبهها في القرآن الكريم . وقال الله تعالى : ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ :٣٧] .

إن توحيد الله تعالى ونبذ الأصنام تذكير إلهي للناس كافة يأتي على لسان الأنبياء والرسل من حين لآخر كلما بهت في قلوبهم نور الله وطغى عليهم الشرك والوثنية في العصور القديمة لا في اليمن فحسب بل في مختلف التجمعات البشرية من مصرية وبابلية ويونانية وفارسية وصينية إلخ ، إلى أن بعث الله تعالى محمدًا ﷺ للناس كافة وخاتمًا لجميع الأنبياء والرسل وحفظ رسالة التوحيد من التحريف وتكفل باستمرارها إلى يوم الدين . وباطل ما زعمه المستشرقون الغربيون من أن محمدًا ﷺ إنما جاء لتوحيد كلمة العرب وتوحيد أصنامهم في إله واحد هو الله لأن محمدًا ﷺ قد هدم الأصنام كلها في مكة وخارجها ودعا البشر كلهم إلى الإسلام قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران :٨٥] .

ديانات اخرى عرفها اليمنيون:

بحكم الاحتلال الأجنبي لليمن والاحتكاك بالشعوب الأخرى فقد اعتنق بعض اليمنيين قبل الإسلام ديانات هي :

أ - الحنيفية :

هذا الميراث الفكري في التوحيد والإيمان برب السموات والأرض ونبذ الشرك لدى اليمنيين هو الذي دفع جماعات منهم بقبول العقائد الدينية ذات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصول التوحيدية التي أتتهم عن طريق الاحتكاك أو التبشير، كالحنيفية (ملة إبراهيم) واليهودية (ملة موسى وسليمان) والنصرانية (ملة عيسى ابن مريم). ولكن ظلت هذه المعتقدات في دائرة ضيقة وبين مد وجزر في حين كانت الوثنية هي السائدة لدى الشعب والملوك في اليمن وحضرموت. ومن أشهر الحنفاء العرب بما فيهم اليمنيون والحضارمة نذكر:

(١) قس بن ساعدة الإيادي.

(٢) أمية بن أبي الصلت.

(٣) زهير بن أبي سلمى.

(٤) ورقة بن نوفل القرشي.

(٥) قيس بن عاصم بن تميم.

(٦) عفيف بن معدي كرب الكندي.

(٧) أسعد أبو كرب الحميري.

(٨) عبد الله القضاعي.

(٩) خالد بن سنان بن غيث العبسي.

وتعتبر الحنيفية أثرًا توحيديًّا منذ عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اللذين رفعا قواعد المسجد الحرام وأعادا بناء الكعبة المشرفة. وإسماعيل عليه السلام هو الذي استوطن مكة وتزوج عند قبيلة جرهم القحطانية اليمانية المنبت.

ب - اليهودية:

يمكننا اعتبار ملكة سبأ التي اشتهرت في التراث اليمني باسم بلقيس. والتي عاصرت النبي سليمان بن داود عليهما السلام أول من آمن من اليمنيين برسالة سليمان التوحيدية وقد كانت من قوم يعبدون الأصنام ويسجدون للشمس. قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤] ويذكر الإخباريون إن الملك (أب كرب أسعد) - أسعد الكامل - الذي وسع نفوذ ملكه وأصبح يلقب بـ (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طودم وتهمت) اعتنق اليهودية على يد حبرين من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحبار اليهود التقى بهما في يثرب واصطحبهما معه إلى اليمن [١]. كما تفيد مصادر المؤرخين إن الملك الثائر (يوسف أسار ينار) - يوسف ذو نواس - اعتنق اليهودية وحاول فرضها على الشعب اليمني في سلسلة حروب قبلية ضد المسيحيين والوثنيين اليمنيين.

وقد ندد القرآن الكريم باضطهاد نصارى نجران وقتلهم حرقًا. قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝١ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٤-٨]

ومما يلفت الأنظار ان اعتناق اليهودية في اليمن يبدأ عن طريق الملوك من أمثال: بلقيس السبئية وأسعد الكامل ويوسف ذي نواس ومع هذا لم تتمكن هذه الديانة من التوغل والانتشار في صفوف الشعب اليمني الوثني واحتفظت لنفسها بجيوب في مدن وقرى اليمن شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا. ووثقت هذه الجيوب اليهودية صلتها بأوكارها في الحجاز وفلسطين حتى تمت هجرة معظمهم إلى فلسطين عام ١٩٤٧م [٢].

جـ - المسيحية:

أول إشارة علمية على وجود الديانة المسيحية في اليمن وردت في نقش يعود إلى عهد الملك (شرحبيل يكف) سنة ٤٦٠م. يقول نص هذا النقش: (رحمنن وبنهو كرشتن غلبن) أي: الرحمن وابنه المسيح الغالب.

هذا وقد دخلت الديانة المسيحية لليمن عن طريق الرهبان المبشرين القادمين إلى اليمن إما من الشام بتشجيع من الدولة البيزنطية المسيحية المسيطرة على الشام.

وإما من الحبشة التي تعتنق الدولة فيها الديانة المسيحية واستطاع المبشرون المسيحيون من أن يشكلوا تجمعات يمنية مسيحية في نجران والمخا وتهامة. وقد نوهنا سابقًا إلى محنة نصارى نجران في عهد الملك يوسف ذي نواس المتهود.

---

(١) د. عكاشة: يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين.
(٢) كرامة مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد استغلت الدولة البيزنطية مسألة اضطهاد مسيحيي اليمن من يمنيين وأحباش مستوطنين اليمن فنسقت مع الدولة الحبشية لغزو حبشي لليمن مكن الأحباش من احتلال اليمن.

حاول المحتلون الأحباش نشر الدين المسيحي بين اليمنيين الوثنيين وبنوا الكنائس وكان أعظمها وأشهرها (القليس) في صنعاء التي أراد بها أبرهة الحبشي أن تكون بديلاً عن الكعبة بمكة المكرمة مقر أصنام العرب. بل وغزا الحجاز لهدم الكعبة المكرمة ليلفت أنظار العرب إلى القليس في صنعاء. ولكن الله خيب آماله وأفشل حملته.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل :١-٥]. واستطاع الثائر اليمني سيف ذي يزن من طرد الأحباش المحتلين لبلاده بالطريقة التي وضحناها سالفًا. ومن الشخصيات الحضرمية التي بقيت على النصرانية عندما دخل الإسلام اليمن [١]:

(١) معدان بن المضرب الكندي الشاعر الحضرمي المعروف من أبناء وادي دوعن وقد توفي نصرانيًا سنة ٩هـ.

(٢) حجية بن المضرب الكندي أخو معدان. وقد أسلمت زوجته زينب ووفدت إلى المدينة المنورة ورفض عمر بن الخطاب عودتها إلى زوجها ما لم يسلم.

وأثناء الاحتلال البريطاني لجنوب اليمن نشطت الحركة التبشيرية بين اليمنيين المسلمين. فبنت الكنائس ودور التنصير والمستشفيات والمدارس في المستعمرة عدن. وفشلت هذه الحركة التبشيرية في التنصير ولم تظفر إلا بعدد قليل جدًا على رأسهم الدكتور / محمد سعيد عفارة [٢] مدير مستشفى عفارة في الشيخ عثمان ورجل آخر مدير مكتبة في عدن ومن أبناء غيل باوزير في حضرموت.

---

(١) عبد الله بن محمد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.
(٢) كرامة مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د - المجوسية :

المجوسية عقيدة وثنية أساسها عبادة النار وتقديسها . وتنسب إلى مؤسسها (زرادشت) وهي العقيدة الرسمية والشعبية للدولة الساسانية في بلاد فارس .

وقد دخلت المجوسية إلى اليمن عبر الجيش الفارسي الذي استقدمه سيف ذي يزن لطرد الأحباش المحتلين فتحول الفرس بدورهم إلى محتلين فرضوا على اليمنيين المكوس وحاولوا فرض المجوسية . واتخذ المحتلون الفرس من صنعاء عاصمة لهم ويرسلون الولاة الفرس الذين يطلق على الواحد منهم (أسبخت) حكامًا على مناطق اليمن . وقد تمجس بعض الحضارمة [1] .

وبدخول الإسلام اليمن أسلم الفرس الذين كان يطلق عليهم الأبناء ودخل اليمنيون جميعًا في دين الله أفواجًا .

هـ - انهيار الوثنية وسقوط الأصنام في اليمن:

كانت الكعبة في مكة المشرفة مجمعًا للعديد من الأصنام التي عبده ا عرب شبه الجزيرة العربية منذ أن استقدم عمرو بن لحي بن قمعة الخزاعي الصنم هُبل . وقد تحول الحج والطواف حول الكعبة من عبادة خالصة لله تعالى كما شرعها الله على يدي نبييه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى طقوس وثنية وتقديس للأصنام القائمة فوق الكعبة وفي جوفها . وتوسعت القبائل العربية ومنها اليمنية في إقامة الأصنام وأصبح لكثير من القبائل والأسر بل وللأفراد أصنامهم الخاصة .

وكان الشرك بالله تعالى صفة عامة في المعتقد العربي واليمني خلال الدور الوثني والذي سمي الجزء الأخير منه بالعصر الجاهلي .

ومنذ أن بعث الله محمدًا ﷺ إلى عام الفتح وهو والمؤمنون يكافحون عقيدة الشرك والوثنية والتي وقفت قريش ومركزها مكة حيث التجمع الصنمي تدافع بقسوة وشراسة عن الوثنية والأصنام خاصة الملأ الأعلى من قريش أصحاب المصالح الاقتصادية والاجتماعية الكبرى في مكة . ولاقى المسلمون خاصة

---

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضعفاء منهم أصنافًا من التنكيل والعذاب.

ولما أفلت المسلمون من قبضتهم عن طريق الهجرة إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة المنورة شنت قريش حربًا على المسلمين وهاجمتهم في عقر دارهم بالمدينة المنورة. إلى أن حقق الله للمسلمين الفتح والنصر العظيم.

وبفتح مكة هدمت الأصنام والأوثان كلها بأمر من رسول الله محمد ﷺ. وبعث الرجال المسلمين إلى مختلف مناطق الجزيرة العربية ومنها اليمن لهدم جميع الأصنام حيثما وجدت مما أذهل العوام والسذج والنساء ممن بقي في نفوسهم من عقيدة وثنية وخشية ورعب من غضبها. فها هو ذا ضمام بن ثعلبة يعود بعد أن أسلم إلى قبيلته سعد بن بكر يقول لقومه: بئست اللات والعزى. فيردون عليه: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون. فيقول لهم: ويلكم إنما (اللات والعزى) لا يضران ولا ينفعان. فهدمهما وأسلم القوم. وهاهن نساء ثقيف بالطائف ترتعد فرائصهن وهن يشاهدن الفئوس وقد هوت على أصنامهم فدمرتها. ويبعث الرسول أيضًا القائد الشجاع حريز بن عبد الله بن جاسر الأزدي الذي أسلم سنة ٩هـ إلى اليمن لهدم الصنم الكبير (الخُلصة) في تبالة.

وهكذا انهارت الوثنية وسقطت الأصنام لا في اليمن وحدها بل وفي كل أرض فتحها المسلمون. وتحرر اليمنيون من كل المعتقدات الضالة باعتناقهم الدين الإسلامي الحنيف.

(٢) الفكر والمجتمع في الدور الوثني:

تميز الدور الوثني في اليمن عامة وحضرموت خاصة من الناحية الثقافية بأمية شاملة وانحطاط ديني. برز من خلال الاعتقاد بالأصنام وتقديس الأشجار والأرواح التي يمكن أن تتقمص هذه الأصنام أو هذه الأشجار. وبتصديق أقوال العرافين وشعوذة الكهان. وبالإيمان بالخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان. وقد اعتبر الرسول محمد ﷺ بعض الممارسات الاجتماعية شركًا. قال ﷺ: «الرقي والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ندد عليه أفضل الصلاة والتسليم ببعض قيم المجتمع الوثني فقال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والناحبة - أو قال النائحة - إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم بسنده. كما تميز المجتمع الوثني أيضًا بعلاقات اجتماعية جائرة لا إنسانية. يضطهد من خلالها القوي الضعيف. وبلغت العصبية القبلية شأوها البعيد في التعالي والتفاخر والتناحر بين فئات المجتمع. فجعل الملوك من أنفسهم نوابًا للآلهة وسدنة للمعابد وأوصياء على أراضي شاسعة اقتطعوها باسم الآلهة. وعبَّدوا الضعفاء وسخروهم لخدمتهم وخدمة الطبقة العليا في المجتمع من عباهل وأقيال وكهان وسدنة معابد.

في خضم هذا التناقض الاجتماعي والانحطاط الديني برزت نخبة من المفكرين والحكماء والشعراء والرواة الحضرميين واليمنيين تعبر عن واقعها وتحكي لأجيالها صورة ذلك الواقع الذي لم يكن كله ظلامًا أسود ولم يكن كله وحشية وهمجية كما يسول للبعض اليوم أن يصفه لغرض في نفس يعقوب وليبني عليه أمجادًا طارئة. ولا أظن أن شعرًا راقيًا ومعبرًا كالذي قاله امرؤ القيس الكندي وحراشة العبسي يصدر من شعب متوحش همجي بكامله. فامرؤ القيس الكندي يجمل الصفات العالية فيقول:

للناس أموال ترى ومعايش ... مال يبيد ومالي الحمد
الجد والإقدام أجمع والندى ... أحمي العشيرة ذلك المجد

ويزيد حراشة بن عمرو العبسي فيقول:

فلا قوم إلاّ نحن خير سياسة ... وأربط أحلامًا إذا العقل أجهلا
وأكثر منا سيدًا وابن سيد ... وأجدر منا أن يقول ويفعلا

ويعدد لنا المؤرخ الحضرمي عبد الله السقاف [1] عشرين شاعرًا حضرميًا في الدور الوثني محددًا زمان ومكان مولدهم في حضرموت نكتفي هنا بذكر عشرة منهم:

(١) عبد الله بن محمد حامد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ندد عليه أفضل الصلاة والتسليم ببعض قيم المجتمع الوثني فقال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والناحبة - أو قال النائحة - إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم بسنده. كما تميز المجتمع الوثني أيضًا بعلاقات اجتماعية جائرة لا إنسانية. يضطهد من خلالها القوي الضعيف. وبلغت العصبية القبلية شأوها البعيد في التعالي والتفاخر والتناحر بين فئات المجتمع. فجعل الملوك من أنفسهم نوابًا للآلهة وسدنة للمعابد وأوصياء على أراضي شاسعة اقتطعوها باسم الآلهة. وعبَّدوا الضعفاء وسخروهم لخدمتهم وخدمة الطبقة العليا في المجتمع من عباهل وأقيال وكهان وسدنة معابد.

في خضم هذا التناقض الاجتماعي والانحطاط الديني برزت نخبة من المفكرين والحكماء والشعراء والرواة الحضرميين واليمنيين تعبر عن واقعها وتحكي لأجيالها صورة ذلك الواقع الذي لم يكن كله ظلامًا أسود ولم يكن كله وحشية وهمجية كما يسول للبعض اليوم أن يصفه لغرض في نفس يعقوب وليبني عليه أمجادًا طارئة. ولا أظن أن شعرًا راقيًا ومعبرًا كالذي قاله امرؤ القيس الكندي وحراشة العبسي يصدر من شعب متوحش همجي بكامله. فامرؤ القيس الكندي يجمل الصفات العالية فيقول:

للناس أموال ترى ومعايش مال يبيد ومالي الحمد
الجد والإقدام أجمع والندى أحمي العشيرة ذلك المجد

ويزيد حراشة بن عمرو العبسي فيقول:

فلا قوم إلا نحن خير سياسة وأربط أحلامًا إذا العقل أجهلا
وأكثر منا سيدًا وابن سيد وأجدر منا أن يقول ويفعلا

ويعدد لنا المؤرخ الحضرمي عبد الله السقاف [1] عشرين شاعرًا حضرميًا في الدور الوثني محددًا زمان ومكان مولدهم في حضرموت نكتفي هنا بذكر عشرة منهم:

---

(١) عبد الله بن محمد حامد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إسم الشاعر	زمان ومكان مولد الشاعر
١. الملك معدي كرب الكندي	عاش بدمون في دوعن في الفترة (٨٠ - ١٥) قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٢. قيس بن معدي كرب الكندي	عاش في شبوة في الفترة ٤٠قبل ميلاد الرسول - ٣٥ بعد ميلاد الرسول ﷺ.
٣- امرؤ القيس بن حجر الكندي	ولد بنجد وعاش في دوعن سنة ٣٨ قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٤- حويلة الرئامية القضاعية	عاشت في مشقاص الشحر ولدت سنة ٣٧ قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٥- رزاح النهدي	ولد بحريضة سنة ٣٥ قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٦- محمد بن حران الجعفي الجرداني	ولد بجردان سنة ٣٤ قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٧- عبد الله بن عجلان النهدي	ولد بالعجلانية سنة ٢٥ قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٨- يزيد بن حماد السكوني	ولد ببور سنة ٢٠قبل ميلاد الرسول ﷺ.
٩- مرضاوي بن سعوة المهري	ولد بالمهرة سنة ١٥ قبل ميلاد الرسول ﷺ.
١٠- قيسبة بن كلثوم السكوني الكندي	ولد بشبام الحضرمية سنة ٦ بعد ميلاد الرسول ﷺ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد مثّل هؤلاء الشعراء كل مناطق حضرموت من شرقها إلى غربها ومن واديها إلى ساحلها خلال نحو نصف قرن من الدور الوثني المعروف بالعصر الجاهلي. هذا ويتميز أدب الحكماء والكهان بالنثر المسجع والعبارات الموجزة البليغة. وتتميز قصص الرواة بالأسطورة والخرافة. ولما كان الأدب الحضرمي مثله مثل الأدب العربي قد دون متأخرًا في العصر الإسلامي فإنه لا يخلو من الإضافة والاختلاق لدرجة أن عالمًا اجتماعيًا ومفكرًا مبدعًا كابن خلدون وأديبًا حديثًا شهيرًا كطه حسين قد ساورهما الشك في حقيقة الأدب في العصر الجاهلي. فالروايات الإخبارية عن المدينة السحرية «إرم ذات العماد» وعن اكتشاف قبر هود أو قبر حنظلة لا يخفى اختلاقها من قبل رواةٍ جاءوا بعد الإسلام. فقول الحضرمي للإمام علي بن أبي طالب أنه أبصر عند رأس هود لوحًا حجريًا مكتوبًا عليه في السطر الثالث بخط الهند والسند: [أنا هود بن الخويلد بن سعيد بن نوح. جئتهم بالرسالة وبقيت فيهم مدة عمري فكذبوني. فأخذهم الله تعالى بالريح العقيم.] وقول الهمداني في إكليله: إنّ جماعة قبل الإسلام عثروا على قبرحنظلة صاحب الرس ورأوا في يده خاتمًا كتب عليه: (أنا حنظلة بن صفوان رسول الله) ورأوا مكتوبًا عند رأسه: (بعثني الله إلى حمير والعرب من أهل اليمن فكذبوني وقتلوني) كلها أساطير يمنية لا ترتفع إلى مستوى الحقائق. ومهما يكن من أمرٍ فإنّ الخاصة من اليمنيين والحضارمة كانوا يتكلمون العربية الفصحى التي سادت الجزيرة العربية وسادت أسواقها الأدبية كسوق عكاظ والتي يحضرها كل العرب. وهذا لا ينفي ألبتة أن توجد لهجات حضرمية وكلمات غير واردة في لغة أهل الحجاز يتكلمها العامة من أهل حضرموت أو تتكلمها قبائل معينة كالمهرة مثلاً كأثر من اللغة الجنوبية من سبئيةٍ وحميريةٍ إلخ. ومهما قيل عن غتم لغة هذه القبائل فلا تعني أبدًا أنها متوحشة وهمجيةٌ. علمًا أن التوحش في مصطلح ابن خلدون عكس التمدن وهو البداوة.

٣ - رواسب الفكر الوثني الحضرمي بعد الإسلام:

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ في مجتمع تسوده الأمية والوثنية. وقد مضت عليه قرون طويلة وهو منغمس في أوحال الجاهلية وما ترتب عليها من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقائد ضالة وعلاقات اجتماعية ظالمة. فأمضى الرسول محمد ﷺ نحو ١٣ عامًا وهو يدعو قريش والعرب إلى عبادة الله وحده ونبذ العادات والقيم المتحكمة في نفوسهم وفي سلوكهم. وكان كثيرًا ما يحذرهم من استحكام بعض العادات والقيم ليكونوا على بصيرة منها إذا ما برزت فيهم فقال لهم: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم، والناحبة - أو قال النائحة - إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم بسنده. ووقف عمر بن الخطاب أمام الحجر الأسود في الكعبة وقال معلمًا ومنبها للمسلمين: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع. ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. ولنفس التخوف من تأثير رواسب الماضي على عقيدة المسلمين قُطعت الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان كيلا يقدسها المسلمون ويعبدونها مع تقادم الزمن.

وبظهور شوكة الإسلام وعقيدة التوحيد في الحجاز تحرك ملوك وشيوخ ووجهاء اليمنيين في وفود إلى المدينة المنورة لبيعة رسول الله ﷺ والدخول في الإسلام أفواجًا. وبدوره ﷺ بعث إلى اليمن الدعاة والمعلمين من كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري وغيرهم لهداية اليمنيين إلى الإسلام وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وهدم الأصنام والأوثان. ومما لاريب فيه أن أية عقيدة جديدة في مجتمع تغلب عليه البداوة والأمية وفي بلد كاليمن وحضرموت ذات جبال وشعاب ووهاد وصحراء مترامية الأطراف لن تكون على مستوى واحد في تقبلها وفهمها ووعيها للإسلام وبالتالي تطبيق تعاليمه فهو لدى الواعين والمتحضرين من اليمنيين والحضارمة أسرع فهمًا وأكثر تقبلاً وهو أقل من ذلك عند من دونهم ثقافة ووعيًا ناهيك عمن لم يصله الإسلام وهو ناء على قمة جبل أوفي جوف شعب أوفي أعماق الصحراء. فلا غرو إذن أن تظل مع مرور الزمن وإن ساد الإسلام كل اليمن - لدى الفئات الاجتماعية التي يسودها الجهل بعض آثار الميراث الوثني القديم كعادات وتقاليد لم تتحرر منها وبقيت عالقة في معتقدها الإسلامي. ويظل الجهل والأمية هو المدخل السهل للمشعوذين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمغالين في الدين لتحقيق مآربهم وتظل التربية والتعليم هي الأساس والمنطلق الصحيح لسد الأبواب والنوافذ والثغرات لتشويه عقيدة المسلم.

ويلعب الرمز المادي دورًا مهمًا وخطيرًا في عقيدة السذج والعامة وقد عرفنا كيف أن الوثنية بدأت بعبادة الإنسان وعبادة الصنم على أساس أن الإنسان نائب عن الله وخليفته في الأرض كما تأله فرعون. وأن الأرواح تحل في الصنم فيتقرب إليها إن كانت طيبة ويتحاشاها ويتعوذ منها إن كانت شريرة. وحلول الأرواح في الأجسام المادية لم يكن معتقدًا بدائيًا ساذجًا لدى كثير من الديانات القديمة فحسب بل نجد له أثرًا متطورًا في الفلسفة الصوفية التي ترى أن الصوفي قد محا (الأنا) في أغوار نفسه وحل محلها الذات الإلهية فهو قد اضمحل في قرارة نفسه وبلغ حالة (الفناء فالبقاء حسب التعبير الصوفي) وملأ هذا القرار بفيض ربه فعبر عن أذواقه وأحاسيسه هذه بقول قائلهم: ما في الجبة إلا الله. وقول آخر:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

ويبقى الإسلام دينًا وسطًا لامكان فيه لجاهل ساذج أو مغال شاطح. وبعد هذه الإلمامة عن مزالق الشرك وجذوره وخلفياته يجدر بنا علميًا وتربويًا أن نستعرض بعض مخلفات الميراث الوثني التي مازالت تمارس في حياتنا الاجتماعية كعادات وتقاليد كيلا تستمر في تشويه العقيدة الإسلامية عقيدة الإيمان والتوحيد خاصة لدى العامة:

(١) رواسب عبادة الكواكب:

عبد اليمنيون الشمس والقمر والنجوم. وكان للقمر بالذات عدة أسماء نذكر منها: سين، عم، المقة، ود. ومن بقايا وآثار هذه العبادة للكواكب ومناجاتها التي مازالت إلى عهد قريب تمارس لدى السذج والعوام في حضرموت. ومن هذه السلوكيات الوثنية الأصول نذكر مايلي:

(أ) كانت الأم ترشد ابنها أو ابنتها الصغيرة إذا ما سقط ضرسها بأن تمسك بضرسها أو سنها بيدها وتقابل الشمس عند شروقها في الصباح وترمي نحوها السن المخلوع وتناجيها قائلة: ياشمس خذي مني ضرس حمار وأعطيني ضرس غزال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ب) يزف العامة إلى اليوم عريسهم (الكلان) بين بيتي الزوجين وعند مدخل البيت يلتفون حوله ويرفعون أصواتهم بعبارة التنصورة التي تقول: كلان ياسين عليه رب السماء يحمي عليه. ومعروف أن (سين) هو اسم للإله القمر في الدور الوثني. ويردد البدو في (زواملهم) أي موكبهم خاصة أثناء الزيارة الشعبية المعروفة بزيارة ضريح الصوفي الكبير الشيخ سعيد بن عيسى العمودي كلمة (يعم) وهي مناداة باسم الإله القمر [عم].

(٢) **رواسب عبادة الشجر**: عندما يمرض الطفل مرضًا عضالاً تذهب الأم المسكينة إلى أحد الشعاب باحثة عن شجرة الحرمل البرية ومعها إبريق فيه ماء. فإذا ما عثرت على مبتغاها جلست أمام شجرة الحرمل البرية وأسقتها من إبريقها ماء. ثم تأخذ في مناجاتها قائلة: ياشجرة لقد أعطيتك ما ينفعك فأعطيني ما يشفي ابني المريض. ثم تقطف بعض وريقات شجرة الحرمل البرية لتعالج بها طفلها المريض.

(٣) **رواسب عبادة الوثن**: يكتسب الحجر قدسية إذا ما ارتبط بإله أو نبي أو ولي. وقد ذكرنا إن عمر ابن الخطاب قد حذر من تقديس الأحجار وقال للمسلمين إن الحجر الأسود في ركن الكعبة لا يضر ولا ينفع وتقبيله كان امتثالاً لسنة الرسول ﷺ. وكانت الأصنام تصنع من الأحجار وتعبد في الدور الوثني. وفي حضرموت قدس العامة والسذج الأحجار نذكر منها:

(أ) **التبرك بحصاة الفقيه المقدم**: حصاة بارزة ثبتت في الجدار القبلي الخارجي للمسجد الذي بناه أحد السلاطين بتريم يقال أن الصوفي الكبير محمد بن علي الملقب بالفقيه المقدم كان يضع حذاءه عليها. فاكتسبت هذه الحصاة في معتقد العامة قدسية خاصة فأخذوا كلما مروا أمامها يتبركون ويتمسحون بها. وقد اندثرت هذه العادة اليوم وبقيت الحصاة حجرًا لايؤبه له.

(ب) **التبرك بأحجار قبر هود عليه السلام**: من حدد قبر هود في شعب هود جعل من حجرين كبيرين بينهما شق عميق بداية لقبر طويل على زعم أن النبي هود قد انشق له الحجر فدخل فيه. والسذج والعامة من زوار هذا القبر يتبركون بهذا المدخل حيث توجد مدهنة فيها زيت فيأخذ الزائر بأصبعيه شيئًا من الزيت ويمسح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به جدران الحصاة في فوهة القبر ثم يمسح جسده. وقد اسودت وملست الحصاتان الكبيرتان من كثرة الدهن واللمس والتمسح وذلك تبركًا بالنبي هود عليه السلام.

(٤) رواسب تعبيد الإنسان: لا تنسب عبودية الإنسان إلاّ لربه سبحانه وتعالى ومن ملامح تعبيد الإنسان أن ينسب كعبد لغير الله. وهذا الأثر وجد لدى الوثنيين والمسيحيين والمسلمين. والأسماء الآتية وما نسبت إليهم خير مثال على ما نقول:

الاسم	موقع المعبود بالإضافة
١.عبد المسيح	المسيح: نبي النصارى
٢.عبد العزى	العزى: إله وثني عند العرب
٣.عبد هود	هود: نبي عاد
٤- عبد أحمد	أحمد: من أسماء النبي ﷺ
٥- عبد الحسين	الحسين: سبط النبي محمد ﷺ
٦- عبد علوي	علوي: جد السادة العلويين بحضرموت
٧- عبد الشيخ	الشيخ: لقب للعالم والفقيه والصوفي

هذا ويلاحظ أن رواسب الوثنية العالقة في الفكر الحضرمي الإسلامي قد ذابت اليوم بفضل التربية والتعليم والوعي الإسلامي كما أنها لم تكن قط إلاّ في معتقدات العوام والسذج في المجتمع الحضرمي خاصة لدى الأميين من فلاحين وصيادين وعمال وبدو رحل ومن دونهم. واليوم وقد تحسنت ظروف المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية قد اضمحلت تلك المعتقدات ولم يعد لمعظمها وجود يذكر والحمد لله رب العالمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني الدور التوحيدي

الحالة السياسية

١. انضمام اليمن للوحدة الإسلامية:

أ - الوضع السياسي قبل البعثة المحمدية :

قبيل بزوغ فجر الإسلام كانت حضرموت مشمولة بالنفوذ الفارسي المهيمن على اليمن الذي اتخذ من صنعاء مركزًا له . غير أن هذا النفوذ الفارسي لم يكن فارضًا سلطته السياسية والإدارية على كل اليمن . إذ انفرد زعماء القبائل في مناطقهم بالسلطة المباشرة على عشائرهم، منذ أن فشل يوسف ذو نواس في إحكام السيطرة على القبائل بالرغم من إعلان نفسه ملكًا على كل شعوب (قبائل) اليمن وحاكمًا للبلاد، ومن إعلان اليهودية دينًا للدولة . وفي الواقع كان الاحتلال الأجنبي من حبشي وفارسي عاملاً مساعدًا على التفكك السياسي لليمن واستقلال أقيال اليمن في حكم مناطقهم .

وفي حديثنا عن التوزع السكاني في حضرموت قبل الإسلام أشرنا إلى أن القبائل الأساسية المتنفذة في حضرموت هي قبائل حضرموت وكندة وفروعها وقضاعة ومنها المهرة وهي كلها قبائل يمنية تنتسب إلى حمير وكهلان المنتمين إلى الجذع العربي القحطاني حسبما يرويه النسابون العرب . لم يكن لهذه القبائل المتناحرة نظام سياسي يوحدها بل كان زعماء هذه القبائل يتنافسون ويتبارون في ألقاب السؤدد فكان منهم الأذواء والأقيال والملوك لدرجة أن قبيلة واحدة كبني معاوية من كندة قد عرفت خمسة ملوك في وقت واحد وهم : الأشعث بن قيس الكندي وجمد ومخمص ومشرح وأبضعة وأختهم العمردة . وكانوا يلقبون بالعباهلة .

وبانتصار المسلمين تحت توجيه وقيادة الرسول ﷺ على قريش بعد جهاد مقدس، وفتح مكة قبلة الوثنية العربية واستسلام قريش وإعطائها البيعة للرسول ﷺ رجالاً ونساء، أيقنت القبائل العربية أن الإسلام دين حق وعزة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فدخل العرب جميعًا في دين الله ووفدوا إلى المدينة المنورة يعلنون أمام الرسول ﷺ إسلامهم. قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر :١-٣].

ب - الرسول يستقبل الوفود اليمنية:

مثل اليمنيون كبرى الوفود العربية التي توجهت إلى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية الناشئة معلنة إسلامها في السنة التاسعة للهجرة. واستقبل الرسول محمد ﷺ وأصحابه اليمنيين استقبالاً يليق بأهميتهم في بناء الدولة الإسلامية ودورهم القادم في الفتوحات الإسلامية.

وقد كبَّر الرسول واستبشر خيرًا بقدوم اليمنيين وإسلامهم قائلاً: «**أتاكم أهل اليمن، أضعف قلوبًا وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية**» [أخرجه البخاري عن أبي هريرة].

ومن أشهر الشخصيات اليمنية التي أسلمت أو ترأست وفودها إلى المدينة المنورة معلنة إسلامها وانضمامها للدولة الإسلامية الناشئة نذكر:

(١) وائل بن حجر الحضرمي:

ملك قبيلة حضرموت. وقد فرش له الرسول محمد ﷺ رداءه، وأجلسه بقربه ودعا له ولذريته بالبركة قائلاً: «**اللهم بارك فيه وفي إبله**» [رواه النسائي وإسناده صحيح].

(٢) الأشعث بن قيس الكندي:

ملك كندة من بني معاوية الحضرمية. وقد رغبت القيادة الإسلامية في المدينة المنورة في توثيق عرى الإسلام مع كندة الحضرمية فأبدى الرسول محمد ﷺ رغبته في الزواج من قتيلة أخت الأشعث بن قيس الكندي. كما خطب الأشعث نفسه (فروة) أخت الصحابي الكبير أبي بكر الصديق. فلم يكتب الله لأخت الأشعث بأن تكون إحدى أمهات المؤمنين. كما تأجل زواج الأشعث من أم فروة إلى حين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) شخصيات حضرمية أخرى:

بالإضافة إلى الملكين الحضرميين وائل والأشعث وفد إلى النبي محمد ﷺ في المدينة زعماء من قبائل حضرموت وكندة والصدف وتجيب، والسكون وجعفى والمهرة من أمثال: السمط بن الأسود الكندي، وحصين التجيبي، ومعاوية بن خديج السكوني الخ.

(٤) ملوك يمنيون آخرون:

ومن هؤلاء نذكر الحارث بن عبد كلال. وقد وفد إلى المدينة ضمن مجموعة تمثل ملوك حمير. وكذا عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي كان على رأس وفد زبيد.

(٥) باذان بن تيجان:

أخذ إسلام باذان بن تيجان أهمية سياسية خاصة فهو رأس النظام السياسي الفارسي في اليمن وزعيم الأبناء الفرس فيها. وقد ترتب على دخوله في الإسلام انفصال اليمن سياسيًا عن الإمبراطورية الساسانية في فارس، وكسب كل الأبناء في اليمن لصالح الدولة الإسلامية العربية الناشئة التي ستدك عرش كسرى. وهذا مالم تدركه الزعامات اليمنية التي ألّبت القبائل اليمنية ضد الأبناء الفرس الذين أصبحوا جزءًا من الشعب اليمني المسلم. وكان باذان سباقًا لاعتناق الإسلام إذ أرسل فى السنة السادسة للهجرة رسالة إلى الرسول محمد ﷺ يعلن فيها إسلامه وهو المدرك لحقيقة التطورات الجديدة في الجزيرة العربية والأوضاع المتردية في فارس.

وقد أقره الرسول على ولايته في المناطق اليمنية الواقعة تحت نفوذه خاصة صنعاء وما حولها. وتزعم الأبناء مقاومة حركة الأسود العنسي الانفصالية حتى قضوا عليها مع إخوانهم اليمنيين الراسخين في إسلامهم.

(٦) نصارى بني الحارث:

في السنة العاشرة للهجرة النبوية وفدت من نجران إلى المدينة المنورة قبيلة بني الحارث المسيحية وأشهرت إسلامها فرحب بها الرسول محمد ﷺ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢. إدارة اليمن في الدور التوحيدي:

بصورة عامة وكخطوة أولية نحو إقامة نظام إداري إسلامي موحد في اليمن أو
الرسول محمد ﷺ زعماء الوفود والقبائل المسلمة في مواقعها من القيادة والنفوذ
وزودهم بالدعاة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وذلك تأليفًا لقلوبهم
ونفوسهم التي جبلت على الزعامة وحب الرئاسة.

وكان ممن بعثهم الرسول ﷺ لتبليغ الإسلام في اليمن ونشر تعاليمه الإمام
علي بن أبي طالب الذي استجابت لدعوته الآلاف من اليمنيين. وقيل أن قبيلة
همدان أسلمت في يوم واحد على يده.

كما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن معلمًا وقاضيا، فأخذ يتنقل في المناطق
اليمنية حتى وصل إلى حضرموت. وكذا أبا موسى الأشعري وهو من أشاعرة
اليمن أساسًا. وكان سليم بن عمر الأنصاري داعية الإسلام في حضرموت وقد
نجح في دعوته الإسلامية نجاحًا باهرًا [1].

ولتوطيد الأمن والاستقرار في اليمن أرسلت القيادة الإسلامية في المدينة فرقًا
جهادية بقيادة خالد بن الوليد، والمهاجر بن أبي أمية، وخالد بن سعيد بن
العاص، وزياد بن لبيد وغيرهم. وفي خطوة لاحقة أعاد الرسول ﷺ التنظيم
الإداري في اليمن وقسمها إلى عدة ولايات وحدد مهام الولاة في: الدعوة،
والقضاء، وجمع الصدقات، وإعطاء المستحقين منها. وفي أواخر حياة
الرسول ﷺ قلص عدد الولايات اليمنية إلى أربع هي:

١. **صنعاء وما جاورها**: كان واليًا عليها شهر بن باذان.

٢. **نجران وما جاورها**: كان واليًا عليها عمرو بن حزم.

٣. **الجند**: كان واليًا عليها يعلى بن أمية.

٤. **حضرموت**: كان واليًا عليها زياد بن لبيد.

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: حضرموت بلادها وسكانها: مجلة العرب ج ٧، ٨: محرم وصفر سنة ١٤١٨هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنذ عهد أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين قسّمت اليمن إداريًا إلى ثلاثة مخاليف هي :

١. مخلاف صنعاء .

٢. مخلاف الجند .

٣. مخلاف حضرموت .

وفي العهد الأموي أصبحت اليمن كلها ولاية واحدة عاصمتها صنعاء . وكان يعين لحضرموت نائب للوالي الذي في صنعاء . وكان من أشهر من حكم حضرموت خلال الدور التوحيدي :

١. **زياد بن لبيد الأنصاري** : في عهد الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق .

٢. **عمارة بن عمرو بن حزم** : في عهد عبد الله بن الزبير .

٣. **الحكم بن مولى الثقفي** : في عهد عبد الملك بن مروان الأموي .

٤. **إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي** : نائبًا عن القاسم بن عمر الثقفي والي اليمن .

هذا وقد اشتهر الولاة الثقفيون في اليمن بالجبروت والظلم والاستغلال . فكان ظلمهم جزءًا من الاضطهاد الأموي لليمنيين في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية مما عجّل بالثورة اليمنية بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي الإباضي على الدولة الأموية .

٣. الحركات الانفصالية والتمردية في اليمن:

استقر الإسلام والإيمان في قلوب اليمنيين منذ أن دخلوا في دين الله أفواجا . وكان طابع حركات التمرد والانفصال التي قادتها الزعامات القبلية في اليمن هو العصبية القبلية وبقايا في النفوس من التطلع إلى الزعامة التي جبلوا عليها منذ أواخر عهد التبابعة الذي ورَّثَ احتلالاً حبشيًّا وآخر فارسيًّا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أ) حركة الأسود العنسي [١]:

تزعم عبهلة بن كعب بن عوف العنسي (عنس بطن من مذحج) حركة ارتداد عن الدين الإسلامي وانفصال عن الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. وقد لقب هذا المتمرد بذي الخمار لأنه يضع على وجهه خمارًا كعادة الكهان، وبالأسود العنسي لسواد لونه.

وقد حاول أن يُظهِر نفسه كبطل قومي يريد تحرير بلاده وسلك في سبيل ذلك طريقين أرعنين لعلهما يؤديان إلى التفاف اليمنيين حوله وهما ادعاء النبوة وإعلان العصبية اليمنية كبديل للدين الإسلامي واستبعاد للأبناء الموالين والمدافعين عن الحكومة الإسلامية المركزية في المدينة المنورة. واستجاب لحركة الأسود العنسي زعيمان يمنيان هما:

. قيس بن يغوث بن مكشوح المرادي الذي عينه الأسود العنسي نائبًا له وأميرًا على منطقة الجند.

. عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي عينه الأسود العنسي نائبًا له في مذحج.

انتشرت دعوة الأسود العنسي في أنحاء اليمن وتمكن من دخول صنعاء وقتل شهر بن باذان والي الدولة الإسلامية في صنعاء وتزوج أرملته. وتجاوز نفوذ الأسود العنسي اليمن إلى عمان واليمامة والبحرين وغادر الولاة والدعاة المسلمون بلاد اليمن.

ولما وصل النبي محمد ﷺ قبل وفاته نبأ حركة المتمرد الكهنوتي ذي الخمار أرسل المجاهدين إلى اليمن لتحريرها من فتنة الأسود العنسي ودعا اليمنيين المتمسكين بدينهم الإسلامي إلى التخلص منه. وكان قيس بن يغوث المرادي قائد جيش العنسي أول من تمرد على سيده. وتزعم الأبناء المرابطون في اليمن حركة مقاومة العنسي وقتلوه. وتحقق النصر للمسلمين وعاد الولاة والدعاة إلى اليمن.

---

(١) د. عصام الدين عبد الرءوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ب) حركة قيس بن يغوث بن مكشوح [١]:

إثر مقتل الأسود العنسي تزعم قيس بن يغوث بن مكشوح المرادي حركة انفصالية أخرى موجهة في الأساس ضد الأبناء وضم إليه فلول الأسود العنسي. وأجج حركة عنصرية وعصبية يمنية في أوساط الشعب اليمني ودعا إلى طرد الأبناء من اليمن فدفع بقسم منهم إلى عدن ليرحلوا بحرًا إلى بلادهم وسيَّر قسمًا آخر برًّا قائلاً لهم: الحقوا بأرضكم.

انقسم اليمنيون تجاه هذه الحركة إلى جبهتين هما:

- جبهة قيس وأنصاره وعلى رأسهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

- جبهة الأبناء بزعامة فيروز الديلمي وبقية اليمنيين الثابتين على الإسلام. وقد أمدهم الخليفة أبوبكر الصديق بنجدة إسلامية بقيادة عكرمة بن أبي جهل والمهاجر بن أبي أمية. فانتصر المسلمون وانهزم الانفصاليون المتمردون وسيق قيس بن يغوث وعمرو بن معدي كرب أسيرين إلى المدينة حيث جددا إسلامهما.

جـ- حركة الأشعث بن قيس الكندي:

لم تصب حضرموت فتنة الأسود العنسي ولا عصبية قيس بن يغوث ضد الأبناء لعدم احتكاك الحضرميين بالفرس المتمركزين بصنعاء وما حولها من المناطق ولعدم إحساسهم بوطأة الاحتلال الفارسي خلال أواخر الدور الوثني، فلم تنطلِ عليهم مزاعم الأسود العنسي، كما لا يوجد في بلادهم فرس ليهبوا مع قيس بن يغوث لطردهم. وبقي زياد بن لبيد واليًا على حضرموت منذ أن عينه الرسول محمد ﷺ قبل وفاته. ومع هذا فقد حدثت في حضرموت اضطرابات سببها العصبية ونخوة الملك لدى ملوك كندة وعلى رأسهم بنو معاوية. فتمرد هؤلاء بقيادة الأشعث بن قيس الكندي الملك في الدور الوثني والمسلم الصحابي ورئيس وفد كندة إلى الرسول محمد ﷺ. وامتنعوا عن دفع الزكاة متذرعين بوسم زياد بن لبيد لناقة محببة لهم ضمن أموال الزكاة. فتصدى لهم زياد بن لبيد مع

(١) د. عصام الدين عبد الرءوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسلمين الثابتين من أهل حضرموت كالشاعر امرؤ القيس بن عانس الكندي التريمي [١] وأمدهم الخليفة أبوبكر الصديق بجيش بقيادة المهاجر بن أبي أمية. والتقى الفريقان في محجر الزرقان وانهزم المتمردون ودخلوا حصن النجير فحاصرهم المسلمون وقتلوا العديد منهم حتى استسلموا. وأرسل الأشعث بن قيس الكندي إلى الخليفة أبي بكر الصديق في المدينة المنورة فعاد إلى إسلامه وتاب وأدخله الصديق على خطيبته أم فروة وحسن إسلامه وأبلى بلاءً حسنًا في الفتوحات الإسلامية. كما أعاد جيش عكرمة بن أبي جهل قبيلة المهرة عن ارتدادها إلى حضيرة الإسلام [٢]. وهكذا قُضيَ على التمرد في اليمن وأغلقت أبواب العصبية الجاهلية وسدت منافذ العنصرية وتوحد اليمنيون تحت راية الانتساب إلى الإسلام بدلاً من الانتساب إلى القبيلة وتحرروا من نفوذ الأقيال والأذواء وحافظوا على دمائهم التي كانت تهرق على مذابح الحروب القبلية وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله في الفتوحات الإسلامية المظفرة. وستظل دائمًا العقيدة لا القبيلة ضمانًا للوحدة اليمنية إلى يومنا هذا. فافهموا واعتبروا يا أولي الألباب.

الحالة الفكرية

١ - التوحيد: تعريفه وجذوره:

التوحيد هو الاعتقاد الجازم بوجود إله واحد لا شريك له ولا كفؤ له. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤] وهو خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وما خلق الله الإنس والجن إلاّ ليعبدوه وهم إليه راجعون ثم يجازيهم على ما عملوا فإما إلى جنة وإما إلى نار.

وقد أكدنا في أكثر من موقع في هذا الكتاب بأن توحيد الله هو الأساس والأصل منذ أن خُلق آدم عليه السلام. وأن الشرك أمر حادث وانحراف طارئ عن

---

(١) عبد الله محمد حامد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.
(٢) محمد محفوظ جويان: اليمن والخوارج حتى نهاية العصر الأموي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفطرة التوحيدية. وكان الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل على فترات من تاريخ البشرية ليذكّروا الناس بربهم الفرد الصمد وليصححوا ويقوّموا ما انحرف واعوج في عقيدتهم التوحيدية إلى أن بعث الله محمدًا ﷺ ليكون خاتم الأنبياء ورسولاً للناس كافة. ولم تكن بعثته عليه أفضل الصلاة والتسليم في غفلة من الزمن أو مفاجأة لأصحاب الرسالات السماوية السابقة كاليهود والنصارى. بل قد بشر الله به في التوراة والإنجيل ليكونوا أول المؤمنين به. ولكنهم ضلوا واستكبروا استكبارًا وكذبوا للحفاظ على امتيازاتهم ومصالحهم وفسادهم. فالإسلام إذن امتداد للأديان السماوية التوحيدية السابقة له ومتمم ومكمل لها. قال الرسول محمد ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلّا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون به، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»** حديث متفق عليه واللفظ لمسلم.

وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى :١٣]. وقد عرف العرب ومنهم اليمنيون التوحيد -من قبل محمد ﷺ بواسطة أنبيائهم. وظلت آثار التوحيد - كما سبق أن أشرنا -باقية لدى قلة منهم وهم من أطلقنا عليهم الحنفاء. قال الله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران :٩٥] ولكن غالبيتهم كما فصلنا ذلك في الدور الوثني لما امتدت بهم السنون وطال عليهم الأمد أخذوا يخلطون الحق بالباطل. وهذا ديدن الشعوب التي يغشاها الجهل ويتسلط عليها المشعوذون والمبطلون. فدخل الشرك في عقيدتهم واعتادوا عبادة الأصنام.

أ- ظهور الإسلام:

ظهر الإسلام وصدع به محمد ﷺ والمجتمع البشري كله غارق في الفساد الاجتماعي والفكري ويعيش اضطهادًا يستذل فيه الضعيف ويتعالى القوي. وحتى أصحاب الكتب السماوية قد انحرفوا وأشربوا في قلوبهم الفسوق والعصيان وأكلوا أموال الناس بالربا والسحت. وانحطت المعتقدات الدينية وهبطت القيم الإنسانية. وللخروج من هذا المأزق البشري أتى الإسلام بالحكمة والموعظة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحسنة والحوار الهادئ ليبين للناس خطأ ما يعتقدونه وسوء ما يفعلون. وتنزل آيات من عند الله تعالى تدعو قريشًا إلى ترك عبادة الأصنام وإلى عبادة الله الذي بيده كل شيء بالحوار والمنطق العقلاني قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٣]. إن الطاغوت والجبروت المتمثل في قريش لا يقبل الحوار ولا يذعن للمنطق والعقل. بل اعتبرت أن ما يدعو إليه محمد ﷺ بمثابة الضربة القاضية على مكانتها بين العرب وعلى مصالحها وامتيازاتها. فهي سادنة الكعبة معقل أصنام العرب وراعية سوق عكاظ المركز التجاري والمنتدى الفكري للعرب وهي ذات التجارة الضاربة إلى الشام واليمن. وقد هالها أن يأتي شاب من أكرم وأشرف أسرة في قريش نفسها لم تجرب عليه كذبًا قط ليعيب آلهتها ويسفه أحلامها وقد اشتد غضبها أن تجد دعوة الرسول ﷺ أذنًا صاغية لدى من تعتبرهم أراذل المجتمع من الفقراء والموالى والعبيد. أمام هذا الفكر الجديد سلكت قريش كل سبل المكر والخداع والأذى لصد الناس عنه وإيقاف تياره من حصار اقتصادي لعشيرة الرسول ﷺ ومن آمن معه. وتعذيب وتنكيل للمؤمنين المستضعفين. وهو نفسه ﷺ لم يسلم من أذاهم والتآمر عليه لقتله. ولما رأى الرسول ﷺ هذا الصد من قريش اتجه إلى الطائف داعيًا ثقيفًا إلى الإسلام فلم تكن ثقيف بأكرم من قريش فلم تستجب لدعوته بل وعرضته للأذى فأكرمه الله تعالى برحلة الإسراء والمعراج ليريه من آياته الكبرى وليثبت عزمه وليشد المسلمين بربهم بصلاة مفروضة عليهم تربطهم بربهم خمس مرات في اليوم والليلة.

وتأتي الانعطافة الحاسمة في مجرى الدعوة الإسلامية باستجابة اليمنيين في يثرب للدعوة وبمبايعة رسول الله ﷺ على الإيمان والنصرة فهاجر المسلمون ثم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسول إلى يثرب فتنورت يثرب بنور الإسلام فسميت المدينة المنورة وسمي أهلها الأنصار ومن هاجر إليها المهاجرين إيذانًا بقيام مجتمع إسلامي من المهاجرين والأنصار مركزه المدينة المنورة ويقوده محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ. وبتأسيس دولة الإسلام في المدينة تحل رابطة العقيدة محل روابط النسب ويحل الجهاد في سبيل الله محل العصبيات القبلية. والنسبة إلى الإسلام نسبة راسخة ثابتة توحد ولا تمزق وتجمع ولا تفرق تصهر المسلمين في بوتقة واحدة مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم وأنسابهم بينما النسبة إلى القبيلة رابطة واهية فهي كما يقول ابن خلدون: كائن فاسد تنمو وتقوى ثم تنحل وتنعدم [1]. وبوحدة المسلمين وعدلهم وحسن معاملتهم وبجهادهم المقدس انتصروا. انتصروا على الكفر والشرك والمؤامرات اليهودية حتى تم للرسول والمسلمين فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا. ولما لحق الرسول محمد ﷺ بربه ظن من في قلبه مرض من العرب أن الإسلام مات فارتدوا عن الإسلام وأعلنوا العصيان في مناطق من الجزيرة العربية. فهب المسلمون وقد تمكن الإسلام من قلوبهم بقيادة أول خليفة لرسول الله ﷺ فرفعوا راية الجهاد ضد المتمردين والمرتدين حتى عادوا جميعًا إلى حضيرة الإسلام. وقد كلفت العمليات الجهادية للقضاء على الردة والانفصال والرجعية الوثنية المسلمين أكثر مما فقدوه في حياة الرسول ﷺ [2].

٢. دور اليمنيين الحضارمة في نشر الدعوة الإسلامية:

كان الحضرميون في مقدمة اليمنيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي وقد وقفنا على شخصيات بارزة منهم من ملوك وشيوخ قبائل قد وفدت على رسول الله ﷺ وأعلنت إسلامها. ويقال إن أهل تريم قد أسلموا جميعًا عندما بلغتهم رسالة الرسول تدعوهم إلى الإسلام [3]. كما وقف معظم سكان حضرموت مع الوالي زياد بن لبيد الأنصاري في تصديه لحركة الأشعث بن قيس الكندي الارتدادية.

(١) عبد الله محمد حامد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.
(٢) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون.
(٣) محمد الغزالي: مستقبل الإسلام خارج أرضه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم تشهد حضرموت هجرة كتلك التي عرفتها للتوجه إلى الشام والعراق ومصر للمشاركة في الفتوحات الإسلامية الكبرى. وغادرت حضرموت قوافل المهاجرين أفرادًا وجماعات خلال تاريخها الإسلامي الطويل إلى القرن الإفريقي وجزره وإلى الهند والشرق الأقصى وجزره للتجارة ونشر الإسلام بين شعوب تلك المناطق الوثنية مما يشهد لهم بالدور التاريخي الهام في تبليغ الدعوة الإسلامية وتعميق جذور التوحيد في تلك الأصقاع. مما يعتبر بحق أنصع فترات تاريخهم وأحلى أيامهم ولياليهم فخلدوا للإسلام في تلك الأصقاع مجدًا تليدًا وحققوا لهم ولأجيالهم حياة معيشية رغدة بعد أن أقفرت بلادهم وأجدبت أرضهم واضطربت أحوالهم في بلادهم وبادت حضاراتهم القديمة ولأجر الله أعظم وأبقى.

أ - الهجرة الكبرى:

إن تلبية نداء الجهاد لنشر عقيدة التوحيد على شكل هجرة جماعية شملت أسرًا بكاملها رجالاً ونساءً وأطفالاً لحقت بجيوش الفتح الإسلامي على كل الجبهات في العراق وفارس في الشرق. والشام ومصر والمغرب والأندلس في الغرب. لمفخرة لحضرموت وتعزيز لشأنها في بناء الدولة الإسلامية، وترسيخ جذور العروبة والإسلام. ولم يقف دور أهل حضرموت عند دك عروش الشرك والجبروت الفارسية والرومانية بل امتد إلى المشاركة الفعلية في السياسة والتجارة والقضاء وبناء الحضارة العربية الإسلامية بعد استقرارهم وأبنائهم وأحفادهم جيلاً بعد جيل. فهذا معاوية بن حديج السكوني الكندي الحضرمي قد لعب دورًا خطيرًا في إخراج مصر من نفوذ الإمام علي بن أبي طالب إلى جبهة معاوية بن أبي سفيان. مما قلب موازين القوى في صالح الأمويين. . وذاك خالد بين سعيد الصدفي الحضرمي الذي تزعم الانتفاضة العلوية في مصر سنة ١٤٥هـ وقد أخمدها عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج السكوني الكندي. وذلك أثير بن هاني الحضرمي الطبيب الذي تولى معالجة الخليفة علي بن أبي طالب بعد طعنة أصابته من قاتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي. وهناك يونس بن عطية القاضي الشهير في مصر. هذا ناهيك عن دور القادة العسكريين والولاة الكبار من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمثال وائل بن حجر الحضرمي والأشعث بن قيس الكندي. وقد هنأ الشاعر بزيد بن مقسم الصدفي قبيلة حضرموت بما اختصت به من الحكم بين العرب والعجم:

باحضرموت هنيئًا ما خصصت به من الحكومة بين العجم والعرب

كما تغنى الأديب المهاجر علي أحمد باكثير بذكاء وفطنة الحضرمي فقال:

ولو ثقفت يومًا حضرميًا لجاءك آية في النابغين

ب - الهجرات المتعاقبة:

وفي فترات لاحقة هاجر الحضرميون إلى شرقي إفريقيا وشرقي آسيا في رحلات سلمية تجارية ودعوية. وإذا كانت الهجرة الكبرى قد قطعت صلتهم بموطنهم الأصلي حضرموت بمرور الزمن فقد امتازت الهجرات المتعاقبة باستمرار حبل الصلة بين الوطن والمهجر على فترة طويلة من الزمن مما عكس انتعاشهم الاقتصادي في المهجر انتعاشًا في الوطن من خلال التحويلات التي ترد منهم إلى ذويهم في حضرموت. وشكلت الهجرة الحديثة إلى مناطق النفط في الجزيرة العربية رافدًا اقتصاديًا لذويهم في حضرموت خاصة بعد التحولات السياسية التي أدت إلى سن القوانين السيادية في مهاجرهم الإفريقية والهندية والإندونيسية والماليزية. وكان أهم وأعظم دور قام به أهل حضرموت في مهاجرهم غير العربية وغير الإسلامية وقتها نشر عقيدة التوحيد في تلك المجتمعات الوثنية. وبرزت منهم شخصيات ذات أثر عميق في تحويل تلك المجتمعات والممالك الوثنية إلى مجتمعات وممالك إسلامية. فكانوا نعم الدعاة ونعم المرشدون. وكانت علاقتهم بشعوب تلك المجتمعات علاقة إنسانية راقية ارتبطوا بهم بروابط الأخوة الإسلامية. وامتزجت أعراقهم وأرحامهم عن طريق المصاهرة في أعلى المستويات الاجتماعية بين أسر عربية حضرمية وأسر الملوك والأمراء والقادة العسكريين في تلك المهاجر الحضرمية. حول شواطئ المحيط الهندي في الهند وفي جنوب شرقي آسيا وفي شرقي إفريقيا. وعن طريق هذه المصاهرة المدعومة بمزاياهم العربية وأخلاقهم الإسلامية بلغ الكثير منهم أعلى المراتب العسكرية والوزارية، بل وارتفعوا إلى سدة الحكم كسلاطين وأمراء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحكام. وهم بهذا يختلفون تمامًا عن الغزاة المستعمرين الغربيين من برتغاليين وهولنديين وفرنسيين وبريطانيين الذين غزوا هذه الشعوب والممالك بأسلحتهم الفتاكة وحكموها في ترفع وكبرياء. وضربوا بينهم وبين شعوب تلك الأصقاع حواجز الفصل العنصري والطبقي. ومن أمثلة هذه المصاهرة الناجحة والاندماج السلمي بين المهاجرين الحضارمة والسكان الأصليين نذكر:

(١) زواج السيد علي زين العابدين العلوي الحضرمي على ابنة السلطان (كابونغ سوان) الذي سمي بالسلطان محمد. وقد قام هذا الداعية الإسلامي بدور كبير في نشر الدعوة الإسلامية في جزيرة (ميندناو) في الفيليبين [١].

(٢) زواج السيد أبي بكر العلوي الحضرمي على ابنة (راجابا غيندا) سلطان (مورو) في الفيليبين [٢].

(٣) زواج محمد بن علي زين العابدين ابن الداعية الإسلامي الكبير علي زين العابدين العلوي الحضرمي على أميرة (ملاكا) بجزيرة (ميندناو) الفيلبينية [٣].

هذا وإن عددًا من الشخصيات الحضرمية التي حكمت في حضرموت هي ثمرة ذلك التزاوج والاندماج السلمي ممن اختلطت دماؤهم العربية بدماء هندية أو جاوية أو إفريقية. فوالدة السلطان منصور بن عمر من سلالة آل عيسى بن بدر الكثيري سلطان شبام بحضرموت هي من جزيرة (مدورا). ووالدة السلطان غالب بن صالح القعيطي هي حفيدة مير محبوب علي خان ملك حيدر أباد السادس [٤].

لقد كانت علاقة حضرموت بشعوب ما وراء البحر العربي من المحيط الهندي منذ القرن السابع الهجري، أي خلال الدور الصوفي بحضرموت وقد كانت الموجات الأولى للهجرة الحضرمية إلى تلك المناطق متجهة نحو نشر الإسلام وتصحيح العقيدة وتثبيت راية التوحيد. في حين جمعت الموجات اللاحقة بين الدعوة والتجارة. وقد أسلم على يد الدعاة الحضرميين خاصة العلويين منهم لما يتمتعون به من علم وثقافة (صوفية) الألوف من وثنيي تلك الشعوب وحكامها.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) غالب بن عوض القعيطي: تأملات في تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالسيد حسن بن علي المعروف بالشريف العلوي الذي أسلم على يده الملك (بوايان) بالفيلبيين. ومن أشهر الأسر الحضرمية الداعية للإسلام نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

(١) أسرة آل عظمة خان:

تنتسب هذه الأسرة إلى عبد الملك بن محمد (صاحب مرباط) انتشر نشاط هذه الأسرة الدعوي في الهند وسيام (تايلاند)، وامتد إلى إندونيسيا. ومن أشهر شخصيات هذه الأسرة أحمد شاه عظمة خان الذي استوزره ملك الهند، وعلي رحمة الله بن إبراهيم صاحب عمفيل التي قدم إليها عام ٧٥١هـ [١].

أسرة آل عيديد:

دعاة هذه الأسرة ينتسبون إلى محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الأعين النساخ. وقد انتشروا في حيدر أباد بالهند، وفي إندونيسيا، وجزائر الفيليبين، وشرقي إفريقيا. وكان من أشهر هؤلاء الدعاة السيد علي بن حسين بن محمد ناشر الدعوة الإسلامية التوحيدية في (باديان) و(ميندناو) بالفيليبين [٢].

(٣) أسرة آل العيدروس:

بلغت أسرة آل العيدروس العلوية الحضرمية شأوًا بعيدًا في النفوذ والسلطة، وفي نشر الدعوة الإسلامية وتصحيح العقيدة الدينية على مذهب أهل السنة والجماعة فكان من هذه الأسرة جنرالات في الجيش الهندي وكان للداعية الإسلامي عبد الله العيدروس المتوفى عام ١٠٤١هـ تأثير على السلطان إبراهيم عادل شاه الذي حكم في الفترة (٩٨٨-١٠٣٦هـ) في تحوله من المذهب الشيعي إلى مذهب أهل السنة [٣].

(٤) أسرة آل مولى الدويلة:

سكن في جنوب غرب الهند جماعات مهاجرة من الجزيرة العربية منها أسر

---

(١) صالح بن علي الحامد: رحلتي إلى جاوا.
(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.
(٣) غالب بن عوض القعيطي: تأملات في تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علوية حضرمية. وقد شكلت هذه الجماعات الدينية المهاجرة طائفة (المابلا) التي اندمجت مع السكان الأصليين ومن أشهر أسر هذه الطائفة أسرة مولى الدويلة العلوية الحضرمية. وكان منها الزعيم الوطني ذو النفوذ الروحي على طائفة (المابلا) العالم الصوفي علوي بن محمد بن سهل مولى الدويلة الذي قدم من تريم حضرموت إلى مليبارد عام ١١٨٠هـ - ١٧٦٦م. فقاد هذا الزعيم مقاومة (المابلا) ضد الاحتلال البريطاني لبلادهم مما جعل الحكومة البريطانية تفكر جديًا في القبض عليه بحجة إثارته للشغب ولكن خوفها من غضب طائفة (المابلا) ومنعًا من تطور هذا الغضب إلى ثورة شاملة من قبل جميع السكان حال دون تنفيذ قرار القبض عليه وما ذلك إلا لشعبية وسمعة هذا الداعية الإسلامي بين أوساط طائفة المابلا [١]. وكان ابنه فضل من ألمع الشخصيات في العالم الإسلامي حينها.

هذا وإن بعضًا من الشخصيات الحضرمية المهاجرة تمكنت عن طريق الدعوة الإسلامية والمصاهرة والاندماج السلمي من الوصول إلى سدة الحكم ومن أشهر هذه الإمارات والسلطنات الحضرمية في المهجر نذكر:

(١) إمارة فوتيا ناك (فوتيانة):

تقع هذه الإمارة في جنوب شرق آسيا. وكان أول من تولى الإمارة فيها السيد عبد الرحمن بن حسين القدري العلوي الحضرمي في الفترة (١١٨٥-١٢٢٣هـ) الموافق (١٧٧١-١٨٠٨م). وتوارث الإمارة فيها ذريته من بعده. وخلال الحرب العالمية الثانية تعرضت هذه الأسرة المالكة لنكبة من قبل الغزاة اليابانيين فقتلوا السلطان محمد القدري ونحو ٦٠ شخصًا من عائلته [٢].

(٢) سلطنة سولو:

في عام ٨٥٤هـ وصل الداعية الإسلامي أبوبكر زين العابدين إلى جزيرة سولو ودعا الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان فدخلوا في دين الله أفواجًا

---

(١) غالب بن عوض القعيطي: تأملات في تاريخ حضرموت.
(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعبًا ورؤساء. وأسس فيها المساجد وعلم الناس أمور دينهم. وتزوج هذا الداعية ابنة السلطان (راج بكندا). وبعد وفاة هذا السلطان الذي لم يخلف ابنًا ذكرًا تولى السيد أبو بكر زين العابدين حكم السلطنة وتوارثت ذريته حكم هذه السلطنة حتى ضعفت وتلاشت [١].

(٣) إمارة كوبو:

تقع هذه الإمارة في جنوب شرقي آسيا. وكان أول من تولى الإمارة فيها السيد عيدروس بن عبد الرحمن العيدروس عام ١٧٩٥م. وخلفه من بعده أبناؤه وأحفاده على هذه الإمارة [٢].

(٤) سلطنة سباك:

تقع هذه السلطنة في جزيرة سومطرة بجنوب شرقي آسيا. ومؤسس هذه السلطنة هو السيد عثمان بن عبد الرحمن بن حسن بن عمر العلوي الحضرمي وينتمي إلى أسرة آل شهاب [٣].

(٥) سلطنة بته:

بته هي إحدى جزر كينيا بشرقي إفريقيا. وسميت كذلك نسبة إلى مستوطنيها الحضارمة من آل باطوي من بني ظنه الذين هاجروا إليها من منطقتهم السوم بحضرموت وذلك حوالي القرن الثامن الهجري. كما هاجر إلى هذه الجزيرة جماعة من آل الشيخ أبي بكر بن سالم وقد اشتهر منهم أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر بن سالم الملقب (بته) [٤].

(٦) جزر القمر:

هي من أهم الجزر في المحيط الهندي. وقد تولت أسرة آل الشيخ أبي بكر بن سالم الحكم في هذه الجزر. وكان من أشهر سلاطينها السيد أحمد بن علي من

---

(١) العلامة علوي بن طاهر الحداد. ترتيب محمد ضياء شهاب: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى.
(٢) بقلم جعفر محمد السقاف: مجلة التراث العدد ٣ نوفمبر ١٩٧٩م.
(٣)، (٤) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آل الحسين بن الشيخ أبو بكر بن سالم إذ كان سلطانًا على الجزيرة الكبرى (إنقازيجه) وإثر استقلال جزر القمر التي احتلها المستعمرون الفرنسيون تولى السيد أحمد بن عبد الله بن الشيخ أبو بكر بن سالم منصب أول رئيس جمهورية جزر القمر [١].

هذا وقد علَّقت أربع شخصيات مهتمة بالتاريخ والهجرة الحضرمية على الدور الدعوي للحضارمة المهاجرين في نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية اثنان منهم حضرميان والثالث عربي والرابع بريطاني. ونسجل هنا آراءهم للتوثيق والتثبيت والتأكيد:

(١) رأي محمد بن عقيل بن يحيى العلوي الحضرمي:

لنشاط الحضارمة في الأسفار وشغفهم بالتجارة - ورغبتهم في نشر الإسلام - فقد توغلوا في إفريقيا وأسلم بدعوتهم من أسلم من الحبشة والصومال وشرق إفريقيا إلى رأس الرجاء الصالح. ومن في الجزائر التي بجوار تلك السواحل مثل مدغشقر وجزائر القمر وكذا جُلُّ من أسلم من سكان الشطوط الجنوبية والشرقية في الهند وبعض من في داخلية تلك الأقطار. ومن أسلم في بورما وسيام وسومطرا وجاوا والفيليبين وما جاورها.

(٢) رأي صالح بن علي الحامد:

قسَّم الأديب والمؤرخ صالح بن علي الحامد في كتابه (رحلة جاوا الجميلة) هجرة الحضارمه إلى جاوا إلى ثلاث مراحل فقال:

(أ) المرحلة الأولى: وتمثل هجرة أسرة عظمة خان وهي قائمة على الدعوة التبشيرية بالإسلام. وقد نجحت نجاحًا باهرًا في نشر التوحيد ونقل الوثنيين الجاويين إلى الإسلام والتوحيد. ولم تكن هذه الهجرة مباشرة من حضرموت إنما كانت من مهاجرهم الأولى في الهند.

(ب) المرحلة الثانية: وتمثل هجرة أفراد من آل باشيبان وآل بافقيه وآل باعبود وهذه أسر علوية حضرمية وقد أدت هذه الهجرة إلى انتشار الإسلام وترسيخ

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قواعده وهي هجرة أتت من الهند وليس من حضرموت مباشرة.

(ج) المرحلة الثالثة: وقد أتت من حضرموت مباشرة وجاءت للارتزاق وتضم جماعات وأفرادًا من كل فئات الشعب الحضرمي من علويين وقبائل وتجار حضر وكلهم أتوا من أجل التجارة.

(٣) رأي الأمير شكيب أرسلان:

ويعلل شكيب أرسلان مضايقة الحكومة الهولندية للحضارمة في إندونيسيا فيقول: كانت الحكومة الهولندية تحسب لهم حسابًا كبيرًا. وأشد ما يضيق صدرها بهجرتهم إلى تلك البلاد خشية أن ينشروا الدعوة الإسلامية.

(٤) رأي المستشرق الإنجليزي البروفيسور (سارجنت):

وسواء سافر الحضارمة من أراضيهم كجنود أم بحارة أم تجار أم علماء فإنهم في رحلاتهم هذه نشروا الدين الإسلامي حيثما ذهبوا.

٢ - الفكر والمجتمع في ظلال القرآن والسنة:

شكل القرآن الكريم والسنة النبوية الصياغة الجديدة لمجتمع إسلامي تسوده الأخوة الإسلامية والعدالة الاجتماعية. وقد تأسس ونهض على أنقاض مجتمع طبقي تسوده الأمية والعصبية القبلية والاضطهاد الاجتماعي. ولم يكن الإسلام - ومصدراه الأساسيان القرآن والسنة - عقيدة تقوم على توحيد الله وتنزيه الله سبحانه وتعالى فحسب بل هو شريعة تنظم حياة المسلمين أفرادًا وجماعات وشعوبًا فهو دنيا ودين وروح ومادة. ولنا في سيرة الرسول ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وأصحابه الميامين والتابعين من بعدهم القدوة الحسنة في التطبيق العملي للفكر الإسلامي الجديد. فهم الذين استوعبت عقولهم الإسلام واطمأنت إليه قلوبهم فكانوا الأداة الصادقة في الانقلاب الفكري والتغيير الاجتماعي الذي أحدثه الإسلام. وشكل هذا الانقلاب وهذا التغيير النقلة النوعية للإنسانية من المجتمع الوثني إلى المجتمع الإسلامي الذي انفرد بتوحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه جلَّ وعلا وإنقاذ كل البشر من مختلف أشكال العبودية والاستغلال. ولما كان هذا الدور التوحيدي هو الأساس لما بعده من أدوار سنتناولها في هذا الكتاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيما يتعلق بالفكر والمجتمع في حضرموت فيجدر بنا أن نشير هاهنا إلى ثلاثة معالم في هذا الطريق وهي :

أ - الأخوة الإسلامية :

الأخوة الإسلامية هي الرابطة الجديدة في المجتمع الإسلامي الجديد التي حلت محل الرابطة النسبية في المجتمع الوثني . وقد وقفنا على فساد المجتمع الوثني القائم على أساس العصبية القبلية والتفاخر البغيض والتناحر المهلك للحرث والنسل . فالأخوة الإسلامية تعني نسفًا جذريًا وكاملاً للبناء الاجتماعي الذي يقسم المجتمع إلى سادة وعبيد، ووجهاء ودهماء، وأغنياء وفقراء. فقد ألف الإسلام بالأخوة الإسلامية بين العدناني والقحطاني والعربي والعجمي والغني والفقير . فوقف علي بن أبي طالب وسعد بن عبادة وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي صفًا واحدًا أمام الله يؤمهم رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ. يتجلى في هذه الوقفة التي تتكرر خمس مرات في كل ٢٤ساعة في كل بقاع المسلمين صدق الأخوة الإسلامية ومعانيها السامية التي تترجم عمليًا في حياتهم العامة . قال الله تعالى : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال :٦٣] . وفي أول عهد اليمنيين والحضرميين بالإسلام لم تكن الأخوة الإسلامية قد تمكنت من نفوسهم فبقيت فيها بقية من جاهلية جهلاء وعصبية عمياء خاصة لدى الزعامات العشائرية فارتد من ارتد وتمرد من تمرد وتعصب ضد الأبناء (الفرس) من تعصب وبقي الراسخون في الإسلام المدركون لمعانيه في الأخوة الإسلامية فكانت مثل الصدمة الفكرية التي أعادت الغاوين إلى رشدهم في فهم واستيعاب الأخوة الإسلامية .

ب - الحرية بمفهومها الإسلامي :

لا يستطيع الإنسان أن يكون حرًا إلا إذا كان عبد ا مخلصًا لله وحده. كما لا يستطيع التخلص من ممارسة الاستعباد إلا إذا كان عبد ا مخلصًا لله وحده. ولو كان فرعون عبد ا مخلصًا لله لما قال لقومه : «أنا ربكم الأعلى» ولما عبد بنو إسرائيل . والمسلمون لما أدركوا معنى الحرية بعبادتهم لله وحده تغيرت نظرتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نحو العلاقة بين السيد والعبد وقال لهم الرسول محمد ﷺ «إنهم مواليكم وإخوانكم فلا تستعبدوهم». وتسابق المسلمون في تحرير عبيد هم وعبيد غيرهم. وضيق الإسلام مصادر الرقيق وفرض التحرير في عدة حالات وخصص نصيبًا من زكاة المسلمين لتشجيع حركة تحرير العبيد ووعد الله كل من يحرر عبده بأجر عظيم في الآخرة. وقد أباح الإسلام زواج الأمة من سيدها. وبمجرد أن تلد الأمة من سيدها تصبح أم ولد وتكتسب الحرية بموت سيدها. وكان الرسول محمد ﷺ وصحبه المثل الأعلى في فهم معنى الحرية فأعتقوا عبيدهم وعبيد غيرهم بالشراء وانتفت كلمة عبد في المجتمع الإسلامي الجديد وحلت محلها كلمة مولى. وبمجرد أن يتحرر العبد في الإسلام يصبح كفؤًا للحر وينسب إلى أبيه لا إلى مولاه فهو أولى به وأكرم لإنسانيته. والرسول محمد ﷺ يضرب لنا المثل الأعلى فيزوج زيد بن حارثة الذي كان مولاه والمنسوب إليه على زينب ابنة جحش ابنة عمته. ويولي أسامة بن زيد قيادة أول جيش إسلامي يبعثه الرسول ﷺ خارج الجزيرة العربية وتحت إمرته كبار الصحابة وذلك لمواجهة جيش الإمبراطورية الرومانية. وكان ثوبان بن يحدد الحمومي الحضرمي قد اختطف في جبال السراة اليمنية فاشتراه الرسول ﷺ وأعتقه [1] وذهب لشأنه دون أن يرتهن لمعتقه بخدمة تسري عليه وعلى ذريته كما فعل بعض الحضرميين كما رأينا.

جـ - الوعي الإسلامي:

الجهل أساس التخلف والتعليم طريق الوعي وأرقى مراحل الوعي هو الوعي الإسلامي والذي يعبر عنه في الكتاب والسنة بالتقوى. وأهم ما يميز الدور الوثني المتعارف عليه بالعصر الجاهلي الأمية المتفشية لدى معظم العرب بمن فيهم اليمنيون والحضارمة. وقد استقطبت حركة الفتح الإسلامي في الدور التوحيدي أعدادًا كبيرة من ذوي الشجاعة والوجاهة والثقافة من أبناء حضرموت مما أحدث خلخلة سكانية لا في حضرموت وحدها بل في اليمن كله. وبالرغم من الأمية

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموروثة من الدور الوثني والخلخلة السكانية استجابة لنداء الجهاد في سبيل الله في الدور التوحيدي فإن الدور التوحيدي قد شهد في حضرموت حملة جهاد في سبيل التعليم والتفقه في الدين أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية. وكان الدعاة الأوائل من الصحابة وكذا الولاة هم الرواد في نشر التعاليم الإسلامية ونشر بذور الوعي الإسلامي في المجتمع الحضرمي. وظل التواصل قائمًا بين حضرموت ومركز الدولة الإسلامية سواء في المدينة المنورة في صدر الإسلام أو دمشق في عهد الدولة الأموية عبر هؤلاء الولاة أو نوابهم في صنعاء منذ ولاية زياد بن لبيد الأنصاري الصحابي الجليل إلى آخر ولاة بني أمية. وكل هؤلاء سنيون صحابة وتابعون وتابعو التابعين. والحضرميون خلال الدور التوحيدي لم ينغلقوا على أنفسهم بل سافروا واحتكوا بعلماء وفقهاء في عدن ولحج وأبين وتهامة والحجاز. وكان الحج بالنسبة لأهل حضرموت هو الوقت المناسب للقاء علماء الإسلام من العراق والشام ومصر والمقيمين أيضًا في مكة والمدينة. بل يمكن القول أن حضرموت خلال الدور التوحيدي قد سَلِمت من الأفكار الضالة والمبتدعة. واحتفظت بصفائها ونقائها الفكري القائم على الكتاب والسنة ولاسيما في المناطق الحضرية وأمهات المدن كتريم وشبام والشحر وغيرها. وإن ظلت المناطق النائية والصحراوية في جهلها وأميتها مما أضعف الوعي الإسلامي في هذه المناطق وأبقى بعض رواسب الفكر الوثني في سلوكها وأبهت الشعائر الدينية لديها ليس خلال الدور التوحيدي فحسب بل وخلال الأدوار اللاحقة أيضًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث الدور الإباضي

الحالة السياسية

١ - الخلفية السياسية للحركة الإباضية:

شكل الخوارج قوة معارضة لسلطة أهل السنة والجماعة منذ حادثة التحكيم، حين افترقوا على إثرها عن جيش الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه آخر الخلفاء الراشدين الذين بايعهم المسلمون من مهاجرين وأنصار في المدينة المنورة. وبالرغم من أن الرسول محمد ﷺ قد حذر من العصبية القبلية ودعا المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة. فقد أحيا بنو أمية ذلك التنافس القبلي بين البيتين الكبيرين في قريش هما البيت الهاشمي والبيت الأموي من أجل السيادة والزعامة. واستغلوا حادثة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. وامتنع الزعيم الأموي معاوية بن أبي سفيان المتحصن بالشام عن بيعة الخليفة الشرعي الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو رأس البيت الهاشمي مطالبًا إياه الاقتصاص من قتلة الخليفة عثمان أولاً.

وقد أدى الأمر إلى المواجهة في معركة صفين بين جيش الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب وجيش معاوية الزعيم الأموي الممتنع عن البيعة. وكاد النصر في معركة صفين أن يتحقق لجيش الشرعية الإسلامية لولا أن رفع جيش معاوية المصاحف مطالبين إيقاف الحرب والاحتكام إلى كتاب الله، محدثًا بذلك بلبلة في جيش الإمام علي.

هذا وقد أدرك الخليفة علي بن أبي طالب الخدعة ونادى في جيشه بالاستمرار في الحرب، ولكن بعض قادة جيشه مال إلى فكرة الاحتكام إلى القرآن الكريم، مما اضطر عليًا إلى إعلان إيقاف الحرب حرصًا على وحدة جيشه. كما اضطر أيضًا إلى اختيار الصحابي الكريم أبي موسى الأشعري ليمثله في لجنة التحكيم بالرغم من أنه كان يفضل أن يكون ممثله ابن عباس في لجنة التحكيم. في حين اختار معاوية عمرو بن العاص داهية العرب صاحب فكرة رفع المصاحف ممثلاً له في لجنة التحكيم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي اجتماع ضم عضوي لجنة التحكيم أقنع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري على أن يتفقا على خلع علي ومعاوية لإفساح المجال للمسلمين من الجانبين لاختيار خليفة جديد لهم. كما أقنعه بأن يبدأ هو في إعلان ما اتفقا عليه لكبر سنه وفضله عليه في الإسلام. وبروح الطيبة اليمنية وقف أبو موسى الأشعري ليعلن أمام المسلمين عزل علي ومعاوية لإفساح المجال لهم لاختيار خليفة يتفقون عليه. ثم وقف عمرو بن العاص وبروح الدهاء العربي أعلن للمسلمين تأكيده على عزل علي وتثبيت صاحبه معاوية. فصاح أبو موسى الأشعري في وجه عمرو قائلاً له: لقد كذبت وخدعت يا منافق ما على هذا اتفقنا. ونجحت الخدعة واضطرب جيش الإمام علي مما اضطره إلي الرحيل بجيشه إلى الكوفة. وفي الطريق إلى الكوفة انفصلت عن جيش الخليفة علي فرقة من المسلمين المقاتلين تقدر باثني عشر ألف مقاتل معظمهم من قبيلة تميم ونزلت حروراء وأعلنت رفضها التحكيم ونادت: لا حكم إلاّ لله. وكفّرت عليًا ومعاوية والحكمين. وسميت هذه الفرقة الخارجة عن جيش الشرعية الإسلامية بالحرورية أو المحكمة. ونصبت عبد الله بن وهب الراسبي من قبيلة الأزد إمامًا لها. فلاحقهم جيش الإمام علي وهزمهم في معركة النهروان سنة ٣٨هـ.

وأدرك الخوارج بعد هزيمتهم في النهروان ألاّ طاقة لهم بمهاجمة جيش علي ومعاوية فلجئوا إلى أسلوب الاغتيال وقرروا اغتيال من اعتقدوا أنهم سبب الفرقة الإسلامية وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وجندوا ثلاثة من رجالهم لتنفيذ المهمة في وقت واحد وهم: البرك لاغتيال معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن بكر التميمي لقتل عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن ملجم المرادي لاغتيال علي بن أبي طالب. فنجح عبد الرحمن بن ملجم المرادي في اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب وفشل الآخران في مهمتهما وكان أمر الله مقضيا.

بايع أهل العراق الحسن بن علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين سنة ٤٠هـ خلفًا لوالده. وتعزز في الوقت نفسه موقف معاوية بن أبي سفيان الذي اكتسب شرعية التحكيم في نظر أنصاره وأخذ الناس يتحولون إليه. في حين أنهكت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحرب والانشقاق جيش الشرعية الإسلامية. فنظر الحسن بن علي في الحال الذي وصل إليه المسلمون من الانقسام الخطير فتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان إنقاذًا لوحدة المسلمين وعاد بأهله إلى المدينة المنورة ليستقر فيها مجاورًا لجده محمد ﷺ الذي بشره بأن تعود اللحمة بين المسلمين على يده بعد أن يفترقوا.

أسس معاوية بن أبي سفيان الدولة الإسلامية الأموية سنة٤١ هـ وجعل من دمشق الشام عاصمة لها. وخاض الخوارج الذين تحولوا إلى عصابات حروبًا خاطفة ضد الخلافة الأموية التي التف حولها أهل السنة والجماعة. ونسج الخوارج الذين اتصفوا بالشجاعة والإقدام ملاحم بطولية اتسمت بالشدة والقسوة بين الطرفين. وفي البداية تمركز الخوارج في البصرة والكوفة ثم انتشروا إلى اليمامة وعمان واليمن. وبرز منهم أبطال أمثال قطري بن الفجاءة. وتفرغ لهم بالمقابل ولاة أمويون أشداء أمثال زياد بن أبيه وابنه عبد الله بن زياد. والمهلب بن أبي صفرة والحجاج بن يوسف الثقفي.

وعلى طول العهد الأموي شكل الخوارج القوى المعارضة المعلنة على السطح بينما شكل الهاشميون والمتشيعون لهم من الفرس قوى المعارضة السرية تحت الأرض إلى أن فاضت روح آخر ثورة مسلحة معلنة تنتمي إلى الخوارج بقيادة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي، وروح آخر خليفة أموي لتصعد على المسرح السياسي الحركة العلوية السرية وتدخل بجيوشها العراق لتعلن قيام الخلافة العباسية على أنقاض الخلافة الأموية عام ١٣٢هـ.

٢- قيام السلطة الإباضية:

تميز الخوارج بالانقسامات والتشظر والافتراق إلى فرق عدة أثناء حروبهم المتواصلة في العهد الأموي. واتسمت بعض هذه الفرق بالتشدد والمغالاة والتطرف في أفكارها ومواقفها في حين أخذت فرق أخرى منها بالاعتدال ونهج أهل السنة والجماعة. وأهم فرق المعتدلين من الخوارج هم الإباضية الذين سموا باسم عبد الله بن إباض التميمي. وكان من أهم قادة وأئمة الإباضية: جابر بن زيد الأزدي البصري، وأبو عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي وافق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيوخ الإباضية في البصرة على قيام الثورة الإباضية المسلحة ضد بني أمية. واختير عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي إمامًا للثورة الإباضية التي أعلنت من حضرموت ولقب بطالب الحق:

أ - الاستعداد للثورة:

كان الجو مهيئًا في اليمن كله لالتفاف اليمنيين حول الثورة الإباضية المسلحة التي أعلنها عبد الله بن يحيى الكندي من حضرموت نتيجة الظلم والقهر والمعاناة التي عامل الولاة الأمويون المتغطرسون بها اليمنيين والذين أثقلوا كاهل الشعب اليمني بالضرائب المضاعفة المأخوذة منهم من غير وجه حق. ونتيجة للمعاملة السيئة التي مارسها الخليفة الأموي مروان بن محمد ضد اليمنيين جميعًا في الدولة الإسلامية الأموية وتفضيل القيسية عليهم.

وجّه عبد الله بن يحيى الكندي رسالة إلى إمام الإباضية في البصرة أبي عبيدة بن مسلم وبقية شيوخ الإباضية فيها، يستشيرهم في إعلان الإمامة والخروج على بني أمية [1]. فجاء الردّ سريعًا بالتحرك في أقرب وقت ممكن قائلاً له: «**إن استطعت ألا تقيم يومًا واحدًا فافعل. فإنّ المبادرة بالعمل الصالح أفضل، لست تدري متى يأتي عليك أجلك. ولله خيرة في عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويخص بالشهادة منهم من يشاء**». كما أوصاه بالسيرة الحسنة والسلوك الطيب قائلاً له: «**إذا خرجتم فلا تغلوا، ولا تغدروا، واقتدوا بأسلافكم الصالحين، وسيروا سيرتهم. فقد علمتم أن الذي أخرجهم عن السلطان العيب لأعمالهم**».

أرسل أبو عبيدة وبقية مشايخ الإباضية بالبصرة الرجال والأموال والسلاح إلى حضرموت لمؤازرة عبد الله بن يحيى الكندي. وكان من أبرز الإباضية الذين جاؤوا إلى حضرموت من البصرة: بلج بن عقبة الأزدي وأبو حمزة المختار بن عوف الأزدي.

ب - انطلاق الثورة وتوسعها:

انطلقت الثورة الإباضية من حضرموت عام ١٢٩هـ بقيادة عبد الله بن يحيى

---

(١) **محمد محفوظ جويان**: اليمن والخوارج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكندي واستولى على حضرموت دون مقاومة تذكر من إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي نائب والي اليمن القاسم بن عمر الثقفي. فتم القبض على إبراهيم بن جبلة ثم أطلق سراحه لكسب عشيرته الكندية وللتعبير عن سماحة الثورة. وبعد سقوط حضرموت في أيدي الثوار الإباضيين كاتب عبد الله بن يحيى الكندي إباضية صنعاء يخبرهم بقدومه ويحثهم على الاستعداد واليقظة. واستخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه نحو صنعاء ومعه مستشاروه من القادة الإباضيين البصريين كأبي حمزة الإباضي. وفي أبين التقى الجيش الإباضي البالغ عدده نحو ألفي مقاتل بالجيش الأموي البالغ عدده نحو ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الوالي الأموي القاسم بن عمر الثقفي وانهزم الجيش الأموي وعاد قائده إلى صنعاء. فلحق به عبد الله بن يحيى الكندي وألحق به هزيمة أخرى اضطر بعدها القاسم بن عمر الثقفي إلى العودة إلى الشام مع بقية جيشه. ودخل الإمام الإباضي عبد الله بن يحيى الكندي صنعاء منتصرًا عام ١٢٩هـ. وفي صنعاء التف اليمنيون حول الثورة الإباضية. وعامل طالب الحق الناس معاملة حسنة ورفع المظالم وأجزل العطاء مما قد غنم وثبّت السلطة الإباضية في اليمن. وفي جامع صنعاء ألقى القائد المنتصر خطبته المشهورة التي أورد فيها سياسته وأفكاره الإباضية المعتدلة.

وفي موسم الحج من عام ١٢٩هـ وجّه طالب الحق قائده أبا حمزة المختار على رأس جيش إباضي إلى الحجاز وانضم إليه عبد الله بن الحصين مع رجاله في الحجاز والذي كان من دعاة الإباضية المتسترين في الحجاز. وفوجئ والي مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بظهور رجال أبي حمزة في عرفات بعمائمهم السوداء وعارضهم لكنه لم يفلح واستولى الجيش الإباضي على مكة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة من عام ١٢٩هـ دون قتال. وفي شهر صفر من عام ١٣٠هـ توجه أبو حمزة الإباضي إلى المدينة المنورة مستخلفًا على مكة إبراهيم بن الصباح الحميري، وتمكن من هزيمة الجيش الأموي ودخل المدينة المنورة منتصرًا. ومن على منبر رسول الله ﷺ وفي مسجده ألقى أبو حمزة خطبته المشهورة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي أقل من سنتين تأسست الإمامة الإباضية في اليمن والحجاز بعد دحر الأمويين منها. ومن صنعاء أخذ الإمام طالب الحق يدير ويثبت الحكم الإباضي يعاونه الولاة الإباضيون وهم:

١. أبو حمزة المختار الأزدي: في المدينة المنورة.

٢. أبرهة بن الصباح الحميري: في مكة المكرمة.

٣. عبد الله بن سعيد الحضرمي: في شبام بحضرموت [١].

٣ - انتكاسة الثورة وتلاشيها [٢]:

وبنفس السرعة التي اكتسحت بها الثورة الإباضية اليمن والحجاز تراجعت إلى حيث بدأت وتلاشت من المسرح السياسي بفضل الجهد الخاص الذي بذله الخليفة الأموي مروان بن محمد. فقد اعتمد على جيش قوي من رجال أشداء معظمهم من القيسيين دعامة الدولة الأموية الجدد وأعداء اليمنيين، متخذاً العصبية القبلية سبيلاً للصراع. وولى على هذا الجيش عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، وزوده بالمال والسلاح. وفي أول لقاء بين الجيش الأموي بقيادة عبد الملك بن عطية والجيش الإباضي بقيادة بلج بن عقبة الأزدي في وادي القرى عام ١٣٠هـ انهزم الجيش الإباضي وقتل بلج بن عقبة. فغادر أبو حمزة الإباضي ومن بقي من رجاله المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، فلحق بهم عبد الملك بن عطية واصطدم في معركة حاسمة مع الإباضية قتل فيها أبو حمزة الإباضي وأبرهة بن الصباح الحميري، والشيخ الإباضي أبو الحر علي بن الحصين.

كما تم قتل جميع الأسرى الإباضيين، ومن نجا من الإباضية هرب إلى صنعاء حيث يقيم الإمام عبد الله بن يحيى الكندي. لاحق عبد الملك بن محمد بن عطية القائد الأموي فلول الإباضية إلى اليمن فعارضه عبد الله بن يحيى الكندي بجيش إباضي بين صنعاء ومكة وأسفرت المعركة بينهما عن هزيمة نكراء للجيش الإباضي وقتل إمام الإباضية طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي ودخل القائد

(١)، (٢) محمد محفوظ جوبان: اليمن والخوارج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأموي عبد الملك بن عطية مدينة صنعاء ووجه ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد لملاحقة فلول الإباضية حيث التقى بهم وقتل العديد منهم وعلى رأسهم قائدهم يحيى بن عبد الله الحميري. وهرب من نجا بقيادة يحيى بن كرب الحميري إلى حضرموت.

وفي حضرموت اجتمعت الإباضية حول إمامهم الجديد عبد الله بن سعيد الحضرمي الذي التفت حوله قبائل من كندة، ونهد، وتميم، وهمدان وغيرهم. وذلك لمواجهة الجيش الأموي الزاحف نحوهم بقيادة عبد الملك بن عطية. وقد تجمعوا خارج شبام بعد أن خزنوا مؤنتهم في شبام، فعلم بذلك ابن عطية فأرسل من يقتحم شبام ليلاً ويستولي على مؤن الجيش الإباضي فيها.

وظل الجيش الإباضي يقاوم جيش ابن عطية نحو ٢٤يومًا مما اضطر ابن عطية إلى عقد الصلح وتلبية تعليمات الخليفة الأموي بالعودة إلى مكة وترأس موسم الحج عام ١٣١هـ غير أنه اغتيل في طريق عودته من قبل بعض رجال الإباضية. ولمّا علم عبد الرحمن بن يزيد بمقتل عمه ابن عطية أرسل جيشًا بقيادة شعيب البارقي الذي نكل بالإباضية رجالاً ونساءً وأطفالاً. وألحق الخراب والدمار بقراهم وتمكن من قتل إمامهم عبد الله بن سعيد الحضرمي عام ١٣٢هـ. وطويت الصفحة السياسية للإباضية كسلطة لا في حضرموت وحسب بل وفي اليمن كله بعد أن شمل نفوذها الحجاز أيضًا.

وبين سقوط الدولة الأموية ونهوض الدولة العباسية عاشت اليمن بما فيها حضرموت في فراغ سياسي مما دفع القبائل اليمنية في تهامة أو حضرموت إلى الانتفاضة والتمرد على الدولة العباسية الناشئة. فوجه إليهم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور جيشًا قويًا بقيادة معن بن زائدة الشيباني الذي اختبره في وقوفه معه أثناء الفتن التي قامت ضد العباسيين في العراق فرمى اليمنيين بيمني أقدر على القمع والبطش في خدمة الدولة العباسية المجرب. وحكم معن بن زائدة اليمن وحضرموت تسع سنوات ونكل بهم أيما تنكيل عبّر عما أصاب حضرموت في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عهده الشاعر مروان بن أبي حفصة من قصيدة يرثيه فيها فيقول [١]:

وطئت خدود الحضرميين وطأة لها هد ركن منهم فتضعضعا
فأقعوا على الأذناب أقماء معشر يرون لزوم السلم أبقى وأودعا
فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها لكفوا وما مدوا إلى الحرب أصبعا

وقد أخذ الحضارمة بثأرهم منه حين تتبعه محمد بن عمرو بن عبد الله الحضرمي إلى مقر عمله بسجستان فاغتاله في قصره عام ١٥١هـ.

الحالة الفكرية

١ـ معالم الفكر الإباضي:

أ - نشوء الإباضية:

بدأ الخوارج كفرقة منشقة عن جيش الخليفة علي بن أبي طالب محتجة على قبوله (مبدأ التحكيم) بالرغم من أنهم أول من وافق عليه. وكان انشقاقهم وإعلانهم (لا حكم إلاّ لله) بمثابة تأصيل لفكرة سياسية تقوم على أساس المساواة بين المسلمين في الحكم، وحق كل مسلم كفؤ في أن يكون إمامًا للمسلمين. فنسفوا بمبدأ المساواة في الحكم فكرة (الخلافة في قريش) وتوجهوا إلى اغتيال الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص حيث نجحوا في اغتيال الأول وفشلوا في اغتيال الآخرين. وكلهم من كبار الصحابة ومن قريش. في حين يغلب على الخوارج انتماؤهم إلى غير قريش من العرب. فهم بموقفهم هذا أرادوا تثبيت الحق لكل مسلم بولاية المسلمين. وخاضوا من أجل ذلك الحروب المهلكة التي هزموا فيها وضحوا من أجلها بأرواحهم وتحملوا التنكيل بهم عذابًا وسجنًا.

ومن خلال حروبهم ومواقفهم السياسية واحتكاكهم بأئمة المذاهب الإسلامية الأخرى في البصرة والكوفة أخذوا يبلورون أفكارهم وانقسموا إلى عدة فرق. غير أنه يمكننا تقسيمها إلى مجموعتين أساسيتين هما:

---

(١) بقلم: جعفر محمد السقاف: مجلة التراث العدد ٣ نوفمر ١٩٧٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١. المتطرفة: الخارجة عن أهل السنة والجماعة ومعلنة الحرب الضروس والخروج على سلطة الدولة الأموية التي دان لها المسلمون جميعًا خاصة بعد تنازل الحسن لمعاوية بن أبي سفيان.

٢. القعدة: وهم الذين جنحوا إلى السلم واتخذوا أسلوب التستر والتقية والتعايش مع أهل السنة والجماعة. ونقد الظلم ودعوة أهل السلطة إلى العدل والمساواة بين المسلمين. وأنكروا قتل المخالفين وسفك الدماء. وكان زعيم القعدة أبو بلال مرداس. ثم تولى الزعامة من بعده عمران بن حطان وهومن التابعين والمعاصرين لعبد الله بن الزبير. وكان خطيبًا وشاعرًا وقيل إنه كان إمامًا للفرقة الصفوية من مجموعة القعدة. حيث انقسمت مجموعة القعدة إلى فرقتين هما الصفوية والإباضية.

تولى جابر بن زيد الأزدي البصري زعامة الفرقة الإباضية. وكان قد ارتبط بمجموعة القعدة من الخوارج منذ وقت مبكر ووثق صلته بأبي بلال مرداس زعيم القعدة وتولى الزعامة بعد وفاته سنة ٦١هـ. وقد نسبت هذه الفرقة إلى عبد الله بن إباض التميمي لأنه كان المتكلم باسمها.

ب - **الفكر الإباضي:**

كان جابر بن زيد الأزدي وكنيته (أبو الشعشاء) ممن درس على يد عبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك. وكان الحسن البصري يوكل إليه الفتوى إذا ما غاب عن البصرة. وفي عهده توسع نشاط الحركة الإباضية الفكري فتوسعت بين الأزد سكان عمان ووصلت إلى حضرموت واليمن وكان لها أنصار في الحجاز. هذه الخلفية الصالحة للزعامة الإباضية بلورت مذهبًا إباضيًا كغيره من مذاهب أهل السنة والجماعة بعيدًا عن التطرف والغلو. ويمكن تلخيص أفكار ومواقف الإباضية في النقاط التالية:

(١) رفض آراء الخوارج المتطرفين والمغالين.

(٢) الدعوة إلى الشورى في الحكم.

(٣) عدم اعتبار مخالفيهم مشركين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤) اعتبار مخالفيهم كفار نعمة لا كفار ملة. ودعوهم بالمنافقين لأنهم في نظرهم لا يختلفون عن منافقي المدينة في عهد الرسول محمد ﷺ وقالوا إنهم مثلهم مخلدون في النار.

(٥) قبول شهادة مخالفيهم وتحريم دمائهم.

(٦) إقامة الحجة على مخالفيهم أولاً. وعند حربهم يحق للإباضية اغتنام السلاح والكراع، وما سوى ذلك حرام.

(٧) اعتبار دار مخالفيهم دار سلام بينما اعتبروا معسكر السلطان المخالف دار ظلم وبغي.

(٨) زواج وتوريث مخالفيهم حلال.

هذا وقد لخص علماء الإباضية المتأخرون فكر الإباضية في التوحيد وموقفهم من الصحابة وأهل البيت بالآتي:

لخص الإمام الإباضي محمدًا بن يوسف إطفيش فكر الإباضية في (التوحيد) بقوله: (إن من شهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعتقد أن ما جاء به محمد ﷺ من عند ربه هو الحق والإيمان بجملة الملائكة والرسل وجملة الكتب التي أنزلها على رسله، والإيمان بأن الموت حق وأن النار حق، والإيمان بالقضاء والقدر، من أقر بأن هذه الأمور التى كان يدعو إليها رسول الله ﷺ هي عقيدته فقد تم إيمانه فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس) [1]. ويتفق جمهور الإباضية على وجوب معرفة كل ما يتعلق بالعقيدة بواسطة الشرع لا بالعقل. فالعقل

عندهم ليس كافيًا لأن تقام به الحجة بين الناس. ومعرفة الله تقوم وتثبت بإرسال الرسل.

أما فيما يتعلق بموقف الإباضية من الصحابة وأهل بيت رسول الله ﷺ. يقول أبو الربيع سليمان الجيلاتي الإباضي [2]: (وأما الإنكار على بعض الصحابة

---

(١) صابر طعيمة: الإباضية: عقيدة ومذهبًا.
(٢) علي يحى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نكذب وفرية علينا. وها هي كيفية صلاتنا على النبي ﷺ: [اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وأصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين وذريته وآل بيته أجمعين. كما صليت على سيدنا إبراهيم في العالمين. إنك حميد مجيد]) [1]. هذا ويشهد العصر الحديث في ظل سلطة وطنية واحدة تعايش أهل السنة والجماعة مع الإباضية في سلطنة عمان المجاورة لحدود اليمن الشرقية. وتعايش أهل السنة والجماعة مع الزيدية في يمننا الحبيب نفسه فلا غلو في المذهب الإباضي كما لا غلو في المذهب الزيدي مقارنة بمواقف النواصب والروافض المبتدعين المتطرفين في عهود إسلامية قد مضت.

جـ - نموذجان من الفكر الإباضي الذي ساد حضرموت:

قامت في حضرموت سلطة إباضية خلال الفترة (١٢٩- ١٣٢هـ) وساد خلالها الفكر الإباضي ويمكننا التعرف على هذا الفكر من خلال خطبتين مشهورتين. ألقى الأولى منهما إمام الإباضية طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي في جامع صنعاء، وألقى الثانية أبو حمزة المختار الأزدي الإباضي في مسجد النبي محمد ﷺ ومن على منبره عليه أفضل الصلاة والتسليم:

١) خطبة الإمام عبد الله بن يحيى الكندي:

عندما دخل الإمام عبد الله بن يحيى الكندي إمام الإباضية صنعاء منتصرًا ألقى من على منبر جامع صنعاء خطبة قال فيها بعد أن حمد الله عزّ وجلّ وصلى وسلم على نبيه محمد ﷺ: (إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما. الإسلام ديننا ومحمد نبينا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا. رضينا بالحلال حلالاً، لا نبغي به بديلاً، ولا نشري به ثمنًا قليلاً. وحرمنا الحرام، ونبذناه وراء ظهورنا. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. وإلى الله المشتكى، وعليه المعول، من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر. ندعوكم إلى فرائض بينات وآيات محكمات، وآثار مقتدى بها. ونشهد أنّ الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم. وندعو إلى توحيد الرب، واليقين بالوعد

(١) السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والوعيد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله. أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى، يُقتلون على الحق في سالف الدهور شهداء، فما نسيهم ربهم وما كان ربك نسيا. أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به. فابلوا الله بلاء حسنًا في أمره، وذكره أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم) [١].

٢) خطبة ابي حمزة المختار الأزدي الإباضي [٢]:

بعد الهزيمة الشنيعة التي منى بها الجيش الأموي أمام الجيش الإباضي في (قديد) دخل أبو حمزة قائد الجيش الإباضي المدينة المنورة منتصرا في ١٣ صفر عام ١٣٠ هـ بدون قتال. ودخل مسجد رسول الله ﷺ وصعد منبره وألقى خطبته التي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه مخاطبًا أهل المدينة: (تعلمون يا أهل المدينة إنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا، ولا عبثًا ولا لهوًا، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأرٍ قديمٍ نيل منا. ولكن لمّا رأينا مصابيح الحق قد عطلت، وعنِّف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط. ضاقت علينا الأرض بما رحبت. وسمعنا داعيًا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله، ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض. فأقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم، يتعارون لحافًا واحدًا، قليلون مستضعفون في الأرض. فآوانا الله وأيدنا بنصره. وأصبحنا والله بنعمته إخوانًا، ثم لقينا رجالكم (بقديد) فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان. فشتان لعمر الله بين الغي والرشد. ثم أقبلوا يهرعون ويزفون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم ظنه. وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل

---

(١) علي يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية.
(٢) محمد محفوظ جوبان: اليمن والخوارج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مهند ذي رونق. فدارت رحانا، واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون. وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، ويشف صدور قوم مؤمنين. يا أهل المدينة إنّ أولكم خير أول، وآخركم شر آخر. يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم. إلاّ عابد وثن أو كافرًا من أهل الكتاب، أو إمامًا جائرًا.

يا أهل المدينة من زعم أن الله كلف نفسًا فوق طاقتها، أو سألها عما لم يؤتها، فهو لله عدو ولنا حرب. يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد فأخذها جميعها لنفسه مكابرًا محاربًا لربه. ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله؟ يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم هم شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا أحداثًا. شباب والله مكتهلون في شبابهم، عفيفة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا أنفسًا تموت غدًا بأنفس لا تموت أبدًا. قد خلطوا كلالهم بكلالهم، وقيام ليلهم بصيام نهارهم، محنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفًا من النار، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقًا إلى الجنة.؟ فلما نظروا إلى السيوف قد انتصبت، وإلى الرماح قد أشرعت، وإلى السهام قد فوقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله، ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة.

فطوبى لهم، وحسن مآب. فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من يد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعًا وساجدًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

يتضح لنا أن خطبة إمام الإباضية عبد الله بن يحيى الكندي قد ركزت على أسس الفكر الإباضي في جانب العقيدة والشريعة ودعت الأمة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهما المصدران الرئيسان في العقيدة والشريعة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- في جانب العقيدة:

دعت الخطبة إلى الاعتقاد بالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا. ودعت إلى توحيد الله والاعتماد عليه وحده واللجوء إليه وحده في الشدة والمحن. ودعت إلى تقوى الله وإلى الإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار. ودعت إلى الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى صادق فيما وعد وعدل فيما حكم.

- في جانب الشريعة:

دعت الخطبة إلى الأخذ بالحلال ونبذ المحرمات. وإلى أداء الفرائض والاقتداء بآثار السلف الصالح المهديين. ونهت عن السرقة والزنا وشرب الخمر واعتبرت مرتكبها كافر نعمة وجب عليه الحد.

- في جانب الدعوة:

دعت الخطبة إلى الاستجابة لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية. وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى هداية المضلين، والجهاد في سبيل الله والصبر على المكاره وحسن الأداء والبلاء الحسن. فيما أوكل الله المسلمين القيام به.

أما خطبة أبي حمزة المختار الأزدي الإباضي وهو القائد العسكري والذراع الأيمن لإمام الإباضية الثائر، فقد ركزت على أهداف الثورة الإباضية وأسباب قيامها ضد بني أمية. وقد اتسمت الخطبة بالعمق في المعاني وبالصور البلاغية في التعبير. إنها قطعة أدبية رائعة مؤثرة ومعبرة عن وضع استشرى فيه الفساد وطموح في استئصال هذا الفساد بشباب زاهد في الدنيا طامع في الآخرة. وهذه هي أهم النقاط التي تطرق إليها الداعية الإباضي في خطبته:

أسباب قيام الثورة الإباضية:

حدد أبو حمزة الإباضي في خطبته بوضوح أن الهدف من قيام الثورة الإباضية وانطلاقها من أقاصي اليمن هو القضاء على الدولة الأموية، دولة الظلم والفساد واختراق الحرمات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووجه أبو حمزة عدة تهم لدولة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية من أهمها:

(أ) الجور العام، وتعطيل حدود الله، وضياع حقوق الناس.

(ب) اضطهاد الداعين إلى الحق والقائمين بالعدل.

(ج) أكل أموال الصدقة والفيء وصرفها إلى من لا يستحقها.

موقف اهل المدينة من الثورة والسلطة الأموية:

اتهم أبو حمزة أهل المدينة وهم أحفاد المهاجرين والأنصار:

(أ) أنهم قد أترفوا وترفهوا في نعيم الغنائم والتجارة. ووالوا بني أمية ورجال السلطة في الشام ولم يقفوا مع الثورة الإباضية للقضاء على الدولة الأموية التي ظلمت المسلمين جميعًا وحكمت بغير ما أنزل الله فقال عنهم: (دعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان).

(ب) أنهم شر خلف لخير سلف.

(ج) أنهم ينقصون من قدر رجاله بقولهم: إنهم شباب أحداث وأعراب جفاة.

وأخيرًا ينذر أبو حمزة أهل المدينة لموقفهم السلبي من الثورة الإباضية بالعذاب المحقق من الله سبحانه وتعالى أو بأيدي رجال الثورة.

- تقييم رجال الثورة:

وصف أبو حمزة الإباضي رجاله بأنهم رجال الله وقال عنهم:

(أ) لقد خرجوا من ديارهم وأموالهم لإحقاق الحق وإقامة العدل ورفع الظلم عن كاهل المسلمين. استجابة لدعوة تدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن. ولم يخرجوا قط بطرًا أو عبثًا، ولا لثار قديم أو لعصبية، ولا لملك يحكمون به رقاب الناس.

(ب) أنهم يؤمنون بالمساواة بين الناس إلاّ عابد وثن، أو كافرًا من أهل الكتاب، أو إمامًا جائرًا.

(ج) أنهم لا يمثلون فئة معينة أو جهة معينة. بل هم من قبائل شتى، أخوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متحابون في الله، من خيرة المسلمين عبادة وتقوى وخشوعًا لله. يقومون الليل ويصومون النهار. تخشع قلوبهم وتطمئن نفوسهم بذكر الله. وتهتز مشاعرهم عند تلاوة القرآن. إنهم أبطال شجعان يخشون الله ويستخفون بالموت، فعجنلوا في المعارك حتى أكلت السبع والطير الجوارح من أشلائهم.

د - مصير الإباضية والفكر الإباضي في حضرموت:

عرفت اليمن وحضرموت دعاة الخوارج بفرقها المتطرفة والمعتدلة منذ وقت مبكر. فبعد أن رفع الخوارج يدهم عن حركة عبد الله بن الزبير وثورته ضد بني أمية سنة ٦٤هـ، اتجهت فرقة منهم عرفت بالنجدات على رأسها زعيمها نجدة بن عامر إلى اليمامة. ومن اليمامة أرسل نجدة جيشًا إلى عمان بقيادة عطية بن الأسود الحنفي، غير أنه قتل وفشلت حركته في عمان. ثم تحرك نجدة نفسه إلى صنعاء. ومن صنعاء أرسل نجدة أبا فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة إلى حضرموت لأخذ الصدقة من أهلها [1]. مما يدل على امتداد نفوذ الخوارج إلى حضرموت في ذلك الوقت المبكر. وفي الواقع أنه كانت عدة مناطق في شبه الجزيرة العربية كاليمامة، والبحرين، وعمان، واليمن، والحجاز خاصة مكة ملغمة بأفكار الخوارج. وخاصة بين السكان من أصل يمني. وكانت هذه الخلايا السرية على اتصال بدعاة وشيوخ الخوارج. ففي البصرة والكوفة خاصة قيادة وشيوخ الخوارج القعدة الذين نهجوا أسلوب التقية ليسيلموا من بطش بني أمية، إلى أن أعلنوا ظهور الإمامة الإباضية من حضرموت في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي الملقب بطالب الحق كما سبق أن أشرنا إلى هذا.

تعرف عبد الله بن يحيى الكندي على أبي حمزة الإباضي في مكة المكرمة وكان يعمل سرًا لتجنيد الناقمين على بني أمية في الحركة الإباضية السرية مستغلاً مواسم الحج حيث يأتي الناس من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ومن نعمة الله على العالم الإسلامي أن تظل مكة المكان الملائم ويظل موسم الحج

---

(١) محمد محفوظ جويان: اليمن والخوارج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوقت المناسب لتلاقي المسلمين إلى يوم الدين. لقد أحس عبد الله بن يحيى أن ما يدعو إليه أبو حمزة الإباضي من أفكار العدل والمساواة والتمرد على الظلم والفساد الأموي قد لاقى قبولاً في نفسه وهو القائل: رأيت في اليمن جورًا ظاهرًا ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه. ولما توطدت العلاقة بين الرجلين دعا عبد الله أبا حمزة أن يجيء إلى حضرموت قائلاً له: إنني رجل مطاع بين قومي.

كان أبو حمزة الإباضي الوسيط والمنسق بين عبد الله بن يحيى في حضرموت وشيوخ الإباضية في البصرة. وبتنسيق بين الإباضية في البصرة واليمن أخذت الدعوة الإباضية تكسب لها أنصارًا في حضرموت واليمن منذ عام ١٢٨هـ. حتى تهيأت الظروف لإعلان الإمامة الإباضية، حين أعطيت الإشارة من البصرة بمبايعة عبد الله بن يحيى الكندي إمامًا للحركة الإباضية في اليمن التي انطلقت من حضرموت واكتسحت اليمن والحجاز وأنهت الحكم الأموي فيهما في عام واحد. ولكن سرعان ما انتكست وتراجعت واجتثت كسلطة من أصولها ومن آخر معاقلها في شبام بحضرموت عام ١٣٢هـ.

هذا وإذا تم القضاء على الإباضية كدولة ونظام سياسي فإنه ليس من السهل بمكان محو الفكر الإباضي من معتقد الناس بنفس السهولة وبنفس السرعة والزمن. ولاسيما إن هذا الفكر يحمل قيمًا إنسانيةٍ من عدل ومساواة وعقائد توحيدية أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية. وبمرور الزمن تلاشى الفكر الإباضي في حضرموت واليمن وترسخ فكر أهل السنة والجماعة لاسيما أن للفكرين منهلاً واحدًا. وبانتشار الفقه الشافعي في تهامة اليمن امتد إلى حضرموت بجهد فقهاء يمنيين وحضرميين وبانتشار العقيدة الأشعرية التي أتت مع الحكم الأيوبي في تهامة اليمن امتدت أيضًا إلى حضرموت العقيدة الأشعرية على امتداد الحكم الأيوبي في اليمن الذي وصل إلى حضرموت أيضًا. وعندما دخل إلى حضرموت فكر إمامي شيعي مع الوافد المهاجر أحمد بن عيسى سنة ٣١٨ هـ لم يقبله قبولاً سريعًا الحضرميون وظل منعزلاً ومنغلقًا مائتي سنة حتى دخل علي خالع قسم على رأس العلويين مدينة العلماء والفقهاء من أهل السنة والجماعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تريم عام ٥٢١هـ حين قبل الطرفان عقيدة الأشاعرة ومذهب الإمام الشافعي والاعتراف بنسب العلويين إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو أساس التشيع لأهل البيت وحبهم كما يراه العلويون الحضرميون.

٢ - الإباضية في الفكر العلوي الحضرمي:

تبنى بعض المفكرين العلويين من الحضارمة فكرًا شيعيًا ووصفوا الإمام المهاجر أحمد بن عيسى جد العلويين الحضارمة بأنه إمامي. وأخذوا يفسرون المواقف والأحداث التاريخية من منطلق معتقداتهم الشيعية. وأصبحت كلمة (ناصبي، أو خارجي، أو إباضي) تهمة تنصب على كل من لا تروق لهم أفكاره أو مواقفه. كتهمة (الشيوعي) التي كان يطلقها على قوى التحرر الوطني في الدول النامية المستعمرون وعملاؤهم وأذنابهم من الحكام المحليين. فقد اتهم المغالون في تشيعهم المتنورين الحضارمة في حضرموت وفي إندونيسيا بأنهم نواصب وكلاب النار [١] لا لشئ ارتكبوه إلاّ أنهم نادوا بالمساواة بين جميع الحضارمة وجميع المسلمين. والمساواة في الفكر الشيعي دعوة شعوبية لا تعترف بفضل قريش على العرب ولا بفضل أهل البيت على الناس كافة: والمساواة مبدأ متأصل في الفكر الإباضي كما رأينا. ولا أعتقد أن القائد والوالي الأيوبي عثمان الزنجيلي الذي أنهى التمردات الحضرمية واعتقل سلاطين آل راشد وقتل علماء تريم الإجلاء كان (خارجيًا) أو متواطئًا مع خوارج [٢]. بل كان مكلفًا بإعادة حضرموت لسلطة الدولة الأيوبية السنية [٣] بصرف النظر عن الجرائم أو الأخطاء التي اقترفها هذا القائد الأيوبي. إنها عقدة الفكر العلوي في حضرموت لا أكثر ولا أقل.

يبني المفكرون العلويون الحضرميون من مؤرخين وشعراء وعلماء وباحثين هجومهم على المذهب الإباضي والإباضيين في حضرموت على خلفية الفكر الشيعي ومنطلقاته التاريخية الذي ينطلق بأن الإباضية خوارج والخوارج هم الذين

---

(١) علوي بن طاهر الحداد: القول الفصل.
(٢)، (٣) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انشقوا وخرجوا عن الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - بل واغتالوه. ونادوا بالمساواة ونسفوا مبدأ (الخلافة في قريش والإمامة في أهل البيت). وقد وظف المفكرون الحضرميون ذوو النزعة الشيعية مواقف الخوارج الغلاة من تمردات وحروب ضد الدولة الأموية لاتهام إباضية حضرموت بكل النكبات الخارجية والداخلية التي حلت بحضرموت. ونقبوا في أسفار التاريخ عن تلك العبارات العابرة والمبتورة للتدليل على أن الإباضية في حضرموت شرٌ ووبال عليها. بل هي قرين التخلف والتوحش فيها. وذلك للتوصل إلى القول بدور المنقذ من الضلال والخراب لحضرموت الذي قام به الإمام المهاجر وأبناؤه. وفي الواقع كان قدوم المهاجر إلى حضرموت سنة ٣١٨هـ بعد سقوط السلطة الإباضية في حضرموت وكان المهاجر منذ وصوله حضرموت وأبناؤه وأحفاده من بعده يطمحون في الزعامة السياسية والفكرية في حضرموت وكان تركيزهم من أجل ذلك على النسبة لأهل البيت لأن المال والعلم وحدهما لا يكفيان لتحقيق هذا الطموح. وقد فسر المفكرون العلويون عدم تحقيق هذا الطموح خلال مائتي سنة بالصراع المرير بين الفكر الإباضي الضال المهيمن على حضرموت وفكر المهاجر الإمامي المنقذ. وفسر الدكتور سرجنت [1] هذا الصراع بأنه تنافس على الزعامة الدينية في حضرموت بين العلماء والفقهاء والسادة العلويين حتى تمكن السادة من انتزاعها من المشائخ. ولا أظن أن هؤلاء المشايخ كانوا علماء إباضيين بل هم علماء سنيون أساسًا. ويمدد المؤرخون العلويون هذا الصراع الإباضي العلوي كما يصورونه إلى عام ٥٩١هـ. ويقولون: إنه صراع بين النحلة الإباضية الضالة والمستحكمة في حضرموت والعقيدة الإسلامية السمحاء التي حملها المهاجر وأبناؤه إلى حضرموت. وسموا مكانًا دينيًا هو مسجد (الخوقة) ومدينة تاريخية هي شبام عاصمة الإمامة الإباضية في حضرموت سابقًا لإنهاء هذا الصراع بمجرد تحويل إمامة مسجد الخوقة من شيخ إباضي إلى شيخ سني من آل باعباد عام ٥٩١هـ [2].

(١) سارجنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان.
(٢) محمد أحمد الشاطري وآخرون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يصور المؤرخون والباحثون العلويون الحضارمة في مؤلفاتهم التاريخية والفكرية والدينية أوضاع حضرموت قبل قدوم المهاجر أحمد بن عيسى إليها بالآتي:

(١) الخواء السكاني:

تعرضت حضرموت لهجرات خارجية أكبرها تلك التي حدثت تلبية لنداء الجهاد المقدس أثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين. ففرغت حضرموت من القوى الفاعلة النشيطة في المجتمع من الشباب ورؤساء العشائر وشيوخ القبائل وملوكها. فهي هجرة جماعية شاملة للرجال والنساء والأطفال. استقرت هذه المجموعات الحضرمية في العراق والشام ومصر وبلاد فارس وشمال إفريقيا حيث الأرض الخصبة وغنائم الفيء. وقد تبوأ العديد منهم مراكز هامة عسكرية وسياسية وعلمية في الدولة الإسلامية الناشئة. وقد نشأ عن هذه الهجرة الواسعة فراغ وخواء سكاني في حضرموت.

(٢) الإبادة الجماعية:

تعرض سكان حضرموت لسلسلة من الإبادة الجماعية نتيجة معارضتهم لسلطة النظام الإسلامي المركزي. كانت أولاها حرب الردة التي قادها الأشعث بن قيس الكندي عام ١١هـ ثم الثورة الإباضية التي قادها عبد الله بن يحيى الكندي عام ١٢٩هـ.

وكانت أقساها وأذلها حملة معن بن زائدة الشيباني عام ١٤٠هـ. فكانت الأولى في مستهل عهد الخلفاء الراشدين وكانت الثانية في أواخر عهد الدولة الأموية وكانت الثالثة في أوائل الدولة العباسية.

(٣) الحرمان:

عاش أهل حضرموت حياة الحرمان والفقر فلم تهتم بهم السلطة المركزية منذ أن انتقلت إلى دمشق ثم بغداد. فلم تقسم لهم في الغنائم التي تدفقت على الدولة الإسلامية أثناء الفتوحات الإسلامية للجوئهم إلى التمرد والفتن. فكان عقابهم الحرمان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤) العزلة:

بعد حضرموت عن مراكز النهضة الفكرية والازدهار الاقتصادي والعمران الذي شهدته الدولة الإسلامية الناهضة قد تسبب في عزلتها وتخلفها. فعاشت حضرموت حياة جهل وفاقة وبداوة مما أدى إلى تخلفها حضاريًا في فترة هي خير القرون في الإسلام وهي القرون الثلاثة الأولى التي بدأت ببعثة النبي محمد ﷺ.

نحلة الإباضية:

اعتناق أهل حضرموت لفكر الإباضية الذي انتحلوه عقيدة لهم كان السبب في عقم تفكيرهم وضلالهم. لأن الفكر الإباضي فكر عقيم وضال ومتعصب ومعاد لأهل السنة والجماعة.

واستشهد هؤلاء المؤرخون والباحثون في وصفهم لحالة حضرموت قبل وصول المهاجر أحمد بن عيسى إليها بأقوال مؤرخين مشهورين نقتطف منها ما يلي:

- الهمداني: - وصف هذا المؤرخ والجغرافي اليمني المتوفى عام ٣٣٤هـ المهرة بحضرموت بأنهم عبدة نجوم فقال: (إنهم كانوا محبين لعلم النجوم، بعظمون الشمس خاصة بين جميع النجوم ويسجدون لها).

- البشاري: - ذكر في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الذي ألفه عام ٣٧٥هـ كلامًا قال فيه: «وأهل الأحقاف نواصب غتم» كما قال: «وحضرموت هي نصبة الأحقاف موضوعة في الرمال نائية عن الساحل، أهلها لهم في العلم والخير رغبة، إلا أنهم شراة شديدة سمرتهم).

- المسعودي: - ذكر هذا في كتابه (مروج الذهب) عن فقر أهل الشحر فقال: (أهل الشحر من ساحل حضرموت ذوو فقر وفاقة).

- ابن خلدون: - نقل ابن خلدون عن ابن حوقل كلامه عن الشحر فقال: (وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاعة. وهم كالوحوش في تلك الرمال ودينهم الخارجية على رأي الإباضية منهم).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الحافظ السخاوي: - ذكر هذا المؤرخ اسم حضرموت ضمن بلدان وصفها بالتخلف فقال: (فالأقاليم التي لا حديث بها يروى ولا عرفت بذلك: الصين. . . . والهند. . . . وبلاد التكرور، والحبشة، والنوبة والزنج، والسودان، وحضرموت والبحرين. .) من هذه الأقوال التي لنا فيها رأي موضوعي وتوضيح سنأتي إليه:

يخرج المفكرون العلويون بتقريرهم عن حالة حضرموت عند وصول الإمام المهاجر إليها فها هو الأستاذ المؤرخ والبحاثة المدقق عبد الله بن حسن بلفقيه [1] يقرر بأن حضرموت قد ضرب حولها ستار وحاجز يحول بينها وبين النهضة العلمية. ويستطرد مستشهدًا بأقوال الحافظ السخاوي وابن حوقل السابق ذكرهما قائلاً: (شذت حضرموت المتأخرة ثقافيًا والمنزوية والمستقلة بالإباضية التي استقرت وانفصلت بها مذهبيًا عن سائر بلاد اليمن حتى إنه لم يشملها ما يوجد من هذه النهضة العلمية التي عمت البلاد العربية والتي شملت بلاد اليمن الأخرى). ويقول أيضًا: (إنه خلال الفترة من استقرار المهاجر أحمد بن عيسى في الحسيسة وحتى دخول العلويين تريم وهي نحو قرنين من الزمن لم يظفر على أحد من علماء حضرموت بالرغم من الجهد الكبير الذي بذله في البحث والتنقيب. وأن من وجدهم ثلاثة هم حسب التسلسل التاريخي لوجودهم:

(١) محمد أبو المكارم الجد الجامع لآل الخطيب.

(٢) يحيى عبد العظيم الحاتمي. وهو أقدم عالم معروف من آل حاتم. كما أنه تلميذ علوي بن محمد بن علوي بن عبيد اللاه بن أحمد بن عيسى المتوفى سنة ٤٥٠هـ. [علوي هذا هو صاحب بيت جبير ويقال إنه توفى عام ٥١٢هـ].

(٣) أحمد بن محمد الحاسب. وقد نوه بذكره المؤرخ عمارة اليمني ويقال إنه لقيه في عدن سنة ٥٣٩هـ.

---

(١) راجع: عبد الله بن حسن بلفقيه:
أ- الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت.
ب- استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات. لسعيد عوض باوزير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا ويرد الأستاذ البحاثة عبد الله بن حسن بلفقيه على الأستاذ الأديب والمؤرخ الشيخ سعيد عوض باوزير بأنه لا يوجد أساسًا علماء في العربية والدين، ولا حركة ثقافية في الفكر الإباضي، بين ظهورهم في حضرموت وقدوم المهاجر أحمد بن عيسى إليها. وتعتبر تلك الفترة من مجاهل التاريخ الحضرمي، لأن تدوين التاريخ الحضرمي بدأ في القرن السادس الهجري أي بعد (٤٠٠) سنة من ظهور الإباضية في حضرموت. حتى إن أخبار علماء بني جديد وبني بصري ابني عبيد اللاه بن المهاجر أحمد بن عيسى قد ضاعت هي الأخرى كما ذكر ذلك علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (٨١٨ - ٨٩٥هـ) في كتابه (البرقة المشبقة). مما دعا البعض إلى القول متوهمًا بأن أهل السنة من بعد المهاجر أحمد بن عيسى قد تعمدوا عدم ذكر علماء الإباضية وتجنبوا نقلها لعدم أهميتها لهم. ويتابع الأستاذ بلفقيه كلامه: وفي الواقع نجد أن مؤرخي اليمن وحضرموت من أمثال: أبي سمرة، والجندي، واليافعي، وابن حسان، بما فيهم مؤرخو القرنين التاسع والعاشر الهجري من مثل: الخطيب صاحب الجوهر الشفاف، والسقاف صاحب البرقة، وباخرمة صاحب قلادة النحر، والخرد صاحب الغرر، والعيدروس صاحب النور السافر لم يذكروا ولا واحدًا من علماء العربية والدين في الفترة المشار إليها آنفًا. ثم يقول الباحث بلفقيه في استدراكاته ردًّا على باوزير: إنّ وجود دولة مستقلة في الفترة بين أوائل وأواخر القرن الخامس الهجري مسألة غامضة، بل إن الواقع يؤيد غير ذلك. لأن حضرموت خلال هذه الفترة تابعة لحكام اليمن وعدن من زياديين وصليحيين وبني معن.

أما المؤرخ العلوي الحضرمي الأستاذ صالح بن علي الحامد فيقول [1]: عن ضربات الإبادة التي تعرضت لها حضرموت: إنه نتيجة لتعرض حضرموت لضربات إبادة كتلك التي تعرضت لها خلال فترات زمنية، كإبادة يوم النجير في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، وإبادة ابن عطية السعدي وشعيب البارقي في عهد مروان بن محمد الأموي، وإبادة معن بن زائدة الشيباني في عهد أبي جعفر

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنصور. فقد أهمل شأنها (أي حضرموت) وهجرها أهلها وظلت تعيش حياة عزلة وتخلف وبداوة وجهل وظلام. بلغت مداها في أواسط العصر العباسي. ولم يذكر لنا التاريخ فيها قبل وصول المهاجر إلى حضرموت ولا واحدًا من نبهاء وأعيان حضرموت. مما ينبئ أن لا حظ لحضرموت من النور والعلم. وإنها صارت بلاد بداوة. ولم تفق حضرموت من إثر الصدمات التي حلت بها ولم تسر في أهلها روح اليقظة وترى بصيصًا من النور إلاّ في عهد الزياديين عندما جرى فيها دم طارئ (يقصد العلويين) بعث فيها الحياة من جديد، رفع بها إلى ميادين العلم والنور. وباستيلاء دولة الصليحيين على حضرموت وهي دولة شيعية إمامية تدعو للفاطميين في مصر، تم القضاء على شوكة فرقة الإباضية. وخفت صوت أرباب هذه النحلة في حضرموت. وانبرت الألسن تلهج بذكر أهل البيت والتنويه بفضلهم والدعوة لحبهم وتأييدهم ومناهضة أعدائهم. وابتدأ ركن العلويين يزداد قوة إلى قوة ومنعة إلى منعة في هذا الوادي. وطأطأت الإباضية رأسها في سبيلها إلى التلاشي والانقراض) [1].

ولكيلا ينقض هذا الغزل والحبك التاريخي لحالة حضرموت من جمود إلى نهضة ومن شوكة للإباضية ثم تلاش وانقراض فقد شكك الأستاذ صالح علي الحامد صاحب هذا الحبك في حقيقة ظهور دولة للإباضية في شبام بإمارة الشاعر إبراهيم بن قيس الحضرمي الإباضي في الفترة (٤٠٧ - ٤٢٥هـ) وهي فترة الخليل بن شاذان الخروصي في عمان، كما جاء ذلك في كتاب (تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان) لمؤلفه العماني ابن حميد.

وقد ذهب عميد المؤرخين العلويين في حضرموت العلامة علوي بن طاهر الحداد إلى أبعد مما قاله زميلاه عبد الله بن حسن بلفقيه وصالح علي الحامد عن

---

(١) راجع لعلوي بن طاهر الحداد:
أ- عقود الألماس في مناقب أحمد بن حسن العطاس.
ب- جنى الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ.
جـ- القول الفصل.
د- الشامل في تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن تكون للإباضية إمارة في شبام برئاسة إبراهيم بن قيس الحضرمي الإباضي فقد أنكر شخصية إبراهيم الإباضي هذا ودولته في شبام وقال: إنها حكاية مختلقة كحكايات ألف ليلة وليلة. وإن إباضية زنجبار العمانيين هم الذين نظموا الأشعار على لسان هذه الشخصية الحضرمية المخترعة. هذا وقد اعتبر العلامة علوي بن طاهر الحداد ظهور الإباضية في حضرموت قد سبب العقم وقلة الخبرة لدى الحضارمة أكثر من قرنين من القرون الثلاثة التي هي خير القرون كما وصفها الرسول ﷺ. ويتهم عميد المؤرخين الحضارمة ومفتي جهور الأستاذ علوي بن طاهر الحداد إباضية حضرموت بأنهم خوارج ومؤججو فتن يشعلونها كلما طفئت. وأنهم قد حرموا حضرموت من الفيء والثروة والتجارة. فهم أصل مصائب وأصحاب شيطنة. فالأشعث بن قيس الكندي ارتد وقبيلته بسبب بكرة لرجل اسمه شيطان. وطالب الحق الخارجي هو من قبيلة شيطان!!

و(الخارجية) في نظر علوي بن طاهر الحداد هي المناداة بالمساواة. فهي (أي الخارجية) مستمرة في الحضارمة تبرز من حين لآخر وتظهر في مواقفهم تجاه العلويين وعدم التشيع لهم بمظاهر المحبة والتقدير والتفخيم. وعدم الاعتراف بفضلهم، وهو فضل ذاتي وخاص بهم. فهو يقول عن أهل دوعن: (على أن نحلة الخوارج عادت إلى الظهور في بلدة (الدوفة) وغيرها من بلدان الوادي الأيسر جاؤوا بها من جاوا).

وأن الرسول ﷺ يقول فيهم (أي في الخوارج): «إنهم لا يزالون يخرجون في الأمة قرنًا بعد قرن، كلما خرج قرن منهم قطع أي دمر من أصله، وأهلك. وأهل العلم في جاوا وحضرموت يتخوفون أن يكون هؤلاء الخوارج الذين ظهروا في جاوا وحضرموت [1] هم قرن الخوارج الأخير».

أما الأستاذ الأديب والمؤرخ محمد أحمد الشاطري [2] فيقر بوجود الشخصية الحضرمية الإباضية أبي إسحاق إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي

(١) خوارج جاوا وحضرموت: يقصد بهم الإرشاديين الحضارمة المنادين بالمساواة.
(٢) محمد احمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول: إنه تولى إمارة الإباضية في حضرموت عام ٤٥٤هـ وإنه اشتهر بالعلم والأدب والبسالة والبلاغة، وعد فحلاً من فحول الشعراء وإنه حاول نشر المذهب الإباضي على كل حضرموت وفشل بالرغم من الدعم المالي والعسكري الذي تلقاه من أئمة عمان الإباضيين. ويستغرب من العلامة الشاطري وهو الرجل الحصيف والمؤرخ الاجتماعي الرزين أن يتهم قادة الدول اليمنية السنية من أمثال عثمان الزنجيلي وعمر بن مهدي الذين قاموا بإنهاء التمردات الحضرمية بأنهم خوارج بصرف النظر عن الأعمال الوحشية التي ارتكبوها في حضرموت. ويتفق الأستاذ الشاطري مع زملائه السابقين من مؤرخين وباحثين علويين في أن قصة استبدال إمام سني بإمام إباضي في مسجد الخوقة بشبام عام ٥٩١هـ هي المعلم الزماني والمكاني لنهاية الصراع العلوي الإباضي في حضرموت. وهذا يعني أحد أمرين:

الصراع الفكري الإباضي الشيعي

إما التبسيط لمسألة الصراع الفكري بين الإباضية والعلويين في حضرموت الذي يحرق الفكر الإباضي وينفخ برماده في الهواء فتذروه الرياح ويتلاشى في طرفة عين.

وإما (وهو الأقرب) إعطاء هذا التنافس الفكري بين الفريقين حدثًا رمزيًا ومنعطفًا تاريخيًا يحتفل به كما هو حال الحوادث العالمية الكبرى كالانتصارات السياسية في الحروب والتحولات الاجتماعية والفكرية العالمية.

٢ - تقييم الحالة في حضرموت في ضوء أطروحات الفكر العلوي الحضرمي:

لقد نسب المؤرخون والباحثون الحضرميون من آل أبي علوي ما حل بحضرموت من دمار وتخلف وجهل وفقر إلى الفكر الإباضي الذي استهوى الحضرميين منذ أن دعا إليه عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي الملقب بطالب الحق سنة ١٢٨هـ. إلى أن تم اجتثاث جذوره من آخر معقل له في مسجد الخوقة بشبام عام ٥٩١هـ كما يحددون. ويرون أن المهاجر أحمد بن عيسى وأبناءه وشيعته من الحضارمة قد كافحوا هذا الفكر الضال أكثر من أربعمائة سنة حتى تمكنوا من إنقاذ حضرموت من النحلة الإباضية. وأقاموا على أنقاضها نهضة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علمية ما لبثت أن ازدهرت واستبحرت حتى بلغت مداها بوجود (٣٠٠) مفت في تريم في زمن واحد. وذلك خلال الفترة ٥٢١ - ٥٩١هـ أي منذ دخول العلويين مدينة تريم وحتى عصر الفقيه المقدم [١]. وهناك من ينسب هذه النهضة إلى الشيخ سالم بن فضل بافضل [٢].

وبالرغم من أن تقييمنا لهذا الطرح عن التأثير السلبي للإباضية كمذهب على الحالة الفكرية في حضرموت، سيخرجنا بعض الشيء عن الدور الإباضي الذي نحن بصدده في هذا الفصل إلى الدور السني الذي عاصره المهاجر وأبناؤه. فإنه لا بأس أن نتناول هذا الطرح ما دام يتعلق بالفكر الإباضي والإباضية في حضرموت لننهي به هذا الفصل لنستند على ما نتوصل إليه من بلورة للموضوع لولوج الدور السني في الفصل القادم. فنقول: منذ أن دخل الحضرميون في دين الله أفواجا بوفودهم التي توجهت إلى المدينة المنورة لاعتناق الإسلام عقيدة وشريعة وللتشرف بصحبة رسول الله ﷺ أخذ الإيمان بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا ورسولاً، وبالكعبة قبلة، وبالقرآن الكريم والسنة النبوية عقيدة وشريعة ينتشر في الأوساط الحضرمية. وأخذ الدعاة والولاة المبعوثون من قصبة الدولة الإسلامية ينشرون الدعوة الإسلامية وتعاليمها السمحاء بين صفوف الحضارمة في مختلف مناطقها. وعندما امتنعت كندة عن دفع الزكاة لوالي حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري نتيجة خلاف حول الناقة الموسومة للزكاة، وقف الحضرميون الثابتون مع زياد بن لبيد الذي أمدته القيادة الإسلامية في المدينة المنورة بفرقة جهادية حسمت هذا الانشقاق الذي تزعمه الأشعث بن قيس الكندي في معركة النجير في صالح الوحدة الإسلامية وعاد الأشعث إلى الصف الإسلامي وأسهم إسهامًا فعالاً في نشر الدعوة الإسلامية أثناء الفتوحات الإسلامية.

---

(١) عبد الله حسن بلفقيه: الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ قدوم المهاجر أحمد بن عيسى.

(٢) يقول صاحب «صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل»: «فقدم الإمام سالم فضل ومعه جمال محملات من كتب العلم في الحديث والفقه وغيرهما ولم يجد من العلماء واحدًا بحضرموت ثم درّس في بلده وأقبل عليه طلبة العلم من كل مكان وحصّل العلم عليه خلق كثير حتى إنه اجتمع في عصره بتريم ثلاثمائة مفتٍ».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعمليًا لم يكن انتشار الإسلام على مستوى واحد في مختلف مناطق حضرموت. كما أن استيعاب الإسلام لم يكن على درجة واحدة لدى كل الناس. وتبقى المناطق النائية والصعبة من جبال وصحاري ورمال في حضرموت هي الأكثر أمية وبداوة وفقرًا وجهلاً بالعقيدة الجديدة. وقد وصف الله تعالى هذه الشريحة من المجتمع بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة :٩٧]. فهؤلاء الأعراب لطبيعة حياتهم المعيشية القاسية والمضنية غير المستقرة هم أكثر الناس تقلبًا في أفكارهم ومواقفهم وأشد تمسكًا بعاداتهم وتقاليدهم الموروثة. في حين يظل سكان المناطق الحضرية أثبت في مواقفهم وأقدر على الفهم والاستيعاب للعقيدة الجديدة وقد عاش الدعاة المسلمون بين ظهرانيهم.

وعندما تحدث المؤرخون عن أحوال حضرموت الحضارية والعلمية وكلهم من مؤرخي القرن الرابع الهجري تقريبًا، إنما تحدثوا عن سكان المناطق الصعبة في حضرموت وخصوا بالذكر قبيلة واحدة ومنطقة واحدة هي قبيلة مهرة التي سكنت وتسكن إلى اليوم القطاع الشرقي من حضرموت الواقع بين الساحل شرقي مدينة الشحر والربع الخالي حيث الرمال والصحراء. وهي منطقة الأحقاف المعروفة ببلاد عاد. فلا يصح أن يعمم قول المؤرخين عن المهرة والأحقاف على كل حضرموت بعد انتشار الإسلام فيها. وخاصة المناطق الحضرية حيث المدن والقرى العامرة بالسكان المستقرين كتريم وشبام والهجرين والشحر وغيرها من مدن وقرى الوادي والساحل الحضرمي. وهي التي استقر فيها الولاة والدعاة للدولة الإسلامية الفتية. وهي مدن الملوك والأقيال قبل الإسلام. هذه المدن والقرى الآهلة بالسكان الحضريين هي التي ازدهر فيها العلم وعمرت بالمساجد وظهر فيها الخاصة من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء. وبهم وعبرهم ظل الاتصال والتواصل قائمًا بين هذه المدن والقرى وبقية المناطق الحضرية والمراكز العلمية الأخرى سواء في أبين ولحج وعدن وتهامة اليمن أو في الحجاز والشام والعراق. وكان الحج السنوي من أهم وأقوى سبل هذا التواصل والتلاقي. وما انتشار الفكر الإباضي في حضرموت في القرن الثاني الهجرى إلاَّ ثمرة من ثمرات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا التواصل والتلاقي بين حضرموت والحجاز من جهة والبصرة من جهة أخرى. وكذا الأمر بالنسبة لانتشار الفكر الإمامي المتشيع لأهل البيت في حضرموت فقد كان هو الآخر ثمرة من ثمرات التواصل بين حضرموت ومراكز النهضة العلمية في الدولة الإسلامية في العراق والحجاز. إن الطريق الذي سلكه المهاجر أحمد بن عيسى من البصرة إلى حضرموت ما هو إلاّ محطات إشعاع فكري مثل البصرة، المدينة المنورة، مكة المكرمة، تهامة اليمن، الهجرين ثم الحسيسة بحضرموت. وقد واصل أبناؤه المسيرة في نفس الخط الحضاري والعلمي حتى بلغوا تريم حيث العلم والحضارة وقصبة الإسلام الأولى في حضرموت منذ عهد الصحابي الجليل زياد بن لبيد الأنصاري أول والٍ لحضرموت كلها الذي عينه الرسول محمد ﷺ.

وبتدقيق وتحليل لأقوال مؤرخي القرن الرابع الهجري عن حالة حضرموت، [وهي الأقوال التي احتج بها المؤرخون والباحثون الحضارمة من العلويين للاستدلال بها على الحالة المتردية التي وصلت إليها حضرموت نتيجة اعتناقها الفكر الإباضي، ولييبنوا على هذا الواقع المتخلف الدور البطولي والنهضوي للمهاجر أحمد بن عيسى وأبنائه في التحول الاجتماعي والفكري والاقتصادي الذي طرأ على حضرموت بفضلهم] نستخلص ما يلي:

(أ) إن ما قيل عن غُتم المهرة أي عدم تكلمهم بلغة عربية فصحى لا يدل على التخلف. بل يدل على احتفاظهم بلغة حضارة يمنية قديمة. فإذا أخذنا بقول البشاري في كتابه: «أحسن التقاسيم» عن غُتم المهرة للدلالة على تخلفها لكان الفرس واليونان غتمًا كالمهرة لتكلمهم لغة غير العربية الفصحى ومن ثم لحكمنا عليهم بالتخلف. صحيح أن المهرة كغيرهم من قبائل الصحراء والوديان بدو رعاة حفاة يتخذون من كهوف الجبال والرمال ومن الخيام سكنًا لهم وإلى عهد قريب، وهذا يعود بالطبع إلى طراز حياتهم المعيشية وانتشار الجهل بينهم ولا علاقة له فط بالفكر الإباضي ولم تكن حالتهم بأفضل مما هم عليه قبل أن يعتنق الحضارمة المذهب الإباضي. كما أنه لم يطرأ عليحياتهم هذه تطور ذو بال ولم تغير من شانهم تلك النهضة العلمية المزدهرة التي بلغت مداها بوجود ٣٠٠ مفتٍ في تريم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد دخول العلويين هذه المدينة عام ٥٢١هـ. لاسيما وأن الداعية الكبير محمد بن علي العلوي صاحب مرباط كان يجوب مناطق المهرة في طريقه إلى ظفار وحينما كان خفيرًا للقوافل التي تجوب مناطق البدو كما تروي ذلك مدونات العلويين أنفسهم. وقد علق السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه العلوي في تاريخه البضائع على ما ذكره الهمداني عن عدم فصاحة أهل الشحر بقوله: (إن كلام الهمداني عن عدم فصاحة حضرموت وكندة غير مقبول لأنه لم يكن عن خبرة ولا عن استقراء صحيح) (١).

(ب) إن صفة التوحش التي أطلقها ابن حوقل على سكان المهرة لا تعني الهمجية، بل تعني البداوة كما شرح ذلك العلامة الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الذي نقل نفس عبارة ابن حوقل في مقدمته المشهورة. فابن خلدون يعبر عن التوحش ككلمة مرادفة لكلمة البداوة التي تقابلها كلمة الحضارة أو التمدن. ولا يفهم من ذلك أو يعمم أن حضرموت بلاد همجية وتوحش وبعد عن الحضارة لا حديث بها يروى مثلها كمثل النوبة وبلاد الزنج والسودان أو كالصين البعيدة عن أرض المسلمين استدلالا ما قاله المؤرخ الحافظ السخاوي عندما حشر اسم حضرموت ضمن البلدان النائية عن النهضة الإسلامية أو تلك القابعة في أدغال إفريقيا التي يعيش سكانها حياة بدائية ووثنية.

(ج) أن ما رواه الهمداني من تعظيم المهرة للنجوم وسجودهم للشمس لا يعدو أن يكون من بقايا وآثار الفكر الوثني الذي سبق أن تطرقنا إليه في فصل الدور الوثني. ولا يستغرب هذا في مجتمع يسوده الجهل. ومن هذا القبيل اعتقاد الجهلة والسذج لا في أرض المهرة بل في أرض ازدهار النهضة العلمية وتبحرها من حضرموت بأن القطب أبا بكر العيدروس العدني هو شيخ الإنس والجن والملائكة. ولكن الحقيقة تبقى هي الحقيقة وهي أنه لا علاقة للفكر الإباضي بهذه العبادة الوثنية ولا لغتم المهرة ولا لبداوتهم. والفكر الإباضي كما وقفنا عليه فكر إسلامي توحيدي يدعو رجاله إلى المساواة بين المسلمين وقد

(١) سعيد عوض باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حاولوا تغيير المنكر والفساد الأموي بحد السيف فتكالبت عليهم جيوش الأمويين والعباسيين حتى كسرت شوكتهم في وقت مبكر لا يجاوز عام ١٤٠هـ وقبل ان يفد الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت بنحو مائتي سنة.

أما مسألة الفكر الإباضي من حيث مدى نفوذه الديني والسياسي في حضرموت ومدى انتشاره في جميع نواحيها وبين مختلف قبائلها، واستمراره لفترة تقدر بنحو ٤٠٠سنة أي منذ دخول هذه العقيدة إلى حضرموت سنة ١٢٨هـ عن طريق عبد الله بن يحيى الكندي وحتى اجتثاثها نهائيًا عام ٥٩١هـ، فهي من القضايا التي أخذت قسطًا وافرًا من الجدل بين المفكرين والمؤرخين الحضارمة عمومًا. وما قيل في هذا الصدد لا يعدو أن يكون نوعًا من الاجتهاد والتخمين الذي لا يستند على معلومات موثقة أو سند تاريخي معتبر. وقد عورض الفكر الإباضي ووجهت إليه تهم خطيرة من خروج عن الدين إلى الانحراف والعقم في التفكير. وكلها مقولات لا تركن إلى حقائق ثابتة أو سند موثق. بل هي أحكام وظفت لغايات وأهداف أخرى أو للترويج لأنظمة حاكمة كالنظام الأموي والنظام العباسي لإعطاء المبرر الشرعي لضرب حركات التمرد التي قام بها الحضرميون الإباضيون أو لتشويه رأيهم وموقفهم من المساواة التي يعترض عليها دعاة التشيع لأهل البيت.

هذا وفي ضوء ما وقفنا عليه من معلومات وما استنبطناه من آراء من خلال الأطروحات التي قالها المفكرون الحضارمة عن الإباضية والإباضيين في حضرموت نخلص إلى الآتي:

(أ) لم يكن الفكر الإباضي نحلة خارجة عن الملة الإسلامية. وإنما هو فكر منشق عن التيار الخارجي المتطرف. وليس ما يطرحه في أمر العقيدة ببدعة في الدين. وله اجتهاده وآراؤه العقدية شأنه شأن المعتزلة والأشاعرة وغيرهم. وله فتاويه الفقهية شأنه شأن مذاهب الفقه الإسلامي الأخرى. وهو بهذا الاتجاه يقترب من الفكر السني ويبتعد عن فكر الخوارج المتطرفين. وقد انفصل عن التيار المتطرف للخوارج منذ أن خطا هذه الخطوة زعيم الخوارج القعدة أبو بلال مرداس والذي قيل إنه سني أساسًا. ويمكننا أن نشبهه بالفكر الزيدي الشيعي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعتدل الذي تميز عن فكر الشيعة المغالين الروافض واقترب من الفكر السني. وإلى يومنا هذا يتعايش كل من الفكر الإباضي والفكر الزيدي في دائرة الفكر السني كما هو حال الفكر الزيدي في اليمن والفكر الإباضي في سلطنة عمان وهما قطران شقيقان متجاوران ومتداخلان في أصولهما القبلية وفي مصالحهما المشتركة. وباطلاعنا على خطبة عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي إمام الإباضية في اليمن وخطبة أبي حمزة المختار الأزدي القائد العسكري للجيش الإباضي اليمني وجدنا أنهما تتضمنان أفكارًا هي أسس عقيدة أهل السنة والجماعة. فلا غرو أن يتقبل أهل حضرموت الفكر الإباضي لأنه لا يتعارض مع معتقداتهم الإسلامية التي أسسها ونشرها الدعاة الأوائل مذ أن حط أصحاب رسول الله ﷺ رحالهم في حضرموت كما حافظ أهل حضرموت على خطهم الأساسي العام خط أهل السنة والجماعة حينما قوضت سلطة الإباضية في حضرموت وكسرت شوكتها.

(ب) جَرَّمَ دعاة الفكر الشيعي في حضرموت الفكر الإباضي واتهموه بالضلال والانحراف عن الملة الإسلامية لا لشئ سوى أنه يدعو إلى المساواة بين جميع المسلمين وينسف مبدأ (الخلافة في قريش والإمامة في أهل البيت) ولأن الفضل بين المسلمين يقوم عنده على أساس التقوى والعمل الصالح انطلاقًا من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣].

(جـ) كان الفكر الإباضي قوة حقيقية عقيدة وسلطة حينما كان رجاله في الحكم. وقد قوض جيش بني أمية هذا الحكم نهائيًا في حضرموت عام ١٣٢هـ بالقضاء المبرم على الشخصيات القيادية الإباضية من سياسية وعسكرية وفكرية. ثم كانت الضربة المميتة والمذلة والمهينة لمن تبقى من القوى المؤثرة الإباضية في حضرموت عام ١٤٠هـ على يد معن بن زائدة الشيباني قائد الجيش العباسي لا لأن الحضارمة يشكلون خطرًا فكريًا على الخلافة العباسية بل لأنهم تمردوا على السلطة السياسية العباسية وقد لحقتها تمردات مماثلة فيما بعد كتمرد سلاطين آل راشد على الدولة الأيوبية في اليمن كما سنرى.

(د) إن فكرة المساواة وهي القاسم المشترك بين الفكر السني والفكر الإباضي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجامع بينهما تلقى معارضة شديدة ومتميزة يتولاها دعاة الفكر الإمامي الطارئ على حضرموت. ومن نقطة هذا التعارض نشب الصراع الفكري بين أنصار الفكر الإمامي وأنصار الفكر السني آخذًا شكل تنافس بين فقهاء وعلماء الفريقين انتهى باستحواذ أنصار الفكر الإمامي على الزعامة الدينية بحضرموت حينما اعترف علماء أهل السنة في تريم بنسبة آل باعلوي إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ وسلموا لهم القيادة الدينية. وقد فسر المؤرخون والباحثون العلويون استخلاص الزعامة الدينية من المشائخ: آل بافضل وآل الخطيب وآل بارشيد وآل أبي حاتم وغيرهم بأنه انتصار على المذهب الإباضي واستئصال لشأفته.

(هـ) وفي الواقع أنه يوجد في حضرموت علماء. وهؤلاء العلماء هم علماء السنة والجماعة من قبل وصول المهاجر إلى حضرموت. فقد ذكر باحنان [1] في مؤلفه (جواهر تاريخ الأحقاف) عن العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف قوله: (كان بحضرموت قبل أن يصل إليها المهاجر أحمد بن عيسى من أجلة الفقهاء، من لا يشق غبارهم، ولا يخفى منارهم، ولا تجهل آثارهم) وقد روى باحنان في نفس مؤلفه عن صاحب المشرع الروي قوله: (عندما كان العلويون في بيت جبير وجدوا في تريم من أرباب العلوم والآداب، وأصحاب الفهوم والألباب، ما شغلهم عن الأهل والوطن، وأذهلهم من كل خل صفي وسكن).. فهؤلاء العلماء والأدباء لم يأتوا من فراغ فكري ولم ينبتوا في حقل جهل وتخلف. بل أخذوا العلم والأدب عن أساتذة قبلهم مما ينفي ويدحض مقولة الحافظ السخاوي عن حضرموت بأنها من البلدان التي لا حديث بها يروى، والذي احتج به بعض الباحثين العلويين الحضارمة للاستدلال على أن النهضة العلمية بحضرموت كانت بفضل العلويين، منكرين بذلك دور بل وجود علماء سنة قبل المهاجر أو بعده إلاّ بعدهم وبفضلهم. ويروي المؤرخ باحنان في مؤلفه (جواهر تاريخ الأحقاف) أن الشيخ أبا الحسين علي بن أحمد بامروان أستاذ الفقيه

(١) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدم يرتفع نسبه إلى مروان الكندي الذي عاصر عبيد اللاه بن المهاجر أحمد بن عيسى وأن سلسلة نسب هذا الشيخ فيها اسم علي واسم حسين. والإباضية لا تسمي عليًا أو حسينًا مما يؤكد وجود علماء وفقهاء سنة في تريم قبل وصول المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت. وفي تقديري أن استنباط باحنان الذي يريد به نفي الإباضية عن أسرة الشيخ علي بن أحمد بامروان ليس قياسًا دقيقًا لأنه إلى عهد قريب لا تسمي كثير من أسر العمال والفلاحين حسنًا ولا حسينًا لا لأنها أسر إباضية بل لأنها اجتماعيًا دون مستوى أن تتسمى باسمي السبطين الخاصين أساسًا بذرية العلويين بحضرموت. وقد قال الشاعر ساخرًا:

بعض الأسامي تلحق إلاّ بالمرض علوي في الضعفاء وفي السادة عوض

(و) إن الفترة الزمنية التي أعقبت القضاء النهائي على السلطة والنفوذ الإباضي في حضرموت والممتدة ما بين ١٤٠هـ وحتى تدوين التاريخ الحضرمي في القرن الخامس الهجري لهي من أفقر الفترات توثيقًا ومصادر علمية. مما أتاح المجال واسعًا للتخريجات والاجتهادات في إثبات أو نفي حالة علمية أو رجال علماء. وهي الفترة التي وصفها الباحث العلامة عبد الله بن حسن بلفقيه بأنها من مجاهل التاريخ الحضرمي. وقد تناقضت المعلومات وتباينت عن الفكر الإباضي والإباضيين نتيجة هذا التخبط العشوائي في ظلام هذه الفترة. فمن قائل بوجود إمارة إباضية في شبام تحت قيادة إبراهيم بن قيس الكندي الحضرمي في سنة (٤٧٥هـ، ١٠٨٢م) وأن لها صلات وثيقة مع إباضية عمان. ومن قائل بعدم وجود هذه الإمارة ألبتة وإن هي إلاّ رواية من روايات ألف ليلة وليلة. وأعتقد أنه من غير المستبعد أن تبرز إمارة كهذه في حضرموت كنموذج للطموحات القبلية التي شهدتها حضرموت في تاريخها الوسيط والحديث وللعلاقة التاريخية بين حضرموت وعمان خاصة ظفار. ألم يأت من ظفار سالم بن إدريس الحبوضي ويشكل له إمارة في حضرموت عام ٦٧٣هـ وأصل جده من قرية (حبوضة) الحضرمية[1]. فمن باب أولى أن يتمكن الأمير الحضرمي الشاعر إبراهيم بن قيس الكندي من أن يكّون له إمارة في شبام. وقد جاء بعده أمراء أمثاله من آل

(١) عبد الله بن صالح الحداد: مجلة العرب، ج ٧، ٨ محرم، صفر ١٤١٨هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دغار وكونوا لهم إمارة في شبام اتهمت بأنها ذات نزعة إباضية. فلا موانع فكرية كالإباضية في احتمال تكوين هذه الإمارة. وقد عرفنا ما هو الفكر الإباضي وكيف استخدمه دعاة التشيع لأهل البيت كإرهاب فكري في حضرموت. ومن المفارقات في المعلومات ما يقال عن بقايا آثار الفكر الإباضي لدى بعض القبائل الحضرمية أو عن اختلاف نسبها بين المؤرخين ويرجع ذلك كله إلى عدم توفر الوثائق والمعلومات المدونة. وقد قال الأستاذ محمد أحمد الشاطري [١] إن ما ادعاه في مدوناتهم كل من الأساتذة: عبد الله بن محمد السقاف، وأحمد بن حسن العطاس، ومحمد بن عقيل بن يحيى عن مقاومة ومحاربة المهاجر وبنيه للإباضية لم يرجع إلى سند تاريخي. ويرجح الأستاذ الشاطري أن يكون انتشار فكر المهاجر سلميًا من قبله ومن قبل أبنائه من بعده معارضًا بذلك من يقول إن المهاجر قد نشر فكره وقاوم الفكر الإباضي بالسيف والسنان. ويقول الدكتور آربي سرجنت: إنه استنتج من المادة التاريخية القليلة المتوفرة أن حضرموت قد تمزقت إلى دويلات قبلية صغيرة وأن الإمام ليس أكثر من رئيس لمجاميع متناثرة من الإباضية في غربي حضرموت. ويروى عن الهمداني المعاصر لزمن المهاجر أحمد بن عيسى قوله: «**يعيش الإمام الذي له سلطة الأمر والنهي على الإباضية في دوعن**». ويقول الدكتور سرجنت: قد حكى لي بعض السادة أنه توجد حتى اليوم بقايا إباضية مقتبسًا بعض العبارات الشائعة ضد العلويين. ولكني لم أسمع شيئًا من ذلك [٢].

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.
(٢) د. سارجنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع الدور السني

الحالة السياسية

تعرضت اليمن في العهد العباسي الأول إلى جور وظلم واستغلال الولاة العباسيين على اليمن كأسلافهم من ولاة بني أمية مما أدى إلى تمردات قبلية ذات نزعة استقلالية. وقد أغرت هذه الحالة المضطربة في اليمن القيادات العلوية المطاردة من قبل العباسيين لاختيار اليمن كإحدى المناطق الملائمة لدعوتهم وإعلان الثورة منها ضد العباسيين. وفي أوائل العهد العباسي انقسمت اليمن إلى منطقتين رئيسيتين هما:

١. نجد اليمن ومركزه صنعاء. وتولى الأمر فيه آل يعفر الحواليين اليمنيين باعتراف عباسي منذ عهد محمد بن يعفر الحوالي عام ٢٥٧هـ.

٢. تهامة اليمن ومركزها زبيد وتولى الأمر فيها آل زياد بغزو جيش عباسي تحت قيادة محمد بن زياد الأموي الأصل عام ٢٠٢هـ.

ولم تقف الحالة السياسية في اليمن عند تقسيمها إلى قسمين رئيسيين بنفوذ واعتراف عباسي وبمذهب سني واحد. فقد ظهر شطر ثالث في شمال اليمن ومركزه صعدة عام ٢٨٤هـ بمذهب شيعي زيدي تحت قيادة الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي الحسني العلوي [1] معلنًا أول انفصال سياسي يمني عن الخلافة العباسية السنية.

١. ارتباط حضرموت السياسي باليمن:

ارتهنت الحالة السياسية في حضرموت خلال الدور السني بتطور الأوضاع السياسية في اليمن بصورة عامة على أساس أن حضرموت شعبًا وأرضًا جزء من اليمن بل هي إقليم اليمن الشرقي. ومن الناحية التاريخية يمكننا أن نحدد الدور السني في حضرموت من عام ١٤٢هـ حين أنجز معن بن زائدة الشيباني القضاء المبرم على النفوذ والتواجد السياسي للإباضية في حضرموت حتى عام ٦٢٦هـ

(١) نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي حدد كنهاية للدولة الأيوبية السنية التي وقفت في وجه التيارات والحركات الشيعية التي عصفت باليمن من زيدية وإسماعيلية ونجحت في إنشاء دولة مستقلة لها في اليمن. والتي تمكنت أيضًا من القضاء على التمردات ذات النزعة الاستقلالية في حضرموت ولكن إلى حين.

وتميزت هذه الفترة التاريخية من (١٤١هـ - ٦٢٦هـ) بالدور التاريخي المهم الذي قامت به الدول السنية في اليمن في ترسيخ المذهب السني عمومًا وحتى حدوده الشرقية في حضرموت. فقد استطاعت الإمارة الحوالية في صنعاء ذات المذهب السني من أن تمد نفوذها السياسي إلى حضرموت. كما تمكنت الدولة الزيادية السنية في زبيد من بسط نفوذها السياسي على جنوب وشرق اليمن بما فيها حضرموت خاصة في عهد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد الذي حكم اليمن ٨٠ عاما في الفترة من (٢٨٠. ٣٦٠هـ) والذي أعلن استقلال دولة آل زياد عن الخلافة العباسية.

وفي عهد وزارة الحسين بن سلامة (أحد موالي بني زياد) استعادت الدولة الزيادية عافيتها وقوتها بعد ضعفها. وشملت إصلاحات هذا الوزير طول البلاد خلال عهده الذي دام نحو ثلاثين عامًا. حيث قام بعمارة المدن والطرق من حضرموت شرقًا إلى مكة غربًا فبنى المساجد والمآذن وحفر الآبار في محطات الطرق.

ومن أشهر الجوامع التي بناها أو عمرها جامع مدينة تريم وجامع مدينة شبام في حضرموت. ويصعب على كل مفكر أن يقبل بأن هذا الحاكم السني يعمر مثل هذه الجوامع في حضرموت في ظل فكر إباضي (ضالٌ) يهيمن عليها. وبعد حسين بن سلامة تدهورت الدولة الزيادية حيث تولى الأمر فيها عبيد الزياديين ثم عبيد عبيد هم النجاحيون إلى أن انتهت وتلاشت.

وفي عهد محمد بن علي الصليحي مؤسس الدولة الإسماعيلية الثانية في اليمن امتد نفوذ الصليحيين إلى حضرموت عام ٤٥٥هـ محققًا بوصوله حضرموت وهي البعد الشرقي لليمن إعادة الوحدة اليمنية في العصر الوسيط. وقد وصف المؤرخ اليمني (عمارة الحكمي) هذا المنجز الوحدوي بقوله: (إن هذا الأمر لم يعهد في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جاهلية ولا في إسلام) [١] كما وصفه (العرشي) بقوله: (ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي فإنه استولى على اليمن: سهله وجبله وشماله وجنوبه وغربه وشرقه في مدة يسيرة وقهر ملوكه) [٢]. وبالرغم من أن مذهب الدولة الصليحية شيعي إسماعيلي مرتبط بالدولة الفاطمية في مصر فقد تعامل حكام الدولة الصليحية مع المذهب السني وأهل السنة في اليمن بتسامح منقطع النظير. وأبقوا على حضرموت حكامها من بني معن السنيين نوابًا عنهم وقد كان بنو معن ولاة على حضرموت للزياديين [٣]. ثم ما لبث أن استقل بنو معن بحضرموت. وينتمي بنو معن إلى العوالق على أرجح الأقوال وقيل إنهم ينتسبون إلى معن بن زائدة [٤]. وهذا الموقف التسامحي في الحكم والعقيدة الذي وقفه الحكام الصليحيون تجاه حضرموت ينفي ما ادعاه الأستاذ صالح بن علي الحامد في كتابه (تاريخ حضرموت) بأن الناس في حضرموت خلال نفوذ الصليحيين عليها قد شكلوا جبهة مع أهل البيت ضد الإباضية مما قوى من نفوذ أهل البيت وشيعتهم في حضرموت.

وفي عام ٥٦٩هـ قامت الدولة الأيوبية السنية في تهامة اليمن كامتداد للدولة الأيوبية في مصر التي قامت على أنقاض الخلافة الفاطمية فيها. وقد تمكن الأيوبيون في اليمن من القضاء على الدويلات التي نشأت في أعقاب سقوط الدولة الصليحية ومد نفوذهم إلى حضرموت عام ٥٧٥هـ. أما في حضرموت التي اعتادت التمرد على السلطات المركزية - وهذه سننشنة نعرفها عن حكام وأمراء حضرموت منذ الدور الوثني فهم كلما وجدوا سبيلاً للحكم أعلنوا استقلالهم - فقد فعل ذلك أمراء ورؤساء عشائر في حضرموت في عهد الدولة الأيوبية التي أرسلت ولاتها وقادتها إلى حضرموت لإخضاع التمردات فيها من أمثال عثمان الزنجيلي وعمر بن مهدي الحميري وهما قائدان لجيش من الغز التابع للدولة الأيوبية السنية وليس لهما علاقة بالفكر الإباضي أو بحضارمة إباضيين كما يطرح

(١)، (٢) د. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام.
(٣) دكتور محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن.
(٤) فؤاد السيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك بعض المؤرخين العلويين الحضارمة. فقد هاجم عثمان الزنجيلي (الزنجبيلي) بجيشه حضرموت [١] ودخل تريم عاصمة سلطنة آل راشد الحضرمية. وشهدت تريم عام ٥٧٦هـ مذبحة علماء وفقهاء تريم من قبل هذا الجيش الأيوبي بتهمة تشجيعهم سلاطين آل راشد على التمرد ضد الدولة الأيوبية وكان من شهَداء تريم من العلماء والقراء:

- يحيى بن سالم أكدر
- أحمد بن سالم أكدر
- علي أحمد بكير
- أبوبكر بكير

أما عمر بن مهدي فهو قائد يمني في الجيش الأيوبي. وقد كلفه السلطان الأيوبي السني مسعود بن الملك الكامل محمد بإنهاء التمردات القبلية التي عمت حضرموت كلها خلال الفترة (٦١٦ - ٦٢١هـ) لكن القبائل الحضرمية تكالبت على جيشه من كل جانب حتى تمكنت قبيلة نهد من قتله سنة ٦٢١هـ. علمًا أن السلطان الأيوبي طغنكتين بن أيوب نفسه قد غزا حضرموت لإنهاء التمردات القبلية فيها واستولى على الحصون في تريم وشبام.

٢. ظهور حكومات المدن في حضرموت:

في أواخر الدور السني وفي ظل ضعف الدولة الأيوبية المركزية وتطلع القيادات العشائرية في حضرموت إلى الحكم والاستقلال نشأت في المدن الرئيسية الثلاث تريم وشبام والشحر إمارات أشبه بكنتونات المدن في أوربا في حين ظلت بقية مناطق حضرموت تحكمها رئاسات قبلية مناطقية. وهذه الإمارات الثلاث هي:

إمارة آل راشد:

وقصبة هذه الإمارة مدينة تريم وحكامها آل راشد ومن أشهرهم عبد الله بن راشد بن شجعتة تولى الحكم عام ٥٩٣هـ ومات عام ٦١٦هـ.

(١) محمد احمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) إمارة آل الدغار :

وقصبة هذه الإمارة مدينة شبام وحكامها بنو الدغار ومن أبرزهم راشد بن أحمد بن النعمان الذي قتل سنة ٦٠٥هـ.

إمارة آل إقبال :

وقصبة هذه الإمارة مدينة الشحر بساحل حضرموت. وحكامها آل إقبال ومن أبرزهم راشد بن إقبال بن فارس الذي قتل بدوعن سنة ٥٠٩هـ.

لقد ولدت هذه الإمارات أو حكومات المدن الثلاث من أحشاء الفوضى القبلية في حضرموت لتمثل خطوة حضارية في الإدارة المدنية ولاسيما أنها نشأت وتكونت في أكثر مدن حضرموت تمدنًا وثقافة وعلمًا. كما أنها تشكل نقطة تحول في شكل العلاقة بين حضرموت ومركز السلطة في اليمن في جانب الحكم إذ أخذ يتعزز مع الزمن الحكم المحلي وتضعف السلطة المركزية إلى أن قامت سلطنات في حضرموت مستقلة عن الوطن الأم. هذا ويتميز الدور السني عن الدور الإباضي السابق له بوجود سلطة سياسية بيد الأمراء والسلاطين وسلطة علمية فقهية بيد العلماء والفقهاء من أهل السنة في حين يجمع الإمام في الدور الإباضي بين السلطتين السياسية والدينية.

الحالة الفكرية

لقد حذر الرسول محمد ﷺ من الفرقة الفكرية بين المسلمين ودعا أمته إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بالكتاب والسنة. ونبه المسلمين بأنهم سيفترقون شيعًا وأحزابًا كلها ضالة ما عدا فرقة واحدة ناجية وصفها بأنها الثابتة الراسخة في عقيدتها الإسلامية التوحيدية من غير إفراط أو تفريط. ونهى عن الغلو في الدين والشطط في السلوك والمواقف واتباع الهوى أو العودة إلى سلوك الجاهلية الأولى فقال ﷺ في حديث رواه الترمذي «. . . وأن بني إسرائيل تفترق على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلّا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي». وفي حديث أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» . رواه أبو داود والترمذي. والمتأمل في الأحداث التي بدأت بفتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان وما أعقبها من أحداث أخرى كحادثة التحكيم ومأساة استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب يجد أن عنصر العصبية العمياء والتنافس القديم قد وظف في هذه الأحداث التي دفعت بالصحابة والمسلمين إلى خوض معارك حاسمة فقدت فيها الأمة الإسلامية الكثير من رجالها وأججت الخلاف بين المسلمين. وقد لعبت في تأصيل هذا الخلاف الإسلامي أفكارًا خارجية أخذت عن التيارات الفكرية غير الإسلامية كاليهودية والفارسية واليونانية مما خلق في الساحة الإسلامية الفكرية العديد من الفرق الضالة التي حددها الرسول ﷺ بـ ٧٢ فرقة ضالة معظمها قد تشرذم عن فرق كبيرة تأويلاً ومغالاة. وفي ضوء هذه الأحداث السياسية والتيارات الفكرية يمكننا أن نحدد ثلاثة اتجاهات سياسية فكرية رئيسة هي:

الفكر السني: وهو معتقد أهل السنة والجماعة وهم جمهور المسلمين وهو امتداد لجوهر الإسلام كما أتى به الرسول ﷺ واهتدى بهديه المسلمون في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين من بعده وتبنته الخلافة الأموية والخلافة العباسية. وفي إطار هذا الفكر برزت آراء في الاعتقاد كالمعتزلة والأشعرية ومذاهب اجتهادية فقهية أهمها أربعة هي المذهب: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي.

الفكر الخارجي: وهو فكر بدأ متطرفًا وغاضبًا على مبدأ (التحكيم) وتبناه المنشقون في جيش الخليفة علي بن أبي طالب. وقد تعصبوا في موقفهم ولم تجد معهم أساليب الإقناع الفكري من جهة الخليفة علي بن أبي طالب. فحسم الموقف العدائي منهم تجاهه في معركة النهروان. وفي العهد الأموي شكل الخوارج قوى معارضة مسلحة عنيفة فشتت شملهم. ومنذ وقت مبكر ابتعدت مجموعة من الخوارج عن خط التطرف واعتدلت في أفكارها واتخذت أسلوب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التقية والسلم. هذه المجموعة هم القعدة. وعن القعدة انفرد مذهب اقترب من أهل السنة والجماعة واحتفظ بتمسكه بمبدأ (المساواة) مع نبذه لمبدأ (الخلافة في قريش والإمامة في أهل البيت) محتجًّا بحديث رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد....». هذا المذهب هو المذهب الإباضي الذي عرفته حضرموت.

الفكر الشيعي: تبنى هذا الفكر المتشيعون للإمام علي بن أبي طالب ولأبنائه من فاطمة بنت رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم. وقد غالى المتطرفون من الشيعة في مواقفهم تجاه أهل البيت وفي قدحهم لبقية الخلفاء الراشدين معتبرينهم مغتصبين للخلافة التي هي حق ذاتي لأهل البيت في نظرهم. وبعد الضربة الموجعة التي وجهها الأمويون ضد الثائرين من أهل البيت بقيادة الحسين بن علي بن أبي طالب اتخذ الشيعة أسلوب التقية خلال الحكم الأموي وأخذوا بالعمل سرًّا خاصة في بلاد فارس تحت شعار (مبايعة الرضا من آل محمد). وأمام ضعف الدولة الأموية في آخر عهدها أعلنت الثورة العلوية في خراسان بقيادة أبي سلمة وأبي مسلم الخرساني وتكللت بالنجاح في معركة الزاب الفاصلة عام ١٣٢هـ التي أنهت الدولة الأموية. وما أن دخلت الجيوش العلوية العراق مكللة بغار النصر حتى قلب بنو عمومتهم العباسيون لهم ظهر المجن. وقفزوا إلى السلطة وقتلوا قادة النصر الخراسانيين وأعلنوا قيام الدولة العباسية. مما اضطر العلويين المطاردين للجوء إلى المناطق النائية كالديلم واليمن وشمال إفريقيا للتحرك منها. فأقاموا دولاً شيعية من إسماعيلية واثني عشرية وزيدية. ويعتبر المذهب الزيدي مذهبًا شيعيًّا معتدلاً وقريبًا من الفكر السني وقد عرفته اليمن.

حمل النواصب الفكر الخارجي المتطرف كما حمل الروافض الفكر الشيعي المتطرف ومن اعتدل من أنصار هذين الفكرين المتطرفين اقترب إلى خط الفكر السني كالإباضية والزيدية. والمسلمون اليوم أمام السيل الجارف من الأفكار المعادية للإسلام والمسلمين مدعوون على مختلف نحلهم واتجاهاتهم الفكرية إلى التفاهم والتقارب* للوقوف صفًّا واحدًا أمام الفكر المعادي للمسلمين قديمًا وحديثًا والمكون من الثالوث الصهيوني والصليبي والإلحادي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١. الفكر السني بحضرموت:

أ - ثبات الفكر السني: منذ أن أسلم أهل حضرموت ظل الدعاة وولاة الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون وولاة الدولة الأموية حتى أواخر عهدها يسيرون فكريًا على هديه ﷺ، وفي الخط الإسلامي العام الذي وصفناه بخط أهل السنة والجماعة. ولقد ارتبطت حضرموت سياسيًا وفكريًا باليمن منذ ذلك العهد حتى خلال حركة عبد الله بن يحيى الكندي الإباضية. واستمر الارتباط السياسي بين حضرموت واليمن قائمًا في فترة الحكم المباشر للعباسيين وفي عهد الدول اليمنية المستقلة: الزيادية والصليحية والأيوبية. وبنهاية الدولة الأيوبية تنتهي فترة الدور السني في كتابنا هذا.

هذا وقد لعب الزياديون دور الحامي لأهل السنة والجماعة في اليمن كله. وتشهد أعمال الحسين بن سلامة الوزير الزيادي على دعمه لأهل السنة والجماعة في حضرموت من خلال بنائه المساجد وعمارتها كجامع تريم وجامع شبام وهما باقيان إلى اليوم، والمساجد في التراث الإسلامي مراكز للفكر والفقه والعبادة. وبقيام الدولة الصليحية الإسماعيلية في اليمن والتي امتد سلطانها إلى حضرموت لم تعادِ أهل السنة وأظهرت تسامحًا فكريًا منقطع النظير في اليمن كلها. وفي حضرموت لم يكن لها نفوذ مباشر إذ أبقت بني معن السنيين على حضرموت نوابًا عنها. وما أورده الأستاذ صالح علي الحامد في تاريخه من أن الصليحيين باستيلائهم على حضرموت قد قضوا على شوكة الإباضية، وأن الحضارمة في عهدهم قد أخذوا في التشيع لأهل البيت. هو نوع من الاستنباط الشخصي للمؤلف دون الاستناد إلى مصدر تاريخي أو أثارة من علم. بل ولا ينسجم مع ما ذكره هو نفسه في نفس كتابه تاريخ حضرموت من أن الصليحيين بعد وصول جيوشهم إلى حضرموت والاستيلاء عليها أقفلوا راجعين، وأنابوا عنهم بني معن السنيين ولاة حضرموت السابقين. ولو كان الصليحيون ينوون نشر أو فرض الفكر الشيعي والتشيع لأهل البيت لأنابوا العلويين الحضرميين على حضرموت وقدموا لهم الدعم اللازم في هذا الشأن. ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل ولم تقله حتى المصادر العلوية الموثوقة في حضرموت. أما ما قيل عن عودة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الروح للنفوذ والفكر الإباضي في حضرموت ممثلاً في إمارة الشاعر الحضرمي إبراهيم بن قيس الكندي الإباضي في الفترة التقريبية (٤٠٧ - ٤٢٥هـ) فلا يعدو أن يكون تطلعًا للحكم والإمارة حققه هذا الأمير. وهذه الروح التواقة للحكم تجري في دماء أصحاب الرئاسات القبلية خاصة الكندية منها كما هو مشهود لها في التاريخ الحضرمي قبل هذه الإمارة وبعدها. ولا يمكن الاستدلال بها على صولة الفكر الإباضي في حضرموت.

وهذه الإمارة الإباضية إن وجدت فعلاً فهي لا تملك إمكانية استمرارها في محيط سني بحضرموت وقد قيل إنها استعانت بدعم من حكام عمان الإباضيين خلال فترة حكمها التي لم تحدد بالضبط مما يعني عدم استجابة أهل حضرموت لسلطة إباضية جديدة.

ب - النهضة العلمية في إطار الفكر السني:

في الوقت الذي أخذ الشيعة في اليمن بآراء المعتزلة في الأصول فإن أهل السنة في اليمن عمومًا تمسكوا بآراء الإمام أحمد بن حنبل. وعندما قدم الأيوبيون السنيون إلى اليمن عام ٥٦٩هـ نقلوا معهم المذهب الأشعري وهو فكر وسط بين آراء الحنابلة النصيين المتشددين وآراء المعتزلة الآخذين بالعقل والمنطق. وتدريجيًا انتشر وتعزز المذهب الأشعري بين أوساط علماء وفقهاء أهل السنة والجماعة اليمنيين وخاصة بعد دخول كتب الإمام محمد الغزالي إلى اليمن وحضرموت، وهو أي الإمام الغزالي من أعمدة المذهب الأشعري في العالم الإسلامي.

وفيما يتعلق بالفروع وفي الجانب الفقهي بالذات أخذت الآراء والاجتهادات على قاعدة القرآن والسنة من قبل أعمال جلة من علماء المسلمين خاصة أهل السنة منهم تبرز كمذاهب فقهية. فعلماء اليمن حتى المائة الثالثة للهجرة قد أخذوا بآراء الإمام المحدث مالك بن أنس وهو يمني الأصل من قبيلة ذي أصبح عاش في الفترة (٩٣ - ١٧٩هـ) واستقر في المدينة المنورة يعلم وينشر آراءه للقاصدين إليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أخذ اليمنيون أيضًا بآراء الإمام الواسع الفكر أبي حنيفة النعمان. ومن فقهاء اليمن الذين اشتهروا في المائة الثالثة للهجرة [١]:

أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي اللحجي المتوفى عام ٢٠٣هـ. وقد تنقل هذا الفقيه بين عدن ولحج والجند وزبيد ومكة. فهو نموذج لهؤلاء الرواد من فقهاء اليمن الذين تنقلوا بين المراكز العلمية في اليمن والحجاز. وقد قصده وتعلم منه الكثير من التلاميذ الذين نشروا بدورهم فكره في مناطقهم. وحضرموت كما لا يعزب عن بالنا ليست بمعزل عن هذه المراكز خاصة عدن (وهي البعد الثقافي والتجاري لحضرموت عبر التاريخ) وتهامة اليمن والحجاز (خاصة مكة التي يقصدها الحضارمة في مواسم الحج وغيرها).

ولأبي قرة الشائع الصيت في زمانه مؤلفات في الفقه انتزعها من فقه مالك وأبي حنيفة وسفيان الثوري. وأشهر كتبه (الجامع في السنن). وبالرغم من وجود المذهب الحنفي في اليمن قبل المذهب الشافعي، ومن محاولة فرضه وتعميمه من قبل الدولة الأيوبية السنية فإن المذهب الشافعي قد اتسع وانتشر في مختلف أنحاء اليمن خاصة في تهامة وجنوب وشرق اليمن بعد المائة الثالثة للهجرة. ويروى أن المهاجر أحمد بن عيسى حينما وصل إلى حضرموت عام ٣١٨هـ وقصد الهجرين وجد فيها قاضيًا شافعيًا وآخر حنفيًا. وانطلق رواد العلم والمعرفة من أبناء اليمن إلى مكة ومصر لدراسة المذهب الشافعي على أيدي تلاميذ الشافعي وعادوا إلى بلادهم ليؤسسوا أول مدرسة للمذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري. وكانت مدرسة موسى بن عمران المعافري بمخلاف المعافرة، ومدرسة عبد الله بن زرقان المرادي في مخلاف جعفر. ومدرسة الحسين بن جعفر المراغي في سهفنة هي المدارس الأولى في اليمن [٢] التي تخرج منها فقهاء الشافعية. ومن أشهر علماء اليمن الشافعية زيد بن عبد الله اليفاعي الذي

---

(١) عمر بن علي بن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن.
وفؤاد السيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن.
(٢) الدكتور/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام.
والدكتور/ فؤاد السيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استقر في الجند قادمًا من مكة المكرمة عام ٥١٢هـ. وقد قصده جلة من فقهاء تهامة وأبين وحضرموت وغيرها [١]. ويعتبر الشيخ القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي كما وصفه ابن سمرة (إمام أئمة الشافعية) في صنعاء وعدن ولحج وأبين، وذاع صيطه في أرجاء اليمن وانتشر مذهبه في الجند وصنعاء وعدن ومات عام ٤٣٧هـ. كما يعتبر الشيخ يحيى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨هـ [وهو تلميذ الشيخ اليفاعي السابق الذكر] من كبار شيوخ الشافعية في اليمن. وقال عنه ابن سمرة: «**هو الإمام الذي انتشر عنه الفقه في البلدان، وجاز علمه البحر والسودان، وسارت بتصانيفه الركبان في اليمن والشام**». ومن أهم مؤلفاته (البيان) ويقع في عشرة مجلدات. ومن تلامذة الشيخ يحيى بن أبي الخير [٢]:

(أ) محمد بن عبد الله الحضرمي ومسكنه مدينة تريم.

(ب) محمد بن مفلح الحضرمي.

(ج) راشد بن عبد الله بن أبي جياش العامري وهو من ميفعة.

(د) سعيد بن فرج وهو من ميفعة أيضًا.

(هـ) أحمد بن عبد الله بن سالم القريظي في عدن. (وقد سبقه في قضاء عدن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني المتوفى عام ٣٢٠هـ وعبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن أبي عنبسة).

(و) محمد بن سعيد القريظي المتنقل بين عدن ولحج.

(ز) أنعم بن عبد الله العشاري وهو من أبين.

ويقول الدكتور سرجنت: قد ذكر باحسن أن بعض فقهاء حضرموت هاجروا عام ٥١٠هـ إلى الجند للدراسة. وقد درس على يد الشيخ زيد بن عبد الله المعافري فقهاء من حضرموت ولحج وعدن.

هذا الانتشار الواسع لعلماء الشافعية في أرجاء اليمن وخاصة تلاميذ الشيوخ: زيد بن عبد الله اليفاعي، والقاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي، والشيخ

(١) السابق.

(٢) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكبير يحيى بن أبي الخير العمراني والذين انتشر تلاميذهم في الجند ولحج وعدن وأبين وميفعة وحضرموت بما فيها تريم نفسها . إن هذا التواصل والترحال والتنقل في طلب العلم والأخذ عن كبار علماء اليمن سواء داخل اليمن أو خارجه لدليل قطعي وشاهد صادق على أن انتشار المذهب الشافعي في اليمن وحضرموت كان على يد هؤلاء العلماء والفقهاء والشيوخ الأجلاء . ويبقى تعميم التوحش والجهل والبداوة على كل حضرموت قبل وعند قدوم المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت استنادًا على كلام مبتور من بعض المؤرخين المسلمين في نحو القرنين الرابع والخامس الهجري عن قبيلة المهرة وعن المناطق الصحراوية والرملية في حضرموت التي يسكنها البدو الأميون متحاشين الحديث عن المدن المتحضرة كتريم وشبام والشحر فيه شيء كبير من التجني الواضح على حضرموت، وإنكار لحركة التطور العلمي والفقهي فيها، وهي كما رأينا ليست بمعزل عن مراكز النهضة العلمية والفقهية في تهامة اليمن ولحج وعدن وأبين. ولا يمكن أن نفسر هذا التجني إلا بأنه يهدف إلى إضفاء دور المنقذ من الضلال الإباضي العقيم (المزعوم بحضرموت) وإضفاء دور الباعث للنهضة العلمية في حضرموت للمهاجر أحمد بن عيسى وأولاده من بعده [1] . ومن خلال اطلاعنا على مؤلفات المؤرخين اليمنيين الكبار من أمثال ابن سمرة، وعمارة، وكذا الكتب الحديثة التي اعتمدت بدورها على مراجع ومصادر يمنية وعربية موثقة لم نقف على ذلك الدور غير العادي للمهاجر وأبنائه في نشر المذهب الشافعي في حضرموت . وقد أشاد صاحب طبقات فقهاء اليمن بالدور الرائد لمحمد بن علي القلعي الفقيه الشافعي الذي هرب من اليمن إلى ظفار أثناء فتنة ابن مهدي في تهامة اليمن، في نشر المذهب الشافعي في ظفار . ولم يتطرق صاحب طبقات فقهاء اليمن إلى الدور الرائد المزعوم لمحمد بن علي العلوي صاحب مرباط في نشر المذهب الشافعي في ظفار [كما يصور ذلك المؤرخون والباحثون العلويون الحضرميون] بالرغم من الغموض الذي ما زال لغزًا في حياة صاحب مرباط القصيرة، والتي اجترح خلالها أعمالاً باهرة وخاطفة في حضرموت وظفار من

(١) عبد الله بن حسن بلفقيه: الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ قدوم المهاجر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نجارة وخفر للقوافل وأستاذية لكوكبة من كبار علماء تريم الذين يقصدونه في مقر إقامته في بيت جبير بالرغم من التفاوت الكبير بين سنوات وفاتهم وسنة وفاته سنة ٦٥٦هـ في مقر إقامته في مرباط. وقد دلل على هذا التفاوت السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف [١] مما يستبعد أستاذيته لهم. ويتابع بن عبيد اللاه في نفس المرجع قوله: إن المؤرخين يكثرون من علم المهاجر ومن بعده إلى علي بن علوي خالع قسم ويذهبون به إلى غايات بعيدة وللشك في مثل ذلك نوافذ كثيرة. ويعزز قوله بما قاله صاحب الجوهر الشفاف [٢] (وهو غريد مديح العلويين وصناجة ثنائهم) عن الشيخ الإمام سالم بن فضل بأنه كان من كبار الزاهدين الورعين العاملين الذي سافر إلى العراق لطلب العلم وغاب ٤٠ سنة ثم عاد ومعه أحمال من كتب العلم حديثًا وفقهًا وغيرها، فدرَّس في بلده تريم وأقبل عليه طلبة العلم من كل مكان وحصَّل العلم على يده خلق كثير فأحيا العلم بعد أن كاد يندرس. ويفهم من هذا أن ازدهار النهضة خلال الدور السني في حضرموت كان في الدرجة الأولى بفضل العلماء والفقهاء الحضارمة غير العلويين. وقد تتلمذ عدد كبير من كبار العلويين كالفقيه المقدم على شيوخ غير علويين. ونذكر على سبيل المثال من شيوخ الفقيه المقدم:

(أ) عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد توفي عام ٦١٣هـ

(ب) أحمد بن محمد باعيسى توفي عام ٦٢٦هـ أو ٦١٨هـ

(ج) علي بن أحمد بامروان توفي عام ٦٢٤هـ

(د) محمد بن أحمد بن أبي الحب توفي عام ٦١١هـ

(هـ) محمد بن علي الخطيب توفي عام ٦٠٩هـ

هذا وقد دونت لنا المصادر التاريخية أسماء العديد من العلماء والفقهاء الحضارمة غير العلويين وهم الأكثر شهرة خلال الدور السني نذكر منهم حسب التسلسل التاريخي لوجودهم:

---

(١) حضرموت بلادها وسكانها: مجلة العرب ج ٧، ٨، محرم وصفر ١٤١٨هـ.
(٢) صاحب كتاب الجوهر الشفاف هو الشيخ عبد الرحمن الخطيب المتوفى سنة ٨٥٥هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أ) الشيخ أبو المكارم محمد بن سليمان الخطيب الذي ندبه حكام بني زياد لتولي خطبة الجمعة في تريم ليكون أول الخطباء من أسرته في اعتلاء منبر الجامع لخطبة الجمعة الوحيدة في تريم وضواحيها.

(ب) الشيخ يحيى عبد العظيم الحاتمي الذي عاش في الفترة [٤٨٠. ٥٤٠هـ] بتريم.

(جـ) القاضي أحمد بن إبراهيم باجحوش قاضي شبام سنة ٥٦٠هـ.

(د) الفقيه الشيخ يحيى بن سالم أكدر الذي استشهد عام ٥٧٦هـ في تريم.

(هـ) الفقيه الشيخ أحمد بن سالم أكدر الذي استشهد عام ٥٧٦هـ في تريم.

(و) الشيخ الإمام سالم بن فضل بن محمد بافضل مدشن النهضة العلمية في تريم وقد عاش في الفترة [٥٢٠. ٥٨١هـ].

(ز) شيوخ الفقيه المقدم الوارد ذكرهم آنفًا.

هذا ولم يشتهر ويبرز علماء وفقهاء حضرموت خلال الدور السني في وطنهم فحسب. بل ذاع صيتهم خارج بلدهم أيضًا فنذكر منهم:

(أ) مقرئ الحرمين أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي مشيرح الحضرمي. وهو أحد كبار المحدثين في الحرم المكي والذي روى عنه الشيخ طاهر ابن الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني أثناء وجوده في مكة.

(ب) العالم أحمد بن محمد الحاسب الذي ذكر عنه عمارة في كتابه تاريخ اليمن بأنه رآه في عدن عام ٥٢٩هـ.

(جـ) المعلم إسماعيل بن علي الحضرمي الذي انتقلت أسرته من حضرموت إلى قرية الضُّحي بوادي سردد، وتوارثت العلم والفقه. وقد توفى ابنه الفقيه محمد عام ٦١٥هـ مما يدل على التواصل العلمي بين شمال اليمن وحضرموت قبل هذا التاريخ.

إن هذا الحضور العلمي والفقهي في حضرموت وخارجها لفقهاء وعلماء حضرموت من قبل أن يصل المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت عام ٣١٨هـ وحتى بُعيد دخول العلويين مدينة تريم عام ٥٢١ هـ يقود إلى النتائج الآتية:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) لم تكن حضرموت كلها بلاد توحش وبداوة وجهل وأمية بل فيها المناطق المتحضرة وفيها المدن المزدهرة بالعلم والعلماء والشعراء والأدباء.

(٢) لم تكن حضرموت منعزلة كمجاهل إفريقيا أو نائية كأطراف الصين. بل هي على اتصال ثقافي وتجاري مع بقية مناطق اليمن. وقد ذكر العطاس في سفينته: أنه في سنة ٥١٨هـ سمع الفقيه ابن الذئب صحيح البخاري على الفقيه ربيعة الصنعاني بجامع شبام. وإن ابن الذئب هذا ينتسب إلى أسرة باذيب التي منها قضاة الدين وقضاة الدولة. وإن منها في زمن الراوي عمر بن عبد الله جمال الشبامي سبعة مفتون وقاضيان بشافعي وحنفي. كما ظل الحضرميون على تواصل مستمر بين بلادهم والحجاز خاصة مكة والمدينة كما سبق أن أوضحنا ذلك.

(٣) لم تعرف حضرموت حركات استقلال ناجحة عن اليمن الوطن الأم خلال الدور السني. وقد عزز هذا الارتباط السياسي التواصل العلمي والثقافي.

(٤) لم ينفرد العلويون بالدور الرائد للنهضة العلمية والحركة الثقافية بحضرموت خلال الدور السني وهم الذين قضوا معظم وقتهم في ترحال من غرب حضرموت إلى شرقها. ولم يبرز دورهم العلمي إلا بعد خروجهم من عزلتهم في بيت جبير واندماجهم بعلماء أهل السنة في تريم لتتجلى أعمالهم في الدور الصوفي كما سنرى ذلك في الفصل القادم. وفترة العزلة بالنسبة للعلويين هي فترة التمسك بالفكر الإمامي فكر الأئمة العلويين وفترة الاندماج هي فترة تبرلهم بسيادة الفكر السني والمذهب الشافعي. وبهذا الاندماج بين الحضرميين من علويين، وغير علويين انحلت عقدة (الإباضية) ذلك البعبع الوهمي الذي ضخمه المؤرخون الحديثون من بني علوي.

٢. الفكر الإمامي العلوي بحضرموت:

أ - الخلفية التاريخية:

بعد أن اغتال الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايع فريق من المسلمين المناصرين للإمام علي بن أبي طالب ابنه الأكبر الحسن بن علي كخليفة للمسلمين خلفًا لوالده. ولكن إدراكًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) لم تكن حضرموت كلها بلاد توحش وبداوة وجهل وأمية بل فيها المناطق المتحضرة وفيها المدن المزدهرة بالعلم والعلماء والشعراء والأدباء.

(٢) لم تكن حضرموت منعزلة كمجاهل إفريقيا أو نائية كأطراف الصين. بل هي على اتصال ثقافي وتجاري مع بقية مناطق اليمن. وقد ذكر العطاس في سفينته: أنه في سنة ٥١٨هـ سمع الفقيه ابن الذئب صحيح البخاري على الفقيه ربيعة الصنعاني بجامع شبام. وإن ابن الذئب هذا ينتسب إلى أسرة باذيب التي منها قضاة الدين وقضاة الدولة. وإن منها في زمن الراوي عمر بن عبد الله جمال الشبامي سبعة مفتون وقاضيان شافعي وحنفي. كما ظل الحضرميون على تواصل مستمر بين بلادهم والحجاز خاصة مكة والمدينة كما سبق أن أوضحنا ذلك.

(٣) لم تعرف حضرموت حركات استقلال ناجحة عن اليمن الوطن الأم خلال الدور السني. وقد عزز هذا الارتباط السياسي التواصل العلمي والثقافي.

(٤) لم ينفرد العلويون بالدور الرائد للنهضة العلمية والحركة الثقافية بحضرموت خلال الدور السني وهم الذين قضوا معظم وقتهم في ترحال من غرب حضرموت إلى شرقها. ولم يبرز دورهم العلمي إلاّ بعد خروجهم من عزلتهم في بيت جبير واندماجهم بعلماء أهل السنة في تريم لتتجلى أعمالهم في الدور الصوفي كما سنرى ذلك في الفصل القادم. وفترة العزلة بالنسبة للعلويين هي فترة التمسك بالفكر الإمامي فكر الأئمة العلويين وفترة الاندماج هي فترة تبولهم بسيادة الفكر السني والمذهب الشافعي. وبهذا الاندماج بين الحضرميين من علويين، وغير علويين انحلت عقدة (الإباضية) ذلك البعبع الوهمي الذي ضخمه المؤرخون الحديثون من بني علوي.

٢. الفكر الإمامي العلوي بحضرموت:

أ - الخلفية التاريخية:

بعد أن اغتال الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايع فريق من المسلمين المناصرين للإمام علي بن أبي طالب ابنه الأكبر الحسن بن علي كخليفة للمسلمين خلفًا لوالده. ولكن إدراكًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الحسن بن علي لأهمية الوحدة الإسلامية في تلك الظروف الصعبة وحقنًا لدماء المسلمين تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان المؤسس الأول للخلافة الأموية. وفي عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان نهض الحسين بن علي السبط الثاني للرسول محمد ﷺ وأعلن ثورته ضد بني أمية السلطة الحاكمة. فكانت معركة (كربلاء) بين الفريقين انتصر فيها بنو أمية واستشهد فيها الحسين بن علي نفسه وكوكبة من كبار العلويين [1] وأنصارهم.

فكانت بمثابة الصدمة الثانية للعلويين بعد الصدمة المريرة الأولى بمقتل الإمام علي بن أبي طالب الذي يعتبرونه الإمام الأول وصاحب الحق في خلافة رسول الله ﷺ. لقد عمقت هاتان الصدمتان روح التشيع لأهل البيت وعكست تطرفًا في التشيع لأهل البيت لاقى هوى في نفوس العديد من المسلمين خاصة لدى الفرس. كما عززت هاتان الصدمتان تصميمًا لدى العلويين وشيعتهم على المضي قدمًا في سبيل دعوتهم وحقهم في إمامة المسلمين.

هذا ولمّا استيقن العلويون وأنصارهم أن لا طاقة لهم بالنيل من البيت الأموي المنافس التاريخي للبيت الهاشمي، بعد عدة محاولات للنهوض لم يكتب لها النجاح، اتخذوا أسلوب الدعوة السرية والحركة الباطنية خاصة في خراسان من بلاد فارس، وضمت كل الهاشميين من علويين وعباسيين ومطلبيين وشيعتهم، ورفعت هذه الدعوة السرية شعار (البيعة للرضا من آل محمد). وعندما تفجرت الثورات المضادة لبني أمية خاصة الثورة الإباضية الخاطفة التي قادها عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي والتي غرت أسطورة منعة وجبروت الدولة الأموية، وتفاقمت التناقضات والخلافات داخل البيت الأموي نفسه، وبعد أن استكملت الحركة العلوية استعداداتها، انطلقت من خراسان جيوش الدعوة العلوية بقيادة أبي مسلم الخراساني واصطدمت بالجيش الأموي بقيادة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في موقع (نهر الزاب) وأسفرت المعركة عن انتصار ساحق للحركة

(١) العلويون: هم المنتسبون للإمام علي بن أبي طالب. ولكن هذا المصطلح قد أخذ تعريفات خاصة في التاريخ الإسلامي كالعلويين في الشام وكعلويي حضرموت. أما أهل البيت فهو مصطلح أعم وقد حددناه في موقع آخر من هذا الكتاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلوية وهزيمة نكراء لبني أمية قضت بها على الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ. وما إن دخلت طلائع جيش الثورة العلوية العراق مكللة بغار النصر حتى قلب الجناح العباسي في الحركة العلوية ظهر المجن لبني عمومتهم العلويين وقفزوا إلى السلطة وأعلنوا قيام الخلافة العباسية ، وبايعوا أبا العباس (السفاح) كأول خليفة للدولة العباسية الذي بادر إلى قتل قائد الثورة العلوية أبي مسلم الخراساني متهمًا إياه بالعمل سرًّا لإعلان دولة علوية. ونكث العباسيون بيعتهم لـ (محمد النفس الزكية) التي عقدوها له ثلاث مرات من قبل: في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وفي العراق. ونكل العباسيون بالقيادات العلوية قتلاً وسجنًا وتشريدًا. وأصيب العلويون من بني العباس أكثر مما أصيبوا من بني أمية. وأمام هذه الهجمة الشرسة التي واجهها العلويون من السلطة الجديدة في العراق وجهوا نشاطهم إلى المناطق الإسلامية البعيدة عن مركز السلطة في بغداد. وكانت بلاد فارس المعقل الأساسي الأول والأخير للشيعة ومازالت كذلك إلى اليوم حيث تعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية أكبر وأقوى الدول الإسلامية الآخذة بالفكر الشيعي الاثنى عشري، ولها تأثير حركي فكرًا وإعلامًا وسياسةً على كثير من التجمعات الشيعية في البلاد العربية والإسلامية.

لبث الشيعة في فارس موالين للعلويين وداعمين لهم ومنتهزين الفرص لاسترداد ما اغتصبه العباسيون من حقهم في الخلافة وإمامة المسلمين كما يعتقدون. وظل العباسيون يراقبون تحركاتهم وكانوا على مستوى عال من اليقظة والحذر مما مكنهم في دور قوتهم وقبل أن يعتري الدولة العباسية الوهن والتسلط العسكري الدخيل عليها من البطش بأعدائهم وإفشال كل المؤامرات المحاكة ضدهم. فعندما أحس هارون الرشيد الخليفة العباسي بخطر البرامكة على دولته بعد وصولهم إلى مراكز النفوذ فيها تولى نكبتهم الشهيرة سنة ١٨٦هـ متهمًا إياهم بالعمل السري لدعوة (يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوي) وقتل الرشيد يحيى نفسه. وفي أثناء اشتداد الخلاف والأزمة بين الأمين والمأمون وَلَدَيْ هارون الرشيد تمكن الفضل بن سهل السرخسي وزير المأمون من إقناعه بالتنازل عن الخلافة للإمام علي الرضا ابن موسى الكاظم. ونهضت الانتفاضات العلوية ضد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العباسيين وتوسعت في البصرة والكوفة ومكة واليمن. ومن بين قادة هذه الانتفاضات أخوا الإمام علي الرضا وهما: زيد بن موسى وإبراهيم بن موسى. ومن هول وشراسة هذه الانتفاضات الدموية لقب زيد بن موسى بـ (زيد النار) لكثرة من أحرق من المسلمين بالنار. ولقب إبراهيم بن موسى بـ (إبراهيم الجزار) لكثرة من ذبح من المسلمين في اليمن. وكان وراء هذه الانتفاضات الدموية الشيعة من الفرس. وجاء رد القيادة العباسية حاسمًا وقاسيًا أمام هذه الانتفاضات التي كادت أن تنجح لصالح العلويين. فقام المأمون الذي تولى القيادة العباسية بالقضاء على وزيره الفضل بن سهل، ودس السم للإمام علي الرضا ابن موسى الكاظم. بل وقضى على أخيه الأمين لنقضه العهد ومخالفة وصية أبيهما هارون الرشيد [١].

وبالرغم من فشل الحركات العلوية ضد العباسيين خلال قوة الدولة العباسية ويقظة خلفائها الأوائل فقد تمكن العلويون وشيعتهم وأنصارهم من إنشاء دول علوية شيعية في مناطق عدة من الدولة الإسلامية كالدولة الزيدية في الديلم واليمن والدولة الإسماعيلية الفاطمية في شمال إفريقيا ومصر والدولة الإسماعيلية الأولى والثانية في اليمن بقيادة يمنية ودعم وتوجيه من القيادة الإسماعيلية الفاطمية. وكان النفوذ العسكري لبني بويه الشيعة في الخلافة العباسية خلال الفترة (٣٣٤-٤٤٧هـ) من أهم العوامل في تشجيع حركات العلويين والشيعة في البلاد الإسلامية خلال نفوذهم هذا [٢]. وبنو بويه هؤلاء من بلاد الديلم الواقعة جنوب بحر قزوين.

ب - الهجرة العلوية إلى اليمن:

كان اليمن محط أنظار العلويين كموقع ملائم وممتاز لنشاطهم الدعوي والحركي فهو يتمتع بالخصائص الآتية [٣]:

(أ) حب اليمنيين لأهل البيت منذ أن بعث الرسول محمد ﷺ عَليَّ بن أبي

(١) محمد بن مالك المعافري: تحقيق محمد بن علي الأكوع: كشف أسرار الباطنية.
(٢) محمد علي الأهدل: نثرالدر المكنون في فضائل اليمن الميمون.
(٣) فؤاد السيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طالب رضي الله عنه إلى اليمن معلمًا ومرشدًا خاصة وسط قبائل همدان.

(ب) بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية.

(جـ) وعورة مسالك اليمن وطبيعتها الجبلية.

في عام ١٩٩هـ وصل إلى اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وجماعة من أهله. وأعلن ثورته في صعدة وناصرته قبيلة فطيمة فأسرف في العنف والقتل حتى لقب بالجزار. لكن الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد تمكن من القضاء المبرم على ثورة إبراهيم الجزار وعلى كل الاضطرابات التي قامت في اليمن. وتمكن محمد بن زياد من إعادة اليمن إلى النفوذ العباسي.

وفي صعدة تجددت الفوضى والاضطرابات القبلية. ولم تتفق قبائلها على زعيم يلم شملها. وللعلاقة الحميمة لقبائل صعدة بأهل البيت منذ ثورة إبراهيم الجزار ولصلتها بأهل البيت في الحجاز، ذهب وفد من قبيلة فطيمة الخولانية إلى الحجاز والتقى بالهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي الحسني، وطلب منه الخروج إلى اليمن ليتولى زعامتهم فخرج هذا إلى اليمن عام ٢٨٠هـ إلاّ أنه لم يوفق مع مَنْ طلبوه وعاد إلى الحجاز. غير أن هذه القبائل اليمنية عادت إلى يحيى بن الحسين الرسي للمرة الثانية وألحت عليه للخروج إلى اليمن. فوصل إليه سنة ٢٨٤هـ وتمكن من تأسيس الدولة الزيدية في اليمن التي دامت أكثر من ألف عام.

وفي عام ٣١٧هـ تحرك من البصرة ركب علوي آخر يضم ثلاث أسر مع أموالها وأخدامها ومواليها تنتمي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. مرت هذه الأسر الثلاث بالحجاز ثم دخلت اليمن وتوزعت في مناطق اليمن على النحو الآتي:

(أ) استقر الإمام محمد بن سليمان الأهدل مع أسرته في وادي سهام في تهامة اليمن.

(ب) استقر الإمام القديمي مع أسرته في وادي سردد بتهامة اليمن أيضًا.

(جـ) استقر الإمام أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي وأسرته في وادي حضرموت حيث وصل إليها عام ٣١٨هـ. وعلي العريضي هو أخ لإسماعيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي تنسب إليه الفرقة الشيعية الإسماعيلية وأخ لموسى الكاظم الذي تنسب إليه الفرقة الشيعية الاثنا عشرية.

وفي عام ٣٨٨هـ بدأ الإمام المنصور بالله أبو محمد القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد العياني دعوته في اليمن. وقد استدعى إلى اليمن من بلاد الشام.

وفي عام ٤١٨هـ قدم من الحجاز إلى اليمن الداعي أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى ومات عام ٤٣١هـ.

وجاء في هجر العلم [1]: (وذكر محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل في كتابه (النهج الأعدل) أن أول قادم إلى اليمن من آبائه جده محمد بن سليمان، خرج من العراق هو وابن عمه أحمد عيسى جد آل باعلوي مشايخ حضرموت في حدود سنة ٤٥٠هـ تقريبًا. وأكد هذا صاحب المشرع الروي في المجلد الأول صفحة ٧٧. بينما تذكر مصادر التاريخ الحضرمي أن أحمد بن عيسى قدم إلى حضرموت سنة ٣١٨هـ).

وفي عام ٤٣٠هـ جاء إلى اليمن من بلاد الديلم الإمام أبو الفتح الناصر بن حسين الديلمي وهو الذي قتله الصليحيون عام ٤٤٤هـ.

هكذا توافد العلويون إلى اليمن أفرادًا وجماعات من الديلم، والعراق، والشام، والحجاز هروبًا من بطش العباسيين، أو بطلب من القبائل اليمنية، أو دعمًا للدعوات الشيعية التي نهضت في اليمن أو رغبة في تأسيس دولة علوية. وقد سمي أحد مخاليف اليمن بالمخلاف السليماني نسبة إلى الأشراف السليمانيين الذين استوطنوه وتولوا أمره وهم الذين لاقوا أذى واضطهادًا من ابن مهدي ذي النزعة الخارجية قبل قدوم الأيوبيين السنيين إلى اليمن.

جـ - الإمام أحمد بن عيسى ودعوته في حضرموت:

(١) موقع الإمام أحمد بن عيسى في السلسلة العلوية: نقصد بالسلسلة العلوية هنا تلك التي تبدأ بالإمام علي بن أبي طالب، ويأخذ الإمام أحمد بن عيسى في

(١) القاضي بن إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن ج ٤ ص ٢٠٠٣.

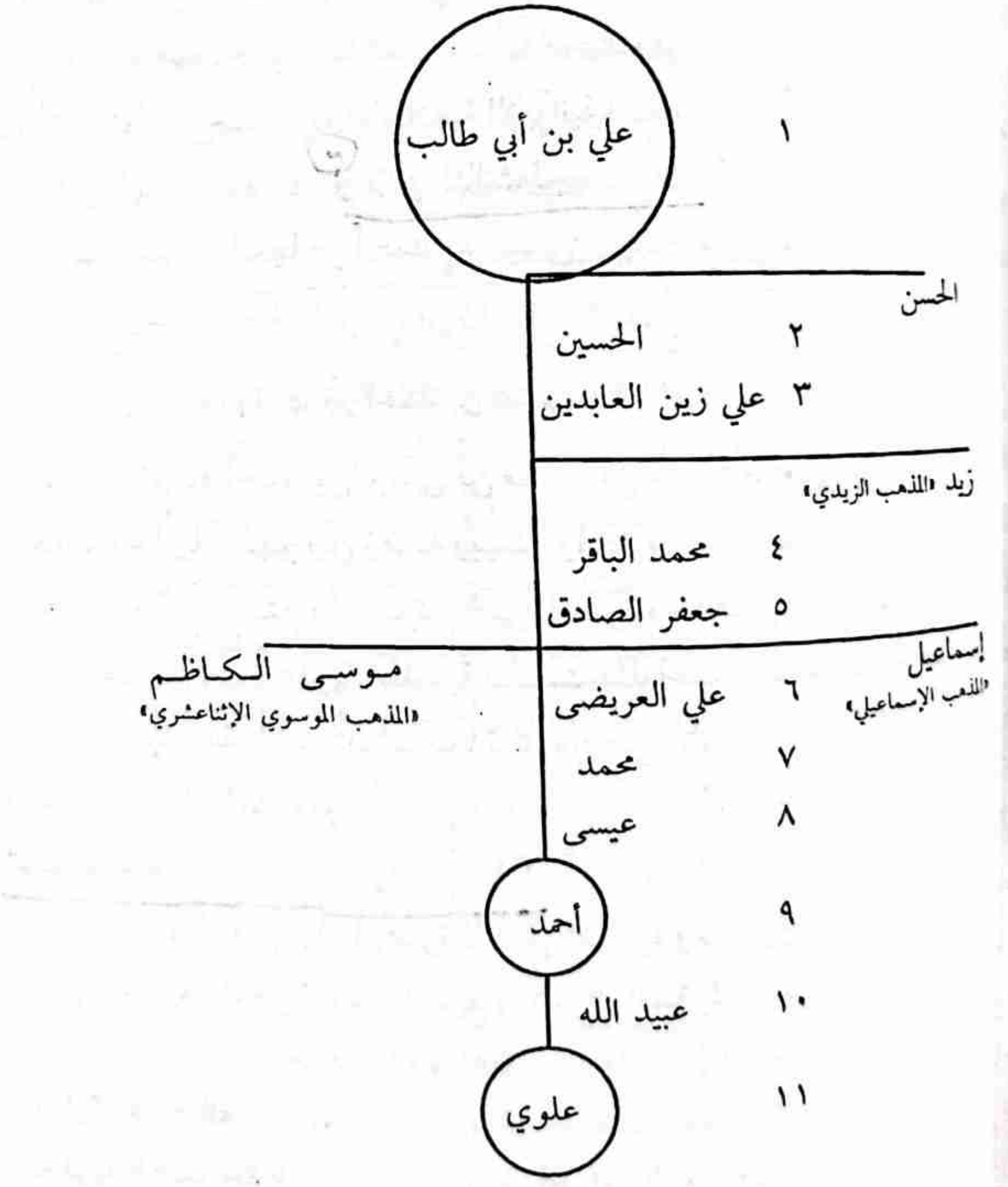
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب الرقم (٩). أما السلسلة العلوية الحضرمية فهي جزء من السلسلة الأم، وسميت كذلك نسبة إلى علوي بن عبيد اللاه بن أحمد بن عيسى ويأخذ الرقم (١١) في السلسلة العلوية الأم. وإلى علوي هذا ينتسب كل العلويين بحضرموت انظر إلى الشكل رقم (٤).

شكل رقم (٤)

مواقع أئمة المذاهب الشيعية

وأجداد العلويين الحضرميين في السلسلة العلوية الأم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وينسب المذهب الزيدي إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين . وأهم الدول الإسلامية التي قامت وأخذت بالمذهب الزيدي الدولة الزيدية في الديلم من بلاد فارس والدولة الزيدية التي قامت في اليمن . ولجعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ثلاثة أبناء هم: إسماعيل وينسب إليه المذهب الإسماعيلي ومن أهم الدول التي أخذت بهذا المذهب الدولة الفاطمية في مصر وشمال إفريقيا والدولة الصليحية في اليمن. وموسى الكاظم وينسب إليه المذهب الموسوي أو الاثنا عشرية . وسمي كذلك لأن هذا المذهب حصر الإمامة في ١٢ إمامًا بدءًا من الإمام علي بن أبي طالب وانتهاء بالإمام المنتظر محمد المهدي الذي يقول فيه أصحاب هذا المذهب أنه مختف في السرداب وسيخرج منه آخر الزمان . وتعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية القائمة اليوم أعظم معقل في العالم الإسلامي لهذا المذهب . والابن الثالث لجعفر الصادق هو الإمام علي العريضي الجد الثاني للإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي المتوفى في حضرموت عام ٣٤٥هـ.

(٢) عقيدة الإمام المهاجر احمد بن عيسى:

لم يكن الإمام أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق شخصية عادية . فهو ابن زمانه وبيئته وأحد سادة الوسط العلمي والمكانة الاجتماعية التي تتمتع بها أسرته لا في البصرة وحدها بل وفي العراق والحجاز أيضًا . فهو من أسرة علوية هاشمية تطلعت منذ اغتيال جدها الإمام علي بن أبي طالب إلى نيل حقها المغتصب كما ترى من قبل الأمويين ثم من قبل العباسيين. وقد عاش هذا الإمام وترعرع في البصرة وعاصر الفتن التي عصفت بها كفتنة الزنج وهجومهم على البصرة عام ٣١٠هـ. وشهد اضطهاد العلويين وسوقهم إلى الموت . وهو إذ قرر ترك البصرة لا لفقر اضطره ولا لعوز ألجأه، فهو الثري ابن الثري الذي يملك في البصرة الضيع والأموال المنقولة وغير المنقولة . وإنما غادر البصرة وبعض من أهله لما هو أعظم من ذلك، إنه الفكر والمبدأ الذي أخذه وتوارثه عن آبائه أئمة الأسرة العلوية . وانتدب أنفسهم له كثير من الشخصيات العلوية الطموحة التي انطلقت نحو أطراف الدولة الإسلامية بعيدًا عن مركز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلافة العباسية. وقد تطرقنا إلى الشخصيات العلوية الطموحة كأمثاله التي قدمت إلى اليمن.

وصل الإمام أحمد بن عيسى إلى حضرموت ولقب بالمهاجر فيما بعد. وهو يحمل بين جنبيه ألم المأساة العلوية وفي رأسه طموحه المشروع في الإمامة والقيادة العلوية للمسلمين حيثما كانوا. وقد أعد لهذا الإمكانات المادية من الأموال الباهضة والحشم والخدم التي اصطحبها معه من البصرة. والإمكانات المعنوية من علم ونسب. وقد أجمعت أكثر مصادر المؤرخين والباحثين العلويين الحضرميين على أن المهاجر أحمد بن عيسى إمامي متمسك بعقيدة آبائه الأئمة. فهو إذن يحمل فكرًا إماميًا يدعو المسلمين إلى الالتفاف حول أهل البيت والتشيع لهم. ومن قال من هؤلاء المؤرخين إن الإمام أحمد بن عيسى [1] سني شافعي فقد استدرك وقال عنه إنه إمام مجتهد غير مقلد للمذهب الشافعي. ويعلق الدكتور سرجنت على من يقول بأن المهاجر أحمد بن عيسى أحيا ونشر تعاليم السنة والمذهب الشافعي بأنه لا يعدو أن يكون إسقاط ظروف متأخرة على الماضي. إذ لا توجد مصادر معاصرة تشير بذلك. ويتابع الدكتور سرجنت قوله: وهناك بعض المؤرخين المحدثين من السادة والذين يطرحون نظرية بأن المهاجر وأبناءه بعيدون عن المذهب الشافعي وأنهم أئمة شيعة حيث لا تقبل آراؤهم الجدل أو النقاش. ويقول الأستاذ صالح بن علي الحامد في مؤلفه تاريخ حضرموت: إن المهاجر إمامي علوي على مذهب العلويين في العراق. والمذهب الإمامي مذهب قومي للعلويين وشيعتهم. ومن يجزم بأن المهاجر سني شافعي إنما يستند على الاستصحاب المقلوب. أي لأن أبناءه الأواخر كانوا سنة شافعية فهو سني شافعي وهذه ليست حجة. وأن المذهب الشافعي دخل

---

(١) راجع المؤلفات:
محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.
صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.
علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت.
محمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح: الإمام المهاجر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حضرموت عن طريق اليمن متأخرًا. هذا ويؤكد العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف بأن المهاجر لم يكن شافعيًا ولا أشعريًا. بل ويقول: (إن العلويين الحضرميين ومن لف لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه) [١].

وتأتي مسألة إقناع أهل حضرموت بنسبة المهاجر إلى أهل بيت الرسول محمد ﷺ من أولى المهام لالتفاف أهل حضرموت حول المهاجر وأبنائه من بعده وتشيعهم له ولذريته. وقد كلف إثبات هذه النسبة واقتناع علماء حضرموت بها رحلة مكوكية بين البصرة ومكة وحضرموت وأمدًا طويلاً، كانت آخرها بعد دخول العلويين مدينة تريم بعد مضي نحو قرنين منذ وصول المهاجر نفسه إلى حضرموت. والنسبة لأهل البيت كما هو معروف أس العقيدة الإمامية ومرتكز المذاهب الشيعية كلها من زيدية وإسماعيلية واثني عشرية. ولو لم يكن المهاجر إماميًا راغبًا في الإمامة لما بذل هذا الجهد لإثبات النسبة. ولو قدم حضرموت لنشر الدعوة الإسلامية والفكر السني والمذهب الشافعي لما احتاج إلى سلاح النسب فعلمه وماله وأخلاقه في بلد ناء وأمام شعب فقير أمي في معظمه عوامل كافية لنشر دعوته السنية.

(٣) دعوة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى:

لم يقدم الإمام أحمد بن عيسى إلى حضرموت لاجئًا ليسكن وأهله حضرموت في هدوء وسكينة وأمان. كما لم يأت مغامرًا ليزج بنفسه في حرب مع قوة إباضية نافذة في حضرموت (كما يريد البعض أن يصور ذلك) بعد أن لمس في البصرة من الخوارج أصنافًا من الكراهية [٢]. وإنما جاء داعيًا لأهل البيت في مكان قصي عن أنظار بني العباس، ملتمسًا من أهل حضرموت الالتفاف حوله والنصرة له لقيام دولة علوية إمامية تحت لوائه لا زيدية ولا إسماعيلية ولا اثني عشرية؛ لأنه لم يكن داعية لهذه المذاهب الشيعية كما لم يتخذ من هذه المذاهب نفسها مرجعية له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنه يتفق معها في الخط العام للفكر الإمامي المتشيع لأهل البيت. والمصادر التاريخية التي اطلعت عليها لم تشر إلى أية علاقة أو تنسيق بين الإمام أحمد بن عيسى أو أحد أبنائه مع دعاة الزيدية أو الإسماعيلية في اليمن أو خارجها في هذا الشأن. وتنبئ حركات المهاجر في عدة مناطق من حضرموت بدءًا من الهجرين في دوعن غربًا إلى الحسيسة في وسط وادي حضرموت شرقًا، إنها لم تكن عشوائية أو سياحية بل هي مدروسة وهادفة لغاية في نفسه. اعتقد أنها لتلمس الطريق نحو إقامة إمامة علوية حضرمية. ولم يكتب لهذه الدعوة النجاح لأنها واجهت منذ البداية عقبتين إحداهما تتعلق بالمهاجر نفسه وتتعلق الأخرى بالرئاسات القبلية الحضرمية وهاتان العقبتان هما:

(أ) العصبية:

تلعب العصبية في عصر المهاجر أحمد بن عيسى دورًا أساسيًا في الوصول إلى الحكم. والمهاجر في حضرموت لا يملك عصبية قبلية، فهو بعيد عن عشيرته. كما لا يملك عصبية مذهبية تؤازره. وكل ما يملكه أموالاً وهي وحدها غير كافية، ونسبة علوية وقد لاقت إعراضًا وعدم قبول لدى الحضرميين في بادئ الأمر ولفترة طويلة كما سبق أن نوَّهنا. ويقول الأستاذ صالح علي الحامد في كتابه تاريخ حضرموت: اضطر العلويون في حضرموت إلى تأكيد النسبة مرتين، كانت الأولى في عهد المهاجر نفسه إذ أرسل ابنه عبيد اللاه مع ٣٠٠ حاج حضرمي إلى مكة فشهد الحجاج العراقيون بصحة النسبة أمام الحضارم. وكانت الثانية بعد مئتي سنة بطلب من بعض ملوك حضرموت في تريم ومن علمائها وفقهائها الذين طلبوا تأكيد النسب، فتوجه علي بن محمد بن أبي جديد من ذرية جديد بن عبيد اللاه إلى البصرة وأشهد ١٠٠ شاهد من العراقيين الذين يريدون الحج. وفي الحج شهد الشهود أمام حجاج حضرموت.

وقد ثبتت النسبة من قضاة البصرة ببصيرة شرعية. وبعد هذه الشهادة اعترف الناس لهم بالنسبة الشريفة، وأقروا لهم بالفضل. ويتابع الأستاذ الحامد صاحب تاريخ حضرموت حديثه عن تأكيد النسبة العلوية فيقول: إن نسبة علويي حضرموت من أصح النسب من بين آل باعلوي جميعهم. وأن محمد بن المهاجر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحمد بن عيسى قد بقي في العراق وأدغمت ذريته مع سكان العراق بينما حفظت ذرية أخيه عبد الله بفضل وجودها في حضرموت. وأن الإمام يحيى حميد الدين شيخ العلويين وأتقى الملوك المعاصرين إمام اليمن قد أكد على صحة شجرة نسبة آل باعلوي عام ١٣٥١هـ فاعتمدها أهل اليمن.

ولعل ما أورده ابن خلدون عن حكاية العلوي القادم من كربلاء بالعراق إلى الجزائر ما يلقي الضوء على دور العصبية قوة أو ضعفًا قبلية كانت أم مذهبية. فما حدث للعلوي بالجزائر يشبه ما حدث للعلوي المهاجر إلى حضرموت لتشابه الغايات والظروف التي اكتنفت دعوتيهما.

يقول ابن خلدون [١]: (أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبلي أنه صحب في حجه في رباط العباد (مدفن الشيخ أبي مدين) في جبل تلمسان المطل عليها، رجلاً من أهل البيت من سكان كربلاء وكان متبوعًا معظمًا كثير التلميذ والخادم.

وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان. قال وتأكدت الصحبة بيننا في ذلك الطريق. فانكشف لي أمرهم، وأنهم جاؤوا من موطنهم كربلاء لطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب. فلما عاين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان، قال: لأصحابه ارجعوا فقد أزرى لنا الغلط، وليس هذا الوقت وقتنا. وبدأ هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم إلاّ بالعصبية المكافئة لأهل الوقت. فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه. وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لاسيما في المغرب. إلاّ أن المتعصب لشأنه لم يترك لهذا القول والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاء إلى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره).

إن الدارس المدقق والباحث المتفحص لكل ما روى عن الإمام المهاجر

---

(١) ابن خلدون: المقدمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحمد بن عيسى والوفد المرافق له والأموال المصحوبة معه والتواصل المستمر مع قومه في البصرة، والظروف التي عاشها في البصرة قبل هجرته، والتشابه العجيب بين حالته وحالة ذلك العلوي المهاجر إلى الجزائر وما لقياه من تعصب قبلي في كلا البلدين ونبذ لعصبية الفواطم وقريش أجمع ليستنبط بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإمام أحمد بن عيسى قد جاء إلى حضرموت كداعية وإمام شيعي لقيام إمامة علوية في حضرموت غير أنه كزميله العلوي المهاجر من كربلاء إلى الجزائر لاقى نفس الظروف القبلية والفكرية، وأنه ليس لعصبية الفواطم وقريش أجمع مكان وقبول في حضرموت وقد اكتشف أبناؤه بعد عزلة وتجربة نُذرت بمئتي سنه ألاّ سبيل أمامهم إلاّ الأخذ بفكر أهل السنة والجماعة وبمذهب الإمام الشافعي المتنفذين والسائدين في حضرموت. والاندماج في المجتمع السني الذي دشن بدخولهم مدينة تريم عام ٥٢١هـ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن محاولات علوية لإقامة إمامة علوية في حضرموت أتت لاحقة وفشلت في حين نجحت محاولات قبلية أخرى في إقامة إمارات وسلطنات، ويرجع ذلك للواقع الحضرمي الذي يعيش العصبية القبلية ولا يقبل عصبية الفواطم. وقد أدرك العلويون هذه الحقيقة فسلكوا طريق الاندماج والتصوف لانتزاع النفوذ الروحي ورغبوا عن النفوذ السياسي كما سنرى ذلك في الفصل القادم إن شاء الله.

حب الرئاسة:

التطلع إلى الملك والرئاسة من شيم الرئاسات العشائرية والقبلية في حضرموت. وهو مطبوع لديها منذ الدور الوثني لدرجة أنه قد نجد في القبيلة الواحدة أكثر من ملك وقيل، كالأشعث بن قيس الكندي والملوك الأربعة وأختهم العمردة. كما نجد في شعب جبل أو قرية صغيرة ملكًا كملك قرية (سمل) الذي قيل إن عبد الله بن الإمام المهاجر أحمد بن عيسى تزوج ابنته وانجب منها.

وشهدت حضرموت منذ دخولها الإسلام عدة تمردات استقلالية عن السلطة المركزية ونالت من جراء ذلك القمع القاسي لإخضاعها للسلطة المركزية. هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الروح الاستقلالية لدى القبائل الحضرمية هي التي وقفت عقبة كأداء أمام التسليم للمهاجر بالزعامة والقيادة والإمامة. أما ما قيل عن أن سبب المقاومة الحضرمية لدعوة الإمام المهاجر وعزلة العلويين قرنين من الزمن يعود إلى نحلة الحضرميين الإباضية فما هو إلاّ مجرد تكهنات وإسقاطات لتبرير عدم نجاح المهاجر في تحقيق أهدافه لتأسيس إمامة علوية شيعية في حضرموت ولعدم قبول أهل السنة والجماعة من علماء ووجهاء للفكر الشيعي الإمامي. وبما أن الفكر الإباضي كان سائدًا في حضرموت قبل وصول المهاجر إليها بفترة، ويتفق مع المذهب السني السائد بعد وصوله في إيمانه بالمساواة بين جميع المسلمين أساسًا وبأن لا تفاضل بينهم إلاّ بالتقوى والعمل الصالح فقد تعرض الحضرميون إلى تشويه إعلامي علوي شيعي مرة باسم الإباضية أو النواصب وأخرى باسم الإرشادية وثالثة باسم الوهابية إلخ.

هذا وقد تلعب الظروف المعادية للوحدة اليمنية المعاصرة دورًا في تقارب شيعي علوي في شرقي اليمن السفلي وزيدي في شماله العلوي تجاه التيار السني الصحوي المتنامي في اليمن كلها تحت شعار: فكر إسلامي موحد في يمن موحد لا زيدية ولا شافعية. مما يستدعي اليقظة للحيلولة دون ذلك.

(٤) تقييم الدعوة الإمامية العلوية في الفترة (٣١٨ - ٥٢١هـ):

إن إقامة دولة علوية في مكان قصي عن أنظار بني العباس كحضرموت أمر محتمل وقد حدث فعلاً في اليمن مثل ذلك. إلاّ أن هذا الأمر يتطلب عناصر مقوماته وهي في عصر المهاجر وفي كل عصر ثلاثة هي: الفكر والمال والقوة. فالفكر الذي يملكه المهاجر عقيدته الإمامية وعلمه، والمال وقد تزود به من البصرة أحمالاً محملة بالذهب والفضة تقدر وسطيًا بثلاثة عشر حملاً من بين عدة روايات مع إبقاء خط الاتصال مفتوحًا بينه في حضرموت ومركز تموينه في البصرة حيث بقية أسرته وعشيرته وممتلكاتهم الواسعة.

أما القوة فهي ما سعى إلى تكوينها محليًا بالتفاف الناس حوله من خلال دعوته وبذله وكرمه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تميزت الدعوات الشيعية في اليمن عامة بالاستفادة من الطبيعة الجبلية لليمن حيث يركن الداعي إلى حصن أو شعب ينطلق منه وإلى أنصار يحمونه.

ولما كان الإمام المهاجر أحمد بن عيسى لم يستدع من قبيلة حضرمية ذات شكيمة كما هو حال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي الذي استدعي من قبيلة فطيمة الخولانية في صعدة. كما لم يكن نفسه منتميًا إلى قبيلة يمنية كما هو حال الداعية علي بن الفضل أو محمد علي الصليحي، فقد أخذ يتلمس في حضرموت موقعًا منيعًا ينطلق منه فاختار الهجرين، وهي تقع على جبل حصين كأنه جمل بارك بين الشروج والوديان، وقد توسم من قبائل الهجرين الكندية أن تنصره وتؤويه.

وقد قيل عنهم إنهم سنة لا إباضية فيهم. لكن يبدو واضحًا أن المهاجر لم يحصل على بغيته في الهجرين فغادرها متوجهًا نحو الشرق على طول خط وادي حضرموت إلى أن وصل إلى شعب الحسيسة فاستقر فيه حيث توفى عام ٣٤٥هـ أي بعد ٢٧سنة قضاها في الدعوة التي هاجر من أجلها.

وقام بالدعوة من بعده ابنه الوحيد في حضرموت وهو عبد الله بن أحمد الذي أنفق بعضًا من أمواله في استثمارات زراعية بين الحسيسة وبور ثم اتجه شرقًا إلى قرية سُمَل حيث صاهر ملكها دون أن تعكس هذه المصاهرة نصرًا مؤزرًا للإمام الداعية عبد الله بن أحمد من قِبل ملك سُمَل كما هي حال كثير من الزيجات الملكية في كل عصر.

وينتهي المطاف لأحفاد المهاجر أحمد بن عيسى بالإقامة الطويلة في بيت جبير. كان استقرار العلويين في بيت جبير بمثابة وقفة ومحطة كافية للتأمل والمراجعة وتخفيف حدة الحماس لإقامة دولة إمامية علوية في حضرموت. وفي جو بيت جبير حيث ظلال أشجار النخيل الباسقات وجداول مياه الآبار العذبة وخضرة المزارع الممتدة قرر أحفاد المهاجر بقيادة علي بن علوي (خالع قسم) ترك العزلة ومغادرة ريف حضرموت إلى مدينة تريم حيث يوجد شيوخ وعلماء أهل السنة، فحصل الاختلاط والاندماج مسكنًا وفكرًا ولم يتم هذا الاندماج إلاّ بعد أن اعترف علماء وشيوخ تريم بنسب آل باعلوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد قال الفقيه العالم محمد بن حكم باقشير: وسوست في خاطري وأنا في بدايتي بآل باعلوي هل هم أشراف من أولاد فاطمة أم لا؟

وقال الدكتور سرجنت: كان الحضرمي يعتبر السادة العلويين مجموعة من المشايخ الذين عرفوهم. ولم يكن لهم في بداية الأمر أى تأثير سريع. ومضى وقت قبل أن يفصحوا عن مراميهم بعيدة المنال (تذكر حكاية ابن خلدون عن العلوي القادم من كربلاء إلى الجزائر) ومطالبتهم بوضع متميز. وهو مطلب لم يقبله عدد كبير من الحضرميين حتى يومنا هذا. إنه اندماج بين الفكر السني الذي يحمله الشيوخ والعلماء الحضرميون والفكر الإمامي الذي يحمله العلويون بعد أن تأقلموا وأيقنوا أن لا عصبية للفواطم في حضرموت، وأن حضرموت إما بادية وريف تحكمها العصبية القبلية وإما حضر ومدن يتنافس رجالها في طلب العلم والتفقه في الدين. وتمثل شخصيتا الإمام المهاجر أحمد بن عيسى والشيخ المهاجر سالم بن فضل نموذجين لعقلية علوية إمامية وأخرى يمنية حضرمية سنية. اكتنفت حياتهما علامات بارزة جديرة بالتأمل والمقارنة:

شخصية الإمام أحمد بن عيسى	شخصية الشيخ سالم بن فضل
(١) هاشمي علوي إمامي طموح.	(١) يمني حضرمي سني زاهد.
(٢) شهد اضطهاد العلويين ممن اغتصب حقهم في الخلافة والإمامة.	(٢) شهد اندراس العلم الذي حمله شيوخ حضرموت وعلى رأسهم شيوخ أسرته.
(٣) هاجر من العراق إلى حضرموت داعيًا لفكره الإمامي لعله يعوض عما افتقده من عز وجاه في العراق.	(٣) هاجر من حضرموت إلى العراق طلبًا للعلم لعله يحيى ما كاد أن يندرس في حضرموت من ثقافة وعلوم.
(٤) تزود من العراق بأحمال محملة بالذهب والفضة لتحقيق غايته.	(٤) تزود من العراق بأحمال محملة بالكتب القيمة في علوم الدين لتحقيق غايته.

وبعد خروجنا من حالة التأمل هذه نعود فنقول ونؤكد: بأن الدعوة العلوية بالرغم من طموحها الكبير في قيام دولة علوية إمامية في حضرموت فقد بدأت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلمية وانتهت كما بدأت. لا معارك خاضت ولا صراعات جابهت. ولا تقسيمات جغرافية فكرية [كتقسيم ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى شرقية وغربية رأسمالية] كما يريد أن يصور ذلك الأستاذ المؤرخ الأديب صالح بن علي الحامد [١] حيث قال عن حضرموت:

(١) جبهة شرقية: وتقع أسفل حضرموت وتنتهي بشبام وتسكنها قبيلة حضرموت الحميرية ومن أدغم في حمير كالصدف المتأصلة فيها النحلة الإباضية.

(٢) جبهة غربية: وتقع أعلى حضرموت غربي شبام وتسكنها كندة المعتدلة العقيدة، والتي رحبت بالإمام المهاجر وأهله ومالت إلى الدعوة العلوية.

كان الغرض من نسج المؤرخين العلويين المحدثين لهذه الأفكار الوهمية إعطاء دور المنقذ لحضرموت من ضلال وظلام الفكر الإباضي للمهاجر الإمام العلوي وأبنائه. وصور هذا الدور بأنه اتخذ شكل حرب بين فريق كندى علوي يتلقى المدد من البصرة، الذي يرسله محمد بن الإمام المهاجر أحمد المقيم في البصرة عن طريق البحر. وفريق حميري إباضي يتلقى الدعم والعون من إباضية عمان؟. واستمرت المعارك سجالاً بين الفريقين حتى علت كلمة العلويين وحزبهم وقوي نفوذهم وتضاءلت الإباضية وتداعى بناؤها حتى أصبحت أثرًا بعد عين بعد قرون ثلاثة وانتصر أصحاب السنة. وانتزعوا زمام السياسة من مواطنيهم الإباضية الذين لم تفدهم ممالاة أئمة عمان الإباضية ولا إمداداتهم [٢]. ويتوهم السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف في تعليقه على (رحلة باكثير) أن السنة والشيعة في حضرموت واليمن اجتمعت كلمتها على نصرة المهاجر. وأن معركة في بحران كانت فاصلة انكسرت فيها شوكة الإباضية في حضرموت. ويحلق الخيال عند الأستاذ الأديب والشاعر والمؤرخ صالح علي الحامد عند وصفه لدور المهاجر وأبنائه فيقول: (كان قدوم المهاجر موجة عارمة على أتون النحلة الإباضية بهذا الوادي وإن لقيت دعوته معارضة ومقاومة فهي غير وانية. فقد

(١)، (٢) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حارب الأمية ونشر الدعوة حتى أوصل حضرموت إلى مستوى لا بأس به من الثقافة بالنسبة لسائر البلاد العربية) . ثم يفيق الأستاذ الحامد من تخيلاته وينزل قليلاً إلى أرضية الواقع، فيحول الصراع السياسي العسكري إلى صراع ثقافي سلمي بين العلماء والجهلاء، بين ذوي الحنكة والسذج بين الأغنياء والفقراء فيقول: (كسبُ الأتباع في وسط كهذا الوسط الفقير البدوي سهل ميسور على ذي الحنكة والتجربة لاسيما إذا سانده العلم وعضدته الثروة حتى ولو كان يدعو إلى غير خير! . فكيف إذا كان يدعو إلى ما فيه السعادة العاجلة والآجلة . أعتقد أن دعوة الإمام المهاجر كانت كلها سلمية وأنها كانت بالرأي واللسان لا بالسيف والسنان) ثم يضع الأستاذ الحامد رجليه على أرضية الواقع فيرى الصورة أكثر وضوحًا فيقول: (وإنه بالرغم من قبول دعوة العلويين (لدى أكثر الناس) فإنهم بقوا في عزلتهم في موطنهم الخاص في بيت جبير يترقبون الفرصة السانحة لدخول تريم ومساكنة أهل حضرموت والاختلاط بأهل المدن حيث حانت في عهد علي بن علوي (خالع قسم)سنة٥٢١ هـ. وأخذ صوتهم يعلو وصوت الإباضية يخفت حتى أخرجوا من آخر معقل لهم هو مسجدهم بشبام سنة ٥٩١هـ).

من الصعب على المتأمل والباحث المدقق أن يقبل ما قيل عن المنجزات الباهرة التي حققتها الدعوة العلوية من خلال عبارات إنشائية شاعرية لا تستند إلى مصادر وعن فترة قال عنها العديد من الباحثين إنها من مجاهل التاريخ الحضرمي. وإن تم التجاوز عن بعض العبارات الوصفية فلا يمكن أن تقبل التناقضات التي تنفي ذاتها بذاتها فمثلاً:

(١) ما قيل: إن قبائل كندة معتدلة محبة للعلويين وأن قبائل حمير الحضرمية إباضية مغالية في عقيدتها. لا يستقيم مع حقيقة أن الفكر الإباضي ظهر وانتشر في حضرموت على أيدي كندة منذ عهد الإمام الإباضي عبد الله بن يحيى الكندي.

(٢) ما قيل: إن حضرموت مقسمة قبليًا وفكريًا إلى غربية: كندية سنية وشرقية: حميرية إباضية تكون فيها شبام عاصمة الإباضية الحد الفاصل بين المنطقتين الحضرميتين الإباضية والسنية يناقض الواقع السكاني لحضرموت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلال الفترة المعنية حيث توزعت وتداخلت القبائل الحضرمية فهناك قبائل كندية في شرقي حضرموت وقبائل حميرية في غربها.

(٣) كيف نفسر تحول الإمام المهاجر العلوي عدو الإباضية من الهجرين حيث أنصاره من قبائل كندة السنية المتشيعة للعلويين إلى الحسيسة شرقي شبام حيث القبائل الحميرية المغالية في عقيدتها الإباضية. ويصاهر ابنه عبد الله بن أحمد ملك سُمَّل. بل كيف يبيع سكان المنطقة الإباضية أراضيهم الواسعة لاستثمارات العلويين الذين لم يهنأ لهم العيش والاستقرار إلاّ في أراضي إباضية؟!.

(٤) كيف تستقيم العبارة القائلة: بأنه بالرغم من قبول دعوة العلويين لدى أكثر الناس في حضرموت فإنهم بقوا في عزلتهم في بيت جبير يترقبون الفرصة السانحة لدخول تريم لمساكنة أهل حضرموت والاختلاط بأهل المدن.

(٥) ومما هو أغرب من الخيال أن يتحول الصراع العلوي الإباضي وهو صراع بين فكرين متناقضين إلى انتصار أهل السنة، ويختفي الفكران المتناقضان في غبار المعارك الوهمية بينهما. وكيف يتحول (الغول) الإباضي الذي وصفه العلامة علوي بن طاهر الحداد بقرن الشيطان الموعود بظهوره قرنًا بعد قرن إلى مجرد إمام بمسجد في شبام وتتلاشى الإباضية كلها من حضرموت بمجرد إزاحة هذا الإمام الإباضي واستبداله بإمام سني؟!.

خلاصة القول: إن تأخير تدوين التاريخ الحضرمي وإهمال مرويات وأخبار الفترة التي وصفها الأستاذ البحاثة عبد الله بن حسن بلفقيه بمجاهل التاريخ الحضرمي قد أفسحت المجال للمؤرخين وكتاب السير والمناقب بعد هذه الفترة للحدس والتخمين والمغالاة والإطناب بل والتخيل أحيانًا في جوانب معينة أو التعسف والغمط والإضعاف في جوانب أخرى أو إسقاط الحاضر بالنسبة لهؤلاء المدونين للتاريخ والتراث على الماضي وفقًا ومبتغاهم. إننا اليوم وقد توحد اليمن في أمس الحاجة إلى تعميق فكرة (المساواة) بين جميع اليمنيين بصرف النظر عن أصولهم القبلية (عدنانية - قحطانية) أو نزعاتهم المذهبية (علوية - سنية) فلا تحسس مما فعله أسلافنا فهم نبت ظروفهم ونحن نبت ظروفنا، فلا ندع مجالاً لظروفهم أن تتحكم في ظروفنا ويجب أن تختفي من حياتنا العصبية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المذهبية والعصبية القبلية لتسود بيننا العدالة والمساواة؛ لأنهما من أرقى مبادئنا الإسلامية. فلا حاجة بنا إلى فعل و رد فعل كما حدث لنشوان بن سعيد الحميري وصالح بن علي الحامد العلوي. فقد روى الأستاذ الحامد [١]: أن نشوان سعيد الحميري زار تريم ومدح أساتذته من آل أكدر الذين استشهدوا في مذبحة عثمان.

الزنجبيلي بعد دخول جيشه مدينة تريم للقضاء على التمرد فيها ضد الدولة الأيوبية.

وافتخر نشوان بأساتذته من آل أكدر ونسبهم إلى القحطانيين الذين ناصروا النبي محمد ﷺ وأسهموا إسهامًا فعالاً في الفتوحات الإسلامية وتعصب نشوان للقحطانية قائلا:

فافخر بقحطانٍ على كل الورى فالناس من صدف وهم من جوهر

وقد أثار هذا البيت الأستاذ صالح بن علي الحامد العلوي العدناني واتهم نشوان الحميري القحطاني بأن فيه (نصبًا) وأنه قد أساء الأدب على رسول الله ﷺ بهذا البيت على أقل تقدير وإلاَّ فهو الكفر بعينه. هذا القول ورد القول الذي يتحول في حياتنا العملية إلى فعل ورد فعل من التناحر والتنابذ والتباغض يجب أن ننبذه ونتمسك بما يجمعنا ويقربنا إلى بعضنا البعض، ولن يكون ذلك إلا بالاحترام المتبادل والتفاهم المتبادل القائم على المساواة. ويظل التنافس بيننا قائمًا في العمل الصالح فميدانه واسع فسيح يتسع للجميع، على شرط أن نفسح في قلوبنا مكانًا للمحبة والتسامح بيننا.

حوار مهم

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس الدور الصوفي

الحالة السياسية

١. انحسار السلطة اليمنية المركزية عن حضرموت:

زامن الدور الصوفي في اليمن عامة وحضرموت خاصة عهد الدولة الرسولية التي قامت على أنقاض الدولة الأيوبية السنية عام ٦٢٦هـ. وسبق أن أشرنا إلى أن حضرموت كانت مرتبطة باليمن في أواخر العهد الأيوبي عن طريق قادة عسكريين نعينهم السلطة الأيوبية من أمثال قائد الجيش الأيوبي عمر بن مهدي الذي تولى أمر حضرموت خلال الفترة ٦١٦ - ٦٢٦هـ والتي قضاها في حروب مع الزعامات العشائرية المتمردة في مختلف مناطق حضرموت وقد قتلته في حضرموت عناصر من قبيلة نهد الحضرمية. وفي عهد الدولة الرسولية التي مقرها زبيد في تهامة اليمن تولى أمر حضرموت ولاة محليون نيابة عن الحكومة المركزية في زبيد من أمثال ابن عبيد في تريم، وابن الذئب في شبام، وأمراء آل أقبال في الشحر. وحينما ورث بنو طاهر الدولة الرسولية المنهارة عام ٨٥٩هـ ارتبطت حضرموت الساحل بالدولة الطاهرية عبر ولاتها في عدن. في حين فكت حضرموت الداخل ارتباطها بالسلطة المركزية واستقل سلاطين آل يماني بالحكم، وانفردوا بحكم حضرموت الداخل في معظمه من مقر إمارتهم في تريم حتى عام ٩٢٠هـ.

وباستقراء للوضع السياسي في حضرموت خلال الدور الصوفي نجد أن حضرموت لم تعرف استقرارًا سياسيًا ولا وحدة متماسكة سواء من خلال ارتباطها الشكلي بالدولة الرسولية أم الدولة الطاهرية أم عن طريق قيام إمارات أو سلطنات محلية. وظلت الزعامات القبلية المتنفذة في مناطقها في حالة تمردات مستمرة. ولم تلبث إمارة آل يماني في تريم أن أخذ الضعف يدب في جسمها نتيجة تنامي قوة قبلية منافسة لها هي قبيلة آل كثير التي أسست لها في حضرموت دولة عرفت بالدولة الكثيرية الأولى التي زامنت عهد المماليك والأتراك الغزاة الجدد لليمن. واستطاعت هذه الدولة الناشئة بسط نفوذها على أراض أوسع من أراضي دولة آل يماني التي قامت على أنقاضها. وذلك بدعم عسكري وجيش تركي يقوده الضابط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التركي رجب [١]. وبهذا الدعم الذي عزز بجنود من يافع تمكن السلطان بدر بن عبد الله أبو طويرق من أخذ شبام وما إليها، والأحروم. ثم توجه إلى تريم في شهر ذي الحجة عام ٩٢٦هـ وحاصرها عشرين يومًا حتى استسلم آل يماني وتم إجلاؤهم إلى اليمن وبقى عبيد هم في تريم. وفي عهد الدولة الكثيرية الأولى شهدت حضرموت نفوذًا زيديًا منذ حملة (سيل الليل) عام ١٠٧٠هـ ولكنه ظل اسميًا ولفترة قصيرة وفي حدود الدعوة للإمام أثناء خطبة الجمعة شأنه شأن الدعوة لسلاطين آل عثمان.

٢. الصراع في سبيل الحكم:

استمرت الدولة الكثيرية الأولى تحكم حضرموت حتى عام ١١٣٠هـ حين اعتراها الضعف نتيجة الانشقاقات داخل الأسرة الكثيرية الحاكمة والتمردات القبلية الفوضوية في أماكن عدة من حضرموت. فخيم على البلاد عهد من الاضطرابات القبلية والإخلالات الأمنية والتدهور الاقتصادي. وبرزت من جديد دويلات المدن نتيجة أطماع الطامحين في الحكم من الشخصيات الكثيرية المتنافسة والقيادات العسكرية اليافعية في الجيش الكثيري أساسًا. فمن الشخصيات الكثيرية والقيادات اليافعية التي كونت لها دويلات في ذلك العهد المضطرب نذكر:

(١) دويلة عمر بن جعفر الكثيري في هينين في الفترة (١٢٢٠-١٢٣٩هـ).

(٢) دويلة عيسى بن بدر الكثيري في شبام في الفترة (١٢٣٩-١٢٧٤هـ).

(٣) دويلة ناجي بن علي بريك اليافعي في الشحر التي نشأت عام ١١٦٥هـ.

(٤) دويلة محمد بن عبد الحبيب الكسادي اليافعي في المكلا التي نشأت عام ١١١٥هـ.

هذا وقد بلغت الفوضى والانقسامات مداها بقيام إمارات الحارات في المدينة الواحدة، كما فعل نقباء يافع الذين تقاسموا فيما بينهم مدينة تريم على النحو التالي:

---

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آل بن همام:

سيطر آل بن همام على حارة الخليف في جنوب وغرب المدينة. وكان ممن تولى هذه الإمارة النقيب همام بن عبد الحبيب بن لحمان. وهو الذي وقع مع آخرين من آل بن همام على اتفاقية تسليم حارة الخليف إلى سلاطين بن عبد الله الكثيريين سنة ١٢٦١هـ [1]. وقد ضمنت هذه الاتفاقية لآل بن همام مشاركتهم في حراسة قصر الرناد التاريخي ومقر الحكم، وتعويضًا ماليًا مقررًا، والإبقاء على عبيد هم من آل منصور وآل نصر خميس وغيرهم. كما ضمنت لهم استمرار عادات الخدمة المدنية لهم في الأفراح والأتراح تقوم بها أسر حددتها الاتفاقية منها: آل باحمالة، وآل عميران، وآل ذبان، وآل بازهير، وآل حيمود، وآل سويد، وهذه الأسر من حارة الخليف. وقد زالت اليوم جميع هذه الارتباطات الاجتماعية كأخدام أو عبيد.

ولآل همام بصمات ماثلة إلى اليوم كبيوتهم الخربة وقبورهم ذات الموقع المتميز غربي سقيفة الفقيه المقدم وشمالي قبة الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس. وقد غطتها شجيرات الأراك الخضراء نتيجة الإهمال. وأصاب الإهمال نفسه موقعًا على مرمى حجر من سقيفة الفقيه المقدم شرقًا، قيل: إنه مدفن لصحابة من أهل بدر وقد أزيلت هذه الأيام شجيرات الأراك منه وجدد سوره.

والجدير بالذكر أن آل همام هؤلاء ينتسبون إلى آل الناخبي من يافع السفلى كما يقول آل همام ذلك، وكما هو مكتوب على شواهد قبورهم وليس إلى آل البعسي كما يذكر المؤرخون. في حين ينتسب آل غرامه وآل بن عبد القادر إلى آل البعسي من يافع العليا. وبعد هيمنة آل كثير على تريم غادرها معظم يافع وبقيت فيها أسر من آل همام والزغالدة.

(٢) آل بن عبد القادر:

سيطر آل بن عبد القادر على حارة النويدرة في شمال المدينة وكان ممن تولى

---

(١) وقفت على نص هذه الوثيقة التي مازالت محفوظة نسخة منها لدى الأخ سالم بن همام بن مبارك بن عبد الحبيب الذي أطلعني عليها مشكورًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الإمارة النقيب صالح بن حسين بن عبد القادر . وقد كان للتنافس بين ابن عبد القادر وغرامة الآتي ذكره أثره السئ في اضطراب الأمن داخل المدينة الواحدة . وقد انجر إلى هذا الصراع أسرتان ثريتان من آل أبي علوي هما آل بن سهل وآل الجنيد .

(٣) آل غرامة :

سيطر آل غرامة على حارة السوق في وسط المدينة وشرقيها حيث يوجد جامع تريم . وممن تولى هذه الإمارة النقيب عبد الله بن عوض غرامة ثم ابنه عبد القوي الذي تم في عهده توقيع اتفاقية تسليم ما يخص ولايته في تريم لآل كثير سنة ١٢٦٢هـ . وهي على نمط الاتفاقية السابقة بين آل كثير وآل همام . هذا ومازال آثار هذه الإمارة ماثلة إلى اليوم في تريم كقصر غرامة الواقع جنوبي مسجد السكران ، وقد استخدم هذا القصر سجنًا في عهد السلاطين آل كثير .

هذا وبدلاً من أن تنجح أصوات الوعظ والتذكير والإرشاد في إنقاذ مدينة العلم والتصوف من هذه الفوضى القبلية وتخفف من معاناة السكان الذين فرقتهم الفتنة إلى حد أن صلوا الجمعة في الحارات الثلاث . فقد دس المال والجاه أنفه في هذه المعاناة . فأغرى السيد الثري حسين بن عبد الرحمن بن سهل النقيب غرامة حاكم حارة السوق على ابن خاله السيد أحمد بن علي الجنيد قائلاً له : إنّ الذي يحاربك هو السيد أحمد الجنيد مما دفع غرامة إلى سجن السيد أحمد الجنيد مدة شهر . ولم يفرج عنه إلاّ بفدية قدرها (٣٠٠٠) ريال فرانصة (ماري تيريزا) العملة السائدة آنذاك في اليمن كله أستلمها غرامة من الجنيد .

هذا وبعد صراع عنيف بين يافع (قادة الجيش الكثيري أساسًا) [1] وآل كثير خلال سنوات العقد السادس من القرن الثالث عشر الهجري وبدعم إعلامي ومالي وعسكري من السادة العلويين لآل كثير ، تمكن آل كثير من دحر النفوذ اليافعي من معظم مناطق الشنافرة خاصة تريم وسيؤن وأحباضهما ، ولكن دون القضاء المبرم على النفوذ اليافعي في حضرموت كلها . وبرز القعطة اليافعيون كمنافس خطير لآل كثير لتبدأ حضرموت عهد صراع كثيري - قعيطي بزعامة ضابطين كبيرين ثريين في جيش حيدرأباد في الهند برتبة جمعدار هما : غالب بن محسن الكثيري

[1] هذا الكلام فيه جهل للمعاهدة الصلبة بين يافع الكثير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعمر بن عوض القعيطي. وفي حلبة الصراع بين الكثيريين والقعيطيين تمكن الجمعدار عمر بن عوض القعيطي الذي توفى في الهند عام ١٢٨٢هـ، ثم ابنه السلطان عوض بن عمر من إنشاء الدولة القعيطية الحضرمية التي عاصمتها المكلا، وشملت حضرموت الساحل ومعظم الداخل. كما تمكن الجمعدار غالب بن محسن الكثيري من أسرة أبي طويريق وابنه المنصور من إحياء الدولة الكثيرية في سلطنة صغيرة عاصمتها سيؤن، وتشمل مدينتي تريم وسيؤن وما حواليهما مع امتداد في الجنوب إلى بلدة ساه. وبتدخل بريطاني استقر الوضع في حضرموت كلها بفرض معاهدة الحماية سنة ١٨٨٨م التي أنهت الصراع القبلي في سبيل الحكم. وأخذت حضرموت اسم محمية عدن الشرقية وتضم أربع سلطنات هي:

(١) السلطنة القعيطية وعاصمتها المكلا.

(٢) السلطنة الكثيرية وعاصمتها سيؤن.

(٣) السلطنة الواحدية وتضم منطقة الواحدي.

(٤) السلطنة المهرية وتضم منطقة المهرة وسقطرى.

وبهذا تنتهي الفترة السياسية للدور الصوفي بحضرموت.

٣. الحنين لإقامة إمامة علوية والانصراف عن الإمارة إلى الوزارة:

أثناء الفوضى القبلية التي ضربت بأطنابها ربوع حضرموت خلال الفترة (١١٣٠- ١٢٧٠هـ) تطلع العلويون إلى تحقيق حلمهم الذي ظل يراودهم منذ أن قدم إمامهم المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت، ألا وهو إقامة إمامة علوية في حضرموت من منطلق نظرتهم في حقهم الشرعي في إمامة المسلمين الذي سلبهم إياه الأمويون ثم انفرد به بنو عمومتهم العباسيون. وقد أصبح النهوض من أجل هذا الحق أمرًا محتملاً أمام اضطراب حبل الأمن وتعطيل الشريعة الإسلامية في حضرموت. وقد عبر عن هذا الطموح العلوي صاحب كتاب (العقود العسجدية) [1]: بقوله: (وعاد الحنين والرغبة المكبوتة لدى العلويين لاعتلاء

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد: العقود العسجدية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلطة وإقامة الدولة العلوية). وقد اتخذ هذا التطلع لإقامة الدولة العلوية الخطوات الآتية:

(١) محاولة محمد بن عقيل بن يحيى العلوي [١]:

في عام ١٢١٧هـ رشح العلويون محمد بن عقيل بن يحيى لإمارة حضرموت ولكن المنية وافته قبل إعداد الترتيبات اللازمة لإقامة الدولة العلوية.

(٢) محاولة طاهر بن حسين بن طاهر العلوي:

وفي عام ١٢٢٠هـ بايع لفيف من العلويين في مسيلة آل شيخ بوادي المسيلة بحضرموت السيد طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي المتوفى عام ١٢٤١هـ إمامًا لدولة علوية ولقبوه (ناصر الدين). وأمده أثرياء العلويين في تريم بأموال طائلة خاصة الثري العلوي أحمد بن علي الجنيد [٢]. فحمل السلاح ودعا إلى التسلح والزحف على تريم لتكون عاصمة لإمامة علوية يقودها إمام لا يقل شأنًا عن آبائه الأقدمين.

وقد وصفه الأستاذ محمد أحمد الشاطري بأنه أشبه بالأئمة العلويين وأنه تميز بنشأته الصوفية [٣]. وقد حاصر الإمام ناصر الدين طاهر بن حسين بن طاهر مدينة تريم مدة طويلة دون التمكن من اقتحامها. وفشلت المحاولة بفعل الظروف والعصبيات القبلية التي كانت أقوى من مبادرته الفجة التي لم يسبقها حشد لكل القوى الوطنية المؤثرة. حتى إن بعض العلويين أنفسهم لم يكونوا متحمسين له.

وغادر طاهر بن حسين بن طاهر مسيلة آل شيخ إلى الشحر حيث رحب به حاكمها ناجي بن بريك وطيب خاطره. فظن طاهر بن حسين بناجي بن بريك خيرًا واعتبره محبًّا للعلويين وكاتب أنصاره من العلويين في تريم لجس النبض لدى أعيان ووجهاء البلاد لتنصيب ناجي بن بريك حاكمًا على حضرموت. فلم

---

(١) **محمد هاشم بن طاهر**: تاريخ الدولة الكثيرية.
(٢) **عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد**: العقود العسجدية.
(٣) **محمد أحمد الشاطري**: أدوار التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نلق فكرته هذه القبول والحماس المطلوبين. ولعل الدرس الذي استخلصه العلويون من فشل انتفاضة الإمام ناصر الدين طاهر بن حسين هو أنه لا يمكن إقامة حكم (إلا وعلى رأسه من لديه الاستعداد له من القطاع القبلي حيث تعطى القوس باريها) كما يقول الأستاذ أحمد محمد الشاطري.

(٣) دولة ابن مقيص (المظلة العلوية):

بدلاً من الاستجابة إلى فكرة تنصيب ناجي بن بريك اليافعي الموجود في الشحر حاكمًا على حضرموت، والتي رأى فيها العلويون في حضرموت الداخل أنها غير عملية وأنها بنت مشاعر الضيافة وتطييب الخاطر من حاكم الشحر للسيد طاهر بن حسين بن طاهر. فقد نصب العلويون عام ١٢٤٣هـ المقدم عمر بن عبد الله بن مقيص [١] الأحمدي اليافعي أميرًا لدولة في بيت جبير المقر التاريخي للعلويين. وقد جعلوا له وزيرًا منهم هو السيد العلامة عبد الله بن أبي بكر عبديد، وجمعوا له الأموال وابتاعوا له مدفعًا واشتروا حصن مطهر الذي يعتبر بوابة تريم. إلا أن هذه السلطنة التي أعلنها العلويون لم تستمر أكثر من عامين دخلت بعدها في خبر كان.

(٤) ترشيح أحمد بن علي الجنيد إمامًا على حضرموت [٢]:

بعد فشل حركة طاهر بن حسين بن طاهر اقترح السيد حسن بن صالح البحر أن ينهض بالإمارة العلوية السيد الثري أحمد بن علي الجنيد لمكانته (الدينية والاجتماعية والمالية) وذلك في رسالة وجهها إلى السيد عمر بن زين الحبشي بتاريخ ٦ رجب عام ١٢٥٣هـ الموافق عام ١٨٣٧م. ومما جاء في هذه الرسالة: (وقد وددنا من أهل البيت خصوصًا وسائر المؤمنين عمومًا أن يشنوا الغارة على أعداء دين الله ولنصرة شريعة رسول الله وإقامة ما وضع من حدود الله. والحبائب آل الجنيد قد أدخلهم الله في هذا الأمر وفيهم أهلية من جهة الدين ومعرفة الشريعة المحمدية. . . . فيحق للجميع من أهل البيت وغيرهم أن يعقدوا

(١) باحنان: جواهر تاريخ حضرموت. ومحمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية.
(٢) عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد: العقود العسجدية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البيعة للأخ أحمد بن علي الجنيد؛ لأنه أعرف بدين الله وأحكامه. والسلطان المبارك يكون من أعلى نوابه. والجنيد ممن وفقه الله وهداه، ومن أراد أن يكون من حزب الله ساعده على ذلك. ثم المساعدة من صاحب القوة بقوته، والثروة بمعونته. والأمر كله لله والمرجع إليه في جميع الأمور). والجدير بالذكر أن هذا المقترح من السيد حسن بن صالح البحر بقى حبرًا على ورق ولم تعقد البيعة لأحمد بن علي الجنيد.

(٥) حملة إسحاق بن عقيل بن يحيى العلوي [١]:

وأمام فشل المحاولات العلوية لإقامة دولة علوية اعتمادًا على القوى الداخلية، تطلع العلويون إلى القوى الخارجية لمساعدتهم في تحقيق رغبتهم المكبوتة في إقامة إمامة علوية في حضرموت. وعليه فقد قاد إسحاق بن عقيل بن يحيى العلوي المتوفى عام ١٢٧٢هـ حملة عسكرية بحرية عام ١٢٦٥هـ مكونة من جنود أتراك وجنود من قوات الشريف حسين بن علي بن حيدر أمير المخلاف السليماني باليمن، بإشارة من الباب العالي باستنبول نتيجة مساعي أشراف مكة المقربين من الباب العالي [٢].

تحركت الحملة العسكرية من ميناء الحديدة إلى ساحل حضرموت وانضمت إليها قبائل حضرمية من وادي دوعن ووادي حضرموت. وفي الشحر التحمت الحملة العسكرية البحرية التي يقودها إسحاق بن عقيل بجيش آل بريك البافعيين حكام الشحر. وانتهت المعركة التي دارت رحاها بين مدينة الشحر وقرية دفيفة، بهزيمة التحالف العلوي التركي وفشلت الحملة.

كما كاتب بعض العلويين محمد علي باشا خديوي مصر طالبًا إليه أن يمده بجيش يدوخ البلاد ويقيم لها واليًا عدلاً فلم يستطع محمد علي باشا أن يحقق هذا الرجاء، واكتفى بأن أصدر فرمانًا للمقدم علي بن عمر بن قرموص بإشارة من العلويين ليكون واليًا على البلاد. وقد فشلت هذه الفكرة في مهدها [٣]. فاتجهت

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.
(٢) باحنان: جواهر تاريخ حضرموت.
(٣) باحنان: جواهر تاريخ حضرموت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنظار العلويين إلى إمام اليمن وفاوضوه مكاتبة وسفارة بما يحقق رغبتهم فلم يجدو لديه إسعافًا ولا رغبة في ما فاوضوه فيه. ويروى عن أحد العلويين الصالحين قوله: (إننا خائفون مما سبق لسلفنا لأنهم قد تعبوا ولم يظفروا بطائل) [١].

(٦) الإنصراف من الإمارة إلى الوزارة:

من خلال هذه المحاولات العلوية غير الموفقة لإقامة إمامة علوية في حضرموت تتضح الصورة التاريخية السياسية لحضرموت، وهي أنه في مجتمع نبلي لا سلطان فيه إلا لعصبية قبلية لا تنفع فيه عصبية فاطمية. وقد استوعب العلويون أخيرًا هذا الدرس فانصرفوا عن الإمارة إلى الوزارة. ونجحوا في هذا الشأن نجاحًا باهرًا لامتلاكهم مهارات هذا المنصب ومطالبه من حنكة سياسية وثقافة عالية ووجاهة اجتماعية تميزوا بها خلال الدور الصوفي وما بعده الذي اعتلوا فيه منصب الوزارة. وقد تولى السيد حسين بن حامد المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم وزارة السلطنة القعيطية منذ عهد مؤسسها عمر بن عوض القعيطي وابنه السلطان عوض بن عمر القعيطي الذي وسع السلطنة لتشمل معظم حضرموت. وقد لعب الوزير السيد المحضار دورًا بارزًا في توطيد دعائم السلطنة القعيطية خاصة بعد توقيع معاهدة الحماية البريطانية عليحضرموت التي للمحضار فيها بصماته الواضحة. كما كان للعلويين في إحياء الدولة الكثيرية دور بارز وهام تحت قيادة مؤسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري.

فقام العلويون في الدولة الكثيرية بدور المخطط والموجه بل والداعم لإحيائها بالمال والرأي والدعاية [٢] وعلى رأس هؤلاء السادة: عمر بن علي الجنيد، وعبد الله بن عمر بن يحيى، وإسماعيل العيدروس. وقد هيمن العلويون على الشئون الإدارية والثقافية والمالية للسلطنة الكثيرية حتى سقوطها عام ١٩٦٧م. وكان الأستاذ محمد بن هاشم من أبرز الشخصيات العلوية التي تولت منصب سكرتير الدولة الكثيرية.

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: بضائع التابوت في نيف من تاريخ حضرموت.
(٢) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحالة الفكرية

قبل استعراض الفكر الديني خلال الدور الصوفي بحضرموت ينبغي علينا أولاً إلقاء الضوء على التصوف بمفهومه العام وما ينطوي عليه من فلسفة وطريقة ومظهر. وكيف نشأ في العالم الإسلامي ودخل اليمن وموقف فقهاء اليمن وأئمة الزيدية تجاه الفكر الصوفي. كما ينبغي علينا ثانيًا أن نلقي الضوء أيضًا على التشيع: أصوله وجذوره. كل ذلك مفيد كمدخل لفهم الفكر الديني الصوفي بحضرموت؛ لأنه عبارة عن توليفة فكرية من تجمع ثلاثة خطوط فكرية هي:

- الفكر السني: وقد تناولناه في الفصل السابق.
- الفكر الصوفي العام: وهوما سنتناوله كمدخل تمهيدي في هذا الفصل.
- الفكر الشيعي العام: وهو ما سنتناوله كمدخل تمهيدي في هذا الفصل.

١ـ الفكر الصوفي العام

أ. تكوين الإنسان:

الإنسان كائن حي مكون من جسد وروح. ولا حياة للجسد بدون نفخة الروح. وإذا نزعت الروح عن الجسد مات الإنسان وأصبح جسده جثة هامدة مآلها الصديد والطين. وتستقر الأرواح في عالم (البرزخ) حتى يوم البعث حيث تعود إلى أجسادها التي يكونها الله تعالى من جديد. وفي رد لرسول الله ﷺ على سؤال أم هانئ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا؟ قال رسول الله ﷺ: «يكون النسم طيرًا يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها» رواه الإمام أحمد (١).

ولئن تمكن الإنسان بعلمه المتطور من أن يفحص الجسد ويتعرف على تركيبه وأجهزته وأنشطته فإنه عاجز تمامًا عن معرفة وإدراك كنه الروح. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وبالرغم من اتحاد الروح بالجسد منذ النفخ فيه وهو جنين في بطن أمه وتلازمها له أثناء الحياة في الدنيا، فإن لهذه الروح أثناء اتحادها بالجسد نشاطًا

---

(١) د/ محمد رشاد: علم النفس الإسلامي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مستقلاً عنه يظهر بأشكال شتى منها ما عبر عنه العلماء (بالتلبثة) كالحديث عن بعد والتخاطر وهلم جرا دون أية وسيلة علمية. ويدخل في أنشطة الروح: معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، والرؤيا الصادقة، والإلهام. وما التخاطب بين الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة وقائد المسلمين سارية في أرض العدو وسماع سارية تحذير عمر له (يا سارية الجبل) إلا نوع من نشاط الروح هذا. وعلينا أن نميز بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام التي تحصل للإنسان أثناء نومه نتيجة رغبات مكبوتة أثناء اليقظة أو نتيجة أوضاع جسدية للنائم. كما علينا أن نميز بين هذه الأنشطة الروحية التي تحدث للمؤمنين الصالحين وما تلقيه الشياطين على الفاسقين المفسدين. كما علينا أن ندرك أن للإنسان جسدًا وروحًا يمكنه أن يقوم بأعمال خارقة نتيجة إجهاد خاص لجسمه كما هو الحال لدى بعض رجال الكهنوت في الأديان الوثنية. والإسلام لايعول في استقامة المسلم إلاَّ على سلامة عقيدته التوحيدية وأعماله الصالحة وتقواه مما يتفق والشريعة الإسلامية المستندة أساسًا على كتاب الله وسنة رسوله، وأولياء الله الصالحون هم الذين يخفون كراماتهم ولايشهرونها كيلا تسيء العامة والسذج فهمها.

ب - نشوء التصوف في الإسلام:

في القرن الثالث الهجري برز التصوف الإسلامي كفلسفة لها علومها وآدابها وطرقها، ونظرتها للحياة في الدنيا والآخرة. بل ولها مملكتها الروحية بهيكلها وجهازها التنظيمي وبرموزها القائمين على هذه المملكة الخاصة. وازدهر التصوف في العالم الإسلامي في عصر توقف فيه الزخم الإسلامي عن القوة والمنعة حين اعترى الأمة الإسلامية الوهن والتفكك والانحطاط. فهاجم الإفرنج المسلمين في الأندلس بالمغرب العربي. وانقض المغول على المشرق العربي.

والتصوف من منطلق الزهد في الدنيا والانقطاع عن الناس والحياة العامة والتفرغ للعبادة قد بدأ من بعض المسلمين في عهد الرسول ﷺ. ولما علم الرسول ﷺ بهذا استنكره ونهى عن الرهبنة التي عرفتها المسيحية وقال فيما رواه البخاري ومسلم: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له. لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) ويقال: إن أول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من عرف من الصوفية هو (أبو هاشم الصوفي) الكوفي الذي بنى لنفسه صومعة في الرملة بفلسطين، حيث مارس في صومعته الخلوة والزهد والعبادة. ويعتبر ذو النون المصري المنظر الأول للتصوف الإسلامي. ولكن أول من جاهر علنًا بفكرة (وحدة الوجود) والحلول هو الصوفي المشهور (الحلاّج) الذي اتهم بالكفر والمروق عن الدين الإسلامي. وأفتى العلماء بإعدامه وأعدم فعلاً وصلب على جسر بغداد عام ٣٠٥ هـ. وفي عهد الدولة الفاطمية انتعش الفكر الصوفي وتعددت الطرق الصوفية وفرق الدراويش والسماع [١].

لم يفرض الله سبحانه وتعالى الزهد في الحياة ولا الخلوة والبعد عن الناس ولا الرهبنة التي ابتدعها المسيحيون. وقد جاء الإسلام ليوازن بين حق الجسد وحق الروح، وبين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة. وأوجد الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا الإنسان ليسعى ويعمل في إطار نواميسها وهداه إلى عقيدة وشريعة ليعمل ويتصرف بموجبهما.

هكذا كانت سيرة رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم. فقد تعلموا وعلموا، وأعدوا واستعدوا، وخاصموا وسالموا، وأخذوا بالأسباب، وخاضوا معركة الحياة كبشر بأجسادهم وأرواحهم. ولم يكونوا معولين على خوارق العادات، بل مستمدين النصر من ربهم الذي أمرهم بالالتزام بقوانين الحياة ولوازم النصر [٢].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

والرسول محمد ﷺ وهو أقرب الناس جميعًا إلى ربه وإلى ملكوت ربه كان

---

(١) ابن خلدون: المقدمة

(٢) الشيخ محمد الغزالي: مستقبل الإسلام خارج أرضه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لايدري ما يكسب غدًا ولاينبغي أن ينظر أكثر من كونه عبد الله ورسوله. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف :١٨٨].

جـ - خصائص الفكر الصوفي:

يتميز الأدب الصوفي بالسمات والخصائص الآتية:

(١) المجاهدة: انطلاقًا من الحقيقة القائلة بأن الإنسان مكون من جسد وروح. وإن في الجسد تكمن الشهوات والرغبات التي تعوق نشاط الروح. فالأدب الصوفي يدعو إلى المجاهدة في ترك الشهوات ومغالبة الرغبات ومداومة ذكر الله تعالى وقراءة القرآن؛ لكي تنطلق الروح من أسارها المادي وهو الجسد وتحلق في عالم الأرواح الطيبة حيث السعادة والأحوال الخاصة بالأولياء والصالحين، وما يترتب عليها من المواجد والأذواق.

ويعتقد الصوفية: أن الصوفي في مجاهداته يتدرج في المقامات التي هي مكاسب ويقابل المقامات الأحوال التي هي مواهب من الله سبحانه وتعالى. ويرتب صاحب الكبريت الأحمر [١] المقامات والأحوال على النحو الآتي:

المقام	الحال
١-التوبة	المحبة
٢-الورع	الشوق
٣-الزهد	الهيبة
٤-الصبر	الأنس
٥-الفقر	القرب
٦-الشكر	الحياء
٧-الخوف	السكر
٨-الرجاء	الوصول
٩-التوكل	الفناء
١٠-الرضا	البقاء

(١) عبد الله بن أبي بكر العيدروس: الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر المعبر عنه بالدر والجوهر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالتوبة أصل المقامات فمن لاتوبة له لامقام له. كما أن الأصل في الأحوال التي تبنى عليه ولاتصح إلا به هو المحبة فمن لامحبة له لاحال له. وأعلى مراتب أحوال الصوفية البقاء بعد الفناء حيث تغمرهم الأنوار الربانية وفي استغراقهم في ذكر الله يصابون بالاصطلام والذهول فتختلط عليهم الأمور وتتشابه فيصبح الذاكر والذكر والمذكور واحدًا مما جعل بعضهم يقول:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فمتى أبصرتنا أبصرتهم ومتى أبصرتهم أبصرتنا

ويقول الآخر:

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولاقدح وكأنما قدح ولاخمر

وهذا مايفسر قول الفقيه المقدم: (أنا من نور) وجهه حينما ذكر له قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن:٢٦-٢٧].

(٢) خاصية القلب:

القلب في الفكر الصوفي مقر الروح في الجسد ويعمر القلب ويصلح بالمداومة على ذكر الله وإذا صلح القلب صلح الإنسان وإن فسد القلب فسد الإنسان. والقرآن الكريم هو شفاء القلوب المريضة الفاسدة [١]. ومن أخطر أمراض القلب في الأدب الصوفي الغفلة عن الله. ويأتي الذكر ومجالسة الأولياء الصالحين من أهم سبل صلاح القلب وصحوته. وكان الصحابة رضي الله عنهم يشعرون بهذا الحال أثناء مجالستهم لرسول الله ﷺ، وكان الواحد منهم يقول: إننا إذا ما تركنا مجالس الرسول تحول حالنا، فيقول لهم الرسول ﷺ: «لو ظللتم على حالكم لصافحتكم الملائكة» والواحد منا يشعر بهذا إذا ما حضر مجلس ذكر وعلم مخلصًا قلبه لله تعالى. بل ويحس بهذا في صلاته عند حالة الخشوع والتبتل إلى الله. قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

---

(١) د/ محمد رشاد: علم النفس الإسلامي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) الكشف :

الكشف لدى الصوفية هو الحقيقة المدركة من عالم الغيب يقظة .

(٤) الكرامة :

هي ما يحدث للولي الصالح من خوارق العادات وهي دون مرتبة المعجزة التي تحدث للأنبياء وقد أشرنا أن الولي الصالح لا يشهركرامته ولايتخذها ذريعة للتفاخر أو وسيلة لاستغلال العوام السذج ويجب أن لا تكون مجافية لكتاب الله وسنة رسوله . وقد قال صاحب جوهرة التوحيد :

واثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

(٥) الرؤيا :

الرؤيا هي إدراك لشيء في الغيب أثناء النوم . وهي بهذا تختلف عن الكشف . وتحدث الرؤيا لدى البشر جميعًا ، وهي إما صادقة وقد تحتاج إلى تأويل كرؤيا ملك مصر التي أولها له سيدنا يوسف عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم . وإما رؤيا هي مجرد أضغاث أحلام وقد أشرنا إليها سابقًا .

(٦) الشطحات :

هي القول أو الفعل بما يخالف ظاهر العقيدة والشريعة الإسلامية ويتلفظ بها الصوفي في حالتين هما :

(أ) حالة الغيبوبة وفقدان الشعور :

وصاحب الشطحات في هذه الحالة يُعذر ولا يحاسب على قوله ويعامل كمن فقد الوعي بنوم أو جنون . ولايجوز إثباتها أو الأخذ بها .

(ب) حالة الحضور والوعي :

وصاحب هذه الشطحات يحاسب ويؤاخذ على قوله أو فعله ويطلب منه التوبة فإن أصرَّ فيحاكم ويفتى في أمره ، وقد أفتى الفقهاء وكبار الصوفية بقتل (الحلاج) لأنه تكلم بحضور وهو مالك لعقله بما يخالف العقيدة والشريعة الإسلامية .

(٧) الوساطة :

هي الاعتقاد في وسيط بين الله والناس ليقربهم زلفى إليه . والإحساس بمقدرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا الوسيط المجسد في إنسان صالح حي أو ميت مدفون في قبر يزار يستمع إلى توسلاتهم، وله القدرة على التصرف والتوسط والاستجابة. وقد غالى أتباع الصوفية في أقطابها ومشايخها خاصة العامة والسذج منهم. وقد كانت الوساطة أساس الشرك بالله تعالى عند قوم نوح عليه السلام كما مر معنا بهذا المفهوم.

وفي مجال الوساطة علينا أن نميز في حالتي التوسل والاستغاثة بين ما هو مشروع، وما هو غير مشروع وهوما يختلط على العوام أو ما يعتبر من تدليس وتلبيس المستغلين على نحو ما نبينه في الآتي:

التوسل:

يتم التوسل بشكلين: أحدهما: مشروع، وآخر: غير مشروع. فالتوسل المشروع يتم بالآتي:

(١) بأسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى.

(٢) بالأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل لوجه الله تعالى.

(٣) بتوحيد الله كما توسل يونس (ذوالنون) عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

(٤) بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله تعالى. قال الله تعالى على لسان أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء :٨٣].

(٥) بدعاء الصالحين الأحياء. وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم. وبعد وفاته ﷺ كانوا قد طلبوا من عمه العباس أن يدعو لهم.

(٦) بالاعتراف بالذنب لله تعالى. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص :١٦].

أما التوسل غير المشروع فهو التوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، أو التوسل بجاه النبي ﷺ، وبذوات المخلوقين وحقهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستغاثة :

الاستغاثة هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة وتجوز الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه ولاتجوز الاستغاثة به فيما لايقدر عليه إلا الله تعالى. كما لاتجوز الاستغاثة بالمخلوق الميت. ومن الاستغاثات المطلوبة والمباحة والمعتادة في مجتمعنا والمعروفة في تراثنا تلك النداءات الجماعية للغوث والإنقاذ في حالات الحريق والغريق وإثر النكبات وانتشار المجاعات وهي ماتعرف بحالات النجدة. وليس من الآداب الإسلامية التوسل إلى الميت أمام نبره أو الاستغاثة به، وإنما من الآداب الإسلامية عند زيارة القبر تذكرالموت والآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له، وسؤال العافية من الله تعالى.

(٨) التأويل :

من أخطر ما في الفكر الصوفي تأويله لنصوص كتاب الله وسنة رسوله. إذ يقول الصوفية : إن للنص معنى ظاهريًا وهو الشريعة وهذه للعوام. ومعنى باطنيًا وهو الحقيقة وهذه للخاصة. وتعرف الحقيقة باستنباط المعنى الباطني للفظ الظاهري للنص عن طريق التأويل.

(٩) الإلهام والمشاهدة :

تنطلق الفلسفة الصوفية من نفس الحقيقة الإنسانية التي تعتبر الإنسان مكونًا من جسد وروح. وأن للروح قدرة على التحرر من كثافة الجسد المادي عن طريق المجاهدة والمداومة على ذكر الله. وفي عالم الروح المجهول التي لا يعرف حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى تحلق الفلسفة الصوفية وتضع أطروحاتها الفكرية. فهي تقول بعالم تلتقي فيه الأرواح سواء الأرواح المتحررة من أجسام الأحياء بفعل المجاهدة أو الذكر أو بهما معًا أو الأرواح التي فارقت الأجسام عند الوفاة. وفي هذا العالم النوراني تكون المشاهدة ويتم الإلهام. فترى الروح ملكوت الله من برزخ وجنة ونار وتقرأ ما في اللوح المحفوظ. وتتحادث الأرواح فيما بينها وتتعارف. وتستطيع روح الولي الحي في الدنيا بعد أن تتمكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الرقي واختراق الحجب والعروج في ملكوت الله بأن تلتقي بروح النبي ﷺ وتحادثه وتسأله ويجيب. وأن تختزل المسافات وتختصر الزمن وغير ذلك من خوارق العادات فيما يطلق عليه بالكرامات.

وتتوغل الفلسفة الصوفية في أعماق الروح لدرجة القول بفناء الجسم وإذابة [الأنا] والإحساس بوحدة الوجود فيندمج الجزء في الكل كاندماج الزبدة في اللبن [حسب التعبير الصوفي] فتندمج روح الصوفي في روح الله بحيث لا انفصال بين الخالق والمخلوق فيقول القائل منهم: أنا من أهوى ومن أهوى أنا. وما في الجبة إلا الله.

وبالإلهام والمشاهدة:

(١) ألَّف الشيخ محيي الدين ابن عربي كتابه (فصوص الحكم). وعن تأليف هذا الكتاب قال الشيخ محيي الدين ابن عربي: (إنه في العشر الأواخر من شهر محرم عام ٦٢٧هـ في دمشق رأى الرسول ﷺ وبيده كتاب فقال له: هذا كتاب فصوص الحكم. خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به. ويتابع ابن عربي قوله: (فاقتصرت على ماذكرته من هذا الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أم الكتاب، فامتثلت مارسم لي ووقفت عند ما حدد لي. ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت. فإن الحضرة تمنع ذلك) ثم يقول: (اعلم أني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا ولاغيره قط أمرًا غير مشروع. وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء من تصانيفي).

(ب) ألَّف الشيخ عبد الكريم الجيلي كتابه (الإنسان الكامل) وقال عن كتابه هذا: (ألتمس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أني ما وضعت شيئًا في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ. وأنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكتاب لأجله، فليتوقف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح الله عليه بمعرفته. ويحصل له شاهد على ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا ومن منطلق هذه الخاصية الروحية للأولياء وكبار الصوفية في عالم الأرواح النورانية فقد روى صاحب الغرر [١] عن الشيخ علوي ابن الفقيه المقدم بأنه:

(١) قد أذن له في كمال التصريف المطلق بإذن الله في الدنيا، والبرزخ والآخرة.

(٢) ممن يتصرفون في قبورهم كما يتصرفون في حياتهم.

(٣) أحد ثلاثة من آل أبي علوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة. إذا مادعوتهم ونوهت بأسمائهم حضروك، وأنقذوك من كل خوف، ونجي كل مخافة. وفاح سر بركتهم. فمن دعاهم بصدق نية أجيب.

د- الحياة الصوفية:

يطرح الفكر الصوفي بأن للصوفي نشاطين؛ أحدهما: يرتبط بروحه في عالم الأرواح قبل وبعد مماته، والآخر: يرتبط بكونه مركبًا من جسد وروح في العالم الأرضي قبل مماته.

(١) نشاط الصوفي كروح نورانية:

تجتمع أرواح الصوفية في مشاهد تلتقي فيها الرسل والأنبياء والأولياء والملائكة المقربون في مجمع روحي هو (الديوان الصوفي) الذي يصرِّف أمور الكون الأرضي كسلطة عليا وذلك عن طريق جهاز تنفيذي هرمي يتربَّع على قمته الغوث في زمانه:

(أ) الديوان الصوفي:

يتكون الديوان الصوفي من اجتماع الغوث والأقطاب والأبدال والأولياء حيث يترأس الاجتماع الغوث. وقد يحضر الاجتماع الديواني الرسول محمد ﷺ؟ وبعض الصحابة وبعض النساء الطاهرات كفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين. كما قد يحضر الأنبياء والملائكة. وعند حضور

(١) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسول ﷺ فهو الذي يترأس الاجتماع. وينعقد مجلس الديوان الصوفي في غار حراء. إلا أنه قد ينعقد في أماكن أخرى. ولغة الكلام في هذا المجلس هي اللغة السريانية. وينظر الديوان في القضايا التي تتعلق بتصريف أمور وشئون العالم الأرضي. وفي هذه المملكة الروحية قد يتصارع الأقطاب عند غياب الغوث رئيس الديوان، ويتقلد رئاسة الديوان القطب المنتصر.

(ب) الجهاز التنفيذي للديوان: يكون للديوان الصوفي جهاز تنفيذي هرمي على النحو التالي:

(١) الغوث:

وهو القطب الأكبر. ويدير الكون الأرضي كله. وقد قيل: إن الشيخ محمد بن علي العلوي الحضرمي الملقب بالفقيه المقدم قد تولى هذا المنصب.

(٢) الأقطاب:

يتولى الأقطاب مهمة مسك العالم الأرضي من جوانبه الأربعة وعددهم أربعة بحيث يمسك كل واحد بطرف. ولهذا يطلق عليهم الأوتاد.

(٣) البدلاء:

يمسك البدلاء القارات السبع وعددهم سبعة على عدد القارات كما كان يعتقد.

(٤) الأولياء:

يتوزع الأولياء على الأقاليم. حيث يوجد في الإقليم الواحد الكثير من الأولياء كإقليم العراق ومصر واليمن الخ. وقد وصفت حضرموت بأنها عش الأولياء وأنها تنبتهم كما تنبت الأرض البقل؛ وذلك للدلالة على كثرة الأولياء بحضرموت. ويتولى الملائكة خدمة الأولياء حسب طلباتهم. ويزعم أنه ما يتولى حاكم في عالم الشهادة إلاَّ بعد أن ينصبه أولياء الله من عالم الغيب كما حصل فعلاً للسلطان عبد الله بن بدر الكثيري. فقد روى بعض الصالحين في المنام رؤيا أنه رأى أربعة من الصالحين عرف منهم الولي الشهير محمد باوزير كل منهم ممسك ركنًا وقالوا: نريد تولي عبد الله فلم تمض بعد ذلك إلاّ مدة يسيرة وهجم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبد الله على أبيه وقبض عليه واستولى على الحكم (١).

هذا وتضيف بعض مصادر الصوفية وظيفتين في الجهاز التنفيذي للديوان الصوفي هما الإمامان وهما بمثابة الوزيرين للغوث. واثنا عشر نقيبًا وهم الحاكمون على ١٢ برجًا.

(٢) نشاط الصوفي كبشر:

وهبوطًا من عالم الأرواح والمشاهدة والكشف إلى أرضية الواقع يمارس الصوفيون أنشطتهم كبشر في إطار نظام تربوي وقيادي على النحو التالي:

(أ) المشيخة [المنصبة]:

منصب رئاسي يتولاه شيخ الطريقة. ويكون التنصيب للمشيخة بعدة طرق منها:

(١) يختار عدد من الصوفية من بينهم شيخًا لهم.

(٢) يختار شيخ الطريقة أحد تلامذته ليخلفه من بعده إما بتسميته مباشرة أو بعلامة معينة تتراءى لهم بعد موته. كما فعل الشيخ عبد الله الصالح المغربي حينما قال لتلامذته الأربعة: إن شيخكم من بعدي من تكون السبحة نصيبه عند قسمة ميراثي بالقرعة بينكم. فجاءت السبحة من نصيب الفقيه المقدم فكان شيخهم.

(٣) بالوراثة وهذا النظام انتشر في حضرموت حيث تبدأ المشيخة بقطب كبير يسمى المنصب ثم تنتقل رئاسة المنصبة في أسرة هذا المنصب الكبير بالوراثة حسب نظام معين. ومن هذه الأسر الحضرمية التي توارثت المنصبة:

١- أسرة الشيخ والصوفي الكبير سعيد بن عيسى العمودي في دوعن.

٢- أسرة أبو بكر بن عبد الله العيدروس في عدن.

٣- أسرة الشيخ أبي بكر بن سالم في عينات شرقي تريم.

(١) سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي: العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (تاريخ حضرموت)

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- أسرة عمر بن عبد الرحمن العطاس في حريضه.

٥- أسرة عبد الله علوي الحداد في حاوي تريم.

٦- أسرة علي بن محمد الحبشي في سيؤن.

وقد هبط مستوى هذا النوع الوراثي من المشيخة أو المنصبة بعد أن تولا بالوراثة من هو غير مؤهل لها وانحصر دورها في الشكليات والعادات والتقاليد وفي المناسبات وهذا سالف ومصير كل نظام وراثي. وقد وصف الأستاذ عبد الله حسن الحبشي [1] متأخري الصوفية بقوله: (فقد كانوا وصمة عار على الصوفية وقد حولوا تصوفهم إلى نوع من الشعوذة، وجعلوه وسيلة للكسب الخاطئ فقاموا بأعمال يتبرأ منها صوفيتهم الأوائل) ويتابع الحبشي قوله: أهم علامات سقوط التصوف في اليمن تقديس شيوخهم، وإصباغ هالات العظمة عليهم فنسبوا إليهم العديد من الكرامات التي لا يقدر على فعلها إلا رب الأرباب. ومنهم من لم يكتف بإضفاء تلك الكرامات إلى شيخه في حياته فأخذ يتقرب إلى ضريحه بعد موته، ويعتبره من المزارات المقدسة حتى أدى به الأمر إلى الاشتغاثة به وطلب نزول المطرعند قبره والنحر له إلى غير ذلك.

(ب) الزاوية أو الرباط:

الزاوية هي مكان تجمع مريدي وتلاميذ الشيخ الصوفي وتسمى أحيانًا الرباط. فهي مكان تعليمي وتربوي على يد الشيخ. ومن أمثلة هذه الزوايا والأربطة نذكر:

(١) زاوية الشيخ علي الأهدل في القرن السابع الهجري وقد بلغ عدد تلامذتها (٥٠٠) مريدًا.

(٢) زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران في تريم.

(٣) رباط الشيخ محمد بن عمر النهاري المتوفى سنة ٧٤٧هـ في ريمة.

(٤) رباط الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفى سنة ٦٦٠هـ في دوعن بحضرموت.

---

(١) عبد الله الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ج) الحوطة :

قد تتوسع دائرة نفوذ القطب الصوفي فتسمى حينئذ حوطة. مثل حوطة أحمد بن زين الحبشي وحوطة الشيخة سلطانة وحوطة الحاوي بتريم. وكل هذه الحوط في وادي حضرموت الأوسط.

(د) السماع :

وفي إطار النشاط الصوفي على الأرض يأتي السماع. وهو نشاط جماعي للذكر. وقد اتخذ عدة أشكال حسب الطرق الصوفية نذكر منها :

(١) تلاوة الأذكار والأوراد جماعيًا وبصوت مسموع.

(٢) إنشاد قصائد المدح والغزل الصوفي في أوصاف المحب وهي في كثير من الحالات تدور حول العشق الإلهي من حب له وشوق إليه.

(٣) إنشاد قصائد المدح بالنغم مع الطبل والناي. وتعتبر حضرة السقاف في تريم من هذا القبيل.

(٤) وفي خطوة أخرى دخل السماع في طور الغناء والرقص. وقد ذكر الفقيه الأهدل بأن الصوفي إسماعيل الجبرتي قد أدخل على السماع بعض الآلات الموسيقية كالدف والشبابة والعود. وقد يعلن عن بعض ليالي السماع فتخرج النساء ويحضرن الأمر العظيم. هذا وكان الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي أول من أقام السماع للأسر احتفالاً بمناسباتهم العائلية. وفي عهدنا هذا ظهرت فرقة (المسرة) بتريم وهي أشبه بتلك التي أقامها إسماعيل الجبرتي وتتميز عنها بالتزامها بالحدود المسموح بها شرعًا. أما الصوفي الحضرمي الشيخ عبد الرحمن بن عمر باهرمز الشبامي بهينن المتوفى سنة ٩١٤هـ فقد تفنن في الطرب والسماع عندما يأتيه الحال. فقال عنه صاحب النور السافر : كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال، فيغنين بين يديه ويرقصن. فكان هذا دأبه في أكثر الأوقات. وعندما سمع الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة بذلك وكان على طريقة الفقهاء قصد الشيخ باهرمز لإنكار ذلك عليه. وفي الطريق إليه تردد بامخرمة ورجع إلى بلده. وهكذا كان في المرة الثانية، ولكنه في المرة

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثالثة عزم ودخل على الشيخ باهرمز وهو في حالة رقص مع النساء فأمر الشيخ باهرمز بعض النساء الحسان ممن كانت ترقص عنده أن تعتنق الفقيه بامخرمة فما هو إلاّ أن فعل به ذلك فخر مغشيًا عليه. فلما أفاق تتلمذ للشيخ وحكمه في ذلك الوقت. وفتح الله عليالفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة ببركة الشيخ الصوفي عبد الرحمن بن عمر باهرمز وصار من كبار العارفين المربين!! (١).

هـ - الدخول في دائرة التصوف:

من السهل أن تكون مسلمًا. إذ يكفي لغير المسلم أن ينطق بالشهادتين حتى يصبح مسلمًا داخلاً في دائرة الإسلام. وما عليه بعد ذلك إلاّ أن يلتزم بتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة التي يتعلمها من أي مسلم ملم بها. بينما لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة للمسلم لكي ينخرط في دائراة التصوف ويصبح صوفيًا؛ لأن هذا يتطلب من طالب التصوف (المريد) أن يلتزم بشيخ صاحب طريقة يعتقد به ويتتلمذ على يديه. وتجرى على يديه مراسيم الدخول في الدائرة الصوفية. وحضرموت لم تعرف التصوف بشكله الواسع والمتميز إلاّ عن طريق مندوب صوفي قادم من المغرب العربي أجريت على يديه مراسيم الدخول في الدائرة الصوفية لأربعة رجال من أبناء حضرموت وقد سبق أن تطرقنا إلى هذا الحدث.

تتم مراسيم دخول دائرة التصوف على النحو والشروط التالية:

(١) يشترط في المريد قبل أن يجلس بين يدي شيخه أن يكون متطهرًا من النجاسة ومتوضيًا.

(٢) يجلس المريد بين يدي شيخه وتوضع الخرقة المراد إلباسها بين يديهما.

(٣) يضع الشيخ راحته اليمنى على راحة المريد اليمنى، ويقبض إبهامه بأصابعه. ثم يأمر الشيخ المريد بتغميض عينيه ويلقنه عبارة (لا إله إلاّ الله) ثلاث مرات. ثم يقرأ سورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين وبعدها يهلل بما شاء الله. ويهدي ذلك إلى حضرة النبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين والصالحين والمسلمين جميعًا.

---

(١) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس: النور السافر عن أخبار القرن العاشر.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤) يقوم الشيخ بإلباس الخرقة للمريد (وهي أى شيء يلبس كالكوفية مثلاً) فيقبل المريد رأس الشيخ أويده أورجله.

(٥) يتلفظ المريد بعدها بالقول: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولاً، ورضيت بك شيخًا وواسطة لله تعالى.

وفي حضرموت يختتم الشيخ مراسيم إلباس الخرقة بقوله: مذهبنا في الفروع مذهب الإمام الشافعي، وفي الأصول مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، وطريقتنا طريقة الصوفية.

بعد أخذ الطريقة الصوفية وفقًا لنموذج المراسيم الآنف الذكر يكون المريد قد دخل دائرة التصوف. وعندها يصدر الشيخ لمريده شهادة أخذ الطريقة وتسمى (الإجازة) والتي تخول للمريد صاحب الإجازة التبليغ عن شيخه، وتمنحه الأهلية لمنح هذه الإجازة لغيره.

وقد أجاز الشيخ عبد الله بن حسين بن عبد الله بلفقيه مريده (تلميذه) أحمد بن علي بن هارون بما نصه [١]: (أجزت هذا الحبيب الصفوة الأريب إجازة مطلقة خاصة وعامة، في كل ما تجوز لي روايته وتصح درايته من كل العلوم من فروع وأصول، ومنقول ومعقول، بشرطه المعتبر عند أهل الأثر. وأذنت له بالتبليغ عني لما بلغه وثبت عنده مني فيما قدمته. . . . . وأذنت له أن يخبر من أراد فيما أراد ممن تحققت فيه الأهلية وعرف منه حسن الطوية، مراعيًا فيه شروط الإجازة. .).

هذا وفي داخل الدائرة الصوفية تتعدد الطرق الصوفية بتعدد أقطابها. وتعني الطريقة النسبة إلى شيخ معين. وأهم الطرق التي عرفتها اليمن عمومًا وحضرموت خصوصًا هي [٢]:

الطريقة القادرية:

وتنسب إلى الشيخ الكبير عبد القادر بن موسى الجيلاني المتوفى عام ٥٦١هـ.

---

(١) عبد القادر عبد الرحمن الجنيد: العقود العسجدية.
(٢) عبد الله البشي: الصوفي والفقهاء في اليمن.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في اليمن: إسماعيل الجبرتي، وإبراهيم محمد باهرمز، وعبد الله بن عقيل باعباد.

الطريقة الشاذلية:

وتنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى عام ٦٥٦هـ.

ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في اليمن: علي بن عمر بن دعسين الشاذلي.

(٣) الطريقة المغربية:

وتنسب إلى الشيخ شعيب بن الحسن الشهير بأبي مدين. ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في اليمن: محمد بن علي (الفقيه المقدم)، وسعيد بن عيسى العمودي. وأحمد بن عبد القادر باعشن المتوفى عام ١٠٥٢هـ.

(٤) الطريقة الرفاعية:

وتنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن علي الرفاعي المتوفى عام ٥٧٨هـ. ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في اليمن: عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي المتوفى سنة ٦٨٨هـ. وإسماعيل الجبرتي [يبدو أنه يمكن أن يكون للشيخ أكثر من شيخ وأكثر من طريقة كما هو حال الجبرتي الذي أخذ الطريقتين: القادرية والرفاعية]. وإبراهيم العلوي المتوفى سنة ٧٥٢هـ.

الطريقة العلوية:

عرفت هذه الطريقة في حضرموت. وهي طريقة توليفية بين أكثر من طريقة. وسنرى أن الفكر الصوفي الحضرمي فكر توليفي بين الفكر السني العام والفكر الصوفي العام والفكر الشيعي العام.

ويصف صاحب عقود الألماس [1] الطريقة العلوية بأنها: غزالية المظهر شاذلية الباطن. وهي هدى وسكون، ومحو وإثبات إلخ. ويصف طريقة الشاذلي بأنها طريقة الشكر وهي الأصلية والتي كانت عليها قلوب الأنبياء والصحابة. بينما - كما يقول صاحب عقود الألماس - تعتمد طريقة الغزالي على الرياضة

---

(١) علوي بن طاهر الحداد: عقود الألماس.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتعب، والمشقة والسهر والجوع (المجاهدة). وأن طريقة الشكر أصعب على النفوس الغافلة. والجمع بين الطريقتين هو طريق السادة العلوية في حضرموت.

- موقف الفقهاء وائمة الزيدية من الصوفية:

سبق الفقهاء الصوفية من الناحية التاريخية. فمنذ أن بعث الله تعالى محمدًا ﷺ برسالة الإسلام وأنزل القرآن الكريم على نبيه كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم. وتسابق الصحابة خاصة النبهاء منهم في التفقه في الدين امتثالاً لقول نبيهم: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين» والتفقه هنا هو العلم بالشريعة الإسلامية من خلال الكتاب والسنة. ثم توسعت علوم الشريعة بتوسع الأمة الإسلامية ووقوفها أمام المستجدات الجديدة التي واجهت الدولة الإسلامية المترامية الأطراف والمتعددة الأعراق والأجناس والثقافات. فظهر الاجتهاد والقياس كمصدرين إضافيين داعمين ومستنبطين من القرآن والسنة.

ومنذ أن احتك المسلمون بحضارات الفرس والرومان واليونان والهند والصين أخذت تبرز في الفكر الإسلامي مقولات فلسفية وفكرية تناولت فيما تناولت الجانب العقائدي والجانب الروحي. وظهر التصوف الذي انتقل من مجرد الزهد في الدنيا والخلوة للتعبد إلى موقف فكري يطرح آراءه الفلسفية. وكان أكثرها غلوًا وتطرفًا آراء الحلاج الذي نادى بوحدة الوجود والحلول. وكان هذا الموقف المعلن صراحة أمام الملأ بمثابة صدمة فكرية هزت مشاعر وعقول علماء المسلمين من فقهاء وصوفية أيضًا. فوقفوا بحزم أمام هذا الإعلان الفكري الجريء وأفتوا بقتله على أساس أن الحلاج قد كفر وتزندق وخرج عن ملة الإسلام. وقد تزعم الفقهاء في هذه الفتوى الفقيه أبو عمر القاضي، وداود الظاهري، ومن الصوفية الجنيد وعمر بن عثمان وابن سريح [1]. ويأتي من بعد الحلاج الشيخ محيى الدين ابن عربي في شطحه الفكري كما جاء في مؤلفه (فصوص الحكم). وقد تسربت أفكار الحلاج إلى مجموعة من صوفية اليمن وحضرموت نذكر منهم [2]: الصوفي أبا الغيث بن جميل، وأبا بكر اليحوي،

(١)، (٢) عبد الله الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والصوفي الشهير أحمد بن علوان المتوفى عام ٦٦٥هـ والصوفي محمد بن سالم ابن البانه، والشيخ عبد الكريم الجيلي المتوفى عام ٨٠٥هـ، والشيخ إسماعيل الجبرتي، وأخيرًا الشيخ قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم الحضرمي من أهل مدينة بروم غربي المكلا، وكان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ إسماعيل الجبرتي.

هذا وقبل أن يغزو الفكر الصوفي بلاد اليمن كانت الصولة والجولة للفقهاء. وقد لبى نداء الفكر الصوفي حينما ورد اليمن جملة من الفقهاء من أمثال زيد بن عبد الله اليفاعي المتوفى عام ٥١٤هـ والفقيه المقدم محمد بن علي العلوي الحضرمي المتوفى عام ٦٥٣هـ. ولما كان التصوف لا يتطلب تعلمًا ولا تفقهًا في الدين فقد ولج دائرته الأميون اليمنيون من أمثال [1]:

(١) الصوفي الكبير أبو العباس أحمد أبي الخير الصياد. وكان أميًّا من عوام مدينة زبيد.

(٢) الصوفي جوهر بن عبد الله. وكان أميًّا متواضعًا من مدينة عدن توفي عام ٦٢٦هـ.

(٣) الصوفي الكبير أبو الغيث بن جميل ويلقب بشمس الشموس. أصله من الموالي وكان أميًّا، وقد خرج يومًا مع رفقة له لقطع الطريق فسمع هاتفًا يقول له: يا صاحب العين عليك العين. فأثر ذلك الهاتف في نفسه وكف عن قطع الطرق وتصوف.

(٤) الصوفي الحضرمي الكبير سعيد بن عيسى العمودي. كان أميًّا بدويًّا ولكنه أخذ الطريقة الصوفية من المندوب الصوفي المغربي المرسل من قِبل أبي مدين هو والفقيه المقدم وآخرون.

(٥) الصوفية الحضرمية الشهيرة الشيخة سلطانة الزبيدية كانت امرأة أمية كانت تقول الشعر الحميني ولها مساجلات شعرية مع كبار الصوفية في حضرموت.

هذا وتميز الموقف بين الصوفية والفقهاء في اليمن خاصة في تهامة وعدن

---

(١) عبد الله الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالصراع والتنافس والجدل العنيف. واستخدم كل طرف نفوذه لدى السلطة الحاكمة خاصة في عهد الرسوليين الذي تميز بنهضة علمية وفكرية كان رجالها من الفقهاء والصوفية. أما في حضرموت فقد حدث في البدء غضب من الفقهاء على الفكر الصوفي الغازي عليهم فقد غضب العلامة والفقيه الشيخ علي بن أحمد بامروان على تلميذه محمد بن علي العلوي الذي استجاب لدعوة أبي مدين فتصوف وترك مدرس شيخه بامروان الذي كان يؤمل في تلميذه مستقبلاً فقهيًا باهرًا. إلاّ أن مثل هذا الغضب في حضرموت لم يتطور كما في اليمن إلى صراع ومهاترات إذ سرعان ما تصالح الفريقان واعترف كل منهما بالآخر على أساس أن تبقى رئاسة الفتوى والقضاء للفقهاء، وقد بقيت كذلك إلى أواخر الدور التنويري، ولم يتعرض أحد من الفقهاء إلى الصوفية بنقد بل سرعان ما طغت الموجة الصوفية على الساحة الحضرمية التي قادها العلويون الذين سيطروا على الجمهور وأحاطوا بالسلطة الحاكمة تاركين القضاء للقضاة والمشايخ الذين استظلوا بظل الصوفية النافذة اجتماعيًا وسياسيًا.

وبالمقابل نجد في اليمن الزيدية: أن الأئمة الزيدية قد ناصبوا الصوفية العداء منطلقين من فكرهم الزيدي المناهض للتصوف ولإدراكهم أن الصوفية ستنافسهم شعبيًا مما قد يضعف نفوذهم السياسي. فقد قتل الإمام الزيدي صلاح الدين بن محمد بن علي الذي حكم في الفترة (٧٧٣ - ٧٩٣هـ) الصوفي أحمد بن زيد بن عطية الشاوري [1] مما أثار غضب علماء التهائم صوفيتهم وفقهائهم على هذا الإمام الزيدي. فخاطب الفقيه إسماعيل بن أبي بكر المقري المتوفى سنة ٨٣٧هـ الإمام الزيدي صلاح الدين بقوله: -

أراني الله رأسك ياصلاح تداوله الأسنة والرماح
فتكت بأولياء الله بغيًا وعدوانًا ولج بك الجماح
وبؤت بسخط ربك لا بحد ولا أجر وعرضك مستباح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد فلا يرجى لقاتله صلاح

وظل العداء تجاه الصوفية مسيطرًا على الأئمة الزيدية في اليمن حتى آخر إمام

(١) عبد الله الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زيدي [١] وهو أحمد بن يحيى حميد الدين الذي قام بهدم ضريح الصوفي أحمد بن علوان في يفرس وأضرحة أخرى لكبار الصوفية في الحديدة وتعز. وامتدح أبو الثوار محمد محمود الزبيري هذا الصنيع قائلاً:

حطمت قبرًا خطير الشأن جانبه لولا عزيمتك الشماء ما حطما
جرح على كبد الإسلام متسع وضعت فيه شعاع الشمس فالتأما

ومن هذا الموقف الزيدي العدائي تجاه الصوفية لم يرحب صوفية حضرموت بقدوم الجيش الزيدي إلى حضرموت ودخوله مدينة تريم في عهد القطب الصوفي عبد الله بن علوي الحداد. وتروي الأسطورة الصوفية بهذه المناسبة بأنه حينما دخل الجيش الزيدي مدينة تريم هب الأولياء أقطاب الصوفية من قبورهم لصد هذا الجيش الغازي. لكن الله سبحانه وتعالى أنزل ملائكة من السماء تحمل قيودًا فقيدت الأقطاب الناهضين من قبورهم ومنعتهم من الاحتكاك بالجيش الزيدي. وأن القطب عمر المحضار قد قيدته الملائكة بقيدين اثنين. بينما تصالح الفقهاء والصوفية في حضرموت تحت المظلة العلوية، فإن فقهاء اليمن قد تعرضوا بالنقد الشديد للصوفية عامة ولليمنيين الصوفيين خاصة لاسيما لأفكارهم المتطرفة التي نادى بها الحلاج وابن عربي في كتابه (فصوص الحكم) وغيرهما، ومن الفقهاء والعلماء المجتهدين اليمنيين المعارضين للصوفية نذكر [٢]:

(١) العلامة محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠هـ صاحب كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم).

(٢) العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل المتوفى سنة ٨٥٥هـ:
تعرَّض هذا الفقيه للصوفية في كتابه (كشف الغطاء)، وكتابه في التاريخ (تحفة الزمن) وهو القائل: (لم أزل في شبتي وشيبتي أتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى أطلعني الله على حقيقة مذهبهم وأنه أخبث النحل وأكفر الملل).

(١) على اعتبار أن ابنه البدر لم يستقر في الحكم إثر قيام الثورة اليمنية في ٢٦سبتمبر عام ١٩٦٢م.
(٢) عبد الله الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة المتوفى سنة ٩٧٢هـ: تعرَّض هذا الشيخ الفقيه للصوفية بالنقد في كتابه (حقيقة الوجود).

(٤) العلامة صالح بن مهدي المقبلي المتوفى سنة ١١٠٨هـ: وتعرض هذا العلامة للصوفية بالنقد في كتابه (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ).

(٥) العلامة محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى سنة ١١٨٢هـ: تعرَّض العلامة محمد إسماعيل الأمير للصوفية بالنقد في كتابه (نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة الوجود).

(٦) العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ: تعرَّض علامة اليمن هذا للصوفية بالنقد في كتابه «الصوارم الحِداد القاطعة لأعناق أهل الاتحاد».

(٧) العلامة أحمد بن محمد الجرافي المتوفى سنة ١٣١٦هـ: تعرَّض هذا العلامة الفقيه بالنقد للصوفية في كتابه (الدليل القاهر في الرد على الصوفية الأشرار).

(٨) القاضي العلامة عقيل بن يحيى الإرياني المتوفى سنة ١٣٤٦هـ صاحب كتاب (السيف الباتر لأعناق عبَّاد المقابر).

(٩) الشيخ محمد بن سالم البيحاني المتوفى سنة ١٣٩٢هـ: علَّق هذا الشيخ المقيم في عدن وصاحب المعهد العلمي المعروف بمعهد البيحاني قبل أن يؤممه الاشتراكيون في الدور الاشتراكي الذي سنأتي على ذكره، على أفكار ابن عربي والحلاج فقال: (أما ابن عربي فهو الذي ملأ الآذان صيته وانتشر ذكره. فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تمامًا لأحوال المتصوفين في الإسلام. فالشيخان حلوليان يقولان بوحدة الوجود. وفي كتاب الفصوص وكتاب الفتوحات المكية وغيرهما من كتب ابن عربي وما يروى عنه من الأمور المخالفة للشريعة، وكذلك ما يروى عن الحلاج من الكفر الصريح كقوله: «أنا الله، وما في الجبة إلَّا الله» فذلك مخالف تمامًا لتعاليم الإسلام ويستحقان عليه القتل).

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ز - نقد الفكر الصوفي (ما له وما عليه):

الإنسان كما أشرنا سابقًا مكون من جسم وروح لا يفترقان إلا عند الموت. والتوازن بين نشاطهما هو ما دعا إليه الإسلام. والتصوف جنوح نحو نشاط الروح مقتبسًا فلسفته من ثقافات الأمم السابقة للإسلام. خاصة الثقافة المسيحية التي سنت الرهبنة والتنسك والخلوة في الكهوف والأديرة، وترك طيبات الحياة المباحة كعدم الزواج عند الرهبان والراهبات قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد :٢٧] والاعتدال في التصوف قولاً وعملاً والالتزام بالكتاب والسنة دون تأويل ومغالاة لا يخرج المتصوف عن عقيدته التوحيدية وشريعته الإسلامية. وكم من هؤلاء الصوفية المستقيمين قد عرفهم العالم الإسلامي واليمن وحضرموت. وقد وقفوا في وجه الغلو والانحراف الصوفي واستنكروا ما صدر من المغالين من شذوذ وانحراف ومحذور قولاً وعملاً. وبما يعقد مشكلة التصوف الضعف البشري أمام حالات مذهلة تتراءى للمتصوفة فتفقدهم توازنهم ولا يثبت إلا الراسخون في العلم والعقيدة. ولا سيما أن كثيرًا من مثل هذه الأحوال وخوارق العادات تحصل للبر والفاجر وللمسلم وغير المسلم. ناهيك عن أن للشيطان أحابيله لغواية الإنسان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثير مما يصوره بعض الصوفية أنه كرامات كما تستغل الصدف والفراسة للادعاء بالكرامات. ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافاتهم وشذوذهم عليهم أنفسهم فحسب فهذه أمرها سهل ومحصور. وإنما الخطر كل الخطر في التأثير على الناس والمجتمع وخاصة على العوام والسذج؛ لأنهم أكثر فئات المجتمع تأثرًا وانصياعًا لمؤثرات الفكر الصوفي المنحرف. ويجب أن ننظر إلى أن المتصوف وأحواله حالة خاصة به وحده. أما أن يجعل من أحواله وتصرفاته منهاجًا يقتدى بها وأمامنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي أصحاب رسول الله والتابعين ومن اهتدى بهديهم فهذا ما يجب أن لا يكون. ولا يصح إطلاقًا أن نجزئ القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح إلى ظاهر للعامة وباطن للخاصة يؤولون معاني ألفاظهما العربية الفصيحة الواضحة إلى معان

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى يسمونها علوم الحقيقة ويتركون معاني ألفاظ القرآن الكريم كما نزلت من عند الله على رسول الله ﷺ، وألفاظ السنة كما تحدث بها الرسول لعامة المسلمين ويطلقون عليها علوم الشريعة. وفي تقديرنا أن أخطر وأوسع ثغرة فكرية تهدد بنيان الإسلام وتشوه عقيدة المسلم هو هذا المدخل في تجزئة القرآن والسنة إلى ظاهر وباطن وإلى شريعة وحقيقة. ولا تقف الخطورة عند تجزئة الإسلام إلى منهاجين وعلمين؛ أحدهما للخاصة والآخر للعامة، بل تتعداها إلى تقسيم المجتمع الإسلامي إلى طبقتين أو فئتين اجتماعيتين هما فئة (التعالي) وهي فئة الخاصة المحدودة في المجتمع وفئة (الأتباع) وهي فئة العامة العريضة في المجتمع. ويتمادى التمييز الاجتماعي في غيه عندما تكون فئة الخاصة هي المدبرة والمسيرة لحياة ومعاش وسعادة فئة العامة من خلال سلطتها الروحية المطلقة التي يمثلها (الديوان الصوفي) وجهازه التنفيذي الهرمي اللذان تطرقنا إليهما فيما سبق.

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي نجده مليئًا بحالات التصرف المطلق للأقطاب والأولياء الأحياء والأموات في حياة الناس من شفاء الأمراض، ورزق الأطفال، وغفران الذنوب، ورد الكوارث، وتأديب المتطاولين، وقتلهم أحيانًا بالقدرة، واستئناف حياة الأموات من جديد واللقاء بالأحياء. يقول السيد علي بن حسن العطاس: من قام لله بالقدرة كلامه يتم. وهناك من يقول تأكيدًا لمقولة العطاس هذه: إن بعضهم كان يكلم الصوفي الشهير بدوعن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بعد موته ويشاوره في أموره. كما يروي البعض الآخر أنه كان يخاطب الفقيه المقدم أمام قبره بل ويخرج الفقيه المقدم من قبره ليتناول مع زائره القهوة، ولتبادل أطراف الحديث. إن عودة الروح مسألة قديمة. وكان فراعنة مصر يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد بعد الموت. ولهذا كانوا يهيئون في مدافنهم كالأهرامات كل ما سيحتاجه الميت من أدوات ومأكولات وغيرها في حين يروي لنا الرسول ﷺ أن روح المؤمن بعد وفاته تعلق على شجر في الجنة ولا تعود إلى الجسد إلا عند البعث.

وفي الواقع إن كيفية حياة الإنسان بين الموت والبعث وعلاقة الروح بالجسد

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعذاب القبر ونعيمه وتلاقي الارواح هي من الغيبيات، ونكتفي بالتسليم بما جاء نصه في القرآن والحديث ولا نزيد. ويعلمنا الرسول ﷺ أيضًا أنه: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ورثه لعلماء ينفعون به الناس، وصدقة جارية تصدق بها قبل مماته، وابن صالح يدعو في حياته لأبيه الميت». إن التطرف في تمجيد الأولياء والأقطاب يؤذي الأولياء أنفسهم ويخرجهم عن بشريتهم. وقد تبرا الرسول ﷺ من الغلو في الدين. أو طلب شيء منه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

أما الاعتدال في التصوف والاستقامة في الدين فنعما هي. كان الصوفي القطب عبد الله بن علوي الحداد العلوي الحضرمي يضع الصوفي الولي في موقعه الصحيح كما حدده الإسلام له. فوصفه بأنه محصن باتباع السنة والشريعة وأنه لايعدو أن يكون بشرًا لا يملك التأثير على أحد ولا يملك ما هو خاص بالله تعالى وقال: (التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له، لا تأثير لولي ولا غيره في شيء قط لا حيًا ولا ميتًا. فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيرًا في شيء فهو كافر بالله تعالى).

أما الشيخ الصوفي أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية فقد أنكر أقوال الحلاج [1] ونفى أن يكون وليًا وقال: (أي سادة تفرقت الطوائف شيعًا، وأحبيك (تصغيرًا لاسمه تواضعًا) بقي من أهل الذل والانكسار والمسكنة والاضطرار. إياكم والكذب على الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]. ينقلون عن الحلاج أنه قال: أنا الحق. أخطأ بوهمه. لوكان على الحق ما قال أنا الحق. يذكرون له شعرًا يوهم (الوحدة). كل ذلك ومثله باطل... إياكم والقول بهذه الأقاويل إن هي إلاّ باطل) ثم يتطرق الشيخ الرفاعي إلى أحوال الأولياء الصادقين فيقول: (درج السلف على الحدود بلا تجاوز. بالله عليكم، وهل يجاوز الحدود إلاّ جاهل؟ وهل يدوس في الجب إلاّ الأعمى؟ أما هذا التطاول

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلك المتطاول ساقط بالجوع، ساقط بالعطش، ساقط بالهرم، ساقط بالفناء. أين هذا المتطاول من حرمة صوت ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] العبد متى تجاوز حده مع إخوانه يعد في الحضرة ناقصًا. التجاوز علم نقص ينشر على رأس صاحبه يشهد عليه بالرعوي، يشهد عليه بالغفلة، يشهد عليه بالزهو، يشهد عليه بالحجاب. يتحدث القوم بالنعم لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية. الحقوق الإلهية تطلبهم في قول وفعل. الإلهية ليست فرعونية، ولانمرودية. قال فرعون أنا ربكم الأعلى. وقال قائد الأولياء وسيد الأنبياء محمد ﷺ: (لست بملك، نزع ثوب التعالي والإمرة والفوقية... العاقل كل أعماله لله تعالى).

هذا وقد حذر الإمام أحمد بن حنبل من (الحارث المحاسبي) الرجل الصوفي الذي يدعو إلى الجهمية فقال: (احذروا من الحارث أشد التحذير إن الحارث أصل البلبلة). وقال الإمام الشافعي: (لو أن رجلاً تصوف أول النهار لايأتي الظهر حتى يصير أحمق). أما الإمام ابن تيمية والإمام الشوكاني فقد تعرضا للصوفية وبينا الغث والسمين. والاستقامة والانحراف في التراث الصوفي. ميزا بين الصالحين وأهل البدع والزندقة منهم، كما ميزا بين ماهو ممكن أن يمنحه الله تعالى للصالحين منهم من كرامات، وبين ما لا يمكن أن يفعله إلا الله وحده. ووصف ابن تيمية الصوفية بقوله [1]: (والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ومنهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، ومنهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين. وفي كل من الصنفين من يذنب فيتوب أولا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو عاص لربه ظالم لنفسه. وقد انتسب إليهم طائفة من أهل البدع والزندقة. ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم).. وأما الإمام الشوكاني فيقول [2] عن كرامات الصوفية وكشوفاتهم في رسالته (قطر الولي على حديث الولي): (من مظاهر حب الله للعبد أن يكرمه بإجابة دعائه أو بتوفيقه في إدراك شيء مجهول عن طريق إحساسه أو فراسته وهو ما يسمى بالكشف كما في الحديث الشريف «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور

(١)، (٢) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربه». [أخرجه الترمذي] وفي حديث آخر: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم» أو يكرمه بمعونته إياه على أمر أقوى من طاقته في العادة وتسهيله له. أو يجنبه خطرًا كان محققًا. هذه الكرامات هي في الواقع منحة من الله سبحانه وتكريم لذلك العبد الذي أحب الله واتبع رسوله فأحبه الله كما نطق بذلك الحديث: «ولايزال عبد ي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» إلخ. فالفعل لله أولاً وأخيرًا. أما علم الغيب فهو لله وحده، ومن ارتضى من الرسل. قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. إن الكرامة والفراسة والإلهام والقوى الخارقة والهمم غير العادية منح من الله تعالى. يكسبها لعباده وليست أمورًا خاصة بالصوفية. وقد قال الشاعر:

والألمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

والاكتشافات العلمية الحديثة تؤكد صدق وإمكانية ماحدث في صدر الإسلام من المعجزات والكرامات، فنحن اليوم نشاهد على شاشة التلفاز عبر الأقمار الاصطناعية الأحداث العالمية بالصورة والحركة والكلمة. وقد وصف الرسول ﷺ لقريش أقسام بيت المقدس ورد على أسئلتهم وكأن بيت المقدس ماثلٌ أمامه وهو يصفه لهم. وذلك في اليوم التالي للإسراء والمعراج. وخاطب عمر بن الخطاب وهو يخطب بالمدينة على منبر رسول الله ﷺ سارية بن زنيم قائد جيش للمسلمين في شرق العراق وقد التف حوله العدو قائلاً له: ياسارية الجبل. فسمع سارية صوت عمر ورأى صورته وهو يناديه. ويقوم الإمام علي بن أبي طالب في غزوة خيبر برفع بوابة حصن خيبر بكلتا يديه وكأنه امتلك همة وقوة وعزيمة تفوق قدرة عصبة أشداء من الرجال. وما حصل للإمام علي بن أبي طالب حصل لدحمان المزارع الحضرمي التريمي الذي كان من بين رجال النجدة الذين لبوا نداء الاستغاثة (النار والبير) لإنقاذ بعير سقط في عين البير. فذهب دحمان إلى مكان غير بعيد من مكان الحادث وحمل على كتفيه عمودًا خشبيًا ضخمًا وثقيلاً لا يقدر على حمله إلا عدة رجال وأتى به إلى البئر حيث سقط

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البعير في وسطها، وتمكن رجال النجدة من وضع العمود الخشبي معترضًا ونزلوا إليه ومن عليه ربطوا البعير ثم رفعوه وأنقذوه. وبعدها لم يستطع دحمان حمل العود الخشبي فأعاده عدة رجال. ويملك بعض الناس قدرات غير عادية كالقدرة على رؤية المياه الجارية تحت الأرض والقدرة على التخاطب عن بعد بل والعلاج عن بعد. وقد وصف الإمام الشوكاني كرامات وكشوفات الأولياء كما مر معنا بأنها توفيق من الله لعبده لإدراك شيء مجهول عن طريق إحساسه أو فراسته.

٢ - الفكر الشيعي العام:

١ - نشوء التشيع:

الشيعة هم الأتباع والأنصار، وجمع شيعة أشياع وشيع. وقد وردت في القرآن الكريم في حالات تفرق المجتمع وتجزئته إلى فرق مختلفة الأهواء، أو طوائف يستعبد بعضها بعضًا. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام :٦٥] وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام :١٥٩] وقال الله تعالى أيضًا: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص :٤] وقال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم :٣٢]. هذا وورد في القرآن الكريم ما يصف إبراهيم عليه السلام بأنه من شيعة نوح عليه السلام أي من أتباعه وعلى منهاجه وملته قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات :٨٣].

أما شيعة الإمام علي بن أبي طالب فهم جماعة من المسلمين اتخذوا موقفًا مؤيدًا ومناصرًا له منذ أن بويع له بالخلافة كما اتخذوا بالمقابل موقفًا معاديًا للمعارضين له. ثم تطور هذا الموقف السياسي إلى موقف فكري ومبدئي تجاه ذريته من الحسن والحسين وخاصة بعد استشهاد الحسين نفسه. وأصبح التشيع لأهل البيت فكرًا دينيًا التزمت به جماعة من المسلمين انقسمت بعد ذلك إلى عدة

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرق، وانتسبت كل فرقة لإمام معين من ذرية الحسن أوالحسين من أبناء علي بن أبي طالب كالزيدية والإسماعيلية والاثني عشرية إلخ. وهناك من المسلمين من تشيع لأهل البيت دون الانتساب إلى إمام معين أو الالتزام بمذهب شيعي معين كالعلويين في حضرموت وشيعتهم الذين التزموا بالمذهب الأشعري في الأصول والمذهب الشافعي في الفروع خاصة بعد اندماجهم مع أهل السنة في حضرموت إثر انتقالهم إلى مدينة تريم ومساكنة أهلها من مشايخ العلم والفقه والزواج عندهم.

وبغض النظر عن الغلو في حب وتقديس الإمام علي بن أبي طالب فمن واجب كل مسلم أن يحب الصحابة جميعًا ويعترف بفضلهم في الإسلام ومن هؤلاء بالطبع الإمام علي بن أبي طالب الذي أسلم منذ أن كان صبيًا، وكان من المقربين إلى رسول الله ﷺ قلبًا ونسبًا، وممن له المآثر الكبرى في الجهاد والصبر على المكاره. وله الدراية والفهم الواسع في علوم الإسلام وفي القضاء. ومع كل هذه المنزلة الرفعية والمكانة العالية في الإسلام لم يكوّن له قط فكرًا خاصًا به ،ولم يسع قط في حياته إلى تكوين فرقة أو حزب أو جماعة خاصة به. بل ظل جنديًا مجاهدًا ملتزمًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. عمل تحت قيادة الرسول ﷺ ثم تحت قيادة الخلفاء الراشدين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان إلى أن بويع بالخلافة فتولى القيادة الإسلامية بنفسه إلى أن استشهد. ولم يحمل قط منذ أن أسلم إلاّ راية واحدة هى راية الإسلام إلى أن مات.

وكان شديد الحرص على أن يحقق المساواة بين الناس في قوله وعمله. فقد روى أن امرأتين قد جاءتاه ذات يوم تسألانه وتبينان فقرهما، فصرف لهما حقهما. فسألته إحدهما أن يفضلها على صاحبتها؛ لأنها امرأة من العرب وصاحبتها من الموالي. فأخذ شيئًا من تراب فنظر فيه - مشيرًا إلى الأصل الطيني للبشر جميعًا - ثم قال: ما أعلم أن الله فضل أحدًا من الناس على أحد إلا بالطاعة والتقوى[1]. وعليه فإن من ادعى أن لعلي بن أبي طالب امتيازات معينة

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى. ٢- على وبنوه.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحقوقًا خاصة وتوجهًا خاصًا - فهم على نهجه ومن شيعته - فعلي بن أبي طالب بريء مما يدعون بعيد عن أي تكتل إسلامي أو فرقة إسلامية تخرجه عن صف الجماعة. وما هذه الفرق الإسلامية ومنها الشيعة إلاّ حصيلة لتلك الصراعات العصبية والسياسية والفكرية التي عصفت بالأمة الإسلامية وفرقتها إلى شيع وأحزاب، كل حزب بما لديهم فرحون. فمن الناحية العصبية والسياسية تطور التشيع لأهل البيت من مجرد تنافس بين البيتين القرشيين العظيمين: الهاشمي والأموي على قيادة دفة الأمة الإسلامية إلى مذهب فكري ديني أشرب بأفكار بعض الثقافات في الساحة الإسلامية. وبعد استيلاء الفرع العباسي في البيت الهاشمي على دفة الخلافة الإسلامية واستبعاد الفرع العلوي ضاقت دائرة التشيع لتشمل فقط الفرع العلوي الذي انحاز إليه الفرس الذين قادوا الثورة ضد بني أمية من خراسان. ثم ضاقت دائرة التشيع لتختص فقط بالعترة النبوية التي حددت بعلي بن أبي طالب وزوجته فاطمة وابنيه الحسن والحسين فقط وذريتهما. وهم الذين شملتهم (آية التطهير) و(حديث الثقلين) حسب تخريجات الأدب الشيعي العلوي.

ب - المنشأ المقدس لأهل البيت:

قلنا: إن الإمام علي بن أبي طالب براء ممن ابتدع التشيع وكذا ولداه الحسن والحسين. وقد استغل التنافس بين البيتين القرشيين الهاشمي والأموي ثم التنافس بين الفرعين العباسي والعلوي ليتعزز التشيع كفكر ديني وتيار سياسي واجتماعي داخل الأمة الإسلامية. وقد أسهم في هذا التطور الفكري الديني عناصر من شعوب غير عربية كمسلمة بني إسرائيل ورجال من الفرس في الدرجة الأولى بهدف تمزيق الأمة الإسلامية إلى شيع وفرق وأحزاب.

يستند التشيع لأهل البيت على فكرة (الاصطفاء) التي تطرف البعض فيه وادعوا بنسبة الحسن والحسين إلى (سدرة المنتهى). وذلك لإضفاء خصائص غير بشرية لذرية الحسن والحسين تميزهم عن سائر المسلمين وترفعهم فوق مستوى البشر. بل بدأ عبد الله بن سبأ في حياة الإمام علي بن أبي طالب تخريبه الفكري فألّه الإمام عليًا. وعبث دعاة التخريب في العقيدة الإسلامية بآيات قرآنية وأحاديث

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نبوية فأولوها أو اختلقوا أحاديث بغرض تقديس أهل البيت مقتبسين مما في العقائد المنحرفة: الوثنية، واليهودية، والمسيحية من توجهات فكرية لتقديس البشر. فألّهوا عليًّا وحولوا زواجه من فاطمة بنت الرسول محمد ﷺ من مجرد زواج طبيعي وعادي وإنساني بسيط كزواج أي مسلم من مسلمة إلى زواج مقدس يأمر به الله ويعقد في السماء. الخاطب فيه جبريل عليه السلام والشاهدان هما الملكان ميكائيل وإسرافيل. ويحضر عقد الزواج ومراسيمه مئات الآلاف من الملائكة. وتنثر شجرة (طوبى) الجوز واللوز والدر والجوهر والياقوت. وتأتي الحور العين ليلتقطن ما نثرته شجرة (طوبى) ليتهادين به بينهن في أطباق إلى يوم القيامة [١]. ولاتقف صفة القدسية لعلي وزوجته ولولديه الحسن والحسين عند فكرة الاصطفاء الإلهي لزواج عَلِيٍّ على فاطمة.

بل إن فاطمة نفسها هي خلاصة لعصارة فاكهة شجرة (سدرة المنتهى) التي قدمها جبريل للرسول عند مرافقته له ليلة الإسراء والمعراج، وأوصاه بأن يأكلها هو وزوجته خديجة ويتغشاها فحملت تلك الليلة بفاطمة التي هي من عصارة فاكهة (سدرة المنتهى) [٢]. وتتمادى الأسطورة الشيعية العلوية وتعزز من النسبة إلى (سدرة المنتهى) فتروى أن رجلاً صوفيًّا يدعى (الفضل) قدم من دمشق إلى تريم لينبه الفقيه المقدم إلى نسبته إلى (سدرة المنتهى) فيقول له: ما أتيت إليك إلا لأعلمك أني ما وجدت جاثمًا على قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد وأنت تحكم له فإنه رجل مكتسب وأنت صاحب نسبة. فقال الفقيه المقدم للفضل ما هذه النسبة؟ قال: «سدرة المنتهى».

ويواصل صاحب الغرر [٣] الذي اقتبسنا من كتابه آراءه هذه فهو يرى أن الموقف من ذرية الحسن والحسين ونسبتهما المقدسة والمشرفة موقف إيماني، فمن اعترف بنسبهم وأحبهم وأكرمهم نال رضا الله ورسوله ولو كان مجوسيًّا. ومن تردد في حبهم أو طلب الحجة في نسبهم غضب الله عليه وغضب عليه

---

(١) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.
(٢) لاحظ أن الإسراء والمعراج حدث بعد وفاة السيدة خديجة.
(٣) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رسوله ولو كان مسلمًا مؤمنًا (إياك أعني واسمعي يا جارة). وفي هذا الصدد يروي لنا في غرره الحكايتين المناميتين الآتيتين :-

(١) حكاية تيمور لنك :

رأى تيمور لنك في منامه وهو في مرض وفاته ملائكة العذاب مقبلين عليه فجاء الرسول ﷺ وقال لملائكة العذاب اذهبوا عنه فانه كان يحب ذريتي ويحسن إليهم.

(٢) حكاية المجوسي :

كانت أسرة علوية تتكون من أم وبناتها، وقد مات رب هذه الأسرة فاضطرها فقرها إلى الخروج من بلدها (بلخ) إلى (سمرقند) وإلى التجائها إلى المسجد حيث تركت بناتها فيه، لتبحث لهن عن قوت. فقابلت أولاً شيخ البلد وهو مسلم وطلبت منه المعونة فقال لها : (أقيمي البينة عندي أنك علوية) فتركته. وفي طريقها لقيت ضامن البلد وهو مجوسي فأخبرته بحالها وحال بناتها. فاستقدمها إلى داره حيث خصص لها ولبناتها مكانًا. فاغتسلن ولبسن الثياب الفاخرة وأطعمهن بألوان الأطعمة. ثم رأى شيخ البلد في منامه وكأن القيامة قد قامت فرأى النبي ﷺ وقصرًا من الزمرد الأخضر. فسأل لمن هذا القصر فقيل له لرجل مسلم موحد. فتوجه نحو النبي ﷺ فأعرض عنه الرسول. فقال شيخ البلد: نعرض عني يارسول الله وأنا رجل مسلم؟ فرد عليه النبي ﷺ: أقم البينة عندي أنك مسلم، أنسيت ما قلته للعلوية؟ وأن هذا القصر للرجل الذي هي في داره.

وفي اليوم الثاني ذهب شيخ البلد إلى ضامن البلد ليأخذ منه العلوية فرفض المجوسي وقال له: إننا كلنا في الدار مابتنا إلاّ ونحن مسلمون موحدون. وإنه هو الآخر قد رأى النبي ﷺ والقصر. وقال له النبي ﷺ: هذا القصر لك ولأهلك لما فعلته مع العلوية. وأنتم من أهل الجنة، خلقكم الله مؤمنين في القدم [رواه سبط الجوزي].

جـ - الخلفية الفكرية للتشيع:

يستند دعاة التشيع ومنظروه بعد أن صار فكرًا مميزًا لدعم آرائهم في التشيع إلى

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكايات مروية يفسرونها أو يؤلونها أو يختلقونها حسبما تهوى إليه أفئدتهم:

(١) السند من القرآن:

يحتج دعاة التشيع لأهل البيت بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وبقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

(٢) السند من السنة النبوية:

كما يحتج دعاة التشيع لأهل البيت بحديث النبي ﷺ، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. وانظروا فيما تخلفوني فيهما». ويروى أيضًا عن النبي ﷺ قوله: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

(٣) السند من التراث:

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده إلى ابن عباس قال: - لما ظهر سيف ذو يزن على اليمن وظفر بالحبشة. . . . . أتته وفود العرب تهنئه وتمدحه. وأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب جد الرسول وأمية بن عبد شمس. . . . ومما قاله سيف في خلوته بعبد المطلب (إني وجدت في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا فيه شرف الحياة وفضيلة العرفان للناس كافة ولرهطك عامة ولك خاصة) قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك سرك مكنون فما هو؟ قال: إذا ولد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة، ولك به الزعامة إلى يوم القيامة [١].

لا جدال بين المسلمين كافة على فضل أهل البيت الطيبين وإن ما منحوا به من مكانة خاصة في قلوب المسلمين يعود إلى قربهم من رسول الله ﷺ واتباع

---

(١) محمد بن علي الأهدل: نثر الدر المكنون.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سنته. كما لا جدال بين المسلمين كافة على وجوب محبة أهل البيت. وإنما الخلاف هو أن يتحول الفضل إلى تميز يرفع أهل البيت فوق مستوى البشر ويتحول حبهم إلى تقديس وتجاوز لحدود الشرع. والشيعة هم الذين غالوا وأفرطوا فألّهوا عليًا ونسبوا أهل البيت إلى سدرة المنتهى، وأولوا ألفاظ القرآن إلى معان تفسر إنجابًا مقدسًا للحسن والحسين على النحو الآتي [١]:

كلمات الآيات القرآنية	المعاني المؤولة لكلمات الله
١. ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمٰن :١٩]	١. بحر ماء الفتوة من علي وبحر ماء النبوة من فاطمة.
٢- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن :٢٠]	٢- لا يبغى عَليّ على فاطمة بدعوى. ولا فاطمة على علي بشكوى.
٣. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن :٢٢]	٣. الحسن والحسين فهما روحاه وريحانتاه

وعلى نفس هذا المنوال من التأويل الباطني للقرآن الكريم فقد أوّل ابن حوشب القرمطي الإسماعيلي - الذي لقبه الإمام الفاطمي المعز لدين الله بمنصور اليمن عندما كان داعيًا له في اليمن سنة ٢٦٦هـ بعض آيات القرآن الكريم. ففسر في كتابه (الكشف) قول الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين :١-٣] على النحو الآتي [٢]:

التين	الحسن
الزيتون	الحسين
طور سينين	النبي محمد ﷺ
البلد الأمين	علي بن أبي طالب

وهكذا يستقي فكر صاحب (الغرر) وفكر صاحب (الكشف) من منبع واحد هو الفكر الشيعي المتطرف للحركات الباطنية في الإسلام.

(١) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.
(٢) طه الولي: القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد روى دعاة التشيع احاديث نبوية مبالغ فيها مثل [١]:

١. الادعاء بأن الله أشد حبًّا لعلي من الرسول ﷺ: - عن العباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«فو الله! ألله أشد حبًا له مني»**.

٢. الادعاء بفطم ذرية فاطمة من النار: - يروى عن علي بن موسى الرضا عن الرسول ﷺ أنه قال: **«إنّ الله جل وعلا فطم ابنتي وذريتها من النار»**.

٣. الادعاء بغفران ذنوب أهل البيت وشيعتهم: - يروى عن علي بن أبي طالب عن الرسول ﷺ أنه قال: **«إنّ الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك وأهلك وشيعتك»**.

٤. الادعاء بأن أول من يدخل الجنة علي وفاطمة وابنيهما ثم محبيهما: - قال علي بن أبي طالب راويًا عن الرسول ﷺ: **«أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين»**. قلت: يا رسول الله ومحبونا. قال: **«من ورائكم»**.

إن هذه الأحاديث التي تصور الرسول ﷺ وكأنه يوزع صكوك الغفران كتلك التي مارسها كبار كهان الكنيسة المسيحية في عهد الإمبراطورية الرومانية المقدسة في أوربا، لا تستقيم مع روح الإسلام. ولا شك أنها مكذوبة على رسول الله ﷺ.

د - العلاقة بين التشيع والتصوف:

إذا استثنينا المحبين الصادقين لأهل البيت من الشيعة والأولياء الصالحين الذاكرة قلوبهم لله تعالى والمستقيمين في حياتهم الدنيا من الصوفية. وهؤلاء من الطرفين هم الذين ساروا على هدي رسول الله ﷺ وتمسكوا وتحصنوا بكتاب الله وسنة رسوله كما تمسك بها صحابة رسول الله ﷺ والتابعون من بعدهم، فإن المغالين والمؤولين والمنحرفين من الشيعة والصوفية قد تلاقوا في درب واحد، وأشرب كل منهما أفكار الآخر وشكلوا مدرسة فكرية واحدة تقول بالوساطة والتأويل والحلول وتجزئة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى علوم باطنية لايرتقى إليها إلاّ من كان شيعيًّا أو صوفيًّا وعلوم ظاهرة هي الشريعة للعامة من

---

(١) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس، كما فعل تمامًا فلاسفة اليونان وعلماء اللاهوت المسيحيون فميزوا بين علوم وتربية راقية للخاصة وأخرى مبسطة للعامة. وقد غرس المتطرفون من الشيعة والصوفية عادات وتقاليد اجتماعية تكرس أدبهم وفكرهم وتحمي مصالحهم وامتيازاتهم. وبقراءة متأنية ومتمعنة في نصين أحدهما شيعي وآخر صوفي تتضح أمامنا اللوحة المشتركة للفكرين:

النص الشيعي [١]:

(الحقائق لا توجد إلاّ في المعاني الباطنة. أما المعاني الظاهرة فهي حجب مضطربة وأقنعة متناقضة. ومريدوا الاندماج في الفرقة الإسماعيلية تنزاح عنهم هذه الحجب والأقنعة بالقدر الذي يناسب إستعداداتهم. ويندرجون في هذا المضمار حتى تتهيأ لهم القدرة على مواجهة الحقائق وهي سافرة).

(٢) النص الصوفي [٢]:

من أقوال الصوفي الحضرمي الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدم:

(فاعلم أن جميع المخلوقات كالزجاجات مختلفة: كبيرة وصغيرة، حمراء وبيضاء وصفراء وخضراء، طويلة وعريضة ومتنوعة. وأن الوجود الباطني الحقاني كنور سراج مشرق في جزئيات الزجاجة وكلياتها. متصل إشراقه في عشمة لحمة القلب وزيت دمه. فيستضيء في نفسه بنفسه، ويستضيء به غيره. وتختلف السرج بحسب تنوع القضاء والقدر الإلهي. فبعضها وهو أعلاها كالأنبياء يكون إشراقه كالشمس. وبعضها وهم الصديقون كالأقمار. وبعضها وهم سائر الأولياء كالنجوم. وبعضها وهم صالح المؤمنين كالسرج).

يبدو أن الشيخ مخدم قد تأثر بأفكار القطب الصوفي الكبير عبد الكريم الجبلي في كتابه (الإنسان الكامل). هذا ويقول الشيعة بالإمامة وادعوا أن الإمامة قد انتقلت من الرسول ﷺ إلى الإمام علي بن أبي طالب ثم انتقلت بالوراثة إلى الحسن فالحسين فذريتهما. وبالمقابل يقول الصوفية بأن لبس الخرقة وأخذ

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.
(٢) عبد القادر عبد الرحمن الجنيد: العقود العسجدية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطريقة الصوفية تنتقل من شيخ إلى شيخ في سلسلة تصاعدية إلى الإمام علي بن أبي طالب فرسول الله ﷺ ثم إلى الله تعالى (بعض الطرق الصوفية ترفع أخذ الطريقة إلى سلمان الفارسي فرسول الله ﷺ كالطريقة النقشبندية). واشترك الشيعة والصوفية في الخوض في الحلول فقال الحلاج الصوفي الشهير: أنا الحق، وما في الجبة إلاّ الله. وادعى الحاكم بأمر الله الفاطمي الإسماعيلي الألوهية. ويصف العلامة الاجتماعي الكبير عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الالتقاء الفكري بين الشيعة والصوفية بالعبارات الآتية [1]:

(ثم حدث أيضًا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس، وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة بقولهم بألوهية الأئمة وحلول الألهة فيهم. وظهر منهم أيضًا القول بالقطب والأبدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء. وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم، حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة: أن عليًا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم. ولم يعلم هذا عن عَليّ من وجه صحيح. ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه، بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى. وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع وانخراطهم في سلكه. وظهر منهم أيضًا القول بالقطب وامتلأت كتب الإسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من الصوفية بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر (المهدي). وكان بعضهم يمليه على بعض أو يتلقنه بعضهم من بعض وكأنه مبني على أصول) هذا ويشير ابن خلدون إلى أن الدولة السنية التي قامت على أنقاض الدولة الفاطمية الشيعية التي ترعرعت في عهدها الطرق الصوفية وفرق الدراويش وحفلات المولد النبوي قد أوقفت كثيرًا من مظاهر الشعوذة والتشيع الفئوى. ويقول أحمد سري (وده بابا) شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر [2]: (الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر يقدسون النبي

---

(١) ابن خلدون: المقدمة.
(٢) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والاثني عشرية).

ويقول أيضًا: (الطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام يدًا بيد وكابر عن كابر. وعنهم أخذنا هذه الطريقة الجليلة).

أما العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف فيقول: إن القطبانية عند الصوفية هي الإمامة بنفسها عند الإمامية. ويقول: تأمل ما جاء في الحكاية (٢٣٧) من الجوهر الشفاف وما علق به عليها مؤلفه، فإنها صريحة في أن الشيخ السقاف ليس بحنبلي ولا شافعي ولا مالكي ولا حنفي. وإن تلك هي صفة القطب الذي يولي من يشاء ويعزل من أراد، ولا راد لحكمه ولا معقب لأمره. وما جاء في النور السافر وتناقله من بعده عن الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل من الاعتذار عن تصرفات الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس (العدني) وحاصله: إن العلامة بحرق سأله عن تصرفات مالية يباشرها الإمام العدني يقبضها ويصرفها بغير مصارفها في ظاهر الأمر. فقال له: أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها. هذا ويعبر كثيرًا عن القطبية بأنها الخلافة التامة الباطنية ليس غير [1].

ومن منطلق تقديس أقطاب الصوفية وأئمة الشيعة فقد قدست قبورهم وبنيت على أضرحتهم القبب، وسنت زيارتهم لقبورهم، وعلقت عليها الآمال لاستجابة رجاءات المضطرين واستغاثة المستغيثين. واكتسبت مواقع قبورهم قدسية خاصة. ولنضرب لذلك مثلاً: مدينة شيعية مقدسة هي طوس (المشهد) في إيران. ومدينة صوفية مقدسة هي تريم في حضرموت لنرى التشابه الكبير بين الفكرين الصوفي والشيعي. ويأتي هذا التشابه أكثر وضوحًا وجلاء إذا ما عرفنا أن مدينة تريم الحضرمية هي المركز الصوفي للسادة العلويين ذوى النزعة الشيعية الموروثة عن آبائهم والتي تعج بها مصنفاتهم:

(١) نسيم حاجر: في تأييد قولي عن مذهب المهاجر.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدينة طوس:

طوس مدينة فارسية أقيمت على أنقاضها مدينة المشهد المقدسة للفرقة الشيعية الاثني عشرية. فهي معقل أهل البيت والفكر الشيعي الإمامي. وفي هذه المدينة قبر الإمام الصوفي محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ. وقبر الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم. وتيمنًا بمدينة المشهد هذه أقام الصوفي العلوي علي بن حسن العطاس قرية المشهد بدوعن في حضرموت وفيها ضريحه وقد توفى عام ١١٧٢هـ. حيث تقام له زيارة سنوية تعرف بزيارة المشهد. ويحدثنا الأستاذ محمد بن علي الأكوع عن مشاهداته أثناء زيارته لمدينة المشهد الإيرانية فيقول [١]:

(ومن الوثنية الإيرانية أن القادم إلى المشهد كائنًا من كان لايدخل المدينة المذكورة إلا بعد ما يزور مشهد الإمام علي بن موسى. ويعجز الوصف عن نعت ما يتجلى في المسجد والضريح مما يدهش الألباب. وغاية ما يقال: إن الوثنية تجلت بهذه الرقعة. وإن السرف فوق الترف يتجلى على القباب والمنارات والضريح. فكلها ملبسة بالذهب الإبريز والفضة الخالصة كما توجد داخل الضريح الشموع).

(٢) مدينة تريم:

تريم مدينة حضرمية قديمة وعريقة. لها مكانتها التاريخية قبل الإسلام وبعده. وكانت منذ فجر الإسلام عاصمة مخلاف حضرموت، ومقر الولاة الإسلاميين تدشينًا بزياد بن لبيد الأنصاري المعين من قبل الرسول ﷺ. وحافظت هذه المدينة على شهرتها كمركز إشعاع ثقافي وفكري طيلة الدور السني الذي تناولناه في الفصل السابق. ومنذ أن حل العلويون مدينة تريم عام ٥٢١ هـ اندمجوا مع علمائها وفقهائها ومشايخها من أهل السنة والجماعة. وما أن أهل الفكر الصوفي على حضرموت قادمًا من المغرب العربي حتى أخذت مدينة تريم تتحول تدريجيًا إلى مركز صوفي مقدس قام بتدشينه محمد بن علي العلوي الحضرمي الملقب

(١) محمد مالك المعافري تحقيق محمد بن علي الأكوع: كشف أسرار الباطنية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣هـ. وها هو الأستاذ صالح بن علي الحامد يصف مدينة تريم وصفًا يقربنا إلى صورة مدينة المشهد الإيرانية المقدسة فيقول [١]: -

(غدت تريم مدينة العلويين بحق في عهد آل يماني الذين تحقق فيهم اتباع نصائحهم وامتثال أوامرهم في كل ما يصلح البلاد والعباد، والذين قد عرفوا حق العلويين وقدروا لهم قدرهم. وكونت السنين الطويلة والأجيال المتعاقبة لديهم للعلويين المنزلة السامية والمكانة العالية.

هذا ولكون العلويين يشكون فيمن يتولى البلاد بعد آل يماني ممن لايتحققون هويته وما سيئول إليه أمرهم وكلمتهم إذا تولى على بلادهم، فلا يستنكر منهم أن عارضوا في ذلك المعارضة القولية والعملية سرًا وعلنًا. لذلك فالكثيري وإنّ تمكن من دخول تريم غير مرة فلم ترسخ قدمه فيها، بل كان سرعان ما يخرج منها طائعًا أوكارهًا.

والمفهوم من سعي الإمام العيدروس في الصلح بين ابن يماني والكثيري، كان الغرض الأكبر منه صد بدر بن عبد الله الكثيري من ترين والإبقاء على دولة آل يماني. وهكذا استمرت دولة آل يماني. بتريم حتى شاء الله أن يشاء العلويون - بعد اختبارهم الدولة الكثيرية ومعرفة حسن سيرتها - أن تنضم تريم إليها فكان ذلك).

هذا وبالرغم من أن أضرحة وقبب أئمة وأقطاب العلويين في تريم لاترتفع إلى مستوى الفخامة والأبهة التي لأضرحة وقبب أئمة الشيعة في طوس إلا أنها لا تقل عنها شأنًا في القدسية ومداومة الزيارة لدى الأتباع.

وما وصفه الأستاذ الأكوع عن زيارة قبر الإمام علي الرضا بطوس يقترب كثيرًا من زيارة قبر الفقيه المقدم في تريم. فالمسافر الداخل إلى تريم يبادر إلى زيارة قبر الفقيه القدم وغيره من كبار الصوفية العلويين قبل أن يتوجه إلى بيته وأهله. وكذا يفعل المسافرون فيزرون التربة قبل مغادرتهم تريم. إلاّ أن هذه العادة قد بهتت اليوم.

---

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـ - نقد الفكر الشيعي :

نسج التشيع فكره حول شخصية الإمام علي بن أبي طالب الذي تبدأ منه عندهم إمامة المسلمين بعد رسول الله ﷺ من دون بقية الصحابة رضي الله عنهم.

وأمعن المتطرفون في التشيع فرفعوا منزلة علي رضي الله عنه فوق منزلة الرسول ﷺ وادعى عبد الله بن سبأ ألوهية علي بن أبي طالب كما ادعى من بعده بعض الروافض الألوهية أيضًا كالحاكم بأمر الله الفاطمي. لم يكن التشيع فكرًا صريحًا في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين، وإنما نشأ متأخرًا وأخذ منظروه يبحثون عن نصوص إسلامية في الكتاب والسنة والمرويات لدعم الفكر الشيعي الناشئ. ومن هذه النصوص :

آية التطهير :

قال الله سبحانه وتعالى يخاطب نساء النبي ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب :٣٣]: وقف منظرو التشيع [١] عند عبارة: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ففسروا هذه العبارة بأنها تخص مجموعة معينة من أهل بيت رسول الله ﷺ وحددوهم بأربعة أشخاص فقط وهم:

(أ) الإمام علي بن أبي طالب.

(ب) فاطمة بنت رسول الله ﷺ زوجة الإمام علي.

(ج) الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ.

(د) الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ.

واحتجوا في هذا التخصيص بحديث رواه شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا». فقالت

(١) علوي بن طاهر الحداد: القول الفصل.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أم سلمة - زوجة النبي - وأنا معهم يا رسول الله. قال: «إنك إلى خير». وقد أطلق منظروا التشيع على هؤلاء الأربعة (عترة النبي) وأنهم هم المعنيون بحديث الثقلين.

(٢) حديث الثقلين:

روى زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: - «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي. أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي. ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وانظروا كيف تخلفوني فيهما».

لا غبار في ولا اعتراض على كلام الله سبحانه وتعالى فيما قال ولا على حديث رسول الله ﷺ فيما تحدث. ومن أنكرهما فقد ضل وخاب. وحب أهل بيت رسول الله ﷺ وأقربائه المسلمين واجب وملزم، وهو امتداد لحب رسول الله ﷺ الذي يتجاوز حب المسلم لنفسه وماله وأولاده. أما التخصيص في أربعة فقط للوصول إلى ذرية الحسن والحسين دون بقية أهل البيت فأمر قصد به منظرو التشيع حصر الإمامة في فرقهم ودعم مذاهبهم الشيعية.

هذا وقد حدد فقهاء الإسلام من أهل السنة والجماعة أن أهل بيت رسول الله ﷺ هم من حرمت عليهم الصدقة، وهم بالإضافة إلى من ذكر من الأربعة سابقًا:

(أ) زوجات رسول الله ﷺ وقد عنتهن آية التطهير السابق ذكرها. كما هو واضح من سياق الآية الكريمة تلك. وقد زعم صاحب القول الفصل بأنهن أهل النبي ولسن أهل بيته [1].

(ب) بقية بنات الرسول ﷺ.

(ج) أم كلثوم شقيقة الحسن والحسين ومن تبقى من آل علي.

(د) آل جعفر.

(هـ) آل عقيل.

---

(١) علوي بن طاهر الحداد: القول الفصل.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(و) آل العباس.

(ز) آل بنو الحارث بن عبد المطلب.

ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال واندماج الأسر والمجتمعات قام العلويون وشيعتهم بتضييق دائرة أهل البيت وأخذ مبدأ التفاضل بينهم في تخصيص ذرية الحسن والحسين بالأفضلية. وفضَّل شيعة الحسين ذريته على ذرية شقيقه الحسن.

ومع اتساع الرقعة الإسلامية وتوزع ذرية الحسين في الآفاق وضياع الأنساب وادغام كثير من ذرية الحسين في المجتمعات المختلفة وذوبانها فيها تمسك علويو حضرموت بشجرة أنسابهم وحرموا تزويج بناتهم من غير العلويين للحفاظ على الدماء المقدسة والأعراق المطهرة. وقال عنهم صاحب الغرر [1]: (لم يكن من غيرهم في جميع الآفاق والجهات مثلهم لأنهم اشتهروا وعرفوا بفيض النفحات وانتشار المكرمات واشتهار الكرامات، لما يعرف لذرية غيرهم من البريات) ويروي صاحب الغرر عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف جده بـ (بلحاج فضل) أنه قال: (فحصت على أكثر الأشراف في الآفاق وسألت عنهم الواردين إلى مكة والمدينة وعن صفتهم فوصفوهم لي وعرفوني أخبارهم فما وجدت على الاستقامة وطريق الكتاب والسنة غير بني علوي الحسينيين الحضرميين).

ماذا سيقول الآن الشيخ أحمد بلحاج فضل بعد أن هاجر علويو حضرموت واختلطوا بالشعوب وامتزجوا وتبادلوا المصاهرة واعتنقوا المذاهب العلمانية؟ فلاشك في أن دائرة العترة في سلسلة التراجعات ستضيق وتضيق حتى لا تتسع لأحد عندما تصبح الدائرة صفرًا إذا ما نحن أخذنا بهذه المنطلقات والمفاهيم الشيعية المتطرفة.

وسوف تبقى الدائرة الإسلامية أرحب وأوسع تسع كل المسلمين الذين يهتدون بنور الله وهدي رسوله وهو يناديهم: إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وكلكم

---

(١) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عيال الله وأحبكم إلى الله أنفعكم لعياله.

إن المساواة في الإسلام جوهر عدالته، وقد حذر رسول الإسلام من الغلو والتحريف في الدين وقال: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين). وها هو زيد بن علي زين العابدين ينكر على المغالين من الشيعة في بغض أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وأثنى عليهما عندما طلبوا رأيه فيهما وقال عنهم: الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة. ومن آراء هذا الإمام المتنصل من الشيعة الروافض وتعاليمه وأحاديثه وفتاويه واتجاهاته نشأ المذهب الزيدي المعتدل. شأنه شأن المذهب الإباضي المعتدل الذي تنصل أتباعه من النواصب واقتربوا من أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة هم الذين ظلوا في مواقفهم ومعتقدهم الديني على الصراط المستقيم دون إفراط أو تفريط. لقد أحبوا رسول الله ﷺ وأحبوا أهل بيته الطاهرين وصحابته المكرمين وأولياء الله الصالحين حبًّا يليق بقدرهم ولا يخرجهم عن إنسانيتهم وبشريتهم، ولا يعفيهم عن تعاليم الشريعة السمحاء ظلوا كما تركهم رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء لا ظاهر فيها ولا باطن.

لقد تعلمنا من الشريعة المواقف الصائبة والسليمة والصحيحة من نبينا محمد ﷺ ومن أهل بيته وصحابته وأولياء الله الصالحين:

الموقف من الرسول ﷺ:

دعا الإسلام المسلمين جميعًا إلى التآخي والتآزر والمحبة. قال رسول الله ﷺ: **«لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»** رواه البخاري ومسلم وأوجب محبة الله ومحبة رسوله ونهى عن الغلو والإطراء في تقديس شخصية الرسول كما تفعل الأعاجم لملوكها واليهود والنصارى لأنبيائهم.

فقد روى أحمد والكسائي عن النبي ﷺ أنه قال محذرًا ومعلمًا: - **«يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولايستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»** كما أدبنا الإسلام كيف نحترم

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النبي ﷺ ونمدحه بما مدحه الله به، وألا نناديه باسمه يا محمد بكل صلافة وجلافة بل نناديه بيارسول الله ويا نبي الله. إن رباط المسلم بنبيه أعمق من ألفاظ التحميد والتمجيد، وإن امتثال هديه ﷺ سرًّا وعلنًا أبلغ من تحريك اللسان من طرفها بألف صلاة عليه في اليوم والليلة. وكما كان حب الرسول واجبًا فبغضه محرم وممقوت بل هو كفر. وكان المنافقون أشد الناس بغضًا لرسول الله ﷺ فأوردهم الله قاع جهنم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء :١٤٥].

(٢) الموقف من أهل بيت رسول الله ﷺ

أعطى الإسلام أهل بيت رسول الله ﷺ مكانتهم اللائقة بهم لقربهم من رسول الله ﷺ. وهي مكانة مشروطة بأن لا تخرجهم عن الدائرة الإسلامية قال الله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة :٣].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة :٤].

﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة :٤] على لسان نبيه إبراهيم لأبيه. وقال محمد رسول الله ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [صحيح مسلم والبخاري عن أبي هريرة].

«يا فاطمة لا أملك لك من الله شيئًا. يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» وقد خاطب الرسول ﷺ عمه العباس: «يا عباس لا أغني عنك من الله شيئًا، اشتروا أنفسكم من الله».

(٣) الموقف من صحابة رسول الله ﷺ:

موقف الإسلام من صحابة رسول الله ﷺ هو كما حدده زيد بن علي زين العابدين لشيعة أهل الكوفة فتخلوا عنه كما سبق أن أشرنا.

لايوجد في الإسلام روافض ونواصب تجاه صحابة رسول الله ﷺ وصدق الإمام الشافعي حين قال:

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا نحن فضلنا عليا فإننا روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته رميت بنصب عند ذكري للفضل
فما زلت ذا رفض ونصب كلاهما بحبهما حتى أوسد في الرمل

(٤)- الموقف من اولياء الله الصالحين:

حُشِر أولياء الله الصالحون في الجهاز التنفيذي للديوان الصوفي الذي ابتدعه المتصوفون.

والموقف الإسلامي من الأولياء محدد وواضح فهم عبادٌ أحبوا الله وأحبهم الله. ووصفهم ربهم بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس :٦٢-٦٣].

ووصف رسول الله ﷺ حال بعضهم فقال: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

فالولي سره مكنون، وحاله عند ربه مستور، والمسلمون له محبون. ومن تقول عليه أخطأ، ومن اعتقد فيه ما ليس فيه أذنب. ومن توجه اليه دون الله أشرك. ومن طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كفر.

لايشترط في الولي أن يكون صوفيًا أو إماميًا، وليس كل صوفي أو إمامي بولي. والله أعلم.

٣- الفكر الصوفي في حضرموت:

بعد استعراض التصوف العام والتشيع العام بخصائصهما ومميزاتهما وكيفية نشوئهما، أصبح من الوضوح بمكان فهم الفكر الصوفي في حضرموت. فهو في الواقع عبارة عن توليفة فكرية وسلوكية تكونت من تقاطع ثلاثة خطوط فكرية هي:

الخط الصوفي العام وهو محور التوليفة.

والخط العلوي الإمامي وهو خط شيعي.

والخط السني الأشعري الشافعي وهما الملتفان حول المحور.

وبالرغم من أن للخط السني موقفه الحازم فيما يمس من قريب أوبعيد مخ

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام وهو التوحيد فإنه يشكل في التركيبة الثلاثية الميزان الحساس لكشف أية مغالاة أوتطرف يحدثه أحد الفكرين الآخرين الشيعي والصوفي. فهو بمثابة جهاز الأمان والسلامة في الفكر الصوفي الحضرمي.

قال القطب الصوفي الإمام عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي: (التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له. ولا تأثير للولي أو غيره في شيء قط لاحيًا ولاميتًا. فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيرًا في شيء فهو كافر بالله تعالى).

أ- دخول التصوف إلى حضرموت وعلاقته بالتصوف في اليمن:

ظهر العبّاد والزهاد في حضرموت واليمن عامة منذ العهود الأولى للإسلام. أما التصوف المتميز بفلسفته وطرقه فقد انتقل إلى اليمن وحضرموت متأخرًا. وكان دخوله إلى تهامة اليمن أسبق من دخوله حضرموت. إذ أخذ التصوف ينتشر بين صفوف فقهاء تهامة قبل وصوله إلى فقهاء حضرموت. وقد أتى التصوف حضرموت غازيًا من المغرب العربي بواسطة مندوب الصوفي الكبير الشيخ أبي مدين التلمساني [1]. فقد انتدب الشيخ الصوفي شعيب أبو مدين تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن محمد المقعد لنشر طريقته الصوفية في حضرموت والمعروفة بالطريقة المغربية. وقبل وفاة عبد الرحمن المقعد في مكة كلف تلميذه عبد الله الصالح المغربي بالتوجه إلى حضرموت لتنفيذ المهمة المكلف بها من شيخه أبي مدين.

وفي حضرموت التقى الشيخ عبد الله المغربي بالفقيه محمد بن علي العلوي في مدينة تريم وألبسه خرقة التصوف التي يحملها إليه وأجرى له مراسيم دخوله دائرة التصوف من إلباس وتحكيم والتزام بطريقة الشيخ أبي مدين التلمساني. ثم توجه المندوب الصوفي إلى قيدون بدوعن والتقى بالشيخ سعيد بن عيسى العمودي وأجرى معه ما أجراه مع الفقيه المقدم. ثم تابع الشيخ عبد الله المغربي مهمته في غرس بذور التصوف في حضرموت فوصل إلى ميفعة والتقى بالشيخ

---

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت. محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باحمران وألبسه خرقة التصوف حسب أصول الطريقة المغربية. وفي عورة التقى المندوب الصوفي المغربي بالشيخ باعمر وأجرى معه نفس المراسيم في أخذ الطريقة الصوفية.

وبعد أن أنهى الشيخ عبد الله الصالح المغربي مهمته استقر في قرية أصبعون في ميفعة وتزوج فيها وأنجب بنتين.

وفي مرض وفاته أتاه تلاميذه الحضارمة الأربعة وطلبوا منه أن يقيم واحدًا منهم شيخًا عليهم من بعده. فكانت وصيته لهم أن يوزع ميراثه بينهم بالقرعة وإن من تخرج له السبحة فهو شيخهم ثم قضى نحبه. واقتسم الشيوخ الأربعة ميراث شيخهم عبد الله المغربي بالقرعة فخرجت القسمة على النحو التالي:

(١) العكاز (الخوذة الصوفية) والسبحة: للشيخ محمد بن علي العلوي من مدينة تريم

(٢) المشعل والقدر: للشيخ سعيد بن عيسى العمودي من قرية قيدون بدوعن.

(٣) الحبوة والبسطة: للشيخ باحمران من ميفعة.

(٤) الدلق: للشيخ باعمر من قرية عورة.

إن صحت رواية هذا اللقاء كما أوردها الأستاذ صالح بن علي الحامد في كتابه تاريخ حضرموت فهي تدل على التواصل بين رواد التصوف في حضرموت وشيخهم الذي استقر بميفعة في قرية أصبعون يرعى شتلات التصوف ما تبقى من حياته في حضرموت. وإن محمد بن علي العلوي قد نصب شيخ مشايخ الصوفية في حضرموت.

وفي الواقع كان الشيخ محمد بن علي الملقب بالأستاذ الأعظم ممن له الدور الأكبر في تجذير التصوف في حضرموت، وكان له تلاميذ وأتباع كثيرون وكون علاقة صداقة خاصة مع زميله الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وأهدى له نصف سيفه الذي كسره معلنًا اتباع أسلوب العمل السلمي ومجاهدة النفس نحو المجد الصوفي والنفوذ الروحي فهو أفضل وأسلم وأجدى من السعي نحو المجد

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياسي في المناخ الحضرمي الذي تتصارع فيه الأهواء والعصبيات القبلية.

هذا وقد تزامن ازدهار الفقه والتصوف في حضرموت واليمن عمومًا مع عهد الدولة الرسولية التي أولت عناية خاصة بالنهضة العلمية التي شهدتها اليمن. وسبق أن أشرنا إلى التواصل العلمي والفقهي بين مختلف المناطق اليمنية بما فيها عدن ولحج وأبين وحضرموت.

كما أشرنا إلى أن الشيخ الصوفي قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم وهو من أبناء مدينة بروم الواقعة غربي المكلا بحضرموت كان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ الصوفي الكبير إسماعيل الجبرتي المتأثر بمدرسة ابن عربي في التصوف، مما يؤكد العلاقة والتواصل بين حضرموت وتهامة اليمن في الجانب الفكري والعلمي.

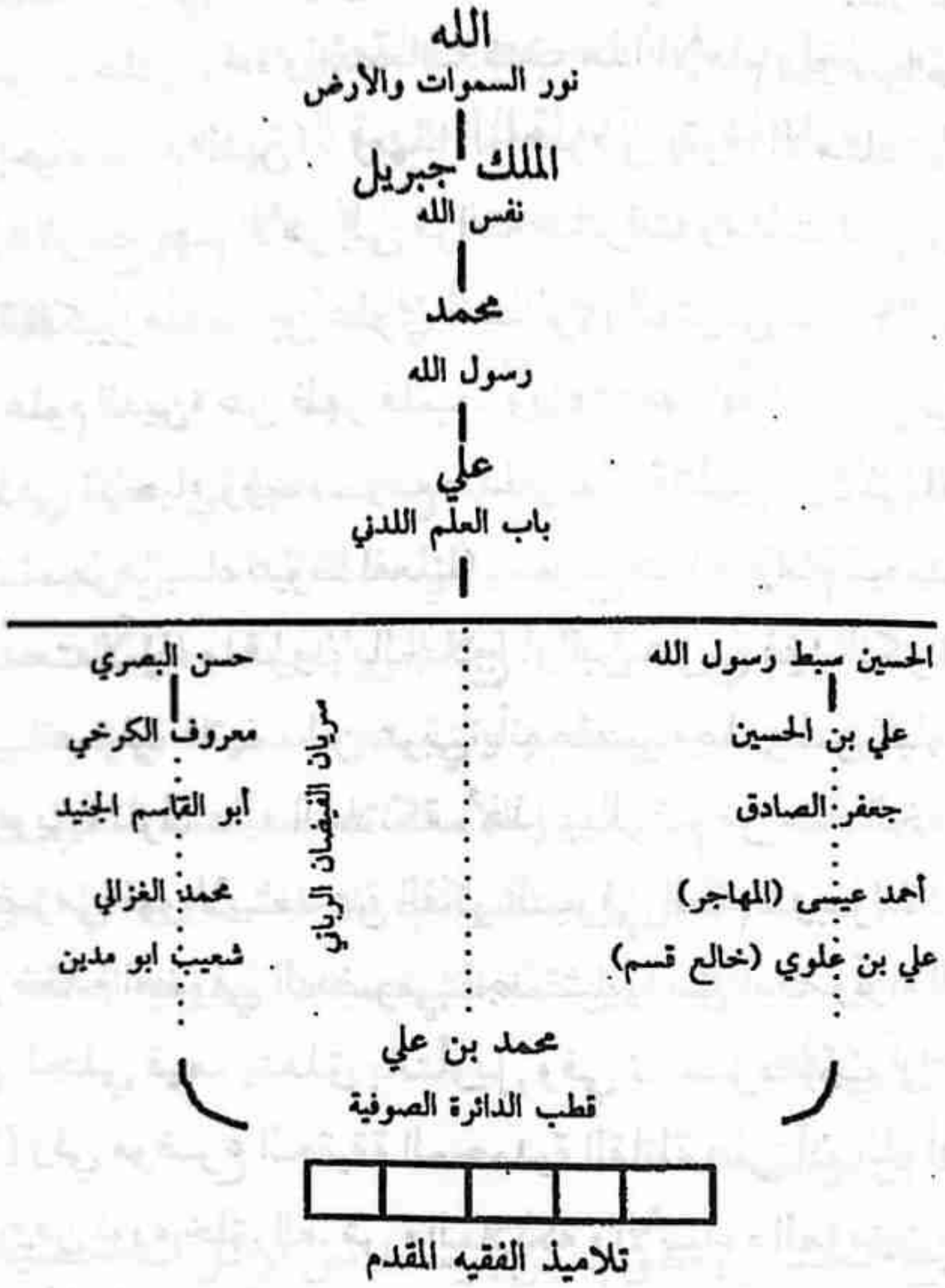
ب - سمات التصوف الحضرمي:

بالرغم من غرس بذور التصوف في عدة مناطق من حضرموت شملت أسفلها ووسطها وساحلها وفقًا والطريقة الصوفية المغربية، ومن وجود ثلاث قلاع أُخرى للتصوف على الشريط الساحلي لحضرموت وفي الوادي لا تنتمي إلى الطريقة المغربية وهي مشيخة بامزاحم في بروم المنتمية إلى مدرسة ابن عربي، ومشيخة الشيخ يعقوب بالمكلا، ومشيخة باعباد في الغرفة، فقد قمئت شجيرات التصوف هذه أمام الدوحة العظيمة التي رعاها الفقيه المقدم والتي رويت بمياه صوفية علوية سنية واستظل بظلها كبار شيوخ التصوف بحضرموت من العلويين وآل العمودي وآل باعباد وآل باقشير وآل الخطيب وآل بافضل وغيرهم.

ويمثل الشكل رقم (٥) الدائرة الصوفية التي جمعت بين السلسلة المغربية (الصوفية) والسلسلة العلوية (الإمامية) اللتين ابتدأتا بعلي بن أبي طالب والتقيتا عند الفقيه المقدم.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكل رقم (٥) الدائرة الصوفية كما يصورها الفكر الصوفي الحضرمي



ملاحظات:

١) تدل الخطوط المنقطة في خطي السلسلة على غياب بعض الشوخ اختصارًا للرسم.

٢) هناك تشابه بين الدائرة الكهربائية والدائرة الصوفية حيث يسري في الأولى التيار الكهربائي وفي الثانية الفيضان الرباني وهو العلم اللدني الذي كان علي بابه وكما يدخل التيار الكهربائي المصابيح فتضيء وتزيل الظلام فإن نور الله في الدائرة الصوفية يدخل القلب فترى بنور الله وتعلم بعلم الله.

٣) الاصطلاح في المصطلح الصوفي فقدان الوعي ويمكن أن يشبه بالصدمة الكهربائية لتعرض الصوفي لجرعة أكبر من الفيضان الرباني كما حدث للفقيه المقدم في غيبوبته عندما قيل له «كل شيء هالك إلا وجهه» قال: أنا من نور وجهه! والله أعلم.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستمد الفكر الصوفي الحضرمي فلسفته من آراء وأفكار الإمام الصوفي محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ في المشهد بإيران. حيث أقبل صوفية حضرموت على قراءة واستيعاب كتب هذا الإمام وأوصوا على التقيد بها خاصة كتابه (إحياء علوم الدين). وبهذا الخصوص يقول الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري [1]: (وبلغ بهم الأمر إلى قراءته عشرات ومئات المرات بل حفظه. ومنهم العلامة الكبير محمد بن علوي الشاطري المتوفى سنة ٨٩٧هـ الذي حفظ كتاب «إحياء علوم الدين» عن ظهر قلب. ويروى عن بعضهم ترغيبات وتباشير لمن عمل بما في الإحياء ووعاه. ومع هذا فيقول قائلهم: إن في الإحياء قولان لو استطعنا أن نمحوها بماء عيوننا لفعلنا)... ومع هذا فالإمام محمد الغزالي يعتبر صوفيًا سنيًا معتدلاً إذا ما قورن بالحلاج أو ابن عربي فقد أنكر الغزالي نزول الملائكة على الصوفية فاتهمه ابن عربي بأنه مقصر وما جالس كبار الصوفية وإنه هو (أي ابن عربي) تنزل عليه الملائكة. هذا وبالرغم من هذه الخصوصية للفكر الصوفي الحضرمي فهو لايبتعد عن الفكر الصوفي العام. وبقراءة للنص الصوفي للشيخ حسن مخدم الصوفي الحضرمي نجد تشابهًا بين آرائه وآراء الشيخ الصوفي عبد الكريم الجلي فيما يتعلق بالتأويل وفي تفسيره ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف :١٤٣] وفي موضوع الحقيقة المحمدية القائلة على أن الله أول ماخلق نور محمد ﷺ. ومن نوره خلق العرش والملائكة والأنبياء والمؤمنين. كل حسب ما يناسبه. في هذا مايشبه فكرة الزجاجات والكوات ذات النور المتباين الشدة وبالمقادير المتفاوته عند الشيخ الصوفي الحضرمي حسن بن عوض بن زين مخدم.

جـ - أقطاب التصوف في حضرموت:

بمجرد ما أخصبت حضرموت بالمخصب الصوفي وزرعت شتلات التصوف في مناطق عدة منها أخذ الصوفية في التكاثر والنمو وساعد على ذلك حال حضرموت من فقر اقتصادي واضطراب أمني وتنازع قبلي. وهي حال تدفع

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالإنسان نحو الزهد في الحياة والنسك لله والخلوة عن الناس، بحثًا عن حياة روحية أكثر أمنًا وطمأنينة. وحال حضرموت هذا امتداد لأوضاع الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي التي وصفها بعضهم بأنها تمثل عصر انحطاط فكري وانحسار في المد الإسلامي وتفكك في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف. هذا الخصب الصوفي في حضرموت عبَّر عنه السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس بحديث نبوي أخرجه الطبراني في الأوسط قال: قال رسول الله ﷺ: «حضرموت تنبت الأولياء «كما تنبت الأرض البقل» [1].

ومن بين هذا الكم الواسع والعريض من الصوفية في حضرموت نبغ واشتهر شخصيات صوفية لها تأثيرها العميق في حياة الناس بل ولها تراثها وفكرها المتميز الذي هو اليوم في أمسّ الحاجة إلى أبحاث ودراسات متأنية وعميقة للاستفادة مما فيه من دروس وعبر وتنقيته مما فيه من شوائب وشطحات وتشويهات تمني البعض حسب تعبير الأستاذ محمد أحمد الشاطري محوها بماء عيونهم لا سيما وأن هذه العوالق والشوائب قد خلفت وراءها تشويهات عقدية وعادات سيئة وتقاليد فاسدة. ومن هذه الشخصيات الصوفية البالغة الأثر في حياة المجتمع الحضرمي نذكر:

(١) يعقوب بن يوسف:

يعتبر الشيخ الجليل يعقوب بن يوسف من أوائل الشخصيات الصوفية بحضرموت إذ سبق الفقيه المقدم قطب الدائرة الصوفية بها بنحو مئة سنة. قدم هذا الشيخ الصوفي من العراق إلى حضرموت بصحبة ولده عبد الله وحفيده سالم [2]، واستوطن المكلا وتوفي بها سنة ٥٥٣هـ.

ودفن في مقبرتها فعرفت بمقبرة يعقوب، وبنيت على ضريحه قبة. ينتسب المشايخ آل باوزير في حضرموت إلى هذه الشخصية الصوفية التي يرتفع نسبها إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي محمد ﷺ غير أن السيد عبد الرحمن بن

(١) أبو بكر بن شهاب: رشفة الصادى: نقلاً عن مرآة الشموس لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس.

(٢) سعيد عوض با وزير: الفكروالثقافة في التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محمد العيدروس نسب الشيخ يعقوب إلى الرسول محمد ﷺ مباشرة ومدحه قائلاً [1]:

لايـقـاس عـلاؤه بـعـلاء وهو نسل الرسول طه الحبيب
وابن شيخ الشيوخ قطب المعالي الشريف الجيلاني المنسوب
العفيف المنيف حقًا وصدقًا هو يعقوب غوث أهل الخطوب

وكما يحيرنا الصوفية بأقوالهم في كثير من الحالات فلا ندري هنا ما تأويل هذه النسبة أهي نسبة سلالية كما يبدو من منطوقها أم هي نسبة صوفية؟ أولم ينسب الفقيه المقدم إلى (سدرة المنتهى؟) أم أن السيد العيدروس أراد تتويه آل باوزير في جدهم؟.

هذا وهناك توافق في هجرة جدي الأسرتين الحضرميتين آل باعلوي وآل باوزير، فقد قدما من العراق إلى حضرموت عبر الحجاز مصطحبًا كل منهما ابنه عبد الله صاحب الذرية بحضرموت واختار أحمد بن عيسى الهجرين في وادي حضرموت واختار يعقوب بن يوسف المكلا في ساحلها، مع فارق زمني بين قدوميهما يقدر بنحو مئتي سنة. وقد ظل التنافس التاريخي بين الأسرتين الهاشميتين العلوية والعباسية ساحبًا أذياله معهما إلى حضرموت فكان رحمة على أهلها علمًا وثقافة وتوازنًا.

(٢) الفقيه المقدم:

هو محمد بن علي بن محمد (صاحب مرباط) بن علي (خالع قسم) الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب مرورًا بجده المهاجر من البصرة إلى حضرموت أحمد بن عيسى. ولد محمد بن على بتريم سنة ٥٧٤هـ وتوفي بها سنة ٦٥٣هـ. اكتشف مواهبه الباهرة شيخه وأستاذه الشيخ علي بن أحمد بامروان وقد توسم له مستقبلاً عظيمًا في مجال الفقه والشريعة الإسلامية ولهذا غضب الفقيه الشيخ بامروان وتأثر كثيرًا عندما فلت الفقيه من يده ودخل دائرة التصوف على نحو ماذكرنا. ومع مرور الأيام أصبح الفقيه المقدم أسطورة صوفية أكثر منه

(١) عبد الله محمد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخصية علمية وفقهية وإصلاحية. واستقر في وعي العامة والسذج قبرًا يزار للتوسل والاستغاثة به. وقد نعت قبرَ الفقيه المقدم عبد الرحمن بن حامد في كتابه «المناقب» بأنه يستسقي به كل من أجدب، ويستشفى به من كل وجع وعطب. أما صاحب «الغرر» فقد أطنب وبالغ في وصفه إذ نعته بنحو ٥٠ صفة منها:

أ) الغوث الفرد.

ب) قطب دوائر الصوفية.

ج) صاحب العلوم اللدنية والعلامة الأوحد.

د) شيخ الشيوخ وإمام الائمة.

هـ) شيخ الطريقين ومفتي الفريقين.

و) أكبر أكابر الزهاد والورعين.

ويروى عنه أنه دعا لذريته بثلاث خصال هي:

أ) أن لايردوا إلى العمومية (أي زي العوام وسيرتهم).

ب) أن لايجعل عليهم يدًا لأحد.

ج) أن لايموتوا إلا مستورين.

لقد رسم الفقيه المقدم لذريته المكانة الاجتماعية التي يجب أن يحققوها لأنفسهم في المجتمع الحضرمي الطبقي. والفقيه المقدم كما يروي صاحب الغرر لم يقف عند إلباس شيخه عبد الله الصالح المغربي نيابة عن عبد الرحمن المقعد مندوب أبي مدين الخرقة له بل أخذ يرتقي في المعارف الإلهية حتى بلغ مبلغًا يعجز عن رقيه حظيظة الجهابذة الحذاق. وانتقشت في قلبه العلوم الربانية وصار روحانيًا متروحًا في حضرة جمع الجمع المعبرة عن حقيقة التوحيد. بل وفك ارتباطه الروحي بعبد الرحمن المقعد بعد أن ترادفت عليه سيول الواردات وأتاه الفيض الرباني عن طريق السلسلتين العلوية والمغربية. وتحققت عنه عظم المعارف والتجليات. انظر الشكل رقم (٥). وذكر صاحب الغرر أن رجلاً من أهل السريرات والكرامات يقال له: (الفضل) أتى من دمشق إلى الفقيه محمد بن

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علي، وقال له: ما أتيت إليك إلا لأعلمك أني ما وجدت جاثمًا على قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد وأنت تحكم له فإنه رجل مكتسب وأنت صاحب (نسبة) فقال: ما هذه النسبة؟ قال: (سدرة المنتهى). وكنا قد ذكرنا أن الانتساب إلى سدرة المنتهى فكرة شيعية منافية لحقائق العلم والدين عن التكاثر والتوالد بين البشر.

أما وصف الفقيه المقدم بأنه أبو يزيد عصره وحلاج وقته ففيه تجن على فكر الفقيه المقدم وتشويه لسمعته؛ لأن الحلاج قد أعلن بوعي وحضور عن فلسفته الحلولية حين قال: أنا الحق وما في الجبة إلا الله حتى أفتى الصوفية والفقهاء على السواء بكفره وأعدم.

أما ما روي عن الفقيه المقدم قوله: أنا من نور وجهه ردًّا على قولهم له: كل شيء هالك إلا وجهه وكأنه يوحي بأنه لا يفنى على أساس أنه من نور الله الذي لا يفنى. فهي من الشطحات التي قالها في حالة غيبوبته فلا يلام عليها [1] فهو كفاقد الوعي بنوم أوجنون.

ومن أشهر تلاميذ ومريدي الفقيه المقدم الشيوخ:

(أ) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باعباد المتوفى سنة ٦٢٢هـ.

(ب) سعيد بن عمر بلحاف.

(ج) عبد الله بن إبراهيم باقشير.

(د) إبراهيم بن يحيى بافضل.

(هـ) علي بن محمد الخطيب.

ويبدو أن الفقيه المقدم بعد أن فارق حلقة شيخه في الفقه علي بن أحمد بامروان ودخل دائرة التصوف قد استقطب إلى دائرته الصوفية أكابر فقهاء تريم وماحولها من مختلف الأسر العريقة في العلم والفقه مضعفًا بذلك المركز العلمي المتميز للمشايخ. وكسر سيفه معبرًا عن هذا النصر السلمي وأهدى نصف سيفه إلى زميله في التصوف الشيخ القطب سعيد بن عيسى العمودي.

---

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي..

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) سعيد بن عيسى العمودي:

هو سعيد بن عيسى العمودي من قبيلة سيبان الحضرمية. نسبه بعضهم إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كعادة القوم في التطلع إلى النسبة إلى قريش قبيلة الرسول محمد ﷺ. عاصر الفقيه المقدم وتوفي عام ٦٦٠ هـ في قيدون بدوعن حيث يوجد ضريحه فيها.

أتاه عبد الله الصالح المغربي وألبسه الخرقة الصوفية بأمر من شيخ الطريقة المغربية الشيخ القطب شعيب أبي مدين التلمساني. يقول عنه صاحب «النجم الزاهر المضيء» [1]: (أحيا الله به هذه الطريقة الصوفية وأظهرها على يديه في هذه الجهة الدوعنية ونواحيها بعد أن لم يكن لها وجود، ولا لأهلها مطلع وشهود). وكما تميز قبر الفقيه المقدم بقدسية خاصة في تريم، فقد تميز قبر الشيخ سعيد العمودي بقدسية خاصة لدى قبائل دوعن حيث تقام له زيارة سنوية يختلط فيها الحابل بالنابل. ومن أشهر تلاميذ الشيخ العمودي الشيخ محمد صاحب عين بامعبد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ الصوفي سعيد العمودي هذا الرجل البدوي الأمي هو القائل «**لا يكون الشيخ شيخًا حتى يعلم أصول الدين وفروعه**». وأكد هذا القول القطب الصوفي عبد الله بن علوي الحداد وقال: إن قول الشيخ العمودي هذا قول صحيح ومحقق؛ لأن علم أصول الدين وفروعه يأتي عن طريق الكسب والتعلم أو عن طريق الوهب والإلهام كما وقع للشيخ سعيد العمودي فإنه قد كان أميًا [2]

ويتابع القطب الحداد قوله: وقد ورد (ما اتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذه لعلمه). ومن أقوال الشيخ سعيد: (من أحبني أو أحب من أحبني، أو زارني أو زار من زارني، أو من صافحني أو صافح من صافحني فأنا ضمينه بالجنة) [3]

---

(١) سرجنت: عن «النجم الزاهر المضيء».
(٢) علوي عبد الله الحداد: «النفائس العلوية في المسائل الصوفية».
(٣) الشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي: «تاريخ حضرموت».

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤) عبد الله بن محمد باعباد:

ولد الشيخ عبد الله بن محمد باعباد في الحول ناحية الغرفة حاليًا عام ٦١٦م واشتهر بالقديم وتوفي عام ٦٨٧ هـ في نفس المكان حيث يوجد مسجده إلى اليوم. ودفن في جرب هيصم غربي شبام حيث توجد مقبرة شبام القديمة، وقد بنيت سقيفة فوق قبره.

أخذ الشيخ التصوف عن شيخه العارف بالله أحمد بن الجعد المقيم في أبين. وقد كان ابن الجعد هذا صوفيًا على الطريقة القادرية. ربى الشيخ عبد الله القديم نخبة من مريديه أسسوا في القرى والبوادي مراكز للدعوة والوعظ والإرشاد من أمثال باكريت في سيحوت، وبلحا---رث في وادي بن علي، وأبي حفص في عمد، وباسلامة في مريمة. وسمى أتباعه الفقراء. ومنذ عام ٦٤٠هـ ظل الشيخ عبد الله القديم ملازمًا لمسجد الخوقة بشبام. وقصده عظماء الناس وكبراؤهم زائرين ومتبركين. ومن أعماله الخالدة إحياء أراضي شعب هود وبناء مسجده فيه عام ٦٤٤هـ فورث آل باعباد هذه الأراضي إلى اليوم [١].

(٥) عبد الرحمن (السقاف) بن محمد (مولى الدويلة):

ولد هذا الشيخ الكبير البعيد الأثر في الحياة الفكرية والاجتماعية بحضرموت سنة ٧٣٩هـ في مدينة تريم وتوفي فيها سنة ٨١٥ هـ وقد اعتبره الأستاذ صالح بن علي الحامد الشخصية الثانية في أقطاب التصوف بعد الفقيه المقدم. ومن آثاره إدخال السماع - وهو الإنشاد المصحوب بالدفوف والشبابات - في مسجده بتريم وسماه (الحضرة). تقام الحضرة ليلتي الاثنين والخميس من كل أسبوع بعد صلاة العشاء. وتأسيسًا لهذه الحضرة جلب السيد أحمد بن حسين العيدروس حفيد الشيخ عبد الرحمن السقاف والمتوفى سنة ٩٦٨ هـ منشدين من مصر وعرف وألف منهم جوقة مكونة من سبعة أشخاص [٢]. وقد استمر هذا الإنشاد في أعقاب آل بصري وآل باشعيوث المعروفين بأخدام السقاف إلى يومنا هذا.

---

(١) أفاد بهذه النبذة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باعباد متولي أمر المقام في الغرفة أثناء زيارتنا له في بيته في ١٥ مايو سنة ١٩٩٨م.
(٢) محمد أحمد الشاطري: «أدوار التاريخ الحضرمي».

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٦) عمر المحضار:

هو عمر بن عبد الرحمن (السقاف) بن محمد (مولى الدويلة) بن علي بن علوي بن محمد (الفقيه المقدم). ولد بتريم وتوفي فيها عام ٨٣٣هـ. وقد ارتقى عمر المحضار في سلم التصوف حتى أصبح قطبًا غوثًا فردًا. وارتبط اسمه بكثير من الكرامات وبكثير من غلو العامة فيه حتى أصبح اسمه على طرف لسان كل رجل وامرأة من عامة الناس في تريم. يستغيثون باسمه كلما ألمت بهم مصيبة قائلين (يا عمر!، يا محضار!، يا بوعيشة!) (كانت له ابنة اسمها عيشة). ويتحفنا صاحب الغرر كعادته في ذكر مناقب السادة العلويين بعبارات الأدب الصوفي فيقول عنه:

(أ) يتكلم بالعلوم اللدنية.

(ب) يغضب لغضبه جبار السموات والأرض، ويرضى لرضاه ربّ العالمين.

(ج) تجلى له قدس اللاهوت.

(د) شاهد نور جمال الحي القيوم.

(هـ) فتحت له خزائن توت.

هذا وقد وردت خزائن توت في كتاب (البرقة المشيقة) لعلي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥ هـ.

وفسرها الأستاذ محمد أحمد الشاطري [1] بأنها عبارة عن كنوز (توت عنخ أمون) فرعون مصر التي اكتشفت أخيرًا.

وكما وجه الفقيه المقدم أسرته العلوية إلى أهمية تحقيق المكانة الاجتماعية المرموقة ودعا ربه من أجل ذلك. فقد خطا عمر المحضار خطوة عملية في هذا الجانب بإقامة نقابة للعلويين في حضرموت تحت ضمان حكام تريم. وقد تجددت هذه الضمانة كمادة في معاهدة الحماية البريطانية لحضرموت بفضل وزير السلطنة القعيطية حسين حامد المحضار العلوي.

(١) محمد أحمد الشاطري: «أدوار التاريخ الحضرمي».

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النقابة العلوية:

النقابة العلوية تنظيم اجتماعي قائم على وحدة النسب لا على وحدة العمل كما هو حال النقابات المهنية التي ازدهرت وتنوعت وتعددت في عصرنا الحاضر. فهي تكتل فئوي مغلق مركزها تريم. ولهذه النقابة جذور تاريخية، فقد نشأت نقابة للعلويين للحفاظ على كيانهم والقيام بشئونهم بحكم الظروف خلال الحكم الأموي ثم الحكم العباسي [١]. وكانت عبارة عن مؤسسة تابعة لمركز الخلافة الإسلامية وتحولت إلى إدارة حكومية لها مكانتها وإمكاناتها المادية ونفوذها وفقًا وظروف ذلك العصر. وكونت لها مكاتب وفروعًا في كل مدينة حيث يوجد العلويون كبغداد والبصرة والكوفة والحجاز والهند. وكان والد المهاجر أحمد بن عيسى نقيبًا للعلويين في البصرة [٢].

وفي حضرموت [٣] شكل السادة العلويون نقابة خاصة بهم في مدينة تريم مستقلة عن الدولة ولكنها تحت ضمان الدولة. وكان لهذه النقابة نظام أساسي يحدد الأهداف والحقوق والواجبات والنظام الداخلي الذي أخذ شكل اتفاقية أو معاهدة يلتزم بها الأعضاء. وتتكون هيئة النقابة من رئيس وعشرة أعضاء منتخبين من أعيان السادة العلويين ولكل فرد من العشرة خمسة ضمناء. ويحق لرئيس النقابة عزل أي عضو إداري لم يؤد واجبه بكفاءة، وتعيين آخر بديلاً عنه. وكان القطب الصوفي عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف أول رئيس لإدارة النقابة العلوية بتريم، وخلفه في رئاسة النقابة ابن أخيه عبد الله العيدروس.

ومن أهداف هذه النقابة العلوية التزام جميع أعضائها التزامًا صارمًا في علاقاتهم وأعمالهم ومعاملتهم بنصوص (الاتفاقية) في حدود الشريعة الإسلامية والتي تطرقت إلى ضبط شئونهم الاقتصادية وصدقاتهم كأوقاف المساجد ونظارها. كما تطرقت إلى التعاون ونصرة من أُصيب منهم بأذى من أي كان وذلك بالطرق السلمية. وتحقيقًا لالتزام العضو بنظام النقابة فرض أسلوب

---

(١) محمد ضياء شهاب - عبد الله نوح: الإمام المهاجر.
(٢) السابق.
(٣) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقاطعة العضو المخالف بهجر النقيب له (الرئيس) وعدم مصافحته ويتبعه الآخرون. ومن نصوص اتفاقية النقابة العلوية الحضرمية بند يقول بأن يقوم بتنفيذ مواد هذه الاتفاقية حاكم تريم المتولي على حصن الرناد (قصر الحاكم) من آل يماني. وقد وقع عليها سلطان بن دوس اليماني حاكم تريم حينها كما وقع عليها عدد من الشخصيات العلوية بتريم. واستمرت النقابة العلوية تزاول نشاطها منذ تأسيسها حتى القرن الحادي عشر الهجري [1]. ويتداول اليوم في أوساط العلويين إحياء مثل هذا التكتل الفئوي.

(٧) الشيخة سلطانة: (٧٨٠هـ - ٨٤٧هـ):

هي سلطانة بنت علي الزبيدي وتأتي هذه الشخصية الصوفية في كونها امرأة تدخل الدائرة الصوفية في حضرموت. وهي صوفية أمية شأنها شأن عدد من الصوفية الأميين اليمنيين من أمثال العمودي والصياد وجوهر وابن جميل. كونت الشيخة سلطانة حوطة لها سميت باسمها ودفنت بها سنة ٨٤٧ هـ وتقع شرقي مريمة على بعد نحو (٣) أميال من مدينة سيؤن.

وبالرغم من انتساب الشيخة سلطانة إلى أسرة المشايخ آل الزبيدي فقد تربت حياة بدوية وسلكت طريق التصوف على يد الصوفي الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد المعاصر لها. وقد أشاد الأستاذ محمد أحمد الشاطري بدور الشيخة سلطانة في توجيه القبائل والإصلاح بينها حيث يفدون إليها في حوطتها لا سيما وهي من بيت آل الزبيدي حملة السلاح. وكعهدنا بالأستاذ الشاطري نصيرًا للمرأة وداعية لتعليم المرأة فقد مدح الشيخة سلطانة مستشهدًا بقول المتنبي:

ولوكان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال.

لم تكن الشيخة سلطانة بدعة في التصوف كامرأة فقد سبقتها رابعة العدوية المشهورة المتوفية عام ١٣٥ هـ.

وهناك تطابق عجيب بين شخصية رابعة وشخصية سلطانة فهما امرأتان صوفيتان عانستان شاعرتان تميزتا بالعشق الإلهي الذي يذوب فيه كبار الصوفية.

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهما مساجلات شعرية مع معاصريهما من كبار الصوفية. إلا أن شعر رابعة كان فصيحًا وعميقًا في حين كانت سلطانة تقول الشعر الحميني (العامي).

(٨) عبد الله علوي الحداد [١]:

هو عبد الله بن علوي بن محمد الحداد. ولد بالسبير من ضواحي مدينة تريم سنة ١٠٤٤هـ ومات ودفن بتريم سنة ١١٣٢هـ. تربى وتعلم في جو مفعم بالعلم والفقه والتصوف. ولقد ساعده ذكاؤه وفقد بصره على النبوغ كما هو حال كثير ممن فقد بصره صغيرًا من أمثال أبي العلاء المعري وطه حسين وغيرهما. أخذ الإمام القطب عبد الله علوي الحداد علوم الشريعة من أهلها. كما أخذ علوم الطريقة من أربابها. ولبس الخرقة الصوفية من العلامة عقيل بن عبد الرحمن بن محمد بن عقيل السقاف الذي لم يلبسها لأحد غيره. واشتهر بقطب الإرشاد وتميز بالعطاء الفكري والنشاط الاجتماعي والدعوي. فله عدة مؤلفات وديوان شعر متعدد الأغراض اسمه (الدر المنظوم).

برز القطب الصوفي عبد الله بن علوي الحداد في المجتمع الحضرمي كشخصية متكاملة من جميع الجوانب. خاض غمار الحياة وغاص في أعماق المجتمع الحضرمي وتنقل داخل حضرموت وداخل اليمن ووصل إلى الحجاز يلتقي بالناس صغيرهم وكبيرهم يرشد، وينصح، ويفتي، ويساجل ويناظر، لايخشى السلطان ولايجامل القريب. وله في نقد الأوضاع الحضرمية آراء جريئة ومواقف شجاعة تجعله من أئمَّة الإصلاحيين في اليمن. وحبذا لو أُستفيد من دار المقام ومسجد الفتح بحاوي تريم كمركز للدراسات الإسلامية الحضرمية خاصة واليمنية عامة ولنشر آثاره الفكرية الرائعة.

من أروع شعره الصوفي الغزلي نقتبس الأبيات الآتية التي تذكرنا بالشعر الرمزي لابن الفارض وتجرنا إلى الأسلوب الرفيع في الشعر الغزلي العربي فهو المتيم بمحبوبته المحجوب عنها تواضعًا لأنه في حقيقة الأمر قد شاهدها:

بصرت بركب الحي للحي سائرا فقلت لهم ماحال ذات الخدائر

(١) علوي عبد الله الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية. محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محجبة الحسن البديع الذي غدا بها كل صب واله القلب حائر
ألا فاشرحوا لي حسنها وجمالها فأوصافها تحلو لسمعي وخاطري
فقالوا نرى في ذكرها بعض سلوة لعاشقها دون الشهود بناظر
هلمّ نجد السير نحو خبائها لنحظى بها مابين تلك المسامر
فقلت لهم في ذكر أوصاف حسنها تيقظ محجوب وتنشيط سائر
رعى الله أيامًا تقضى نعيمها وتذكارها مازال نصب سرائري
خليلي هل من عودة لليالي تولت فاني بعدها غير صابر

وأما مواقف الإمام الحداد الاجتماعية ونقده لأوضاع أهل زمانه فإنها تجعله حيًّا بيننا. يعيش همومنا ويتحسس آلامنا وينير الطريق أمامنا فقد تطرق إلى:

(أ) جهل الناس وضحالة تفكيرهم:

قال عنهم: (فاتهم كل شيء، وادعوا كل شيء، وسيبوا كل شيء).

(ب) الفوضى القبلية:

في خضم الفوضى القبلية التي زامنت الدور الصوفي قيّم الإمام الحداد العشائر المسلحة وماتقوم به من أعمال منكرة فقال: (إني لا أقدر أن أحكم بكفرهم فهم ينطقون بالشهادتين ويصلون. وإن حكمت بإسلامهم فهم يستحلون الأنفس البريئة وينهبون الأموال الحلال).

(ج) المناصب الجهلة:

وصف الإمام الحداد الحالة المتردية التي آلت إليها حال المناصب فقال عنهم: «إنهم اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون أن يتزودوا من العلم والاستقامة كما تزود آباؤهم». ونسب إليه قوله فيهم: إنهم نكدوا عيشة وادينا.

(د) تغرير العلويين الجهلة:

يقول الإمام الحداد: (إن الذين يغررون بالعلويين الجاهلين لايحبونهم. ولوكانوا يحبونهم لحثوهم على الأخذ بطريقة أسلافهم من التمسك بالعلم والعمل والأخلاق). لاحظ حرص الإمام الحداد على التمسك بأنبل القيم الإسلامية وهي العلم، والعمل، والأخلاق لا الأنساب التي يحاول الجهلة والمفلسون التركيز عليها.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(هـ) الصوفية المنحرفة:

نقد الإمام القطب الصوفي عبد الله الحداد كبار الصوفية المنحرفين وعراهم بالاسم وقال عنهم: «إنهم خالفوا الشرع في أعمالهم وأقوالهم. وذكر منهم الحلاج والسهروردي وابن عربي.

(و) الجمود:

إن عقلية الحداد التجديدية وآراءه الإصلاحية قد أحاطت بها عقليات القوم المتخلفة المتجمدة، فلم تلق أفكاره التجديدية ولا آراءه الإصلاحية الاستجابة إلى اليوم. لقد طالب هذا الإمام باستبدال خطب ابن نباتة في خطبة الجمعة. وطالب بربط زيارة قبر هود بالتوقيت الشمسي. ومعروف أن زيارة قبر هود قد ارتبطت وترسخت بعادات وتقاليد اجتماعية ارتبطت بأشهر التوقيت القمري. والعادة كما يقول الإمام الحداد نفسه: إذا رسخت نسخت.

(ز) انحراف العقيدة:

شدد الإمام الحداد على المنحرفين عن عقيدة التوحيد والإيمان بالله وحده لا شريك له. وفند تلك الممارسات الخاطئة في المجتمع فقال عن:

(١) الكبش المساير: أما الكبش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم ويسمونه مسايرًا، وكلما ذهب أبدلوه بغيره. فهذا والعياذ بالله من الشرك. والشرك ظلم عظيم. وهو وأمثاله بسبب تسلط الشيطان وجنوده على العاملين به.

(٢) الحروز والجن: أنكر الإمام الحداد على الذين يتمسكون بالأوهام والجن في شفاء الأمراض، ورفع البليات والآفات. ودعا إلى التمسك بالله والتحصن به وقال: واحذروا من التجربة على الله وهي أن يقول الإنسان: اقرأ هذه الآية، أو اكتب هذا الحرز، أو اسمع شور فلان الصالح، وانظر كيف يكون الحال!!.

(٣) المفاهيم الخاطئة:

سادت في المجتمع مفاهيم خاطئة ندد بها الإمام الحداد وقال: من قال: (بخن الإثنين ومفتاح البابين) فقد خرج عن ميزان الشرع والعقل. ومن قال بزيادة العمر فقد أخطأ. إن العمر لا يزيد ولا ينقص كتابًا سابقًا.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفكر الصوفي الحضرمي والفكر الزيدي اليمني في حوار بين الحداد والغشم

جرى عام ١٠٧٢ هـ حوار بين الإمام الحداد قطب الصوفية في حضرموت والأستاذ أحمد محمد الغشم الزيدي اليمني على شكل أسئلة وجهها الأستاذ الغشم للإمام الحداد ينتقد فيها أوضاع حضرموت الفكرية كما رآها أثناء وجوده في تريم خلال امتداد النفوذ السياسي للأئمة الزيدية إلى حضرموت في عهد السلطان بدر بن عمر الكثيري. ومن خلال رد الإمام الحداد على أسئلة الأستاذ الغشم يمكننا أن نستنبط طبيعة وأبعاد ذلك الحوار بين شخصيتين يمنيتين ربما كان لأفكارهما امتداد تاريخي إلى اليوم يقول الإمام الحداد للأستاذ الغشم:

(ليست الأشعار الغزلية الملحنة التي تنشد في المساجد من الذكر، ولا هي مثله. ولكنها شيء مباح، وتركها أفضل. . . . ومن ساء ظنه وخبت طويته رأى الحسن قبيحًا والقبيح حسنًا. . . . وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو رد، وكل ما فارق هدي السلف الصالح فهو شر إن كانت المفارقة على سبيل المضادة والمعاندة، وإلا فالحق واسع. . . . . ونحن على بصيرة من أمرنا، وهدي من ربنا، وكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بين أظهرنا. ولسنا جاهلين بأمر الدين، ولا مبتدعين فيه، ولا متبعين الأهواء المضلة، ولا متحكمين بعقولنا في دين الله تعالى. ونقبل الحق ممن جاء به ونرجع إليه، ولا نكابر ولا نقلد الرجال. فافهم ما ألقيناه إليك وأمليناه عليك من الجواب على أسئلتك. . . والظاهر أنك متعصب على مذهبك لا تقبل إلا ما وافقه، ولا ترى الحق إلا فيه. فإن صح هذا فليس للكلام معك فائدة. . . . إنك أقمت في هذه المدينة (تريم) مدة تزعم أنك تحبها وتحب أهلها. وقد حان حين مغادرتك لها. فلا ينبغي أن تسير منها منطويًا على سوء الظن بأهلها لما رأيت فيهم بزعمك. وهم أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى، وفرض عليك وعلى سائر المسلمين مودتهم وموالاتهم. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. . .).

واليوم وقد توحد اليمن دون مفارقة أو انفصال فلنترك ما يفرق أو يضعف شأننا أو يغمط حقنا. ولنتمسك بما يوثق عروتنا ويعلي شأننا ويحترم مبدأ المساواة

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيننا. ولنتوحد فكرًا وعملاً ومصلحة كشعب يمني واحد في كل بقعة من أرض يمننا الحبيب. وبدون احترام مبدأ المساواة بيننا فلن يهدأ لنا بال أو يطيب لنا عيش.

(٩) علي بن محمد الحبشي:

هو علي بن محمد بن حسين الحبشي، ولد في قرية قسم شرقي تريم سنة ١٢٥٩هـ ومات ودفن في مدينة سيؤن عام ١٣٣٣هـ وبنيت على قبره قبة، وأسس في مدينة سيؤن رباطه المعروف برباط الحبشي عام ١٢٩٦هـ بجوار مسجده (الرياض). وكان عالمًا متصوفًا قام بالتدريس في رباطه وله اهتمامات بالأنشطة الاجتماعية حيث شارك في مختلف النواحي الاجتماعية والفكرية.

وكما أسهم آل العيدروس في تريم بترسيخ كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية فقد ساعد الإمام علي بن محمد الحبشي بسيؤن في ترسيخ كثير من الأنشطة الاجتماعية التي تكرر في المناسبات والأعراس والأعياد ذات الصبغة الدينية. وفي عام ١٣٣٤هـ أحيا ابنه محمد بن علي بن محمد الحبشي ذكرى وفاة والده باحتفال ديني عند قبره والذي يتجدد سنويًا باسم الحول الذي هو من الزيارات السنوية المشهورة لمشاهد وقبور الأولياء والصوفية بحضرموت. وكان أهل تريم من أكثر مناطق حضرموت تلبية وحضورًا لمثل هذه المناسبات بحكم مدينتهم كحاضرة للفكر الصوفي الحضرمي. وقد بقيت نظارة رباط الحبشي ومسجده في عقبه إلى يومنا هذا.

وقد تخرج على يد هذا الصوفي الفقيه-واللغوي- جيل من الفقهاء والقضاة والأدباء الذين يمكن اعتبارهم رواد النهضة في الدور التنويري، كما قدم للأدب الصوفي ثروة من النظم والنثر الفصيح والحميني. فمن شعره الفصيح (اعترافاته) التي قال فيها:

أثقلتني الذنوب والأوزار أين منها الخلاص أين الفرار
ضاق ذرعي مما جنيت فما لي يا إلهي على الذنوب اصطبار
آه مما جنيت لو كان يغني قول آه أو ينفع الاعتذار
لي فيمن مضى أجل اعتبار ليت شعري متى متى الاعتبار

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بك قد لذت يا إلهي ووصفي مثل ما قد علمت الافتقار
غرني الحلم يا إلهي فعذني فلقد زاد عندي الاغترار
ريح نفسي عن رشدها قد تعامت وعن الحق دام منها النفار

(١٠) علوي بن عبد الله بن شهاب:

هو بقية من السلف الصالح وخاتم القلادة الصوفية في حضرموت. لمع ابن شهاب هذا الصوفي الزاهد في سماء تريم كشهاب في زمن غابت فيه شمس الصوفية ولاح في الأفق شفق التنوير. ولد هذا السيد الواعظ في تريم سنة ١٣٠٣ هـ ولم يفارقها حتى توفاه الله سنة١٣٨٦ هـ. عاش حياته زاهدًا متواضعًا مرشدًا، محبًا لكل الناس وناصحًا لهم فورث أولاده وأحفاده هذا الخلق العظيم. يحترمه الحكام والأعيان بالرغم من نقده اللاذع والصريح لهم. ويعتقد فيه البسطاء من الناس ويقصدونه للزيارة والتبرك. ويروى عنه عدد من التنبؤات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية عن أحوال حضرموت لما يتمتع به من فراسة مؤمن وشفافية قلب وصفاء روح.

د - خصائص الفكر الصوفي:

انتشر التصوف في حضرموت منذ حوالي منتصف القرن السابع الهجري - هناك بدايات قبل هذا القرن - أي في نفس عصر الانحطاط الثقافي في البلاد العربية والإسلامية، والذي ازدهر خلاله التصوف في البلاد الإسلامية. وفي حضرموت ازدهر التصوف في فترة اضطراب الأحوال السياسية ونشوء الفتن والحروب فيها، مما أدى إلى اضطراب الأحوال المعيشية للناس. وبدلاً من أن يقود رجال التصوف الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية في هذا النجو المضطرب وهم المتنورون في عهدهم فقد ركنوا إلى حياتهم الروحية [١]. وبقيت أعمالهم في حدود مبادراتهم الشخصية ودون أن تأخذ شكل العمل الشعبي العام بالرغم من قوة تأثيرهم الشخصي على الجمهور الذي لم يتجاوز حدود الوعظ والإرشاد. وباستعراض موجز لخصائص الفكر الصوفي الحضرمي

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربما نتوصل إلى فهم حدود قدرة هذا الفكر في التغيير والإصلاح الاجتماعي الشامل في حضرموت. وأهم ما يميز هذا الفكر كما وصفناه سابقًا تركيبته التوليفية المكونة من تلاقي خطوط التشيع والتصوف والتسنن.

(١) الخط الشيعي:

يعود الخط الشيعي في الفكر الصوفي الحضرمي إلى عاملين هما:

(أ) وجود قواسم مشتركة أساسًا بين الفكرين الشيعي العام والصوفي العام. وفي رسالة الشيخ الصوفي الحضرمي حسن مخدم يتلاقى التصوف والتشيع في عبارات التأويل والغلو في تقديس أهل البيت فهو يقول في رسالته للجنيد: (إن لكم اليد العليا ولنا اليد السفلى...).

(ب) زعامة السادة العلويين لحركة التصوف الحضرمي، وهم كما رأينا يحملون فكرًا شيعيًا إماميًا تناقلوه منذ أن قدم الإمام المهاجر إلى حضرموت وهو إمامي علوي.

والأدب الصوفي العلوي مشبع بروح التشيع لأهل البيت. ويتجلى ذلك في كثير من مواقف العلويين كما رصدت تجاه معارضيهم من المفكرين الحضرميين الإصلاحيين. ويعتبر اعتراف المشايخ من فقهاء وعلماء حضرموت عامة -وتريم خاصة- بنسب العلويين وتقديمهم على أنفسهم بصفتهم أهل بيت رسول الله ﷺ نقطة تحول مهمة في دعم الخط الشيعي وحركة التشيع التي يقودها العلويون في حضرموت. وها هو صاحب الشامل بعد أن فرغ من مهاجمة [1] المستنيرين والإصلاحيين من أهل دوعن ووصمهم بأنهم نواصب يتحدث عن تشيع المحبين للعلويين من أهل دوعن فيقول: (ومنهم الفقيه الصالح محب السادة المغالي في محبتهم، الباذل ماله وحاله في خدمتهم، اللطيف، النظيف، العفيف، الفقيه، الورع، المتقشف، عبد الله بن عبد الرحمن باطويل ساكن صبيخ بوادي ليسر. كان هذا الفقيه رجلًا عاقلًا عالمًا عاملًا عارفًا بالله محبًا للسادة آل باعلوي ومقصدًا لهم، ينزلون بيته ويكرمهم غاية الإكرام ويقوم بخدمتهم أتم القيام. ومن

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جملة محبته لهم يقول: لو أراد واحد من آل باعلوي أن يسودني ويبيعني امتثلت له. وذلك عن صدق منه).

هذا وفي الوقت الذي يشير صاحب الشامل بهذا الموقف الخدمي والخنوعي ممن وصفهم بالمحبين للسادة فهو لا يتورع في التنديد بمن ينادي بالأخوة والمساواة بين جميع الحضارمة فيتهمهم بأنهم (من بقايا الإباضية الذين أبادهم الله وأذلهم، وأنهم لا يعرف لهم نسب ولا حسب، وكانت منازلهم من نواحي سدبة ومنوب وفي قرى دوعن والحيق فذهب ذلك كله). ويروي لنا صاحب كتاب التمهيد الكريم عن العلامة محمد بن عوض [1] بافضل قوله: سمعت من سيدي وشيخي أحمد بن حسن العطاس قوله: (لم يقع لأحد من مشايخ الجهة مثل ما وقع للخطباء وآل بافضل مع السادة آل باعلوي من المحبة والمودة والاختلاط والامتزاج). وفي نفس المصدر يروى عن الإمام علي بن عبد الرحمن المشهور عن والده الإمام عبد الرحمن المشهور قوله: (سمعت كثيرًا من مشايخي يقولون: كانت الرئاسة والظهور والمشيخة بتريم -قبل استيطان ساداتنا آل باعلوي -للمشايخ الخطباء وآل بافضل. فلما سكنوها أواخر القرن السادس الهجري أبدى المشايخ للسادة الأعلام بني علوي من الإجلال والتكريم والتعظيم بما يليق بمقامهم الفخيم). ثم قال: (وكان تقبيل اليد ولبس العمامة والنداء بلفظ حبيب خاصًا بالسادة بني فضل فمحوه من أنفسهم وصيروه خاصًا بالأشراف وعلامة لهم إجلالاً وتعظيمًا) [2]. ويصف الأستاذ السقاف [3] مؤلف تاريخ الشعراء الحضرميين الشيخ علي بن عمر بن قاضي باكثير الكندي المولود بمدينة تريس عام ١١٧٤هـ بأنه شيعي ويقول عنه: (عاش في حياته الدينية على الطريقة العلوية كما تبدو عليه الصبغة في محبته للسادة العلويين قائمة كشيعي من شيعتهم المغالين في تشيعهم).

---

(١) عمر بن عبد الله الخطيب: التمهيد الكريم.
(٢) ويضيف صاحب صلة الأهل: وكذا عدلوا لهم من التسمية. بمحمَّد إلى محمِّد بكسر الميم حسب ما قال أحمد حسن العطاس.
(٣) عبد الله محمد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفرض الأدب الصوفي الحضرمي ذو النزعة الشيعية صيغًا معينة في التخاطب. فالعلوي يصف غيره بالمحب، وينادي غير العلوي العلوي بالحبيب فالعلاقة (الحبيب - المحب) هي صفة مميزة في الفكر الصوفي الحضرمي. وفي الوقت الذي يوصف فيه غير العلوي بالخادم، والمحب، ومقبل الأعتاب والأقدام، يوصف العلوي بأعظم الصفات والألقاب. وها هو صاحب الشامل المعروف بتحقيره لغير العلويين -خاصة رجال حركة التنوير الذين نبهوا على زيف الأفكار الاستعلائية- يرصُّ مجموعة من ألفاظ التعظيم والتفخيم عندما يتحدث عن طه بن عمر بن علوي الحداد فيقول: (طلب مني السيد الشريف العالي المنيف الحبيب النسيب العالم العلم الأجل الفطن الذكي الأفضل الحبيب اللبيب العاقل العامل لله على بصيرة، نسل الكرام ونجل لباب أهل دائرة الإسلام آل أبي علوي صنو مولانا وحبيبنا وشيخنا وكبيرنا وذخرنا ووسيلتنا إلى ربنا شيخ الشيوخ محيي الدين وبركة المسلمين، منعش سنة سيد المرسلين القطب الغوث الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به وبهم وسلفهم وخلفهم آمين: أن أجمع له شيئًا مما سمعت...). وبالمقابل يتضاءل المحب ناصر بن يسلم بن ناصر أمام حبيبه العلوي عبد الرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد فيقول له في رسالة كتبها له متأثرًا بأسلوب كتابة الرسائل في العهد العثماني [1]: أسعد الله مقام حبيبي وسيدي ومولاي وقدوتي ووسيلتي إلى الله الإمام البركة سيدي عبد الرحمن بن الحبيب جنيد بن عمر الجنيد.... بعد تقديم عاطر التحية السنية ومزيد التكريم والاحترام، أرفع لحضرة شريف غالي جنابكم المنيف، هذه الكلمات الملفقة بقصد التوسل والاستغاثة.... وفي الختام أقبل ثرى أقدامكم مستمدًا صلاح القصد وحصول المرام.

المستغيث بشريف مقامكم مقبل تراب أقدامكم، محسوبكم أقل الورى وأحقر العباد.

ناصر بن يسلم بن ناصر

---

(١) عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد: العقود العسجدية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تضمنت رسالة ناصر هذه شعرًا ركيكًا يقول فيه:

يـا سـيـدي عـبـدكـم ذل في ذى الجهة وأنتمو أعلم بما في الضمائر
يا منقذي غثني فإني مكبل بأغلال وزري فأحمال المعاصي ثقال
ضاقت عسى فرج عاجل بعد العقد ينحل غوثاه دركاه غارة لي تحل العقال

(٢) الخط الصوفي:

من أهم خصائص الفكر الصوفي الكشف الرباني والرؤيا المنامية. ويعتقد الصوفية أن كشوفاتهم في يقظتهم وأحلامهم في منامهم لا تكون إلا حقيقة وصدقًا، وأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين، وأن النبي ﷺ قد أمر بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه ﷺ. كما عول الصوفية على الرؤيا المنامية في تقرير كثير من الوقائع المجهولة وفي ترسيخ كثير من المعتقدات والعادات والتقاليد.

بهذا المعتقد الصوفي حول الكشوفات والأحلام تجاوز صوفية حضرموت حدود العقل والعلم والمنطق وظاهر الشريعة الإسلامية في تقديس أهل البيت وفي التدخل في أنساب بعض الأسر الحضرمية، وفي تحديد مواقع القبور المجهولة لبعض الشخصيات الحضرمية مما يترتب على ذلك من عادات وتقاليد:

(أ) تقديس أهل البيت:

يدور أدب المنامات والكرامات لدى صوفية أهل حضرموت فيما يتعلق بأهل البيت حول فكرة: هداية من يحب أهل البيت وضلال من يبغضهم. وكيف يحوز المحبون في أحلامهم المنامية برضاء الرسول محمد ﷺ وأهل بيته ويتعرض المبغضون لأهل البيت في رؤياهم المنامية لإعراض النبي ﷺ عنهم وغضبه عليهم. وكيف أن الرسول ﷺ وعليًا وفاطمة يسهرون على حماية ذريتهم. وقد سرد صاحب الغرر كثيرًا من قصص المنامات والكرامات في هذا الجانب نذكر منها (١):

(١) محمد بن علي بن علوي خرد: غرر البهاء الضوي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) يروي الشيخ عمر بن عبد الرحمن عن والده أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وزوجته خديجة الكبرى وابنته فاطمة الزهراء فقلت لهم: اذكرونا ولا تنسونا فقالوا: نحن نذكركم في كل ليلة حتى المديني والفلاحة [يعنون النخلتين الواقعتين في قسم شرقي تريم]، فضلاً عن كل شيء. ويُعلق صاحب الغرر: انظر إلى هذا الاعتناء العظيم، كيف يعتنون بهم ويتحسسون عنهم، وعن جميع مصالحهم في أمر دينهم ودنياهم وكيف أكد ذلك بذكر النخلتين فضلاً عن كل شيء!!

(٢) يحكى أن فقيهًا غضب على أحد أشراف مكة لأنه يشرب الخمر عند زمزم فثار عليه الفقيه وشتمه على فعله، فلما نام الفقيه تلك الليلة رأى النبي ﷺ وفخذه مكشوفة وهو مُعرض عنه، فأراد الفقيه أن يغطي فخذه ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أتغطيها وما كشفها إلا أنت؟ فقال الفقيه: يا رسول الله بأي سبب. فقال ﷺ: شتمك لفلان إذا لم تدعه لنفسه دعه لنا.

(٣) يحكى عن تاجر يمني أنه سافر بماله إلى مكة فأخذ العشور المعتاد حسن بن عجلان شريف مكة، فتكلم التاجر على الشريف ونسب إليه الظلم وعدم الخوف من الله تعالى، فرأى هذا التاجر اليمني في إحدى الليالي رسول الله ﷺ معرضًا عنه وقال له: ارض ابنتي فاطمة- وكانت بجانبه- فتوجه إليها وقال لها: ما ذنبي؟ فقالت: ابن عجلان حيث شتمته ووبخته!!

إن نشر هذا النوع من أدب المنامات في إطار الفكر الصوفي الحضرمي يعكس تشويهًا وتشويشًا في عقيدة المسلم ويسيء إلى مقام الرسول ﷺ وعترته الكريمة المؤمنة. كيف يقبل ذو عقيدة إيمانية صحيحة وذو عقل سليم أن يعاتب النبي ﷺ من أنكر منكرًا رآه في أحد أفراد ذريته من سكر وظلم؟! وكيف يقبل المسلمون الصادقون دفاع نبيهم عن مثل هؤلاء الفسدة وهو القائل لابنته فاطمة وعمه العباس: اشتروا أنفسكم من النار فإنني لا أُغني عنكم من الله شيئًا. إنها لتربية خطيرة وفكر يعمق المحسوبية والتعصب الطبقي والتمايز الاجتماعي. إنها دعوة لمصادرة الأفكار وحماية للطبقات الاجتماعية المتميزة. إنها تربية تهدف إلى أن يكون وضع المربي بجانب حبايبه كوضع الشيخ فضل بن عبد الله بافضل حين

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: (ما أرى نفسي مع أهل البيت إلاّ كالعبد المملوك لمولاه). وقد علق صاحب الغرر على ما قاله بافضل عن نفسه: (إنه لا يقول ذلك إلاّ عن تحقق شرعي لكونه شديد الارتباط والتمسك بالشريعة ظاهرًا وباطنًا، وعظم تفرسه الإيماني وضبطه العرفاني). . وكأن صاحب الغرر يريد أن يقول: إن مقولة بافضل هذه بمثابة فتوى شرعية من فقيه، وفراسة نورانية من ولي، وحكم دقيق من عارف. ونحن إذا ما أردنا تبسيط الأمور في ضوء ظروف هذه المقولة فإننا نقول: إنها مجرد خلجات نفسية ومجاملة شخصية ومشاعر أخوية ذاتية للشيخ فضل نحو زميله السيد عبد الرحمن أثناء زمالتهم في شبام أيام التلمذة على الفقيه محمد باعباد. قالها زميل لزميله عندما أصر الشيخ فضل على مرافقة صديقه إلى حيث يسكن، أو هي قد قيلت تحت تأثير المناخ الصوفي السائد حينها. أما تصوير هذه الأحاسيس كمواقف عقدية وفتاوى شرعية، فهذا لا يقبله عقل ولا نقره شريعة.

(ب) توظيف الكشف الرباني في التدخل لتحقيق الأنساب وتحديد مواقع القبور:

بالرغم من المعاناة الكبيرة التي واجهت المهاجر أحمد بن عيسى وأبناءه من بعده بسبب عدم التسليم السريع من أهل حضرموت بنسبتهم إلى النبي محمد ﷺ بما فيهم علماء وفقهاء تريم إلاّ بعد تقديم البصائر الموثقة من البصرة وشهادة الشهود على صحة النسب من قبل العراقيين الحجاج أمام الحضرميين الحجاج في مكة، وبالرغم من إصرار بعض الصوفية والعلماء والباحثين من العلويين الحضارمة على أن جميع الأنساب منقطعة إلاّ نسب النبي ﷺ استنادًا إلى حديث نبوي يقول: «**كل حسب ونسب منقطع إلّا حسبي ونسبي فإنه لا ينقطع إلى يوم القيامة**». . فإن البعض الآخر من الصوفية قد شذ عن هذا الاتجاه واستخدم الكشف الرباني في وصل نسب بعض الشخصيات الحضرمية غير العلوية إلى الصحابة من المهاجرين والأنصار خاصة المتشيعين منهم لأهل البيت من مثل:

نسبة الشيخ الصوفي سعيد بن عيسى العمودي:

من المعروف أن آل العمودي قبيلة حضرمية تسكن دوعن وتنتمي إلى سيبان ثم

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حمير وقحطان. لكن الكشف الرباني يتدخل وينسب الشيخ سعيد بن عيسى العمودي الصوفي المعروف إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي العدناني. فها هو صاحب الشامل [1] يروي لنا هذه القصة فيقول: (وطلعنا بضة واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل منهم: آل العمودي، ومنهم: أولاد الشيخ الكبير الشهير عبد الله بن عبد الرحمن بوست أصابع، وهو والي منصب آل العمودي، وسمي بوست لأن له في كل يد ست أصابع شبيه بعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فهو جدهم وينسبون إليه على ما ذكره بعض ساداتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته. ولا تكون إلاّ حقيقة لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين. وهو حق وصدق وقد أمر النبي ﷺ بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه ﷺ).

ويتابع صاحب الشامل في مجاملته لآل العمودي أحفاد الشيخ الصوفي سعيد بن عيسى العمودي صديق الفقيه المقدم وزميله في تدشين حركة التصوف في حضرموت. فيروي نسبة الشيخ سعيد العمودي إلى أبي بكر الصديق في لقاء روحي تم بين روح الشيخ سعيد العمودي والسيد العلوي فيقول: (اجتمع السيد الشريف أستاذ الفقهاء وإمام الزهاد عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى وسأله عن نسبه فذكر له سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق على النحو الآتي: سعيد بن عيسى بن أحمد بن سعيد بن شعبان بن عيسى بن داؤود بن محمد بن أبي بكر بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق).

(٢) نسبة بعض الأسر الحضرمية:

- نسب آل الخطيب	إلى عباد بن بشر الأنصاري.
- نسب آل تميم	إلى تميم الداري الصحابي.
- نسب آل باحميد	إلى أبي حميد الأنصاري.
- نسب آل راشد	إلى الأنصار.

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- نسب آل باعباد إلى عثمان بن عفان ذو النورين
- نسب آل بانافع إلى بني أمية.
- نسب آل باجابر إلى عقيل بن أبي طالب.

أما الشيخ يعقوب صاحب القبة في مقبرة المكلا فيقول عنه صاحب الشامل: إن اسمه يعقوب بن يوسف وهو رجل غريب تعددت نسبته فمن قائل:

- إنه ينتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني فهو علوي حسيني كما تجلى ذلك عن طريق الكشف الرباني.
- إنه ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.
- ونسبه آل باوزير إلى العباس عم النبي ﷺ وقالوا: إنه جدهم. إن آل باوزير في حضرموت بجميع فخائذهم اليوم ينتسبون إلى محمد بن سالم بن عبد الله بن يعقوب (١).

ويعقب صاحب الشامل عن نسبة الشيخ يعقوب فيقول: ولكن الحقيقة أن ذلك من أفواه الناس ولم يوثق في كتاب. ويعتبر صاحب الشامل كل الأنساب في حضرموت من هذا القبيل ما عدا نسب العلويين وأنها من قبيل التملق وليست قائمة على علم الأنساب. بل هي توهمات ومزاعم واشتقاقات يقولها السذج والعوام والمتملقون. أو قالها سلفنا الصالح السادة آل باعلوي تفاؤلاً، أو عن طريق عقد النسب (الولاء). ويشكك القطب الصوفي عبد الله بن علوي الحداد في أنساب غير العلويين ويقول: ينسبون إلى الدين والإسلام أحسن.

وكما وظف الإلهام والكشف الرباني في اكتشاف الأنساب فقد استخدم أيضًا في كشف مواقع القبور المجهولة وتحديد مواضعها ومن ذلك:

(١) قبر المهاجر احمد بن عيسى:

مات المهاجر الإمام أحمد بن عيسى جد آل باعلوي الحضرميين عام ٣٤٥هـ ولم يكن معروفًا في البدء موضع قبره. فمن قائل إنه دفن في قرية جشير وقال

(١) حسب رواية الأستاذ الأديب أحمد عوض باوزير.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آخرون: إنه دفن في قرية الحسيسة دون تحديد لموضع القبر. وقال السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء: لم يعرف الآن موقع قبر المهاجر. وقال صالح بن علي الحامد [١]: إن الإمام عبد الله العيدروس هو أول من أظهر قبر المهاجر، ثم بنيت عليه قبة. وقيل أيضًا: إن قبر المهاجر لم يعرف إلاّ بعد عصر العيدروس. وقيل أيضًا: إن المهاجر نفسه نطق من تحت القبر المكتشف بأن هذا القبر قبره!.

(٢) قبر النبي هود عليه السلام:

إن ما رواه الرجل الحضرمي للإمام علي بن أبي طالب عن اكتشافه لقبر الرسول هود عليه السلام في كهف بالكثيب الأحمر في الأحقاف لا ينطبق على موقع هذا القبر اليوم.

وأما الشِعب المعروف اليوم بشِعب هود فقد كان موقعًا لسوق تجارية موسمية معروفة منذ العصر الجاهلي دون إن يعرف أن فيه قبر هود عليه السلام. بل إن الزيارة كانت تقف عند بئر التسليم إذ لا يعرف القبر. وبالكشف الرباني تم تحديد موقع القبر الحالي. وليبقى الرمز ثابتًا على مر الأيام اتخذت جمرتان كبيرتان بينهما شق للدلالة على رأس القبر ثم مدد هذا الرأس بأحجار على سفح الجبل حيث القبر كله على السفح يتم الصعود إليه بدرج استحدث فيما بعد. والقبر طويل للدلالة على طول الرسول هود عليه السلام. ولا توجد أية أثارة من علم على هذا الطول.

وهناك قبور أخرى مكتشفة مثل قبر النبي هارون بقرية هادون بدوعن وله قبة، وقبر صالح في وادي سر، وقبر عباد بن بشر في (اللسك) شرقي تريم ونسب إليه المشايخ آل الخطيب [٢].

هـ - تاثير الفكر الصوفي الحضرمي:

نشأ وترعرع الفكر الصوفي الحضرمي بخصائصه التي تطرقنا إليها زهاء

---

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.
(٢) محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب: برد النعيم.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبعمائة عام. وقد ترك هذا الفكر بصماته على الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية بحضرموت وأحدث مؤثرات عميقة في حياة الناس وترك لنا تراثًا يجدر بنا أن نعطيه حقه من البحث والدراسة لتقف عليه الأجيال بوعي وبصيرة لتستنير بهدى فضائله ولتتجنب ما لا يستجيب لشرع أو عقل أو عقيدة مما شابه أو أدخل عليه. وكان للفكر الصوفي الحضرمي بصماته في النواحي والجوانب الآتية:

ترسيخ المجتمع الطبقي:

هيمن الفكر الصوفي ذو النزعة الشيعية على مظاهر الحياة الاجتماعية الحضرمية ردحًا من الزمن أطلقنا عليه الدور الصوفي. بلغ التمايز الاجتماعي مداه خلال هذا الدور. كما ساد هذا الدور جهل واسع مطبق على حملة السلاح وحملة الشريم. واستحواذ للمعرفة لحملة الأقلام في دائرة ضيقة من المجتمع، وترسيخًا للمجتمع الطبقي السائد خلال الدور الصوفي وجه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلويين لإقامة معلامة في دولة ابن مقيص المسنودة من قبلهم بهدف تعريف جهال طبقات الناس بمبادئ دينهم دون تعليم القراءة والكتابة لما فيه من خطر. فقال في رسالة له مخاطبًا السادة - ومن بينهم وزير السلطان ابن مقيص السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد-: (وإن رأيتم يا سادتي أن ترشدوه (يقصد ابن مقيص) وتعولوا عليه في أن يقيم علمة خاصة لتعليم مهمات الدين التي يلزم الكل تعلمها ولو بالرحلة إلى الصين، ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف، وقبيلي، وحرَّاف، وساني، وسائل، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا. ويكون ذلك تلقينًا من غير حضور قلم ولا دواة لما فيهما من المضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله) [1] هذا وقد شاعت خلال الدور الصوفي مصطلحات التمايز الاجتماعي كالقبيلي والعلوي والعبد والضعيف، والصفات المتقابلة: محب وحبيب، وخادم وسيد، ووضيع وشريف. وكان في المجتمع من جده البخسوس [2] ومن جده الشافع المشفع.

---

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية.
(٢) البخسوس: حشرة سوداء من نوع الخنفساء تعيش في المزارع.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتروى أسطورة المجتمع الطبقي بداية الحكاية فتقول: في البدء كان الأجداد متساوين ثم دخلوا سباق المصير في ميدان الحياة حيث كان في نهاية الشوط ثلاثة أهداف هي: الكتابة رمز العلم، والسيف رمز القوة، والمزحاة رمز الضعف. فاستلم الأول الكتاب فكان جد العلماء من السادة والمشائخ واستلم الثاني السيف فكان جد القبائل حملة السلاح واستلم الثالث المزحاة إذ لم يجد غيرها فكان جد الضعفاء والمساكين. والمشكلة هنا ليست في نتائج هذا السباق بين الأجداد فلا بد أن تكون هكذا إنها سنة الحياة. ولكن المشكلة في أن تخلد النتيجة وتتوارث وتؤسس عليها عادات وتقاليد، ومفاهيم وقيم، ومعاملات وأحكام، تنتهك بها المساواة والعدالة الاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد. وفي الحادثة التي يرويها الشيخ العلامة سالم ابن حميد الكندي صورة مؤثرة عن أسلوب التعامل بين السيد والسلطان والضعيف كرموز للمجتمع الطبقي السائد خلال الدور الصوفي بحضرموت. يقول بن حميد: إنه في سنة ١١١٥هـ اتفق السيد زين العابدين بن مصطفى بن زين العيدروس مع ضعيف من تريم ليوضن له خُبرًا بأجرة ألفي خبرة. فلما وضنها الضعيف أتى بها إلى دار السيد زين، فاتهم السيد الضعيف بسرقة مائتي خبرة، وربطه بالسهم (العمود)، وأمر أخدامه بضربه. ولما لم يقر الضعيف بما اتهم به أتى السيد بآخرين لضربه وعندما علم السلطان عيسى بن بدر الكثيري في سيؤن بما فعله السيد زين جعل على أخدام السيد زين دراهم نفاعة (لعله يقصد غرامة). وتحرك السيد عبد الله بن مصطفى أخو السيد زين إلى سيؤن ليتوسط لدى السلطان فيما فعله أخوه زين بالرجل الضعيف. ولما التقى السيد مصطفى بالسلطان عيسى -وكان في مجلسه بعض الوجهاء- قال: أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم الحديث [1].

ما هكذا يفهم الإسلام يا قوم! أين نحن من معاملة الرسول ﷺ لأصحابه في مجتمع المدينة المنورة في حادثة وساطة مماثلة وهي قصة المرأة المخزومية التي سرقت.

---

(١) سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي: تاريخ حضرموت المعروف بـ «العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة».

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحويل زيارة الأضرحة إلى عادات وتقاليد راسخة:

من أبرز مظاهر الفكر الصوفي عامة زيارة قبور الأولياء والصالحين وتشكل زيارة قبر النبي هود عليه السلام علامة بارزة في الفكر الصوفي الحضرمي الذي حولها إلى عادة راسخة وتقليد سنوي تشد لها الرحال وترتبط بها عادات اجتماعية وتقاليد شعبية وأفراح ومسرات. واعتبرت مدينة تريم العاصمة الصوفية -خلال الدور الصوفي - نقطة البداية والنهاية لزيارة قبر النبي هود البعيد عنها شرقًا. ومن خلال استعراض فكرة عامة عن هذه الزيارة تتجلى أمامنا صورة التأثير الواضح للفكر الصوفي الحضرمي.

الزيارة المرغوبة والغاية منها:

روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «زوروا القبور فإنها تذكركم بالموت». ودعا النبي محمد ﷺ ربه ألا يصبح قبره من بعده وثنًا يعبد». إذ روي عنه ﷺ قوله: «اللهم لا تجعل قبري بعدي وثنًا يعبد». هذا ولم يحدد النبي ﷺ موضع قبره قبل وفاته.

لقد حدد الإسلام بوضوح الغاية من زيارة القبور، وهي التذكر والاستشعار بالموت والبعث واليوم الآخر. وأن الانسان مهما طال عمره فهو ميت لا محالة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. فهذا الاستشعار بالموت وهذا التفكر باليوم الآخر بما فيه من حساب عسير ودقيق هو القارع للإنسان الحي كيلا يطغى. وهو الدافع له بمزيد من الأعمال الصالحة لضمان مستقبله الأبدي. وليكون على يقظة دائمة بأن حياته في الدنيا مزرعة لحياته الأخروية وهي إما إلى نار حامية أو جنة ناعمة. ومن مقاصد زيارة القبور وغاياتها الدعاء للميت، فهو أحوج ما يكون إليه بعد أن انقطعت جميع أعماله بعد موته إلا من ثلاث حددها الرسول ﷺ بقوله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ابن صالح يدعو له»..

وزيارة قبور أولياء الله الصالحين تذكير للأحياء بأن يقتدوا بهم ويعملوا كما عملوا.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخروج عن إطار المرغوب والمباح في زيارة القبور هو دخول في المكروه أو المنهي عنه وذلك عندما يرتجى الزائر من الميت ما لا يرتجى إلاّ من الحي القيوم الذي يجيب المضطر إذا دعاه. والجهال والسذج والمشعوذون والمكارون هم الواقعون في هذا المحذور بقصد أو بغير قصد. ومن مظاهر المحذور في زيارة القبور التوسل والاستغاثة بالأموات والاستشعار، بل والاعتقاد الساذج بأنهم يتدخلون في شئون حياة الناس ويلبون طلباتهم من إنجاب للأولاد، وشفاء من الأمراض، وقضاء للحاجات.

هذا وقد حدد الإسلام المواقع التي تشد الرحال لزيارتها، وهي كما جاءت في حديث رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلّا لثلاثة مساجد: البيت الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» . . والمعروف أن المساجد هي أماكن العبادة والصلاة.

ولم يشر النبي ﷺ إلى شد الرحال إلى القبور والأضرحة كما هو الحال لزيارة قبر النبي هود عليه السلام. وانطلاقًا من خاصية الفكر الصوفي الحضرمي في تقديس الأولياء والتبرك بقبورهم وآثارهم خاصة لدى العامة والسذج وذوي المصالح وأصحاب المقامات تحولت زيارات القبور إلى عادات وتقاليد تمارس في مواسم معينة. مثل زيارة قبر النبي هود عليه السلام في شهر شعبان، وزيارة قبر القطب الصوفي علي بن محمد الحبشي في سيؤن والمعروفة بالحول في شهر ربيع الثاني، وزيارة قبر عمر بن محمد الهدار بالقطن في شهر جمادى الآخر، وزيارة قبر الصوفي علي بن حسن العطاس في المشهد والمعروفة بزيارة المشهد في شهر ربيع الأول، وزيارة قبر سالم بن عمر العطاس في الشحر والمعروفة بزيارة الشحر في شهر محرم، وزيارة قبر الشيخ الصوفي الكبير سعيد بن عيسى العمودي في قيدون في شهر رجب. إلخ. وتتخلل بعض هذه الزيارات مظاهر مخلة بالآداب الإسلامية بل وبالقيم النبيلة والسلوك القويم الذي عرف به هؤلاء الأولياء الصالحون. ومن بين هذه المظاهر المخلة بالآداب الإسلامية اختلاط الرجال بالنساء والقرابين. واستنكر صاحب الشامل [1] هذه السلوكيات التي

---

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمارس أثناء الزيارة الموسمية لقبر الشيخ سعيد العمودي في قيدون بدوعن.

ويطرح الفكر الصوفي الحضرمي مسألة القدسية الخاصة لقبور الأولياء وآثارهم، فعند القبور تستجاب الدعوات وتضاعف الحسنات، وبآثارهم يتبركون. وحدث أن هدد العلويون بسحب آثار الفقيه المقدم من قيدون إلى تريم وهي المودعة لدى مقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي والمكونة من عكازة وقطعة من سيفه. وذلك بعد أن أجمع آل العمودي على نحلة النصب والخارجية وتغيير موقفهم من محبة آل باعلوي والتشيع لهم [١].

(ب) خصائص قبور الصوفية:

الخاصية الأساسية في الإسلام: أن الأموات في حاجة ماسة إلى الأحياء بالدعاء لهم والاستغفار لهم. وأن الأموات لا ينفعون الأحياء بشيء إلاّ ما قد فعلوه وتركوه لهم قبل مماتهم. وأن الله وحده الحي الباقي هو الذي يجب التوسل إليه والاستغاثة به وطلب قضاء الحاجات منه. وشذ عن هذه الخاصية الأساسية في الإسلام ما يرويه الأدب الصوفي الحضرمي من خصائص للقبور نذكر منها ما يلي:

قبر عباد بن بشر الأنصاري:

لسنا تجاه تحقيق تاريخي حول شخصية الصحابي عباد بن بشر الأنصاري وإنما نحن بصدد دور الفكر الصوفي في اكتشاف مواقع القبور ومنحها خصائص معينة تلك التي تعود لأنبياء وأولياء صالحين. ومن إطلالة على (برد النعيم) نجد أنه بالكشف الرباني والرؤيا المنامية لبعض الصوفية تم اكتشاف قبر الصحابي عباد بن بشر الأوسي الأنصاري وأنه جد خطباء تريم [٢]. فتروى المنامات المتعددة أنه قتل من قبل بعض مزارعي قرية (اللسك) شرقي مدينة تريم بضربه (بالمصابيط) [٣] وذلك حينما طالبهم بالزكاة كمرسل من قبل زياد بن لبيد

---

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها.
(٢) محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب: برد النعيم.
(٣) أعواد غليظة تستعمل لفصل الحبوب عن التبن.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأنصاري عامل مخلاف حضرموت. ولما أراد القتلة إخفاء الجريمة بحرقه في النار خطفته الملائكة وجهزته ورفعته إلى قمة جبل القرية حيث يوجد كهف فانشق الكهف وأُدخل في الشق جثمان الشهيد عباد بن بشر.

وهناك حالة شبه بين النبي هود والصحابي عباد بن بشر في الأدب الصوفي فقبر كل منهما عبارة عن شق في جبل، بل ويروي عبد الرحمن بن علي باعلوي أنه رأى عباد بن بشر في كهفه وكانت له وقفة عظيمة مثل النبي هود عليه السلام. وكذا رأى أحد شيوخ آل الخطيب جده عباد بن بشر والنبي هود راكبين على حصانين يتجولان في ساحة اللسك. بل ويراه أهل اللسك يقظة وهو نازل من أعلى الجبل المقبور فيه.

ويقال: إن من زار قبر عباد بن بشر بنية صادقة تستجب دعوته ويتحقق طلبه. وفي زيارة قبره نجاة من كل أذى وعطب وكان أهل اللسك يأخذون قليلاً من تراب قبره إلى بيادرهم للبركة في أرزاقهم. وإذا تعسر على أهل المسفلة والمعلاة ذكورًا وإناثًا أمرٌ أمَّلوا بزيارة قبره فتقضى حوائجهم [١].

(٢) قبر المهاجر أحمد بن عيسى:

يقول صاحب الغرر عن قبر المهاجر: قبره ترياق مجرب، ونجاة من كل عطب، وأمن من كل أذى، وأمان من الريب، لمن قصده أو أمله أو تعلق به أو أحبه. فمن جاءه بنيةٍ، أو قصده بقوةٍ وهمةٍ أوجب المطلوب، وظفر بالمرغوب [٢].

(٣) قبر الشيخ سالم بافضل:

عندما زار أحمد المحضار وهو من قرية القويرة بدوعن قبر الشيخ سالم بافضل في تريم خاطبه بقوله: يا شيخ سالم بلغني أنك تشفع في كل يوم لسبعين معذبًا. وأهل القويرة كلهم سبعون، نبغي شفاعة هذا اليوم لهم. وفي المنام رأى أحمد المحضار الشيخ سالم المذكور يقول له: تشفعت فيهم [٣].

---

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب: برد النعيم.
(٢) محمد بن علي بن علوي خرد: «غرر البهاء الضوي».
(٣) عمر بن أحمد بن سميط: «النفحة الشذية من الديار الحضرمية».

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤) قبر الشيخ عمر بن علي باعمر القرشي المتوفى سنة ٦٤٢هـ:

يروى أنه: من وضع على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي الموجود في مقبرة الفريط بتريم، حجرًا يرزق ولدًا [١].

(٥) قبر الشيخ أحمد محمد باعيسى:

يروى عن هذا الشيخ المتوفى بتريم سنة ٦٢٦هـ أنه قال: من زار قبري بصدق نية وطلب حاجة ولم تحقق له الحاجة فأنا ولد زنا.

(ج) زيارة قبر النبي هود عليه السلام:

(١) أين القبر؟

وردت قصة الحضرمي الذي أسلم على يد الإمام علي بن أبي طالب والمكتشف لقبر النبي هود عليه السلام في كتاب الكنز ج/٦ صفحة ٣١٠. وفي كتاب الجوهر الشفاف لمؤلفه الخطيب. ومن يتمعن في سياق القصة يجد كما وردت في المصدرين المذكورين تناقضًا مكشوفًا مما يثبت أنهما مجرد أسطورة منحولة. وكان نص الجوهر الشفاف أكثر غرابة فهو يتحدث عن كتابة بخط الهند والسند وعن آيات قرآنية على لوح عند رأس النبي هود، وكأنها قد نزلت قبل نزولها على سيدنا محمد ﷺ. هذا ويشير موقع القبر كما ورد في السياقين إلى غير موقعه المعروف حاليًا. والشيء الذي يمكن الأخذ به في هذين النصين هو الإشارة بأن قبر هود موجود في أرض الأحقاف من بلاد حضرموت. وهذه هي خلاصة النصين:

نص الكنز:

عن أصبغ بن نباتة أنه قال: أقبل رجل من حضرموت فأسلم على يدي علي (ابن أبي طالب). فقال له علي: أتعرف الأحقاف؟ فقال له الرجل: كأنك تسأل عن قبر هود. قال: نعم. قال: خرجت وأنا في عنفوان شبيبتي وغلمة من الحي، ونحن نريد أن نأتي قبره لبعد صيته فينا وكثرة من يذكره منا. فانتهينا إلى كثيب

(١) عمر بن أحمد بن سميط: «تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت».

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحمر فيه كهوف كثيرة، فمضى بنا الرجل إلى كهف منها، فدخلنا وأمعنا فيه طويلاً، فانتهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما دون الآخر، وفيه خلل يدخل فيه الرجل النحيف. فدخلته فرأيت رجلاً على سرير شديد الأدمة طويل الوجه، كث اللحية قد يبس على سريره. فإذا مسست شيئًا من جسده أصبته صليبًا لم يتغير. ورأيت عند رأسه كتابًا بالعربية: أنا هود الذي أسفت على عاد بكفرها، وما كان لأمر الله من مرد. فقال علي: كذلك سمعت من أبى القاسم (محمد ﷺ). رواه ابن عساكر [1].

نص الجوهر الشفاف [2]:

قال علي بن أبي طالب للحضرمي: أتعرف موضع الأراك والسدرة الحمراء التي تقطر من أوراقها مثل الدم؟ وبعد أن أجاب الحضرمي بالإيجاب قال: إنه عندما أبصر القبر فإذا عند رأسه حجر على مثال اللوح مكتوب عليه بخط الهند والسند:

في السطر الأول: لا إلاه إلاّ الله محمد رسول الله ﷺ.

في السطر الثاني: وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا.

في السطر الثالث: أنا هود بن الخويلد بن سعيد بن نوح، جئتهم بالرسالة وبقيت فيهم مدة عمري فكذبوني. فأخذهم الله تعالى من بعدي بالريح العقيم. فلم يبق منهم أحد. وسيجيء من بعدي صالح بن كانون فيكذبه قومه. فتأخذهم الصيحة فيصبحوا في ديارهم جاثمين.

هذا وقد تعددت الأقوال والروايات التاريخية عن موقع قبر هود سواء في حضرموت أو خارجها. فهناك من يقول: إنه في المهرة أو في الشحر. وهناك من يقول: إنه في سوريا أو في فلسطين.

ومن قائل بأنه ما بين الركن والمقام وزمزم قبر ٩٩ نبيًا منهم: هود وصالح وشعيب وإسماعيل.

---

(١) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.
(٢) عبد الرحمن بن محمد الخطيب: الجوهر الشفاف.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف تحدد موقع قبر هود الحالي؟

كان الشِّعب المعروف الآن بشعب هود سوقًا تجاريًا لعرب الجاهلية يسمى سوق الشحر. وبمرور الزمن اقترن النشاط التجاري بنشاط تعبدي على اعتبار أنه في مكان ما من هذا الشِّعب يوجد قبر هود عليه السلام. وقد كانت الزيارة تقف في الموقع المعروف الآن ببئر التسليم. وبالكشف الرباني تم تحديد موقع قبر هود عليه السلام وبنيت عليه قبة. كما تحدد تمامًا بالكشف الرباني قبر الإمام المهاجر أحمد بن عيسى وبنيت عليه قبة. ويصف محمد عبد القادر بامطرف القبر كما رآه سنة ١٩٥٤م: بأنه عبارة عن كوم مستطيل من الحجارة الصغيرة. طوله ٩٢ قدمًا. وهو يقع إلى الشرق من بئر برهوت. فلا كثيب أحمر ولا كهف ويقول با مطرف: (ويحتمل أن يكون هذا المكان سوقًا من الأسواق اليمنية الموسمية القديمة، وقد أقيم فيها القبر ليعطيها طابعًا وثنيًا جذابًا. والتاريخ مليء بالأوهام التي دخلت عقول البسطاء من الناس. ثم صارت مع التقادم حقائق بحكم العاطفة الدينية). وقد ارتبطت أسرة آل باعباد بقبر النبي هود عليه السلام فهم أشبه بسدنة القبر يقومون بخدمة مصالحه وتقع تحت أيديهم أراضي شعب النبي هود. والشعب اليوم أشبه بمنطقة سكنية موسمية حيث أقيمت عليه البيوت (الخدور) والدكاكين والمصالح الأخرى.

تطور الزيارة تاريخيًا:

لم تكن زيارة شعب هود للتجارة والتبرك حديثة العهد. بل عرفت منذ العصر الجاهلي لا سيما وأن موقع الشعب يتمتع بميزات خاصة. فهو تجري من تحته مياه الغدير الذي أطلق عليه نهر هود. وتمتد على سفح الشعب مساحة فسيحة ويجثم القبر المكتشف على مكان مرتفع من الشعب. فالموقع من الناحية الطبيعية يشبه إلى حد ما ذلك الموقع المقدس لدى الهندوس حيث يجري نهر الكنج المقدس والذي يحج إليه الهندوس للعبادة والغسل والتطهير. وعرفت زيارة شعب هود خلال الأدوار الفكرية التي تطرقنا إليها في فصول هذا الكتاب على النحو الآتي:

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أ) في الدور الوثني : - كانت الزيارة للتجارة والتبرك .

(ب) في الدور الإباضي : - قال البحاثة الحضرمي الأستاذ عبد الله بن حسن بلفقيه : إن قبر هود ظاهر للزوار أيام الهمداني سنة ٣٣٤هـ . وإن الزيارة معمول بها أيام الإباضية . وإن الإباضية يزورون قبور أئمتهم وصلحائهم للترحم والتبرك . وقد أكدنا أنه منذ القرن الثالث الهجري لا هيمنة للإباضية في حضرموت .

(جـ) في الدور السني : - تقتصر الزيارة في الدور السني على التسليم والترحم فقط . بدأ بها المشايخ آل باعباد ثم العلويون بما فيهم الفقيه المقدم . أي أن الزيارة كانت على طريقة الفقهاء .

(د) في الدور الصوفي : - في عهد الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس (٨١١ - ٨٦٥هـ) انتقلت الزيارة من الطريقة الفقهية إلى الطريقة الصوفية التي أضافت التوسل والاستغاثة إلى الزيارة ويقول الصبان [1] : (بعد أن تحولت الزيارة من الزيارة الشرعية على طريقة الفقهاء إلى الطريقة الصوفية : طريقة المدد والتبرك بالمزار، أصبح لهذه الزيارة عوائد وطقوس منذ القرن التاسع الهجري).

هذا وقد انقطعت الزيارة لقبر النبي هود عليه السلام في الدور الاشتراكي. ثم أحييت اليوم بعد قيام الوحدة اليمنية على نفس الطريقة الصوفية .

(٤) موسم الزيارة :

كان موسم الزيارة في الدور الوثني في منتصف شهر شعبان ثم حولها الشيخ عبد الله بن محمد باعباد القديم المتوفى سنة ٦٨٧هـ موعدها إلى ما بعد الفراغ من حصاد التمر . أي أنه حول موسم الزيارة من التقويم القمري إلى التقويم الشمسي . ثم أعادها الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي المتوفى سنة ٩٩٢هـ إلى التقويم القمري فجعلها في شعبان والمبيت ليلة ١٥ شعبان . ثم طالب الإمام عبد الله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ بربط زيارة هود بالتقويم الشمسي ولكن هيهات وقد ارتبطت الزيارة بعادات وتقاليد يصعب محوها. والإمام الحداد نفسه يقول : إذا ترسخت العادة نسخت .

---

(١) عبد القادر بن محمد الصبان : زيارة النبي هود .

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تطور العمارة في شعب هود:

بعد أن تحدد موقع القبر على سفح الجبل، قام الشيخ حكم بن عبد الله باقشير المتوفى سنة ٨٧٨هـ بعمارة المشهد إذ كان سابقًا مكانًا وعرًا، وجعل على القبر سقفًا ومهد ما حوله. ثم أقام السيد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بلفقيه المتوفى سنة ١١٠٣هـ قبة عظيمة على جانب الحجرة المتصدعة التي يعتقد أنها رأس القبر [1]. ثم جاء علوي بن عبد الله الكاف في القرن الرابع عشر الهجري فزاد وتوسع في عمارة المشهد. فبنى درجًا يصعد من قاع السطح إلى الصخرة المسماة الناقة ثم إلى القبر في الأعلى. وبنى حول القبر موضعًا واسعًا، وموضعًا واسعًا آخر حول الصخرة بعد أن ردمه وسواه. وازدحم الشعب بالديار (الخدور) حيث ينزل الزوار. ومن أوسع المساجد التي بنيت في الشعب مسجد الشيخ باعباد.

(٦) مراسيم الزيارة [2]:

سن الداعون لإحياء الزيارة منذ القرن السابع والتاسع الهجري مراسيم الزيارة على الطريقة الصوفية ومزجوا الأنشطة التعبدية بالأنشطة الترويحية لإضفاء جاذبية وقابلية لدى العوام. وتحولت الزيارة إلى عادات وتقاليد راسخة مربوطة بمدينة تريم المركز الصوفي في حضرموت. وقد قيل: الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه. هذا وتمر مراسيم الزيارة بالخطوات الآتية:

التهويدة:

هي إعلان وإعلام مسبق وتذكير للناس بقرب موعد زيارة قبر النبي هود عليه السلام. تتم التهويدة في ساحات المساجد بعد خروج المصلين من صلاة العشاء في ليلة ٢٧ رجب حيث تتم قراءة قصة الإسراء والمعراج في المساجد. كما تتم التهويدة أيضًا في آخر يوم أربعاء من شهر رجب بعد خروج الناس أيضًا من المساجد بعد قراءة المولد وصلاة العشاء. والتهويدة هي رفع الصوت بشكل

(١) عبد الرحمن بن محمد المشهور: شمس الظهيرة.
(٢) عبد القادر بن محمد الصبان: زيارة النبي هود.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جماعي عند المناداة بعبارات من مثل:

- هود يا هود هو النبي.
- يا نبي الله هود.
- يا مولى النهر (يقصد النبي هود).

مناسك الزيارة:

وفي شعب هود حيث يوجد القبر تتم مراسيم الزيارة خلال ثلاثة أيام على شكل مواكب يقودها أحد المناصب. ويسمى الموكب الواحد الدخلة. تبدأ الدخلة من النهر وتنتهي بالصخرة بعد النزول من القبر، والعودة إلى الخدر حيث السكن والراحة. وأشهر الدخلات سبع وأعظمها دخلة آل الشيخ أبي بكر بن سالم. ثم دخلة آل شهاب. وهناك دخلة قبيلة المناهيل التي يقودها أحد مناصب آل الحامد.

تبدأ الدخلة بمسيرة أو موكب يتوجه نحو غدير الماء المسمى نهر هود. ولهذا ينادى هود بمولى النهر. يتقدم الموكب خدام السقاف بأناشيدهم وطبولهم ويليهم العمال والفلاحون بأهازيجهم. وتتالى مراسيم الزيارة على النحو الآتي:

ب - ١: الغسل في النهر:

عندما ينزل المنصب النهر للغسل والوضوء ينزع الزوار ثيابهم ما عدا مئزرهم ويتغسلون في النهر وكأنه رمز لتطهيرهم من الخطايا. وقد سجلت بعض حالات الغرق لمن لا يعرف السباحة في بعض المواسم.

ب - ٢: الشرب من النهر:

يتزاحم الزوار حول المنصب ليسقيهم بيديه من ماء النهر تبركًا ورمزًا إلى الشرب من الكوثر في الآخرة من يدي النبي محمد ﷺ جد المنصب. والشرب من ماء نهر هود بالنسبة للزوار كالشرب من ماء زمزم في مكة بالنسبة للحجاج. ويروج بأن نهر هود من أنهار الجنة.

ب - ٣: الصلاة:

بعد الغسل في النهر أو الوضوء بمائه يتوجه الزوار إلى موقع مرتفع يشرف على

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النهر يعرف بحصاة المحضار (وهو الصوفي الكبير عمر المحضار). وفي هذا الموقع يصلي الزوار صلاة سنة الوضوء حيث يؤمهم المنصب.

ب - ٤ : **التسليم :**

بعد الصلاة يتوجه الموكب من النهر إلى بئر التسليم وهو يردد الأذكار المناسبة. وحول بئر التسليم يحشد الزوار ويقرأ أحدهم السلام على الملائكة ثم الأنبياء ويردد الحشد بعده السلام. وبئر التسليم هذه بئر معطلة مدفونة ،عليها قبة صغيرة ويزعم العامة من الناس جهلاً منهم بأنها مدفن المؤمنين من قوم هود.

ب - ٥ : **الجلوس حول القبر :**

ومن ساحة بئر التسليم يصعد الموكب الطريق المدرج المؤدي إلى قبة قبر النبي هود عليه السلام فيسلم الزوار عليه ويجلسون لقراءة سورة هود من القرآن الكريم.

ب - ٦ : **مجلس الوعظ والإرشاد :**

بعد الانتهاء من قراءة سورة هود تحت قبة القبر ينزل الموكب راجعًا إلى موقع الصخرة المسماة الناقة حيث يقف المنصب وغيره من كبار العلويين لوعظ الزوار وتذكيرهم بأمور دينهم وآخرتهم وللتحدث عن مناقب الأسلاف كما تنشد الأذكار والأناشيد.

ح - **نهاية المناسك :**

وبانتهاء مجلس الوعظ والإرشاد تحت قبة الصخرة (الناقة) ينزل الزوار على نفس الطريق المدرج الذي صعدوا عليه متوجهين إلى خدورهم وهم يرددون عبارات القبول والتوسل مثل :

- يا الله يا لجمالة .
- زرنا وقد رجعنا وعسى القبول معنا .
- يا شيخنا يابن سالم (في حالة الموكب مرافق للمنصب من آل الشيخ أبي بكر بن سالم).

والجدير بالذكر أن دخلة آل الشيخ أبي بكر بن سالم تعتبر الدخلة العظمى

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلال موسم الزيارة. وفي هذه الدخلة ترفع أعلام المنصبة. وتتم هذه الدخلة ودخلة آل شهاب في صباح اليوم الأخير من الزيارة. وتستمر مراسيم الزيارة يومين تتخللها أعمال البيع والشراء والذبح والقدح والغسل في النهر والتآلف والتعارف ويروج بأن الضحكة الواحدة في شعب هود بتسبيحة واحدة.

٧. مدينة تريم البداية والنهاية:

من تريم المركز الروحي للصوفية تبدأ زيارة هود في اليوم السابع من شهر شعبان وكثيرًا ما يردد الزوار المقبلون على شعب النبي هود عبارة: يا نبي الله جينا إليك. وبالعودة إلى تريم تنتهي الزيارة في يوم ١٣ شعبان - أخذت بالاعتبار أيام الطريق من تريم إلى شعب هود ذهابًا وإيابًا حين كانت الزيارة بالسير على الأقدام أو الركوب على الجمال - بسباق النوق بالنسبة لركاب الجمال، وبدخلة الخابة (موكب المشاة) الذي من أهازيجه: زرنا وقد رجعنا عسى القبول معنا. وبعد عصر يوم ١٤ شعبان يتوزع أهل تريم إلى مجموعتين:

(أ) مجموعة العمال والفلاحين:

وهم من حي الخليف وعيديد. ويتحركون بموكبهم (الخابة) من مركز الحي المسمى المسمر أو بالقرب منه ويطوفون سبع مرات حول مقبرة الفريط وهي أقدم مقبرة في تريم وفيها مقابر علماء وفقهاء تريم الأوائل ويظللها جبل الفريط المبارك والذي ينمو كما يعتقدون في الموقع الذي تؤخذ منه أحجار لصنع شواهد قبور الموتى؟!. وفي نهاية الطواف الذي ينتهي من حيث بدأ يقومون بلعبة الرزيح، وهي القيام بحركات وخطوات بالرجلين بصورة إيقاعية إلى الأمام والخلف أو بالقفز الجماعي في مواقعهم. ويردد المشتركون في الرزيح أثناء حركاتهم العبارات المناسبة لروح الزيارة.

(ب) مجموعة الحضر:

يتوجه بقية أهل تريم وهم الحضر وفي مقدمتهم السادة العلويون إلى مقبرة زنبل المجاورة لمقبرة الفريط. علمًا أن في تريم ثلاث مقابر متجاورة هي: زنبل والفريط وأكدر يجمعها اسم واحد هو بشار فيقال للمقابر الثلاث: مقبرة بشار.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي مقبرة زنبل يرقد كبار الصوفية بأضرحتهم وقببهم المشهورة من مثل الفقيه المقدم والعيدروس والحداد والمحضار إلخ. وتعتبر زيارة هذه المجموعة امتدادًا لزيارة هود حيث تقرأ الأدعية والفواتح أمام قبور الصوفية وتنتهي الزيارة بكلمات الوعظ والإرشاد. وهكذا تتوج زيارة هود بزيارة الأولياء بعد زيارة الأنبياء.

(٨) الحج الأصغر:

تيمنًا واقتباسًا وتشبهًا بالحج الأكبر إلى مكة المكرمة ومنى وعرفات لأداء مناسك فريضة الحج تتم في حضرموت زيارة هود. وقيل: إن زيارة هود تقوم مقام الحج لمن لا يستطيع الحج من أهل حضرموت. وأطلق على زيارة هود الحج الأصغر. والذي نظم مناسك زيارة هود اقتبس كثيرًا من مناسك الحج كما يتضح في المشاهد التالية:

(أ) يوم النحر:

في العاشر من شهر شعبان يذبح زوار قبر النبي هود ذبائحهم في شعب هود تيمنًا باليوم العاشر من شهر ذي الحجة المعروف بيوم النحر وهو يوم زيارة الشيخ أبي بكر بن سالم.

(ب) الوقفة:

في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة يقف حجاج بيت الله الحرام في جبل عرفات. ومن أدرك الوقوف بعرفات أدرك الحج. وبالمقابل فالزيارة العظمى لزوار هود هي اليوم العاشر من شعبان حيث تتم مناسك زيارة آل الشيخ أبي بكر بن سالم.

(ج) النفرة:

وكما ينفر حجاج بيت الله من عرفات ينفر زوار قبر هود من شعب هود بعد زيارة آل الشيخ أبي بكر بن سالم.

(٩) نقد الزيارة:

من أخطر أساليب التربية أن تتحول بعض المفاهيم والقيم والسلوكيات الخاطئة إلى عادات وتقاليد بفعل الممارسة والتكرار على مرور الأيام والسنين.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعادة ما يقوم الملأ الأعلى في المجتمع بترسيخ هذه العادات والتقاليد، ويتقبلها الملأ الأدنى في المجتمع خاصة العوام والسذج والجهلة من الناس. وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الحالات، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝٦٧ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب :٦٧-٦٨]. وتكمن الخطورة في كونها إذا ما تماسكت واستحكمت كعادات وتقاليد دينية راسخة في حياتهم أصبح من الصعب تركها والتخلص منها. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان :٢١] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة :١٧٠] وزيارة قبر النبي هود عليه السلام قد ترسخت في حياة المجتمع الحضرمي وأصبحت عادة مستحكمة مشوبة بأعمال مخلة من الناحية العقدية إسلاميًا. وإلى اليوم ينشد الناشدون قصيدة يقولون فيها:

هود النبي المرسل بوادي الأحقاف قبره صحبح
سِرْ، زره واحذر تكسل واطلب مرادك منه حول الضريح

كما أن هذه الزيارة أقيمت وتأطرت وفقًا والفكر الصوفي الحضرمي الذي تجاوزه الزمن اليوم بعد انتشار العلم وانقشاع غشاوة الجهل من أعين الناس في المجتمع. ومن يحاول اليوم إحياء هذه العادة فهو كمن يسبح معاكسًا لتيار الصحوة الإسلامية. ففي عام ١٤١٦هـ كنت من بين من حضر زيارة هود. وفي قبة القبر تناولت كتيبًا عن آداب الزيارة ومما في هذا الكتيب توصية بعدم تقبيل القبر لأنه مخل بالعقيدة الإسلامية. ولكن العادة المترسخة لدى السذج والعوام لم تنصت لهذه النصيحة وأقبل هؤلاء على الصخور والأحجار التي يعتقدون أنها مقدمة رأس القبر، يدخلون رءوسهم وصدورهم في شقوق هذه الصخور ويتمسحون بها. وكثير من هؤلاء الزوار السذج من يغمس أصبعه في زيت مدهنة موضوعة بالقرب من فوهة القبر المزعوم ويمسح بالزيت على سطوح الصخر ثم يتمسح بهذه السطوح تبركًا. وقد أصبحت هذه السطوح ملساء سوداء من كثرة التمسح بها. وتخفي هذه العادة المستحكمة اعتقادًا بقدسية هذه الشقوق التي

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحدثها انفلاق الحجر لولوج النبي هود واختفائه داخلها. إن هذه العادة تجسد الوثنية بعينها. لماذا لا تبعد هذه المدهنة؟ ولماذا لا تزال هذه الصخور المشققة الخرافية ولماذا لا يحذر الوعاظ والمرشدون من مغبة هذا السلوك الوثني؟ وإذا كان السكوت على هذه الأعمال المخلة رضا فهنا يكمن الخطر.

وإذا استثنينا هذه المظاهر الضلالية فإن زيارة هود متميزة عن كثير من زيارات القبور الأخرى فهي بريئة من الابتذال والاختلاط وترك الصلوات. ولا تخرج مراسيمها عن الأذكار والصلوات والدعوات وقراءة القرآن الكريم ومجالس الوعظ والإرشاد كما عاينت ذلك بنفسي. وهذا خلاف ما يحدث في بعض الزيارات الأخرى لقبور الأولياء والصالحين. فقد حدثني زميل من أهل الشحر أنه شاهد في ليلة ٢٩رمضان عام ١٤١٧هـ أثناء الاحتفال بزيارة الولي بالشحر الرجال والنساء يموج بعضهم في بعض في مرح ولهو وتزمير وضرب على الطبول. وقد سهر الناس في تلك الليلة حتى الفجر دون أن يمسك الكثير منهم لصيام الغد من شهر رمضان. وقد استنكر المنصب مثل تلك الأعمال المخلة بالدين والآداب الإسلامية، غير أنه أضاف قائلاً: إن السلف قد أسسوا هذه الزيارة وهم قدوتنا وعملهم فيه خير. وعقب زميلي شاهد العيان بقوله: يا ليت الواعظ قال للناس: إن هذه الزيارة التي أسسها أسلافنا لعمل الخير قد خرجت عن مسارها الصحيح وأورثت مفاسد وأصبحت عادة مستحكمة قبيحة فيجب إبطالها. وزيارة هود قد كانت لها نكهتها الشعبية وطابعها المحلي، أما اليوم فقد عمل المروجون لها على (عولمة) هذه الزيارة فدعوا إليها شخصيات من مختلف أنحاء العالم حتى قيل: إن الغرباء الزائرين قد فاقوا الزوار المحليين في زيارة عام ١٤١٨هـ. فهل في هذا تحول عن سلفية الزيارة مجاراة للزمن والعصر؟؟.

موقف الصوفية من السلطة:

قاد العلويون الحضرميون الحياة الصوفية خلال الدور الصوفي وبلغوا قمة الهرم الاجتماعي عبر نفوذ الفكر الصوفي في المجتمع. وملكوا قلوب الناس من حضر وبدو وعوام وسذج وعلماء وفقهاء. ومن موقع نفوذهم الروحي هذا احاطوا بالنفوذ السياسي وأداروه. بل وكوّن مناصب الصوفية عامة مناطق نفوذ

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ديني سياسي اجتماعي سميت حوط أو أربطة أو مقامات ذات نفوذ وسلطة على قبائل معينة يتولى أمرها المناصب. وقد اعتبر المنصب العمودي نفسه شيخ القبائل الحضرمية الدوعنية.

ويشير التراث الفكري العلوي إلى التأثير الفكري الصوفي الذي أحكم حول حكام حضرموت وأحيط بهم مبينًا أن استقامة العقيدة والتوفيق في الدنيا والآخرة مربوطان ومرهونان بالتشيع لأهل البيت. وأن صلاح عقيدة المسلم يقوم على أساس حب العلويين وحسن الظن بهم، وأن فساد العقيدة ينشأ من سوء الظن بهم. وأن كثيرًا من الحكام إنما ينتصرون ويتوفقون في مساعيهم السياسية بفضل رضاء العلويين عنهم، وينكبون لعدم رضاء العلويين عنهم. فقيام دولة آل يماني مثلاً كانت بدعوة ورضاء من العلويين. وكانت نهاية دولتهم نتيجة عدم رضائهم عنها حين شاء العلويون أن يستبدلوهم بآل كثير. يقول صالح بن علي الحامد [1]: لم تتبدل الدولة اليمانية في تريم حتى شاء الله وذلك بعد أن شاء العلويون ورأوا في ذلك المصلحة العامة، فاستولى آل كثير عليها. وفي الواقع أنه لم يكن خروج آل يماني من تريم واستيلاء آل كثير عليها بفعل (رضا) العلويين عن آل كثير وغضبهم على آل يماني، وإنما كان بفعل السلاح الجهنمي الجديد (بنادق أبي فتيلة) التي تسمى علوق الروم (أي الأتراك) والتي استخدمها جنود السلطان بدر الكثيري والتي حصل عليها من الأتراك. قال الأستاذ محمد بن هاشم: (في شهر الحجة من هذه السنة اتجه السلطان بدر وجنوده نحو تريم وبها محمد بن أحمد بن جردان وآل يماني وآل عمر فتحصن أهلها وحاصرها السلطان نحو عشرين يومًا ثم رماها بعلوق الروم فاستسلموا وبذلوا الطاعة وسلموا البلاد عام ٩٢٧هـ) [2]. أما ما ادعاه الأستاذ صالح بن علي الحامد فمن مزالق نزعته الشيعية التي اتصف بها الفكر الصوفي الحضرمي. ويربط الأستاذ محمد بن هاشم قيام الدولة الكثيرية بدعوات وتضرعات العلويين أمام قبر هود بعد أن اكتشف سبعة من العلويين في تجلياتهم بشعب هود أن السلطان بدر الكثيري

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.
(٢) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينتسب إلى يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام. وقد استجاب لدعواتهم بظهور آثار الاستجابة في السنة نفسها حيث استولى السلطان بدر على حضرموت كلها ونشر العدل فيها[1]. هذا وقد علق الدكتور سرجنت على الزعم القائل بأن السلطان بدر الكثيري ينتسب إلى النبي هود عليه السلام بقوله: لا يوجد أي سند تاريخي يؤكد هذه النسبة. هذا كما أن الواقع التاريخي يؤكد كثرة الفتن والتمردات والحروب القبلية في عهد السلطان بدر بو طويرق وهو القائل: كلما داويت جرحًا سال جرح. كما كانت لهذا السلطان (العادل) مواقف مشينة تجاه فقهاء وعلماء عصره فقد أتهم الشيخ معروف بن عبد الله باجمال الصوفي الشهير بتأجيج الفتنة ضده في شبام فقبض عليه وأهانه بأن أمر بربط عنقه بحبل والطواف به في البلاد والمناداة هذا معبودكم يا أهل شبام! وتنتهي سطوة هذا السلطان الشجاع بقيام ابنه عبد الله بن بدر بتجريده من الحكم والقذف به في السجن.

ويعطي الأستاذ صالح بن علي الحامد مثلاً آخر عن مغبة الحكام ومصيرهم السيئ لسوء ظنهم بالعلويين فيقول عن مصير أم أبي دجانة أمير الشجر[2]: (فبالرغم من حزم هذه المرأة وعزمها في أمور دنياها في السياسة، وصواب آرائها وهي الناصحة لابنها بعدم غزو عدن، وهي التي سافرت إلى عدن وفاوضت الطاهريين في فك أسر ابنها؛ فإنها كانت سيئة الظن بالشيخ عبد الله العيدروس. وهذا دليل على فساد عقيدتها في الصالحين وسوء رأيها فيهم. فعاشت بقية حياتها في الغيل لم يصف لها صبح ولا ليل. وذاقت بعد عزها ذلاً. فنعوذ بالله من الوقيعة في عباده بإساءة الظن بأهل وداده رضي الله تعالى عنهم). هذا وقد بذل السادة العلويون أموالهم لإسقاط الحكام المضادين لهم وإقامة الحكام الموالين والمحبين لهم. فقد اعتبر مؤلف العقود العسجدية[3] إنهاء حكم ملشيات يافع في تريم سنة ١٢٦٥هـ الموافق سنة ١٨٤٩م ثورة كبرى[4] شارك

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية.
(٢) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.
(٣)، (٤) عبد القادر بن الرحمن بن عمر الجنيد: العقود العسجدية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها بفاعلية أحمد بن علي الجنيد الذي دفع لغرامة مقابل تخليه عن نصيبه في تريم مبلغًا من المال بواسطة السيد عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي.

وكانت الصفقة السياسية لصالح السلطان غالب بن محسن الكثيري. وبادر السيد عمر بن علي الجنيد في سنغافورة إلى دعم السلطان غالب بن محسن الكثيري بـ (٣٠) عبدا من المماليك وبمبلغ ضخم من المال وبكمية كبيرة من الأسلحة مكونة من عدة مدافع حربية مكتوب على كل منها باللغة العربية (الجنيد). فحظي أحمد بن علي الجنيد بمكانة مرموقة وكلمة مسموعة لدى السلطان الكثيري لأنه قد اشترى له ملكًا. فكان الجنيد يوجه السلطان ويرشده وينصحه إشارة وتلويحًا وتصريحًا وبكل الأساليب. ويروي السيد أحمد بن محمد المحضار أنه عندما كان في طريقه إلى الحج ومعه السادة: عبد الرحمن بن علي بن عمر السقاف، ومحمد بن علي بن علوي السقاف، وشيخ بن محمد الحبشي، اجتمعوا بأحد أمراء الأشراف بالمخلاف السليماني فسألهم عن أمراء بلادهم فأخبروه بعد أن أحفاهم بالسؤال: إن أحدهم (وهو القعيطي) من حمير والثاني (وهو الكثيري) من همدان. فأقحمتهم عينه ولامهم على خضوعهم لمن سواهم. فقال له المحضار: إنما هم أخدام لنا والأمر أمرنا [1]. ولم يقف تدخل العلويين عند تأييد الحكام المحليين المحبين لهم ومنابذة الحكام المناوئين لأفكارهم بل تجاوز ذلك إلى استخدام القبائل في الصراع بين رموز التصوف منهم. كما حصل عندما اختلفوا حول وضع التوابيت على الأضرحة. ففي سنة ١١٦١هـ [2] أرسل أحد مشايخ آل العمودي تابوتًا لضريح شيخه عبد الله بن علوي الحداد بتريم مجاراة للتابوت الذي كان على ضريح الشيخ العيدروس بتريم. فاستعر الخلاف بين العلويين. فلم يرض آل العيدروس أن ينافسهم آل الحداد بتابوت على ضريح جدهم عبد الله بن علوي الحداد. في حين وقف آل الشيخ أبي بكر بن سالم مؤيدين وضع التابوت على ضريح الحداد ممثلين بمنصبهم في عينات أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم. فتحول هذا

(١) عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: نسيم حاجر في تأييد قولي على مذهب المهاجر.
(٢) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلاف إلى نزاع عسكري بين يافع الذين انتصروا لحباييبهم آل الشيخ أبي بكر بن سالم وبين آل كثير الذين انتصروا لحباييبهم آل العيدروس.

وقد أصيب في هذا الصراع المسلح أخو المنصب صالح بن علي برصاصة في رأسه وحمل إلى عينات حيث مات. وانتزع التابوت قبائل يافع وحفظوه لديهم ثم وضع على قبر الحداد بإصرار من المنصب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم بحضور وحراسة يافع. فاستنفر آل العيدروس قبائل الشنافر واحتدم الصراع الذي أدى في النهاية إلى حرق التابوتين على قبري الشيخين الحداد والعيدروس، مما ورث مشاحنات بين آل الحداد وآل العيدروس استمرت فترة طويلة. وأخيرًا انتصر كل فريق لقبر جده. فتوج القبران بتابوتين مصنوعين من أخشاب هندية.

موقف الصوفية من الغزو الخارجي:

تعرضت حضرموت خلال الدور الصوفي لغزوات عسكرية من جيرانها أصحاب المذاهب المعارضة للفكر الصوفي. وكان لرجال الصوفية موقف مقاوم لهذا الغزو. وبالرغم من ادعاء قادة هذه الحملات العسكرية الغازية بأنهم جاءوا لإنقاذ حضرموت من الوثنية والشرك، ولإعادة الفكر التوحيدي لحضرموت، وإزالة وإبطال كثير من مظاهر الفكر الصوفي المنتشرة في البلاد، فإن جميع هذه الحملات باءت بالفشل الذريع في تحقيق أهدافها الفكرية أمام تمكن الفكر الصوفي الحضرمي في أوساط المجتمع والتصدي لمقارعة الغزاة بقيادة رجال الفكر الصوفي ومقاومة حملة السلاح.. وهذه الحملات هي:

الحملة الزيدية:

في عام ١٠٦٩هـ جهز إمام الزيدية في شمال اليمن المتوكل على الله إسماعيل جيشًا تحت قيادة أحمد بن الحسن الصفي. وقد سمي هو وجيشه (سيل الليل) لقوة جيشه وبطشه ولكثرة غزواته ليلاً. وفي عام ١٠٧٠هـ تمكن هذا الجيش من الاستيلاء على حضرموت وعمت طاعته جميع أنحائها قهرًا بالسيف. وفرض هذا الغزو تغييرات دينية مثل إضافة عبارة (حيَّ على خير العمل) في الأذان ومثل إبطال قراءة الأوراد والرواتب وغيرها من الأذكار المعتادة في حضرموت. ولم

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يدم القائد الزيدي طويلاً في حضرموت إذ أسرع قافلاً وعاد إلى صنعاء محملاً بالغنائم وأناب على حضرموت عاملاً له السلطان بدر بن عمر الكثيري، قال الكبسي: (وقد عاد مولانا أحمد من حضرموت في أبهة عظيمة ومملكة جسيمة وقد فاز بخير الدنيا والآخرة) (١).

وبعد صراع وتنافس بين أمراء آل كثير وعدم رضا الصوفية العلويين عن النفوذ الزيدي في حضرموت، وبتدخل ودعم من علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم منصب عينات الذي يتمتع بنفوذ روحي على قبائل يافع استقدم السلطان بدر بن محمد المردوف جيشًا مكونًا من ستة آلاف عسكري من يافع تحت قيادة عمر بن صالح بن هرهرة وأزاح به النفوذ الزيدي على حضرموت (٢).

ويذكر صلاح البكري أنه في آواخر ١٠٩٣هـ انتهز السلطان حسن بن عبد الله الكثيري ضعف دولة الأئمة واستقلال أمراء المناطق فخلع طاعة الإمام وقطع جميع صلاته باليمن وقام بالأمر بنفسه (٣).

هذا ولم تكن هذه الحملة الزيدية على حضرموت أول اتصال بين الأئمة الزيدية وحضرموت. فقد سبقتها دعوة منهم لحضرموت بالدخول في طاعة الأئمة الزيدية. وقد رد الصوفي السيد علي بن عبد الله العيدروس على الإمام الزيدي الحسن بن القاسم رافضًا الإذعان لطاعة الأئمة الزيدية ومتمسكًا بمذهب أهل السنة في الأصول والفروع. كما أنها -أي الحملة الزيدية- لم تكن آخر اتصال إذ قد حصل اتصال آخر بين الإمام يحيى حميد الدين والسلطانين منصور ومحسن ابني غالب بن محسن الكثيري وقد تولى السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف كتابة رد السلطانين على رسالة الإمام يحيى لهما (٤).

(ب) الحملة الإسماعيلية:

تعرف هذه الحملة بحملة المكرمي. فقد وصل إلى حضرموت في يوم الحادي

(١) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف.
(٢) انجرامز: تقرير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بحضرموت.
(٣) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي.
(٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عشر من شوال عام ١١٧١هـ الحسن بن هبة الله المكرمي وولده أحمد وأولاد أخيه إسماعيل وجماعات كثيرة من مرة ويام والكرب، ونصبوا خيامهم في سحيل شبام. واجتمعت قبائل حضرموت: آل جابر وآل كثير ويافع وبنو سعد والعوامر وغيرهم في قرية ذي أصبح، وأجمعوا أمرهم على محاربة المكرمي وعسكره. وكانت ملحمة كبرى قتل فيها جماعة من قبائل حضرموت و(٣٣) من عسكر المكرمي.

وكانت الغلبة لعسكر المكرمي. ولبث المكرمي ومن معه بتلك الجهة ثلاثة أشهر إلاّ قليلاً وشبام محصورة بعسكره حتى صالحه أهلها على خمسة آلاف ريال، فارتفع وعاد إلى بلاده في فاتحة محرم سنة ١١٧٢هـ [1].

مصداقية المؤرخين:

اعتمدنا كتاب بضائع التابوت في نُتف من تاريخ حضرموت في وصف حملة المكرمي المذكور لأن المكارمة هم أصحاب المذهب الإسماعيلي في اليمن. والإسماعيلية منتشرة بين قبائل يام اليمنية في نجران وقد اصطحب المكرمي مع جيشه في طريقه إلى حضرموت قبائل من الكرب التي لديها الاستعداد للارتزاق. وبالرغم من توافق وتقارب المؤرخين الحضارمة في وصفهم لهذه الحملة ومبقاتها وحصارها لشبام من جهة السحيل وأنها تحمل فكرًا معارضًا للفكر الصوفي في حضرموت فقد اختلفوا في نوع مذهبها والجهة التي أتت منها فقال:

المؤرخ باحنان:

زحف على حضرموت حسن وهبة المكرمي الإباضي بأربعة آلاف جندي من جهة عمان.

وفي البدء تظاهر قائد هذه الحملة بنصرة الشريعة ومحو الطاغوت. ولكن كشف سره وتمت مقاومته حتى اضطر إلى المصالحة والرحيل عن حضرموت بعد ٤٠ يومًا [2].

(١) عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت.
(٢) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) المؤرخ محمد بن هاشم:

وقد عاصر حملة المكرمي الإمام محمد بن زين بن سميط العلوي وكانت بين الرجلين مكاتبات وصفت بالود وحسن الخطاب [١].

(٣) المؤرخ عبد الله بن محمد السقاف:

يقول مؤلف تاريخ الشعراء الحضرميين: في سنة ١١٧٥هـ عسكر المكرمي النجدي الوهابي بجيش جرار بمسيل شبام لاكتساح حضرموت من أقصاها إلى أقصاها وإخضاع أهلها على اعتناق المذهب الوهابي.

إن النزعة الذاتية الشيعية للسيد السقاف في سرد المعلومة التاريخية واضحة البيان فهو:

- قد وصف الحملة بأنها وهابية نجدية، والمعروف أن الفكر الوهابي مناقض للفكر الصوفي والشيعي ومناصر للفكر السني التجديدي. وسيكون متناقضًا مع نزعته لو وصف الحملة بأنها إسماعيلية لأن المذهب الإسماعيلي مذهب شيعي رافضي.

- أعطى أهمية كبرى للدور المنقذ من ويلات هذه الحملة للسيد سقاف بن محمد السقاف العلوي الحضرمي وهو بيت القصيد فيقول: «ولقد جبنت حضرموت -وهذا تعريض بالقبائل- على مناهضة المكرمي ومنازلة جيوشه لقلة الحضرميين المسلحين وكثرة جموعه وقوة بأس النجديين وضعف الوطنيين وتخاذلهم وتفرق كلمتهم. فهل في السويداء غير السيد سقاف بن محمد بن عمر السقاف العلوي فيصمد له مفاوضًا معه حتى أسفرت المفاوضة عن اقتناع تام والحيلولة بينه وبين حضرموت. فيرحل إلى نجد من غير أن تمس حضرموت بأذى كما تعهد لمفاوضه بذلك» [٢].

(ح) الحملة الوهابية:

تذكر المصادر الحضرمية أن الوهابيين قد غزو حضرموت بحملتين من (الأخوان) أو (الموحدين) في عهد السلطان عمر بن جعفر بن علي الكثيري،

---

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية.
(٢) محمد عبد الله السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأولى كانت بقيادة ابن قملا عام ١٢٢٤هـ وكانت الثانية بقيادة ناجي بن محمد مشاري عام ١٢٢٧هـ. ونورد هنا حملة ابن قملا لأهميتها الفكرية.

حملة ابن قملا:

في سنة ١٢٢٤هـ وصل إلى حضرموت ناجي بن قملا النجدي بجيش عرمرم اكتسح به حضرموت لإنقاذ أهلها من الوثنية كما أعلن. ودخل تريم وحرق بعض كتبها كما قيل. وحرق بعض توابيتها، وكسر ألواح قبورها، وحبس بعض مناصب الجهة، ومنع الأذكار والتذكير والحضرات والطرق الصوفية. كما وصل بجيشه عينات ولكن بعد أن أبعدت التوابيت من على الأضرحة قبل دخول النجديين إليها فسلمت من الحريق. ثم توجه جيش ابن قملا إلى قبر النبي هود عليه السلام. وكلما دخلوا بلدًا كسروا قببها ومشاهدها وألواح قبورها. وأبطلت الاستغاثة والتوسل وغيرهما مما يخالف عقيدة التوحيد. ولما دخلوا عينات كانوا ينشدون:

سلام على من وحد الله ولا على الشرك السلام

هذا وقد تعهد عبد الله بن يماني وعبد الله بن عوض غرامة اليافعي حاكم تريم بنشر مبادئ ابن قملا ومذهبه، ومحاربة الخرافات بحضرموت فعاد ابن قملا بجيشه راجعًا بلاده بعد أن أقام وجيشه أربعين يومًا فقط. وعندما جاء موعد زيارة قبر النبي هود عليه السلام منع ابن يماني وغرامة المذكوران الاستغاثة المعتادة بالصالحين مثل قولهم:

- يا شيخ يابن سالم!
- يا شيخنا يا حداد!
- يا عيدروس!

وغير ذلك. وأمرا بأن يستعاض عنها بعبارة: سبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه (١).

(١) يقال إن السيد عبد الله بن حسين بلفقيه هو الذي أوعز بهذا الرجز لتؤديه أمام بيت غرامة رجال الخابة محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أصبحت هذه العبارة باقية إلى اليوم في أهازيج العمال ولكن لم تمح عبارات الاستغاثة السابقة إلى اليوم ويرددها العمال والفلاحون في أهازيجهم (الخابة) سواء في شعب هود أثناء دخلات المناصب أو في تريم أثناء أفراح الشعبانية التي تقام بعد العودة من زيارة قبر النبي هود عليه السلام في ١٤شعبان.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس الدور التنويري

الحالة السياسية

١. توطيد النفوذ الاستعماري

أ- التصفيات النهائية بين أرباب الطموح السياسي:

شهدت السنوات الأخيرة من الدور الصوفي صراعًا قبليًا من أجل الحكم. فآل كثير ينهضون من جديد لاستعادة ملكهم الممزق بين أمراء يافع قادة جيشهم النليد. وآل القعيطي يتطلعون إلى وراثة آل كثير في حكم حضرموت كلها. وآل العولقي يضعون حجر الأساس لدولة لهم في قرية الصداع بالقرب من غيل باوزير التي اشتروها من آل بريك -حكام مدينة الشحر-. وآل الكسادي حكام المكلا يدخلون حلبة الصراع.

ويبدأ الصراع من أجل الحكم في لعبة سياسية يراقبها البريطانيون عن كثب من معقلهم في مستعمرة عدن ليتدخلوا في آخر الأمر لإنهاء المبارزة المريرة لصالح آل القعيطي وتحجيم آل كثير في جيب صغير بوادي حضرموت. ويخرج من اللعبة السياسية مهزومًا ابن بريك والكسادي والعولقي لصالح القعيطي الذي استولى على الشحر والمكلا والصداع وتوغل في بقية مناطق حضرموت مستعينًا بشخصيتين حضرميتين هما المقدم عمر بن أحمد باصرة السيباني -خاصة في وادي دوعن- والوزير المحنك السيد حسين بن حامد المحضار.

وبقي لآل كثير مواطن الاتحاد الشنفري الذي يمثل آل كثير فيه موقع الدولة والحكم.

ب - التدخل البريطاني في الشئون الحضرمية:

(١) البداية:

منذ أن احتل البريطانيون عدن عام ١٨٣٩م واستعمروها أخذوا يخططون لاستقطاع الجزء الجنوبي والشرقي من اليمن في إطار سياسة (التقدم نحو الأمام) وسياسة (فرق تسد).

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالنسبة لحضرموت كانت الخطة البريطانية الاعتماد على السلطان القعيطي الذي أخذ نفوذه ينمو ويتسع في حضرموت. وقد عبر عن هذا الشاعر الحميني فقال:

لولا الهام اللي هو محتوي ما غزت الخيسة شبام العالية

والهام هو الشعبان ويقصد به بريطانيا والخيسة الاسم القديم للمكلا. فعقد الإنجليز مع القعيطي معاهدة الحماية لتشمل في النهاية حضرموت كلها. فعندما نشب النزاع المسلح بين أمير المكلا النقيب عمر بن صلاح الكسادي والسلطان عوض بن عمر القعيطي تدخل الإنجليز ونفوا النقيب عمر بن صلاح الكسادي خارج حضرموت على بارجة نقلته إلى عدن في ١/ ١١/ ١٨٨١م ثم نفوه إليجزيرة زنجبار في يناير ١٨٨٢م. والجدير بالذكر أن السلطان عوض بن عمر القعيطي قد استولى على الشحر سنة ١٢٨٣هـ باتفاق مع أمير المكلا وقتها النقيب علي بن محمد الكسادي الذي كان قد دحر السلطان غالب بن محسن الكثيري من الشحر[1].

(٢) معاهدة الحماية البريطانية سنة ١٨٨٨م:

أبرمت هذه المعاهدة بين السلطان عوض بن عمر القعيطي وبريطانيا ممثلة بحاكم عدن الجنرال (هيوج) بتاريخ ٢١جمادى الثانية سنة ١٣٠٥هـ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٨٨٨م.

وتعتبر معاهدة الحماية هذه حلقة في سلسلة من المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع أمراء وشيوخ وسلاطين جنوب وشرق اليمن والتي حققت لبريطانيا هيمنتها السياسية والعسكرية على ما أسمته بمحميتي عدن الغربية والشرقية.

(٣) معاهدة الصلح العام سنة ١٣٣٦هـ:

كان الهدف من هذه المعاهدة إلزام السلطنة الكثيرية بمعاهدة الحماية البريطانية

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرتفعة في سنة ١٨٨٨م آنفة الذكر. وعقد صلح بين السلطنتين الحضرميتين القعيطية والكثيرية. وتثبيت الأوضاع السياسية في حضرموت.

وقد أبرمت معاهدة الصلح هذه في عدن بتاريخ ٢٧شعبان سنة ١٣٣٦هـ الموافق عام ١٩١٨م. ووقعها عن الجانب الكثيري السلطانان منصور بن غالب الكثيري وأخوه محسن بن غالب الكثيري. ووقعها عن الجانب القعيطي السلطانان غالب بن عوض القعيطي وأخوه عمر بن عوض القعيطي. وشهد على هذه المعاهدة عدد من الجانبين كان أهمهم السيد حسين بن حامد المحضار من آل الشيخ أبي بكر بن سالم الوزير الداهية للسلطنة القعيطية الذي لعب دورًا هامًا في صياغة بنود هذه المعاهدة التي شملت ١١بندًا. ومما جاء في شروط الصلح هذه:

١- قبول سلاطين آل كثير بمعاهدة الحماية البريطانية على حضرموت التي رفعها السلطان القعيطي مع الإنجليز عام ١٨٨٨م.

٢- إقرار الطرفين (القعيطي والكثيري) بتبعية حضرموت لبريطانيا وتحكيم والي عدن البريطاني في أي خلاف ينشأ بين الطرفين القعيطي والكثيري.

٣- التزام الطرفين باحترام السادة العلويين والعمل معًا لإصلاح حضرموت ورقيها وبهذه المعاهدة تحقق للعلويين دون غيرهم من فئات الشعب الحضرمي فرض مكانتهم الاجتماعية بمعاهدة سياسية بين النظامين السياسيين في حضرموت وبحماية من دولة أجنبية استعمارية.

(٤) معاهدة الاستشارة: ١٣٥٥هـ

وفي خطوة متقدمة نحو التدخل البريطاني في الشئون الحضرمية أبرم الإنجليز معاهدة الاستشارة التي تلزم السلطنتين الحضرميتين بقبول الاستشارة البريطانية في ما عدا الدين (١) والعادات والتقاليد وقد أمضاها السلطان صالح بن غالب القعيطي في أغسطس عام ١٩٣٧م.

(١) يقصد بالدين الأحوال الشخصية والعقيدة والعبادات أما جوانب الإسلام الأخرى فهي مرهونة بالمعاهدات.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أمضى مثلها السلطان جعفر بن منصور الكثيري سنة ١٩٣٩م. ١٣٥٧هـ

أثار توقيع الحكام على معاهدة الاستشارة ضجة سياسية وفكرية واجتماعية في أوساط المثقفين الواعين من المواطنين. ويقول الأستاذ محمد أحمد الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي: (اختلفت آراء المتكلمين فيها ما بين ساخط على وقوع هذه المعاهدة رهبة من العواقب الوخيمة الناتجة عنها، وما بين راضٍ به رغبة في أمن شامل يقضي على ما مني به هذا القطر من الفتن الهوجاء والحروب القبلية والظلم الفظيع طبقًا للمثل القائل (ارحمني ولو إلى النار) وكأنهم يرون في هذا الأمن فرصة لعمل ما يمكنهم أن يقوموا به من تقدم وإصلاح).

فمن الساخطين عليها الشاعر الشعبي الغيور المغترب في الهند صلاح بن أحمد الأحمدي اليافعي الحضرمي الذي أدان كل من أسهم أو غض الطرف عن هذه المعاهدة في قصيدة يقول فيها:

أبديت بك وأدعوك يا مطلق من الساق القيود
يا حي يا قيوم يا جيد وغيرك ما يجود
راحت جهة لحقاف لحمة فاس سرحت بالبرود
راحت مع الصاحب [1] بلا قيمة ولا سلم نقود
وباتقع فيها الكنائس والبراكس [2] للجنود
آه على الأوطان يا غبني على مثوى الجدود
كم صحت كم ناديت كم بينت به قبل الوجود
لكنني مغذور واحد عود ما منه وقود
أين الذي قالوا حميناها بأسرار الجدود
هم حضروا البيعة وهم وقعوا على البيعة شهود

ومن الراضين بها الشاعر المتخفي الذي اعتبر المعاهدة نقطة تحول في تاريخ وحياة حضرموت التواقة للأمن والاستقرار. فحيا في قصيدته الطويلة السلاطين

---

(١) الصاحب: الإنجليز.
(٢) البراكس: الثكنات.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمستشار الإنجليزي هارلود إنجرامس ومن سعى إلى توقيع معاهدة الاستشارة ومن كانوا على البيعة شهود. وتهجم على القبائل أصحاب الفتن في حضرموت. ويقول:

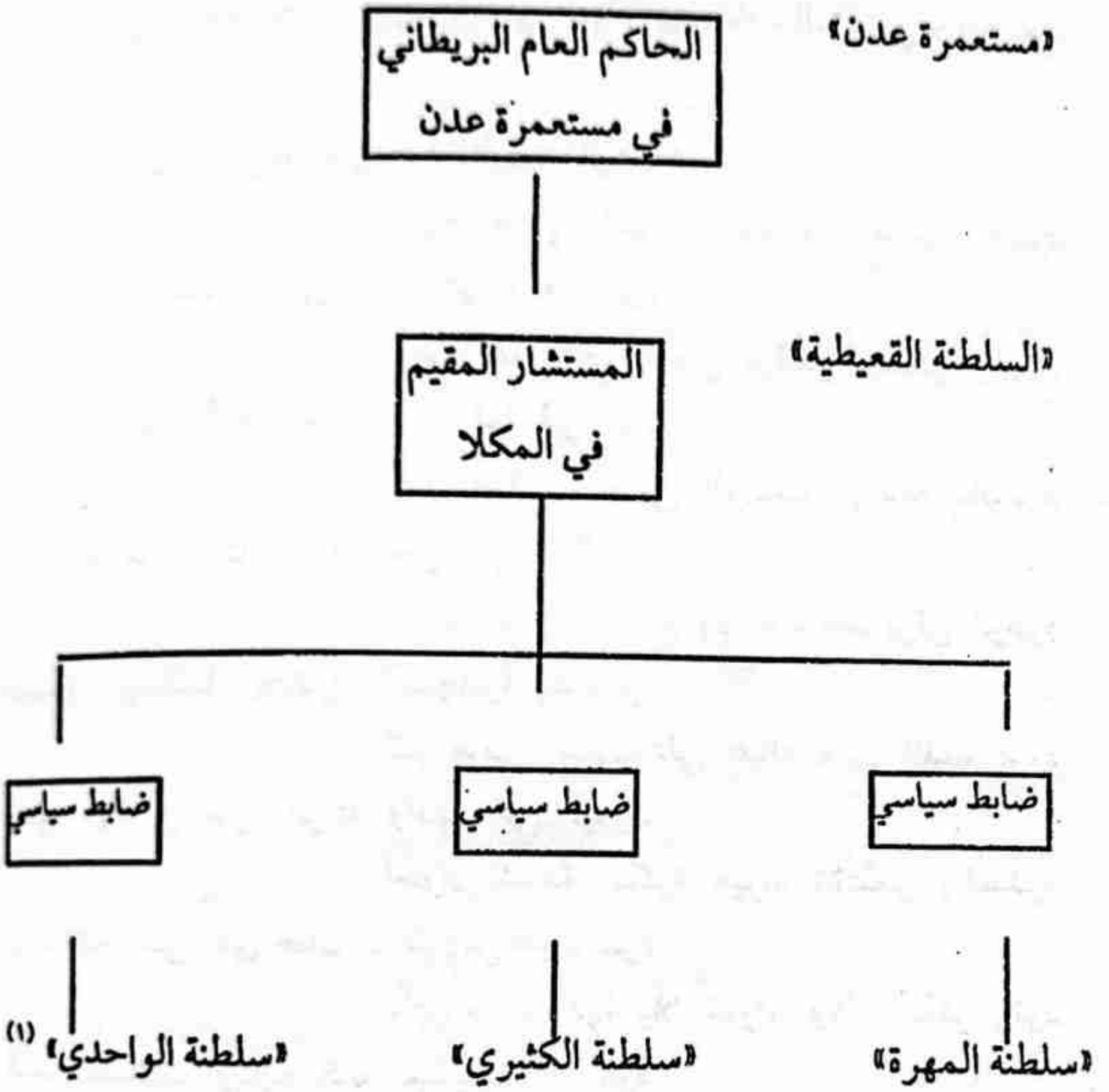
الأحمدي شيخ القبيلة لي عمد بأرض الهنود
يهرج على يافع وعاهمدان والشيبة عبود
مشتق من السيل الذي عم التهائم والنجود
رحمة بها وادي العجل يرقص وينعش بالبرود
دانت وزانت الأرض من نجران لما قبر هود
أمان ضافي يمسي الراكب لوحده بالنقود
من بعد ما كانت مخافة على الجود البدود
الظلم عم والشر جم ولا عاد حد يوفي الوعود
نسدت قبائلها وخانوا واستهانوا بالعهود
كم مربي يسعى على عياله وفي الدنيا برود
ينموا عياله وأرملوا حرمته وأمسى في اللحود
أحوال شنعة منكرة غبراء تقشعر بالجلود
يحيا (إنجرامس) ذي جبال الأرض من خوفه تنود
بالهيبة أصلحها بلا ضولة ولا عسكر يقود
نبد ذياباتها وبايحكم بتقييد الفهود
أحيا الشريعة وانتصر للحق والشر له يذود
والكاف بو سقاف ذي جاب الجميلة له يسود
كاتب وخاطب وأمست الفتنة بسعيه في خمود

(ج) هدنة إنجرامس وقيام المؤسسات الحكومية:

تمخض عن المعاهدات الإنكلوسلاطينية الحضرمية قيام المؤسسات الحكومية وفرض الاستقرار في المنطقة. ونيابة عن الحاكم العام البريطاني المقيم في عدن يتولى شئون حضرموت مستشار مقيم في المكلا عاصمة السلطنة القعيطية، كبرى وأغنى السلطنات الحضرمية. ويساعده ضباط سياسيون بريطانيون أو عملاء لهم مقيمون في عواصم بقية السلطنات في محمية عدن الشرقية (حضرموت). وفقًا والهيكل الإداري المبين في الشكل رقم (٦).

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكل رقم (٦) هيكل السلطة البريطانية في محمية عدن الشرقية



بهذا الجهاز السياسي العسكري انتقل المستعمرون البريطانيون من الحكم غير المباشر بموجب معاهدة الحماية إلى التدخل المباشر في الشئون الحضرمية بموجب معاهدة الاستشارة ويعززهم في حكم المنطقة جيش البادية الحضرمي الذي أنشأوه تحت إمرة ضابط إنجليزي . وكذا سلاح الطيران الملكي المتربص في القاعدة البريطانية المنشأة في المسبتعمرة عدن .

جاء هارولد إنجرامز إلى حضرموت كأول مستشار بريطاني مقيم في المكلا وفي جعبته المواثيق السياسية التي أبرمتها حكومته مع سلاطين حضرموت.

---

(١) منذ أن انضمت سلطنة الواحدي إلى الاتحاد الفيدرالي بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٦٢م لم تعد إداريا جزءًا من حضرموت .

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبموجبها فرض إنجرامز هدنة بين قبائل حضرموت عرفت (بهدنة إنجرامز) تلزمها بالطاعة وإنهاء الحروب القبلية والتوقف عن أساليب قطع الطرق والنهب والسلب. وأنشأ جيشًا من أبناء القبائل استخدمه في القضاء على الفتن وعلى أية تمردات وطنية مما أفسح المجال للحكم المدني بعد أن قيدت معاهدات الحماية والاستشارة صلاحيات السلاطين وطريقتهم القبلية في نظام الحكم. وهكذا أخذت تدريجيًا تنشأ الإدارات المدنية في جميع جوانب الحكم والإدارة.

٢. التنظيمات السياسية

برز النشاط السياسي وتبلوز في حضرموت نتيجة الاحتكاك بالحركات السياسية في البلاد العربية خاصة في العراق والشام ومصر، وكذا في عدن وهي البعد الثقافي والتجاري –بل والسياسي– لحضرموت. كما برز أيضًا نتيجة لتنامي الوعي الاجتماعي من خلال الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي مارسها أبناء حضرموت سواء في المهجر خاصة في جنوب شرقي آسيا أو في داخل حضرموت نفسها، كما سنفصل ذلك عندما نتطرق إلى الحالة الفكرية في حضرموت أثناء هذا الدور.

هذا وقد عرفت حضرموت النشاط السياسي منذ عهد مبكر والمتتبع لحركة مؤتمر الإصلاح الحضرمي الأول والمنعقد في الشحر عام ١٩٢٨م الذي حضره أمراء السلطنتين القعيطية والكثيرية وبعض الوجهاء والأعيان وكذا قرارات مؤتمر الإصلاح الحضرمي الثاني المنعقد في سنغافورة في نفس العام والذي استحوذت عليه قيادات الرابطة العلوية ولم تحضره قيادات جمعية الإرشاد العربية يدرك حركة المخاض الأولى لنشوء التنظيمات السياسية الحضرمية [1]. وأهم هذه التنظيمات هي:

أ- الحزب الوطني:

تأسس هذا الحزب في المكلا عاصمة السلطنة القعيطية عام ١٩٤٧م. وتركيب

(١) راجع المعلومات عن مؤتمر الإصلاح الحضرمي الأول والثاني الآتي تفصيله عند الحديث عن الحالة الفكرية في الدور التنويري هذا.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا الحزب ينبئ عن أهدافه السياسية فهو يضم الشخصيات الوطنية الحضرمية الموالية للعرش القعيطي، والمعارضة لمطالب توحيد المرافق الحكومية الحضرمية في ظل السلطنتين القعيطية والكثيرية التي تنادي بها جمعية الأخوة والمعاونة بتريم. وقد انتظم الحزب الوطني كواجهة سياسية وطنية تستأثر بالمفاصل الإدارية والاقتصادية في السلطنة القعيطية. وعندما طالب هذا الحزب بتعيين شخصية حضرمية في منصب (سكرتير السلطنة) خلفًا لسيف أبي علي - العماني الجنسية - اصطدم مع المستشار البريطاني المقيم في المكلا الذي قرر تعيين الشيخ سعيد القدّال - السوداني الجنسية - الذي يشغل وقتها منصب ناظر معارف السلطنة القعيطية سكرتيرًا جديدًا للسلطنة القعيطية. ونظم الحزب الوطني مظاهرة جماهيرية نادت بتعيين سكرتير حضرمي للسلطنة القعيطية، وحاصرت قصر السلطان فنزل الجيش الحكومي واصطدم بالمتظاهرين مما أسفر عما عرف (بمذبحة القصر) حيث استشهد وجرح عدد من المواطنين. وبهيمنة النظام الأنكلو سلاطيني حُلَّ الحزب الوطني وفُرض الشيخ سعيد القدّال سكرتيرًا للسلطنة القعيطية. وفي خطوة إدارية متقدمة رفع منصب (سكرتير) إلى منصب وزير حيث خلف القدّال كوزير جيهان خان -الهندي الجنسية- ثم أعقبه وزير حضرمي للسلطنة القعيطية هو السيد أحمد محمد العطاس الذي كان آخر وزير لها، وهو خال السيد حيدر أبي بكر العطاس أول رئيس وزراء في أول حكومة للجمهورية اليمنية عام ١٩٩٠م.

ب - رابطة أبناء الجنوب العربي:

تأسست (رابطة أبناء الجنوب العربي) في عدن عام ١٩٥٠م. وتكونت من جبهة عريضة من الوطنيين اليمنيين ذوي الاتجاهات القومية والإسلامية والماركسية. وضمت نخبة ممتازة من أبناء حضرموت من أمثال الأستاذ شيخان عبد الله الحبشي أمين عام الرابطة والشيخ محمد سالم باوزير والأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب الشخصية الوطنية الماركسية البارزة في عدن. وغيرهم من المثقفين والتجار الحضارم. ووضعت الرابطة برنامجًا شاملاً على مستوى الشطر الجنوبي من اليمن. وأعلنت عدم شرعية المعاهدات الجائرة بين بريطانيا

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسلاطين ودعت إلى استقلال الجنوب العربي. إلاّ أنها جارت التطورات السياسية الجارية على الساحة العربية واليمنية فنادت بوحدة اليمن الطبيعية وسمته الجنوب الأكبر بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا. ثم أعلنت عن نفسها باسم رابطة أبناء اليمن (رأي) بعد قيام الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م. وعادت إليها روحها الانفصالية فشاركت بفاعلية في حرب الانفصال عام ١٩٩٤م وانتهت بدحر الانفصاليين وترسيخ الوحدة اليمنية.

وقد تعرضت الرابطة في مجرى نشاطها السياسي إلى هزات عنيفة أهمها:

(أ) قيام السلطة البريطانية الحاكمة في مستعمرة عدن بنفي زعيميها محمد علي الجفري وشيخان عبد الله الحبشي.

(ب) خروج الجماعات الوطنية من ذوي الاتجاه القومي والماركسي من تنظيم الرابطة وتشكيل تنظيمات خاصة بهم متهمين قيادة الرابطة بتكريس الانفصال وتقريب بعض الأسر السلاطينية.

(ج) تخلي مصر عنها مما أدى إلى عزلها عربيًا فلم يعد لها تأثير ذو بال في الساحة اليمنية.

هذا وقد كان لرابطة أبناء الجنوب العربي مقرات في سيون عاصمة السلطنة الكثيرية وفي المكلا عاصمة السلطنة القعيطية. ودخلت في مماحكات سياسية مع تشكيلات الجبهة القومية في حضرموت وكان الضحية في هذه المماحكات طلبة المدارس والمتهم فيها النظام الإنكلوسلاطيني. ففي ١٠سبتمبر عام ١٩٦٦م خرجت مظاهرة طلابية في سيون ضد زيارة المندوب السامي البريطاني لمدينة سيون وفرقتها السلطات المحلية بإطلاق الرصاص عليها. فأعقبتها مظاهرة احتجاج طلابية في المكلا على ما حدث في سيون وألقيت عليها قنبلة أدت إلى استشهاد الطالب خالد بن هامل وإصابة آخرين من بينهم الأستاذ جعفر سعيد باصالح أحد نواب رئيس مجلس النواب الحالي (١٩٩٧م - ٢٠٠١) وقد كان حينها طالبًا في المدرسة الثانوية بالمكلا. وقد اتهمت رابطة أبناء الجنوب العربي في المكلا بإلقاء القنبلة على مسيرة الطلاب التظاهرية حين مرورها أمام مقر الرابطة في شارع المكلا الرئيسي.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جـ - حزب البعث العربي الاشتراكي:

هو حزب قومي عربي نشأ في سوريا ورفع شعار (وحدة - حرية - اشتراكية). اعتنق أفكاره عدد من طلاب حضرموت الدارسين في سوريا والعراق ومصر. وعلى رأس هؤلاء المناضل الأستاذ علي بن عقيل بن يحيى والدكتور عوض عيسى بامطرف. وقد وصل الأستاذ علي بن عقيل بن يحيى إلى عضوية القيادة القومية في حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا ممثلاً للقيادة القطرية في اليمن. ومن موقعه القيادي في حزب البعث العربي الاشتراكي استطاع التأثير على القرار السياسي للحكومة السورية في دعم النظام الجمهوري في اليمن وتحريك الطيران السوري لضرب مواقع الملكيين أثناء حصار السبعين.

انطلق هذا الحزب في اليمن من عدن ثم ظهرت حلقاته في حضرموت وصنعاء وتعز وفي مدن أخرى. وتوصل إلى قيادة المؤتمر العمالي في عدن. وبسبب الخلاف الذي حدث بين الرئيس جمال عبد الناصر وقيادة البعث المركزية عام ١٩٦١م ناصرت القيادة المصرية حركة القوميين العرب والناصريين وحاربت منافسيها البعثيين على مستوى الوطن العربي مما حجم شعبية البعثيين في اليمن أمام تنامي شعبية حركة القوميين العرب الذين قادوا الجبهة القومية في جنوب اليمن المحتل [1].

د - حركة القوميين العرب:

هي حركة عربية دعت إلى الاستقلال ومقاومة الاستعمار وإنجاز الوحدة العربية وإحداث تنمية شاملة على غرار النموذج الناصري في مصر [2]. وقد انضم إلى هذه الحركة العديد من شباب حضرموت الدارسين في مصر والشام وخاصة لبنان حيث تواجدت قيادة الحركة هناك خاصة بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م. وعندما تشكلت الجبهة القومية في جنوب اليمن وأعلنت الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني والسلاطيني كانت حركة القوميين العرب القوة الفعالة فيها والقائدة لها سياسيًا وتنظيميًا. وقد عكس هذا التطور السياسي

(١)، (٢) الموسوعة اليمنية.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتنظيمي نفسه على حضرموت حيث كان شباب حركة القوميين العرب في حضرموت هم القوة المحركة في فرع الجبهة القومية بحضرموت.

هـ - جبهة التحرير:

هي محاولة أخيرة من القيادتين العربيتين في صنعاء والقاهرة لتوحيد صفوف نضائل العمل الوطني في الجنوب اليمني من رابطيين، وبعثيين، وقوميين، وبعض السلاطين والوجهاء في جبهة واحدة، أطلق عليها: «جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل». وفشلت هذه المحاولة، وحسم الوضع السياسي في جنوب اليمن بحرب أهلية لم تمتد إلى حضرموت وأدت إلى انفراد الجبهة القومية بالحكم في الجنوب كله وتم على يدها مفاوضة البريطانيين وتحقيق الجلاء في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م.

وقبيل الجلاء غادرت القيادة البريطانية السياسية والعسكرية حضرموت وسافر السلطانان القعيطي والكثيري لحضور مؤتمر لندن المفبرك. واستولت الجبهة القومية ومناصروها على زمام الأمور في حضرموت. وحينما وصل السلطان غالب بن عوض القعيطي والسلطان حسين بن علي الكثيري إلى ميناء المكلا عائدين عن طريق جدة لم تسمح لهما سلطة الجبهة القومية بالنزول فعادا إلى جدة بالمملكة العربية السعودية مخذولين مدحورين.

وكانت جزيرة سقطرى من سلطنة المهرة الحضرمية آخر ما استولت عليه الجبهة القومية من حضرموت وكان ذلك يوم الاستقلال في ٣٠/ ١١/ ١٩٦٧م.

و- الاتحاد الوطني للقوى الشعبية:

بعيدًا عن التدخل من القاهرة أو صنعاء جرى في المكلا حوار بين القوى الوطنية في حضرموت لتوحيدها في إطار جبهوي بهدف اتخاذ المواقف الموحدة إزاء الأحداث السياسية المتلاحقة في المنطقة. سمي هذا الإطار الجبهوي (الاتحاد الوطني للقوى الشعبية). وكان ممثلو الجبهة القومية في هذا الحوار الذي شاركوا فيه يعرقلون خطوات الاتفاق. وانبثق عن جلسات الحوار تشكيل لجنة مصغرة لحسم الموقف ضمت:

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١. الدكتور عوض عيسى بامطرف والأستاذ علي الغرابي عن حزب البعث العربي الاشتراكي.

٢. الأستاذ علي سالم البيض والأستاذ خالد عبد العزيز عن الجبهة القومية وكلاهما عضوان في القيادة العامة للجبهة القومية.

٣. الأستاذ كرامة مبارك سليمان بامؤمن والأستاذ عبد الحافظ عبد الرب الحوثري من المستقلين.

عقدت هذه اللجنة المصغرة جلسة سرية في أحد بيوت المكلا بضاحية الديس. ولم تدم طويلاً إذ أبلغ الأستاذ علي سالم البيض الحاضرين برفض الجبهة القومية الدخول في أي اتفاق وطني مؤكدًا أن هذا هو قرار قيادته السياسية في جنوب اليمن المحتل. وهذا ما يذكرنا بخروج النقابات الست من المؤتمر العمالي في عدن الذي يسيطر على قيادته البعثيون.

ومع هذا فقد تأسس (الاتحاد الوطني للقوى الشعبية) بدون الجبهة القومية وزاول نشاطه في حضرموت إلى سبتمبر عام ١٩٦٧م حين استلمت الجبهة القومية السلطة في حضرموت كما أشرنا آنفًا وألغت كل التنظيمات السياسية والجماهيرية والمهنية في البلاد فيما عداها.

٣- موقف حضرموت من الاتحاد الفيدرالي

في ١١فبراير سنة ١٩٥٩م أعلن رسميًا عن تأسيس الاتحاد الفيدرالي للجنوب العربي من ست محميات من محمية عدن الغربية، وأنشئ لهذا الاتحاد مجلس وزراء باسم (المجلس الأعلى) يتكون من ممثل واحد عن كل ولاية من الولايات الست ومجلس تشريعي باسم (المجلس الاتحادي) يتكون من ستة ممثلين عن كل ولاية. وعلى مدى أربع سنوات قادمة تطور الاتحاد فانضمت إليه خمس ولايات أخرى [١]. وفي إبريل عام ١٩٦٢م تم تغيير اسم الاتحاد الفيدرالي لإمارات الجنوب العربي إلى اسم (اتحاد الجنوب العربي) ولهذا التغيير في التسمية دلالة وحدوية قيمة. إذ استبعدت من التسمية -لا من الواقع -لفظتا (الفيدرالي)

(١) الموسوعة اليمنية.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(الإمارات). وفي يناير عام ١٩٦٣م انضمت إلى الاتحاد ولاية عدن المستعمرة التي اختصت بوضع متميز في الاتحاد. وظل الاتحاد بالرغم من هذه التطورات تحت الحماية البريطانية والتي تخوّل لبريطانيا مسئولية الشئون الخارجية والدفاعية للاتحاد.

هذا وقد رفضت سلطنتا القعيطي والكثيري الحضرميتين الانضمام إلى الاتحاد الفيدرالي كما رفضتا الاندماج في اتحاد فيدرالي خاص بهما. وفي حديث للمفكر الحضرمي المخضرم الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف نشرته صحيفة الطليعة بالمكلا ذكر فيه: إن أكبر خطأ وقع فيه الاتحاد اعترافه بالسيادة البريطانية على عدن. واشترط الأستاذ بامطرف لدخول حضرموت إلى الاتحاد إجراء انتخابات عامة في الجنوب، وتنازل السلاطين عن سلطاتهم للشعب، وتقسيم مناطق الاتحاد على أساس السهولة الإدارية وليس على أساس التجزئة العشائرية، والسير نحو الاستقلال الفوري. وقد رد الأستاذ عبد الرحمن جرجرة رئيس المجلس الأعلى للاتحاد -حينذاك- على بامطرف بقوله: (إن حضرموت هي الجزء المكمل للاتحاد. وانضمامها إليه تعطيه مزيدًا من القوة. وتعجل بيوم حريته. وأكد أن السيادة البريطانية على عدن ستزول. وأن وضع السلاطين فيه كثير من التنازل في ظل الاتحاد. وأن التقسيم الإداري هو من أمر الحكومة المركزية التي لها حق تطويره). (١) توضيح: الاستقلال لم يكن إلا ليواقفة بريطانيا على تصحيح ما قيل حتى أنها تتفاضاه بعض

* الاستقلال: محمد ذكر لي السلطان غالب بن عوض القعيطي ١٤٣٥هـ تقريبًا أن المبعوث البريطاني عرض عليه وعلى الكثيري

من المسلم به أن ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م التي أطاحت بالنظام الإمامي المستبد والمتخلف في شمال الوطن كان لها الدور الفاعل في قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م في جنوب الوطن. كما كان لها الدور الداعم للثورة خلال مسيرتها مع الجنوب فالكثيري توقف وآمال المظفرة والتي تكللت بالنجاح في إسقاط النظام الإنكلوسلاطيني في جنوب اليمن. ولثورة ١٤ أكتوبر قيمة خاصة في كونها شكلت في تاريخ اليمن الحديث الأمر لي الإنجاز الأعظم لأنها: السلطان غالب والسلطان رفض ذلك فتهى حدوثه.

(١) كرامة مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن ج١.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) حافظت على الهوية اليمنية للشطر الجنوبي من اليمن أمام ممارسات النظام الإنكلوسلاطيني لخلق كيان جنوبي بعيدًا عن اليمن.

(٢) قاومت الاتجاهات السياسية المحلية التي تنادي بانفصال الجنوب اليمني عن شماله.

(٣) وحدت عشرات الكيانات المناطقية والعشائرية التي كانت تمزق الجنوب نفسه.

(٤) أجلت الاستعمار البريطاني الأجنبي الذي ظل جاثمًا على جنوب اليمن نحو ١٢٨عامًا.

(٥) أفسحت المجال لقيام الوحدة اليمنية المعاصرة التي تحققت في إبريل عام ١٩٩٠م.

وكما أشار عبد الرحمن جرجرة في وقتٍ مبكر إلى أهمية حضرموت فقد شكل اندماج حضرموت في كيان جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية المعلنة في الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٦٧م قوة بشرية وجغرافية واقتصادية وثقافية داعمة لتطور هذه الجمهورية الفتية فقد تولت كوادرها الكفؤة والمؤهلة مواقع قيادية مهمة في هذه الجمهورية.

كما شكل رصيدها المالي دعمًا خاصًا في موازنتها العامة. وتولى جيشها - الجيش البدوي - المهمة الصعبة في التصدي لمحاولات الانقضاض على الدولة الفتية إثر استقلالها مباشرة.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، القرار الجمهوري الصادر في ١٧ديسمبر عام ١٩٦٧م الذي قسمت بموجبه جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية إلى ست محافظات تبدأ برقم (١) لعدن وتنتهي برقم (٦) للمهرة. وأعطى لما كان يعرف بالسلطنتين القعيطية والكثيرية الرقم (٥). وعندما استبدلت الأرقام بأسماء أخذ الرقم (٥) اسم حضرموت وهي كذلك إلى اليوم إحدى محافظات الجمهورية اليمنية.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحالة الفكرية

١. التنوير:

أ. التقليد والجمود كأحد موروثات الفكر الصوفي والغزو الخارجي:

بلغ العالم الإسلامي في القرون الأربعة الأولى من الهجرة النبوية شأوًا بعيدًا في الإبداع والعلم والحضارة. وامتازت القرون الثلاثة الأولى منها بالقضاء على الوثنية والاستكبار والجبروت ورفعت رايات التوحيد والعقيدة السمحاء في مناطق واسعة من العالم عرفت بالعالم الإسلامي. وقد وصفها الرسول ﷺ بأنها خير القرون فقال: «إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون قوم يشهدون ولا يستشهدون... إلخ» متفق عليه. هذا وبعد القرن الرابع الهجري جنح العالم الإسلامي نحو الضعف والجمود نتيجة اضطراب العقيدة واستفحال الخلافات المذهبية التي مزقت الصفوف وأوهنت القوى. وألجأت العديد من المسلمين إلى الهروب من واقع حياتهم المرير إلى حياة التصوف والتقشف والعزلة والتحليق في عالم التجليات والأحلام بعيدًا عن الواقعية والموضوعية. وتوالت على العالم الإسلامي الكوارث نتيجة الغزو الخارجي أو الاجتياح الداخلي ومن أهم هذه الكوارث:

(١) الاكتساح الأوربي من الغرب والشمال نتيجة الحملات الصليبية المتوالية التي تمكنت من الوصول إلى فلسطين واحتلال القدس.

(٢) الاكتساح التتاري من الشرق خلال الفترة ٦١٦-٦٥٨هـ وعلى رأس هذا الاكتساح جنكيز خان ثم هولاكو فكانت النكبة الحضارية لبغداد وإنهاء الخلافة الإسلامية فيها عام ٦٥٦هـ.

(٣) زحف تيمور لنك على بلدان العالم الإسلامي حيث فعل فيه بالرغم من كونه مسلمًا ما فعله سلفه جنكيز خان وهولاكو من ذبح وتدمير وإتلاف.

ومما زاد الطين بلة والخرق اتساعًا في تخلف العالم الإسلامي ما حل به من ضعف السلاطين العثمانيين فيما بعد السلطان سليمان القانوني واستبداد ولاتهم في الولايات الإسلامية مما أدى في النهاية إلى انحطاط الدولة العثمانية بشكل عام

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في مختلف الميادين العسكرية والعلمية والاقتصادية حتى أطلق عليها الأوربيون المتربصون بها اسم (الرجل المريض) فأخذوا يحتلون أطرافها.

هذا وفي الوقت الذي استفادت وتنورت الشعوب الغازية للعالم الإسلامي نتيجة احتكاكها بسماحة الإسلام وحضارة الإسلام، فأسلمت الشعوب التتارية ونهضت الشعوب الأوربية. فقد سادت العالم الإسلامي الخرافات وانتشرت الأوهام وأصبح التصوف ألعابًا بهلوانية، وبات الدين مظاهر شكلية. وأصاب الأمة الإسلامية الوهن، وماتت الروح الجهادية لدى المسلمين ولم يعد الجد في العمل سبيل النجاح. بل أمسى التمسح بالقبور والتوسل بالأولياء ملاذ العاجزين والكسالى. واكتظت الشوارع والحارات في أمهات المدن الإسلامية بالدجالين والمشعوذين.

وأصاب حضرموت ما أصاب غيرها من العالم الإسلامي. فإبان مجد الصوفية في حضرموت هيمن شيوخ الصوفية وعلى رأسهم آل العيدروس على الفكر والمفكرين في حضرموت. فكسبوا علماء من آل الخطيب، ومن آل باوزير، وآل باكثير، الذين أخذوا يدورون في فلكهم، ويؤلفون عنهم، ويشيدون بمناقبهم. في حين حاربوا العلماء المستقلين من أمثال العلامة الكبير عبد الله بن عمر بامخرمة الملقب بـ«الشافعي الصغير» لأنه كان رجلاً مستقل الرأي، طموح الهمة، لا يدور في فلكهم. بل لقد استقطبوا أحد علماء مكة وهو أحمد بن حجر الهيثمي لتشيعه لهم. وسلطوا الأضواء على مؤلفاته مثل (التحفة) و(الفتاوى)، واختاروها ككتب معتمدة للتدريس في المعاهد الحضرمية، وكمرجع لدى القضاة والفقهاء في حضرموت. وتشير الرسالة الخطية التي كتبها العلامة أحمد بن حجر عام ٩٥٦هـ إلى العلامة شيخ بن عبد الله العيدروس، إلى العلاقة الحميمة بين ابن حجر وشيخ العيدروس. وتعبر الهدايا الثمينة المتبادلة بين الرجلين عن أسمى آيات الود والامتنان [١]. وفي أواخر الدور الصوفي بحضرموت أصيب الفكر الصوفي الحضرمي بالعقم والضحالة والجمود واجترار

(١) مجلة التراث العدد ٣ بتاريخ نوفمبر عام ١٩٧٩م راجع مقال جعفر بن محمد السقاف.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقوال الأسلاف والتغني بها. وتلاشى ظل الصوفية وتقلص أمام ضياء وأفكار التجديد في عصر التجديد. وكان الإمام علي بن محمد الحبشي آخر رجال قافلة الأدب الصوفي [1]. في حين كان الصوفي المتواضع المحبوب علوي بن عبد الله بن شهاب خاتم السلسلة الصوفية وقد امتد به زمانه إلى عصر التجديد.

ب - أصول التنوير وجذوره:

في خضم انتشار الأفكار والمؤلفات الصوفية والمذهبية المغالية والمتطرفة، وفي وقت سادت العالم الإسلامي مظاهر الدجل والشعوذة والتقلبات السياسية الخطيرة، وما رافقها من ظلم وجهل واستبداد وجمود، برز علماء إسلاميون حملوا مشاعل التنوير والتجديد، ووقفوا بكل شجاعة وجرأة أمام الانحراف في الفكر والسلوك الإسلامي، وأمام الاستبداد في الحكم والطغيان في السلطة، وألفوا المؤلفات القيمة التي ظلت إلى اليوم نبراسًا لحركات النهضة والإصلاح الإسلامي.

ويأتي الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في وقت مبكر ويضع مؤلفه الرفيع الذكر (تلبيس إبليس) محذرًا من فتن إبليس ومكائده. ويليه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) ويضع حجر الأساس للمدرسة التجديدية الراسخة البنيان. ويجاهر بآرائه الإصلاحية ضد الدجل والشعوذة، ويهاجم الجمود الذي خيم على الفقهاء المقلدين ويدعو إلى الاجتهاد والجهاد. ويتعرض إزاء مواقفه الصلبة للاضطهاد والسجن في دمشق والقاهرة والإسكندرية. وينهض ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) تلميذ ابن تيمية وصاحبه في سجن القلعة بدمشق. ويضع أفكاره الإصلاحية على أسس متينة وراسخة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الصحيحة، وضمنها كتبه العديدة التي من أشهرها (مدارج السالكين) و(زاد المعاد). ويأتي في عقد هذه السلسلة المباركة من المفكرين الإسلاميين أحمد بن علي العسقلاني المشهور بابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ). ومن أهم مؤلفاته المشهورة كتابه العظيم (فتح الباري شرح صحيح البخاري). ويطلع البدر من اليمن في

(١) عبد القادر محمد الصبان: الحركة الأدبية في حضرموت.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخصية السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير (١٠٩٩-١١٨٢هـ) الإمام المجتهد الذي انتشرت السنة على يده في كثير من ديار الزيدية. ويلتقي في نقده للفكر الصوفي والقبوريين مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ وقد كتب له قصيدة قال فيها:

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يُبدي
ويعمر أركان الشريعة هادمًا ... مشاهد ضل الناسُ فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود، بئس ذلك من ورد
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم طائف حول القبور مقبِّل ... ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

ولما تبين لمحمد الأمير شطط محمد بن عبد الوهاب في تكفير الناس وسفكه للدماء أنكر عليه ذلك دون أن يتراجع عن أفكاره التوحيدية، فكتب لمحمد بن عبد الوهاب قصيدة طويلة مما قال فيها:

نعم، واعلموا أني أرى كل بدعة ... ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد
ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي ... تضمنه نظمي القديم إلى نجد
بلى، كل ما فيه هو الحق إنما ... تجاريك في سفك الدماء ليس من قصدي
وتكفير أهل الأرض لست أقوله ... كما قلته لا عن دليل به تهدي

هذا وقد أنكر هذا الإمام المصلح والمجتهد المطلق على من اشترط الكفاءة في النسب فقال: (وللناس في هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء والترفع واستعظامهم أنفسهم. اللهم إنا نبرأ إليك من شرط ولده الهوى ورباه الكبرياء.

ولقد منعت الفاطميات في جهة اليمن مما أحل الله لهن من النكاح لقول بعض أهل مذهب الهادوية: إنه يحرم نكاح الفاطمية إلاّ من فاطمي من غير دليل ذكروه، وليس مذهبًا لإمام المذهب الهادي عليه السلام، بل زوَّج بناته من الطبريين.

وإنما نشأ هذا القول من بعده في أيام الإمام أحمد بن سليمان، وتبعهم بيت رياستها.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقالوا بلسان الحال: تحرم شرائفهم على الفاطميين إلاّ من مثلهم. وكل ذلك عن غير علم ولا هدى ولا كتاب منير. بل ثبت خلاف ما قالوه عن سيد البشر) [1].

وإذا كانت جذور المدرسة الإسلامية التجديدية - التي حاربت الانحرافات الفكرية في الإسلام، ودعت إلى توحيد الأمة الإسلامية فكريًا على أساس متين من العقيدة والشريعة اللتين مصدرهما القرآن الكريم والسنة الصحيحة، واستنكرت البدع خاصة تلك التي شابت فكر وسلوك المغالين من المتصوفة والشيعة، وأحيت حركة الاجتهاد في العالم الإسلامي بعد أن ساده التقليد والجمود - أول ما نبتت في بلاد الشام ومصر على أيدي ابن تيمية وابن قيم الجوزية خاصة، فإن شبه الجزيرة العربية قد اهتدت بهديهما وتأثرت بهما فكان محمد الأمير كما أسلفنا، وكان محمد بن عبد الوهاب، وكان محمد بن علي الشوكاني.

وبعد رحلات عديدة في طلب العلم قام بها محمد بن عبد الوهاب النجدي (١١١٥-١٢٠٦هـ) إلى مكة، والمدينة، ودمشق، وبغداد، وقم بإيران. ودراسة مستفيضة لكتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية مؤسسي المدرسة التجديدية في الإسلام أعلن الشيخ العالم محمد بن عبد الوهاب دعوته التوحيدية وأطلق على أتباعه اسم (الموحدين). وقد انتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -بتطرف- كثيرًا من مظاهر التشيع والتصوف. واعتبرها بدعًا مخالفة لأصول الإسلام ومعكرة لمنابعه الصافية. فنادى: ألاّ اجتماع لقراءة مولد، ولا احتفاء بزيارة قبر، ولا إقامة لأذكار جماعية يغني فيها ويرقص. وهاجم الكتب المملوءة بالتوسلات كدلائل الخيرات أو ما في البردة من مثل قوله [2]:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث الهمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

(١) القاضي إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن.
(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد اختص هذا الفكر التوحيدي المشهور بالفكر الوهابي - نسبة إلى الداعي إليه محمد بن عبد الوهاب - بالتطرف في معاملة معارضيه ونقد مخالفيه، وبفرض مذهبه بالقوة التي رافقتها عمليات قتل ونهب وتدمير. ولما عرف العالمان المجددان اليمنيان محمد الأمير ومحمد الشوكاني هذا التشدد وهذا التطرف من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه أنكرا عليه ذلك. فقد جاء في كتاب (البدر الطالع): (ومن جملة ما بلغنا عن صاحب نجد أنه يستحل سفك دم من لم يحضر الصلاة جماعة وهذا إن صح غير مناسب لقانون الشرع».. ونعود أساليب الفرض بالقوة التي اكتنفت الحركة الوهابية إلى ما رافقها من حركة سياسية لقيام دولة آل سعود في شبه الجزيرة العربية. فقد دعم الشيخ محمد بن سعود الحركة الوهابية بعد أن انضم إليها وتزوج ابنة محمد بن عبد الوهاب. ثم جاء ابنه عبد العزيز محمد بن سعود الذي غزا شبه الجزيرة العربية وأسس المملكة العربية السعودية.

وثالث الأئمة المجتهدين في الجزيرة العربية المنتمين إلى المدرسة التجديدية التي أسسها ابن تيمية هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ) الإمام المجتهد الذي رفض التقليد، وهاجم الفقهاء المتحجرين، وانتقد الزيدية المغالية في التشيع واستنكر بدع الصوفية. وشدّ النكير على القبوريين فقال: (وكم سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة بها كاعتقاد الكفار بالأصنام. وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنُجح المطالب. وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسّحوا بها واستغاثوا). وقد أرسل إلى الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي امتدّ نفوذه في شبه الجزيرة العربية ناصحًا ومحاورًا ومستنكرًا الغلو في الدين وتكفير النّاس وذلك في قصيدة طويلة حدّد فيها الموقف الإسلامي الصحيح من القبور:

فكيف يقال: قد كفرت أناسٌ ... يرى لقبورهم حجر وعود
فإن قالوا أتى أمر صحيح ... بتسوية القبور فلا جحود

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن ذاك ذنب ليس كفرًا ولا فسقًا فهل في ذا ردود
وإلا كان من يعصي بذنب كفورًا إن ذا قول شرود
فإن قلتم قد اعتقدوا قبورًا فليس لذا بأرضينا وجود
ومن يأتي إلى عبد حقير فيزعم أنه الرب الودود
فهذا الكفر ليس به خفاء ولا رد لذاك ولا جحود
ولست بمنكرٍ هدمًا لقبر إذا لعبت بجانبه القرود
وقالوا: إنَّ ربَّ القبر يقضي لنا حاجًا فنأتيه الوفود
كذبتم ذاك رب العرش حقًّا تعالى أن تكون له ندود
ولو قلنا له: هل ذاك رب تناديه لظل بذا يميد
وقال: الرب رب العرش فرد وهذا عنده عبد ودود
وليس له من الأشياء شيء فقير لا ينيل ولا يجود
ولكن كان ذا عمل وعلم وما عندي لذا أبدًا وجود
فرمت توسلًا يومًا بعبد إلى رب يحق له السجود[1]

هذا وقد جارى الشوكاني الأمير الصنعاني في التنديد بظلم الأئمة الزيدية الحكام شأنه في ذلك شأن كل رواد المدرسة التجديدية في الإسلام. فهم يقفون دائمًا مع الحق والمساواة والعدالة ولا يخافون في الله لومة لائم. وها هو ذا جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٤هـ) الذي عايش الفساد التركي وتأخر العالم الإسلامي أمام نهضة أوربا ينفخ في جسم الأمة الإسلامية روح النهضة والتجديد. وينشئ هو وتلميذه محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) في عام ١٣٠١هـ بهدف نشر أفكار الإصلاح والتجديد في كل أقطار العالم الإسلامي، والعودة بالمسلمين إلى عهد الخلفاء الراشدين حيث وحدة العقيدة الصافية لا تفرقهم مذاهب أو نحل.

وأخذ يصول ويجول في العالم الإسلامي بل وأوربا مبينًا أن الغرب الصليبي مناهض للشرق الإسلامي. وأن الروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور، والتعصب ضد الإسلام ما زال يمارسه الغربيون وأن على العالم الإسلامي أن يتحد للدفع الهجمة الشرسة عليه وأن عليه أن ينهض نافضًا عن كاهله كل عوامل

(١) القاضي إسماعيل: هجر العلم ومعاقله في اليمن.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التأخر والتخلف [١]. ويشرب الشيخ محمد عبده- (١٢٦٦-١٣٢٣هـ) تلميذ السيد جمال الدين الأفغاني - من نفس المنهل الذي اغترف منه سابقوه من رواد الفكر الإسلامي المتحرر من كل ما ألمّ به من تخلف واختلاف وجهل وجمود. ويسير مع أستاذه في درب الإصلاح مشيرًا إلى عوامل تخلف المسلمين وداعيًا إلى التعليم والسيطرة على برامجه، وفتح باب الاجتهاد الذي أغلقه المقلدون، ومحاربة البدع لأنها من الناحية النفسية كما يقول الشيخ محمد عبده تورث الذل وتخضع الناس للحكام الظالمين وتحط النفوس إلى الدرك الأسفل. وهي من الناحية الاجتماعية بالاعتماد على الأولياء تقود الناس إلى ترك القوانين الطبيعية التي جعلها الله أسبابًا لا بد منها لحصول المسبب، وأنه لا بد من إعداد العدة الكاملة للعدو بدلاً من الاستغاثة بأهل القبور [٢]. ويلامس الدور التنويري الذي نحن بصدده في هذا الكتاب أحد مشاعل النهضة التجديدية في العالم الإسلامي هو السيد محمد رشيد رضا المتوفى عام ١٣٥٤هـ الذي اجتهد ودعا إلى الاجتهاد المطلق وصاحب مجلة (المنار) وتلميذ الشيخ محمد عبده وتلميذ شيخه السيد جمال الدين الأفغاني. وبه نختتم المطاف التمهيدي للدور التنويري في حضرموت.

٢- مؤثرات التنوير في حركة الإصلاح الحضرمي:

ورث الحضرميون في وطنهم ومهاجرهم مخلفات الدور الصوفي الذي امتد في حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية نحو سبعة قرون، سادت خلاله في حضرموت قيم التصوف ومظاهره من عادات وتقاليد، وتعمقت الحواجز الاجتماعية، وهيمنت المظاهر القبلية من اضطرابات أمنية وقلاقل سياسية. وضنك في المعشية نتيجة الظروف المناخية الطبيعية للبلاد، وكانت الهجرة الحضرمية خلال الدور الصوفي حصيلة هذه المعاناة. وهي في سبيل الله في مراحلها المبكرة خاصة من الدعاة المتصوفة من السادة العلويين، كما ضربنا لذلك الأمثال في نهاية الدور التوحيدي من فصول هذه الدراسة. ثم كانت

(١)، (٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للارتزاق والجاه حيث رافقتها تجارة ومصاهرة واسعتان بين المهاجرين الحضارمة والوطنيين المحليين الذين دخلوا في دين الله أفواجا، فتحول الحضرميون في مهاجرهم إلى جاليات مهجنة ونشأ جيل من المولدين الذين - أخذوا شيئًا فشيئًا- يبتعدون عن وطنهم الأم ويتجذرون في وطنهم الذي ولدوا وعاشوا فيه. وقد عكس الانتعاش الاقتصادي للحضرميين في المهجر انتعاشًا اقتصاديًا في وطنهم الشحيح نتيجة التحويلات النقدية التي يرسلها الأثرياء منهم إلى ذويهم وأهليهم. وبهذه الأموال المتدفقة على حضرموت قامت مشاريع عمرانية وزراعية وتعليمية. كما لعبت هذه الأموال دورًا بارزًا في الحياة السياسية الحضرمية وقد أوضحنا هذا عند حديثنا عن الحالة السياسية في الموضع المناسب من هذه الدراسة.

وتهب رياح التنوير في الوطن والمهجر نتيجة مؤثرات إسلامية وغربية وقومية عربية على التوالي:

أ.الأثر الإسلامي:

تميزت حركة التجديد الإسلامي بثراء في التأليف وقد نوهنا إلى بعض هذه المؤلفات التي اقتناها النابهون من أهل حضرموت وأغنوا به مكتباتهم وخزائنهم الخاصة. كما وصلت إليهم الصحف والمجلات التي تبنت أفكار التجديد مثل (العروة الوثقى) و(الوقائع) و(المنار) و(الأزهر) إلخ. واحتكوا ببعض رجال الإصلاح الإسلامي المشبعين بأفكار المدرسة التجديدية التي وضع أساسها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ومن اقتفى أثرهما كأئمة الإسلام المجتهدين: محمد بن عبد الوهاب ومحمد الأمير ومحمد الشوكاني ومحمد عبده. كما جذبت أفكار حركة (الأخوان المسلمين) التي تنهل من نفس نبع أهل السنة المتجدد بعض الشباب الحضرمي سواء من خلال منشوراتهم وكتبهم أو أثناء احتكاكهم برجال الحركة أثناء تواجدهم في مصر والشام للدراسة.

ب - الأثر الغربي:

استعمر الأوربيون الغربيون كثيرًا من البلاد العربية والإسلامية خلال الدور التنويري الحضرمي بما فيها حضرموت ومهاجرها. فقد احتل البريطانيون عدن

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحضرموت والهند وماليزيا وكينيا والصومال وقاسمهم المحتلون الفرنسيون الذين احتلوا بعضًا من أراضي الصومال وجزر القمر كما احتل الهولانديون جزر الهند الشرقية. وفرض هؤلاء المحتلون ثقافتهم وأفكارهم الإصلاحية عن طريق التعليم والإدارة والحكم مما كان له الأثر الواضح في تفكير ووعي المستنيرين الحضرميين وكان ممن استجاب للفكر الغربي اللبرالي ذلك الشاعر المتستر الذي يرى في الاحتلال البريطاني لحضرموت طريقًا للتطور والنهوض، وقد ألغى الإنجليز الرق وفرضوا الهدنة بين القبائل الحضرمية وفرضوا النظام ووضعوا أساسًا للتعليم الحديث وللقضاء الشرعي فيقول:

ما ظن بك يا شيخ يافع [١] ذى البلادة والجمود
تكره لنا التأمين والإنصاف ذي غاض الحسود
يحيا إنجرامس [٢] ذي جبال الأرض من خوفه تنود
بالهيبة أصلحها بلا ضوله وعسكرها يقود
قيد ذيابتها وبايحكم بتقييد الفهود
أحيا الشريعة وانتصر للحق والشر له يذود
لا تجحدون الفضل لأهله خسُ لأوصاف الجحود
والسيل جارف في أوربا شفه رابط بالحيود
وإن ما وقع ذا بايقع ذا لا تزاحمن الوفود
وذي عرفته خير [٣] من مولى الحبش له [٤] ما يعود

جـ - أثر الفكر القومي العربي:

بعد الحرب العالمية الأولى انتشرت في الشام ومصر والعراق أفكار القومية العربية المستنيرة ضد الجمود والتخلف العربي والتجزئة العربية. وقد تأثر دعاة القومية العربية بالأفكار الغربية اللبرالية المنتشرة بين صفوف المثقفين الفرنسيين

---

(١) يقصد الشاعر الشعبي صلاح أحمد الأحمدي الذي هاجم معاهدة الاستشارة البريطانية لحضرموت.
(٢) إنجرامس هو المستشار البريطاني الأول لحضرموت وفرض الهدنة المعروفة باسمه.
(٣) يقصد بريطانيا.
(٤) مولى الحبش: إيطاليا التي استعمرت أثيوبيا.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خصوصًا. وعندما توجهت البعثات التعليمية من حضرموت والمهجر إلى دمشق وبغداد والقاهرة احتك الدارسون هناك بالشباب العربي ذوى الاتجاه القومي فتأثروا بأفكارهم التي تعتبر حينها أفكارًا ثورية من أجل التغيير والإصلاح. ولما قامت الثورة المصرية في ٢٣يوليو ١٩٥٢م اصطدمت بالحركة الإسلامية التجديدية التي يقودها (الإخوان المسلمون) فنالوا من النظام المصري أبشع أنواع التنكيل والتعذيب والسجن والتشريد مما أضعف الحماس لحركة (الإخوان المسلمين) تجاه زخم الحركة الناصرية التي يقودها الرئيس المصري جمال عبد الناصر في الوطن العربي بما في ذلك حضرموت، وجذب الشباب العربي نحو أهداف القومية العربية بما فيها حضرموت أيضًا.

لعبت هذه المؤثرات الثلاثة دورًا أساسيًّا في حركة الإصلاح والتنوير الحضرمي. ونشأ نتيجة اختلاف الرؤى والمصالح وموروثات الثقافة الصوفية الحضرمية، نشاط فكري تطور بموجبه الوعي الاجتماعي الحضرمي.

٢. تطور الوعي الفكري الاجتماعي الحضرمي:

أ- الصراع الفكري الاجتماعي:

في عام ١٩٠٣م أنشأت جماعة من الحضارمة المهاجرين في (مدينة بتافيا جاكرتا) بجزيرة جاوا (جمعية خير) بهدف توحيد صفوفهم والاهتمام بتعليم أبنائهم لغتهم العربية ودينهم الإسلامي.

وكان في مقدمة هذه الجماعة السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب، وأبو بكر بن عبد الله العطاس، وأبو بكر بن محمد الحبشي، وغيرهم من الحضارمة العلويين وغير العلويين.

وكان من أهم أنشطة هذه الجمعية تأسيسها مدرسة عام ١٩٠٥م هي الأولى من نوعها، سميت بمدرسة جمعية خير.

واستقدمت لها مدرسين عربًا كان على رأسهم الشيخ العلامة أحمد السوركتي الأنصاري السوداني الموطن والمقيم في مكة المكرمة والمدرس بالحرم المكي وذلك عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد استقبل السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب هذا المعلم الشيخ بالترحاب ولقي منه كل احترام وإجلال [١].

وتمر الأيام وتأتي حادثة زواج الفتى المسلم الهندي بالفتاة العلوية الحضرمية لتثير حفيظة العلويين وتدفع بالسيد عمر بن سالم العطاس لإصدار فتوى حرّم بموجبها تزويج العلوية بغير العلوي وإن رضيت ورضي ولي أمرها. وكتب أحد الحضارمة بسنغافورة إلى الشيخ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر يستفتيه في المسألة المثارة حول الكفاءة في الزواج وصحة زواج العلوية بغير العلوي. فأفتى سماحته بصحة الزواج وقال: إن السادة الحضارمة غالوا في أنسابهم وأحسابهم.

وقد أدى بهم الغلو إلى ما جاء في فتوى السيد عمر بن سالم العطاس. وتابع العلامة الشيخ محمد رشيد رضا -وهو السيد العلوي- حديثه قائلاً: وجملة القول إن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة لا شريعة تقسيم ومحاباة، وأحكامها عامة. مدار العبادة فيها على تزكية النفس وتحليتها بالفضائل. ومدار المعاملات فيها على درء المفاسد والمضار، وجلب المنافع، وحفظ المصالح. وليس لأحد أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التعبد.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث. انتهى كلام المفتي محمد رشيد رضا.

هذا وكانت فتوى الشيخ أحمد محمد السوكرتي (١٢٩٢ - ١٣٦٣هـ) أحد مدرسي «جمعية خير» حينها بصحة زواج العلوية لغير العلوي ردًا على سؤال وجهه إليه عمر سعيد بن سنكر في مجلس من مجالس العرب في مدينة (صولو) بإندونيسيا بمثابة المحك لأفكاره التجديدية والتي زجت به في أتون الصراع الفكري الاجتماعي الذي أفرز الحضرميين في المهجر إلى تكتلين: تجمع محافظ يتزعمه السادة العلويون وتجمع تجديدي منفتح كان الشيخ أحمد سوكرتي أحد

(١) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي جـ ٢.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفكريه مما اضطره إلى مغادرة مدرسة جمعية خير عام ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤م، والانضمام إلى جمعية الإصلاح والإرشاد التي تأسست في بتافيا سنة ١٩١٤ م والتدريس في مدرستها التي أنشئت عام ١٩١٥م.

كانت الفتوى بصحة زواج العلوية بغير العلوي بمثابة الهزة العنيفة التي زلزلت أركان البنيان الاجتماعي الطبقي وعصفت بالامتيازات الاجتماعية التي اكتسبها العلويون في حضرموت منذ بدايات الدور الصوفي الذي اتسم بفكرة التشيع لأهل البيت. وهم أمام هذه العاصفة لا يرغبون في التنازل عنها على أساس أنها إرث لهم، بل ومشروعة لهم إسلاميًا كما يدعون. وجندوا كل إمكاناتهم لوقف هذا التيار التجديدي الناشئ في صفوف غير العلويين من الحضارمة أساسًا. ولم يتورعوا في مماحكاتهم الإعلامية في اتهام الإرشاديين بالعمالة للأجنبي، وبالموالاة للمبشرين المسيحيين، وبالنصب والشعوبية والخروج عن دائرة أهل السنة والجماعة [١]. وبقراءة متأنية للنص الهجومي على الإرشاديين الذي نشرته جريدة (الإقبال) في عددها رقم (٤٢) يدرك القارئ مدى ضحالة الحجة العلوية وسمو الفكر الإرشادي التنويري. يقول النص: (أولئك هم طائفة الدخلاء والمفسدين الذين أسكروا عقول العوام والسذج، وأثملوهم بتعاليم الاشتراكية الإباحية، حتى غرسوا في قلوبهم الحقد والعداء للطبقات العالية، وملئوا صدورهم بالغيض عليهم. وسنوا لهم دستورًا لمغالطة وغمط الحسنات. وبثوا في أفئدة تلامذتهم وأتباعهم عقدة المساواة العمياء) [٢].

واستخدم العلويون نفوذهم وجاههم لدى شريف مكة بالحجاز لمنع الإرشاديين الحجاج من دخول مكة وأداء فريضة الحج كيلا تسري عدوى دائهم العضال، وكيلا يتصلوا بأخوانهم من أهل البغي والضلال. هذا ما جاء في نص العريضة التي وقع عليها عشرون علويًا، ورفعت على شكل رسالة إلى شريف مكة. ومما جاء في هذه الرسالة التي نشرتها جريدة (القبلة) في شهر الحجة عام

(١) راجع كتاب «القول الفصل» لعلوي بن طاهر الحداد وكتاب «صفحات من تاريخ حضرموت» لحامد أبي بكر المحضار.
(٢) صلاح عبد القادر البكري: تاريخ الإرشاد في إندونيسيا.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣٣٨هـ: (فإن شيعتكم ومحبيكم من العلويين وأنصارهم يقدمون لكم وافر التهنئة بالعيد المجيد، وبما تم من الإصلاح في عهدكم السعيد. وينهون إلى مقامكم السامي أنه ظهر من مدة قريبة جماعة من الخوارج في هذه البلاد عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي ﷺ، وبث الدسائس وإيقاد الفتن. ولهم من النشرات الجمة ما يبين قصدهم. وقد أصدروا جريدة سموها (السلام) لتكون لسان حالهم). (١).

هذا الصراع الفكري المتأجج بين الحضارمة في المهجر قد قدح العقول وأثرى العلوم والآداب خاصة مؤلفات العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد ومقالاته وخطبه التي نشرتها مجلة (الرابطة) وكذا بالمقابل مؤلفات الأستاذ الأديب صلاح عبد القادر البكري خاصة كتابه «تاريخ حضرموت السياسي» وكتابه «تاريخ الإرشاد في إندونيسيا».

ومؤلفات الأستاذ الأديب والمؤرخ سعيد عوض باوزير. هذا وشكلت مقالات وأبحاث الأستاذ ين محمد بن هاشم بن طاهر وعبد الله بن حسن بلفقيه زخمًا ثقافيًا لجيلهم المعاصر. وكما لعبت الصحف من مجلات وجرائد دورًا بارزًا في التنوير فقد قامت المدارس الحديثة والأربطة الدينية والمعاهد التي أنشأها جانبا الصراع بدورها الفعال في تنامي الوعي لدى جيل عصر التنوير من مختلف فئات المجتمع.

وشهدت حضرموت جيلاً مثقفًا ومؤهلاً من المعلمين والقضاة والأدباء والإداريين وغيرهم الذين كانوا أداة الإصلاح والتطور في حضرموت بعد قرون من الجهل والتخلف والجمود والفتن عاشها الحضرميون خلال الدور الصوفي.

ب - تكتل العلويين وأنصارهم:

انطلق هذا التكتل من مدينة بتافيا.(جاكرتا) بجزيرة جاوى حينما تخلصت الجماعة العلوية في (جمعية خير) وعلى رأسها السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب من فضيلة الشيخ العلامة أحمد محمد السوركتي وعدد آخر من الحضارمة

(١) صلاح البكري: تاريخ الإرشاد في إندونيسيا.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المناوئين للاستعلاء العلوي. وما لبث أن تبلور هذا التكتل إلى مؤسسة فكرية اجتماعية حضرمية كبرى في المهجر لها مؤسساتها الاقتصادية والتربوية والإعلامية. عرفت هذه المؤسسة المعترف بها رسميًّا من السلطات الهولاندية بجاوا باسم (الرابطة العلوية).

شكلت الرابطة العلوية تيارًا فكريًّا اجتماعيًّا في أوساط المجتمع الحضرمي في إندونيسيا ثم ماليزيا فبقية المهاجر وامتد إلى حضرموت الوطن الأم. تبنى هذا التكتل فكرة (إنعاش الميزة العلوية) ودافع عن الامتيازات الاجتماعية الطبقية السائدة خلال الدور الصوفي في حضرموت. مما لاقى هوى في نفوس بعض الشخصيات الحضرمية ذات النزعة القبلية من غير العلويين والتي تأنف من المساواة الاجتماعية من أمثال بعض الشعراء الذين سخروا شعرهم لمناوئة الحركة الإرشادية التنويرية.

وقد فاض شعرهم بركام من العنصرية والقبلية، بالهجوم على الإرشاديين الغوغاء كما يصفونهم. وبالتمجيد بالقبائل والسادة والمشايخ كطبقات اجتماعية متميزة.

وفي كتاب (صفحات من تاريخ حضرموت) أشاد مؤلفه السيد حامد بن أبي بكر المحضار [1] بمثل هؤلاء الشعراء ومنحهم ألقاب الزعامة ووصفهم بأنهم أقيال حضرموت وأبطالها فذكر أسماء:

(١) الشيخ عبد القادر بن عمر، وقال عنه: إنه زعيم آل تميم.

(٢) الشيخ سالم بن جَعفر، وقال عنه: إنه زعيم آل كثير.

(٣) الشيخ صالح بن أحمد، وقال عنه: إنه زعيم آل يافع.

أما العلامة والمفكر العلوي السيد علوي بن طاهر الحداد فقد كان شديد الوطأة في خصومته للإرشاديين المناوئين للاستعلاء العلوي فوصف حركتهم بأنها فتنة حلت بالديار الجاوية وقال: (حصلت في الجهات الجاوية فتنة سببها أنه التف لفيف ممن استشعروا بغض أهل البيت ونصبوا العداوة لمن أتاهم الله

(١) حامد أبو بكر المحضار: صفحات من تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفضائل والمناقب قديمًا وحديثًا. وحملهم رغد العيش وبطر المال على السعي في الغض من عظيم قدرهم بالسباب والتنديد في المنشورات والجرائد والمجلات) [١].

وتمكن هذا التكتل بما أوتي من إمكانات مادية ومعنوية وبما يتمتع به من شخصيات عالية المستوى الفكري والتنظيمي من أمثال السادة: علوي بن طاهر الحداد، وأحمد بن عبد الله السقاف، ومحمد بن عبد الرحمن بن شهاب من كسب معظم العلويين بما فيهم المناصب تحت لواء (الرابطة العلوية) التي تميزت بحميتها الهاشمية وعصبيتها العلوية ولم تتورع في التنديد بالعلويين الذين وقفوا بجانب التكتل الإرشادي المعارض أو الذين انتقدوا فكر الرابطة العلوية ووقفوا على الحياد، فوصفهم بأنهم شواذ ويرغبون في الشهرة من باب خالف تعرف.

الرابطة العلوية [٢]:

ليست الرابطة العلوية مجرد جمعية خيرية تهتم بإعانة المحتاجين الحضارمة في المهجر وتعليم أبنائهم كما بدأت عام ١٩٠٣ باسم (جمعية خير)، بل هي تكتل اجتماعي طبقي منظم، له مقاصده وتشكيلاته التنظيمية، وله شعاره ونشيده الطبقي، ووسائله الدعائية والإعلامية الضخمة:

(١) الهيكل التنظيمي:

تتكون الرابطة العلوية في أطرها العليا من: (الهيئة المركزية العليا) المكونة من ١٢شخصًا معظمهم من السادة العلويين عمليًا. ومن (الاجتماع العمومي) الذي يصدر القرارات العامة في مؤتمرات (الرابطة العلوية) السنوية، رئيس الهيئة العليا هو (رئيس الرابطة)، وكان السيد محمد عبد الرحمن بن شهاب أول رئيس للرابطة.

ويسمى أمين الهيئة العليا (كاتب الرابطة). وعند التأسيس كان السيد أحمد بن عبد الله السقاف هو كاتب الرابطة والشخصية التنظيمية والإعلامية في هذا

---

(١) (مجلة الرابطة) المجلد (١). مكتبة الأحقاف للمطبوعات بتريم.
(٢) (مجلة الرابطة) المجلدان الأول والثاني.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التكتل المفكر

وللرابطة العلوية فروع في مختلف المدن الجاوية ووكلاء جهات يمثلون في الاجتماع العمومي.

(٢) مقاصد الرابطة:

تتمحور مقاصد الرابطة العلوية في أهداف عامة إصلاحية وتنويرية تسعى للنهوض بجميع الحضارمة في الوطن والمهجر. وعلى رأس هذه الأهداف نشر التعليم لكل الناس، وإرسال البعثات التعليمية، وتأهيل الدعاة والقضاة، وتقوية الصلات بالسلاطين في حضرموت وبالقبائل الحضرمية لضمان الأمن في البلاد والاستقرار فيها. هذا وقد كان مؤتمر الإصلاح الحضرمي الأول المنعقد في الشحر والثاني في سنغافورة من أهم أنشطة الرابطة العلوية لتحقيق أهدافها العامة. أما أهداف الرابطة العلوية الخاصة فتتركز في الاهتمام بالتراث العلوي المعبر عنه (بالثقافة العلوية والميزة العلوية)، وبأنساب العلويين وحفظها من النسيان أو الذوبان والضياع. وذلك في مشجرات النسب أو دفاتر خاصة.

(٣) شعار الرابطة:

اتخذت الرابطة العلوية شعارًا لها الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقد زينت مجلة (الرابطة) -لسان حال الرابطة العلوية- غلافها الثابت بهذا الشعار. وقد أصدر هذه المجلة السيد أحمد بن عبد الله السقاف أحد أركان (الرابطة العلوية).

(١) نشيد الرابطة:

وبجانب شعار الرابطة نشيدها الذي تتغنى به وتنشده صباح مساء افتخارًا. وفيه

---

(١) ألف أحمد عبد الله السقاف رواية (فتاة فاروت)، ووضع قانون جمعية خير في بتافيا وقانون النهضة بسيون، وله دور بارز في تكتيل العلويين ومحاربة الإرشاديين.

(٢) ألف كتابه «القول الفصل» للرد على كتاب «فصل الخطاب في تأييد صورة الجواب» لمؤلفه الشيخ أحمد بن العاقب بن شكرت الأنصاري الذي أراد فيه تأييد ما قاله شيخه أحمد السوركتي الأنصاري في فتاويه.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحيز وتشيع لأهل البيت واضح وهو:

يا بني الزهراء جدو إنكم أهل الزعامة
هذه رابطة العز وعنوان الفخامة
إنكم يا أهل طه أهل فضل وشهامة
جدكم خير الورى من رفع الله مقامه
إننا في حب أهل ال بيت لا نخشى ملامة
علنا نحشر في زمر تهم يوم القيامة

(٥) معالم الثقافة العلوية [1]:

من أهداف الرابطة العلوية الجوهرية بث وإيقاظ الروح العلوية في الوسط الحضرمي، وإنعاش الميزة العلوية، كما يتضح ذلك من أقوال زعيم الرابطة- العلوية قاضي جهور- السيد علوي بن طاهر الحداد ومن مقال نشرته جريدة (حضرموت) عام-١٣٤٣هـ وأعادت نشره مجلة (الرابطة) عام ١٣٤٧هـ نستخلص ما يلي:

(أ) في أحد الاجتماعات العمومية للرابطة العلوية ألقى السيد علوي بن طاهر الحداد زعيم الرابطة خطبتين نقتطف منهما ما يؤكد ما ذهبنا إليه فهو القائل: (أيها السادة العلويون إنكم بقية ما ترك آل إبراهيم وآل محمد ﷺ. وقد ورد في الكتب السابقة أن الله قال لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض). (نقول لأعداء الرابطة وحسادها الذين كرهوا أن يكون للعلويين رابطة: الرابطة هي السادة العلويون متحدين). (إن دم الشرف والهمة العالية الذي جرى في عروق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي بدن بضعته فاطمة الزهراء البتول، وفي جسد ليث الله الغالب علي بن أبي طالب، أرونا براهينه في اتحادكم) - (ليعرف كل واحد منكم وليعلم وليشعر بأنه عضو من جسم. إنه علوي من علويين).

مقال علوي بن طاهر الحداد

أما أقوال هذا الزعيم المتطرفة حينًا والمستغربة حينًا آخر فنذكر:

١. إذا خالط الدم العلوي دم بعيد عن العلم والصلاح فسد فسادًا كليًّا.

(١) مجلة الرابطة المجلد الأول.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفضائل والمناقب قديمًا وحديثًا. وحملهم رغد العيش وبطر المال على السعي في الغض من عظيم قدرهم بالسباب والتنديد في المنشورات والجرائد والمجلات) [١].

وتمكن هذا التكتل بما أوتي من إمكانات مادية ومعنوية وبما يتمتع به من شخصيات عالية المستوى الفكري والتنظيمي من أمثال السادة: علوي بن طاهر الحداد، وأحمد بن عبد الله السقاف، ومحمد بن عبد الرحمن بن شهاب من كسب معظم العلويين بما فيهم المناصب تحت لواء (الرابطة العلوية) التي تميزت بحميتها الهاشمية وعصبيتها العلوية ولم تتورع في التنديد بالعلويين الذين وقفوا بجانب التكتل الإرشادي المعارض أو الذين انتقدوا فكر الرابطة العلوية ووقفوا على الحياد، فوصفهم بأنهم شواذ ويرغبون في الشهرة من باب خالف تعرف.

الرابطة العلوية [٢]:

ليست الرابطة العلوية مجرد جمعية خيرية تهتم بإعانة المحتاجين الحضارمة في المهجر وتعليم أبنائهم كما بدأت عام ١٩٠٣ باسم (جمعية خير)، بل هي تكتل اجتماعي طبقي منظم، له مقاصده وتشكيلاته التنظيمية، وله شعاره ونشيده الطبقي، ووسائله الدعائية والإعلامية الضخمة:

(١) الهيكل التنظيمي:

تتكون الرابطة العلوية في أطرها العليا من: (الهيئة المركزية العليا) المكونة من ١٢شخصًا معظمهم من السادة العلويين عمليًا. ومن (الاجتماع العمومي) الذي يصدر القرارات العامة في مؤتمرات (الرابطة العلوية) السنوية، رئيس الهيئة العليا هو (رئيس الرابطة)، وكان السيد محمد عبد الرحمن بن شهاب أول رئيس للرابطة.

ويسمى أمين الهيئة العليا (كاتب الرابطة). وعند التأسيس كان السيد أحمد بن عبد الله السقاف هو كاتب الرابطة والشخصية التنظيمية والإعلامية في هذا

---

(١) (مجلة الرابطة) المجلد (١). مكتبة الأحقاف للمطبوعات بتريم.
(٢) (مجلة الرابطة) المجلدان الأول والثاني.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المناوئين للاستعلاء العلوي. وما لبث أن تبلور هذا التكتل إلى مؤسسة فكرية اجتماعية حضرمية كبرى في المهجر لها مؤسساتها الاقتصادية والتربوية والإعلامية. عرفت هذه المؤسسة المعترف بها رسميًّا من السلطات الهولاندية بجاوا باسم (الرابطة العلوية).

شكلت الرابطة العلوية تيارًا فكريًّا اجتماعيًّا في أوساط المجتمع الحضرمي في إندونيسيا ثم ماليزيا فبقية المهاجر وامتد إلى حضرموت الوطن الأم. تبنى هذا التكتل فكرة (إنعاش الميزة العلوية) ودافع عن الامتيازات الاجتماعية الطبقية السائدة خلال الدور الصوفي في حضرموت. مما لاقى هوى في نفوس بعض الشخصيات الحضرمية ذات النزعة القبلية من غير العلويين والتي تأنف من المساواة الاجتماعية من أمثال بعض الشعراء الذين سخروا شعرهم لمناوئة الحركة الإرشادية التنويرية.

وقد فاض شعرهم بركام من العنصرية والقبلية، بالهجوم على الإرشاديين الغوغاء كما يصفونهم. وبالتمجيد بالقبائل والسادة والمشايخ كطبقات اجتماعية متميزة.

وفي كتاب (صفحات من تاريخ حضرموت) أشاد مؤلفه السيد حامد بن أبي بكر المحضار [1] بمثل هؤلاء الشعراء ومنحهم ألقاب الزعامة ووصفهم بأنهم أقيال حضرموت وأبطالها فذكر أسماء:

(١) الشيخ عبد القادر بن عمر، وقال عنه: إنه زعيم آل تميم.

(٢) الشيخ سالم بن جَعفر، وقال عنه: إنه زعيم آل كثير.

(٣) الشيخ صالح بن أحمد، وقال عنه: إنه زعيم آل يافع.

أما العلامة والمفكر العلوي السيد علوي بن طاهر الحداد فقد كان شديد الوطأة في خصومته للإرشاديين المناوئين للاستعلاء العلوي فوصف حركتهم بأنها فتنة حلت بالديار الجاوية وقال: (حصلت في الجهات الجاوية فتنة سببها أنه التف لفيف ممن استشعروا بغض أهل البيت ونصبوا العداوة لمن أتاهم الله

(١) حامد أبو بكر المحضار: صفحات من تاريخ حضرموت.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢.لم أر قومًا مثل العلويين يؤثر فيهم عرق الخال أكثر مما يؤثر عرق الأب.
٣.إذا خالط العلوي البادية جمد واستحجر. وإن خالط السواد استرخى فلم يتماسك.
٤.إذا فقد العلوي التدين عاد كلبًا أعمى.
٥.ثقوا بأنكم الأعلون تكونوا كذلك.
٦.أي شرف لشريف يتخطى أيامى قومه إلى غيرهن.

(ب) الدعوة إلى إنعاش الميزة العلوية:

نشرت مجلة (الرابطة) لسان حال (الرابطة العلوية) في الجزء (٧) من المجلد رقم (١) في شهر صفر ١٣٤٧هـ مقالاً بعنوان (إنعاش الميزة العلوية) الذي سبق أن نشرته جريدة حضرموت في عددها ٦١ الصادر في شهر الحجة ١٣٤٣هـ ولعلاقة هذا المقال بأهداف (الرابطة العلوية) الخاصة نقتطف منه أهم ما ورد فيه بشيء من التعديل لربط العبارات:

-إن مبدأ الميزة العلوية مبدأ تقليدي سرى بالوراثة وانحدر من الأجيال المتسلسلة. وأنمت غراسه القرون السابقة.

-بدأ دور الميزة العلوية بتأسيس النقابات العلوية في القرون الأولى، وامتد إلى عقود القرن التاسع حين وضع العقد الاجتماعي، وتم صياغة الميثاق العلوي في وقت المجدد الكبير (عمر) المحضار، وما انطوى عليه من ترابط العلويين برابطة الميزة وبتأثيرها لحماية الدين... واتسع هذا الدور بتعيين السلك التمثيلي وانتداب المناصب بعد مرور عقدين أو ثلاثة من سني القرن التاسع للتمثيل والحكم في عدد من مناطق الإقليم الحضرمي، وبإقامة الشرع وبث الدعوة ونشر التعليم، وربط أرباب هذا السلك بتريم قاعدة النفوذ العلوي، ومقر النقابة العامة والمركز الجامع الممد للحركات الدينية والعلمية. هذا وقد اتسع المجال أمام التمثيل والانتداب لاشتداد الحركات العلمية وتقدم الأعمال الدينية، وانفسح الطريق لتوغل النفوذ العلوي حتى ساد الإقليم الحضرمي، وعم الجهات الدوعنية وتخلل نواحي نهد، وبلغ إلى منتهى حدود المهرة، وأوفى على تخوم اليمن

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحالية. وامتد من سواحل المحيط الهندي جنوبًا إلى أن أشرف على نجود العوامر، وأربى على مواطن الصيعر شمالاً. وتمتعت الأقاليم والأطراف المشمولة برعاية هذا الانتداب الديني بغاية الأمن والراحة ونهاية الطمأنية والإسعاد. وارتفع نفوذ الميزة العلوية إلى درجة فائقة من نفوس الأهالي، ونال مكانة جليلة لحمتها الاعتراف بالجميل، وسداها تقدير الخدمات العظيمة والمساعي الجسيمة.

-وأول واضع لنواة الميزة العلوية ومقرر لأصلها الأصيل وحكمها الوطيد هما الكتاب العزيز والسنة الكريمة. تصرح بذلك آيات المباهلة، وتبرهن عليه أحاديث الكساء، ويؤذن به حديث الثقلين.

-وهذا ليس خروجًا عن المألوفات العصرية، ولا ابتعادًا عن سنن ما هو ثابت من التقاليد المدنية، ولا منافاة -أو مجاوزة- لما هو مقرر من النظامات والدساتير الاجتماعية، فإن ميزة طبقة الأشراف بأوربا مصدر التمدن الحاضر، ومنبع الحضارة الحالية ثابتة شهيرة وظاهرة محسوسة. وفي إنكلترا لطبقة الأشراف مكانة عليا ومنزلة قعساء، ولهم في الدولة مجلس عالي يدعى مجلس اللوردات، ولهم مدارس خصوصية من بين سائر الطبقات، وعلماء الاجتماع عندهم يقولون بأن زوال الطبقة العالية من الأمم بمنزلة زوال الرأس من الجسد وإبادته عن الجثمان. ومعنى زوالها إنما هو سقوطها ونزولها إلى مستوى العامة ودرجة الدونية، بإلغاء الميزات ومحو الفوارق التي يجب أن تحجزها أنماط التربية وأوضاع التهذيب.

-والسبيل الأوحد لإنعاش الميزة العلوية هو فتح المدارس بجميع ضروبها: ابتدائية وثانوية وعالية، والإكثار من الصنف الداخلي، وإنشاء لجان دائمة للهيمنة على إصلاح التربية والتهذيب. ولوضع الخطط المثلى، وتخير الأساليب للثقافة العلوية، وتأسيس الكليات الجامعية لتخريج نشء علوي راق في الدين والأخلاق والعلوم، وأمجاد نابتة طيبة شريفة تتفرغ لنشر الدعوة وتجديد مجد الإسلام عن طريق التعليم والتدريس والخطابة والنشر. وفي التوزع في المهن الشريفة والأعمال الحرة والإدارة المالية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-ولإنعاش الحركة لا بد من الإشارة إلى الفرق بين التمسك والجمود، إن التمسك تدور شيمته المحمودة على التثبت بحقائق الدين ومطالب الشريعة كما نزلته نصوص الكتاب والسنة التي تتنزل على كل زمان ومكان. وشيمة التمسك امر آخر وراء منقصة الجمود الذي يعاب ويذم... ومنقصة الجمود تستسلم في وظيفتها لمجرد العادة وتتمثل في حركاتها ومظهرها بأنها خلو من النية التي هي روح الأعمال، وأس التفرقة بين العادة والعبادة، وفيصل التمييز بين الحركات الإرادية والاضطرارية.

-إن حركة إنعاش الميزة هي حركة تجديد وتطوير لترسيخ ولتحسين الثقافة العلوية. انتهى. هذا وفي الواقع نجد أن الميزة العلوية في حضرموت قد تجذرت خلال الدور الصوفي، وانتعشت خلال الدور التنويري، وهمدت خلال الدور الاشتراكي لتنتعش من جديد بعد زوال الدور الاشتراكي.

وما نشاط دار المصطفى ودار السقاف وجامعة الأحقاف في حضرموت اليوم إلا نوع من وسائل إحياء الميزة العلوية ولكن هذا الإحياء سلاح ذو حدين. وهو في خواتمه خير وبركة يرفد تيار الصحوة الإسلامية ويلتقي معها.

تكتل الإرشاديين وأنصارهم

أسباب نشوء التكتل:

حينما شب النزاع الفكري الاجتماعي بين الحضرميين في جمعية خير بمدينة بتافيا في جاوا من جراء الفتوى بصحة زواج العلوية بغير العلوي تحركت نوازع الاستعلاء لدى العلويين المسيطرين على (جمعية خير). وأخذوا يضايقون أهل السنة الذين رفضوا النزعة الشيعية المتعالية، والذين قد تأثروا بالأفكار الإصلاحية التجديدية التي كان يبثها العلامة الشيخ أحمد محمد السوركتي القادم من مكة المكرمة والمنضم إلى (جمعية خير). ونتيجة لهذه المضايقة ولهذا الاختلاف في الرأي أسس هؤلاء المتذمرون من التسلط العلوي جمعية جديدة في نفس المدينة بتافيا عام ١٩١٤م سموها (جمعية الإصلاح والإرشاد العربية). وكان من أهم شخصياتها:

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أ) الأستاذ عمر بن يوسف منقوش:

هو نقيب الجالية العربية في بتافيا (جاكرتا). ومن أهم الشخصيات الحضرمية المتحررة والداعمة بالمال والقول والعمل لجمعية الإصلاح والإرشاد العربية.

(ب) الأستاذ صلاح البكري الياعَحي:

وكما وقف السيد علوي بن طاهر الحداد بثقافته العالية وبمؤلفاته العديدة مندّدًا بالإرشاديين وممجدًا للعلويين. فقد نحا نحوه بالمقابل الأستاذ صلاح البكري في التنديد بالعلويين الحركيين والتمجيد بالإرشاديين وكان كتابه (تاريخ حضرموت السياسي) -الجزء الثاني- من أهم المراجع التاريخية التي تناولت الصراع الفكري والاجتماعي الحضرمي حيث كان في جانب الإرشاديين.

(جـ) الأستاذ سعيد بن سالم مشعبي:

كان هو الآخر من الشخصيات الإصلاحية البارزة والداعمة لجمعية الإصلاح والإرشاد العربية.

(د) الشيخ العلامة أحمد محمد سوركتي:

وهو سوداني المولد يمني الجذور ومن شيوخ أهل السنة والاجتهاد ومن المتأثرين بأفكار المدرسة التجديدية في الإسلام التي تأسست على أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وممن اقتفى بأثرهما من المصلحين المسلمين كالمجتهدين اليمنيين محمد الأمير ومحمد الشوكاني وكالشيخين محمد عبده ومحمد رشيد رضا اللذين عاشا في مصر. انضم إلى جمعية الإصلاح والإرشاد العربية عام ١٩١٥م وأسس مدرستها ودرس فيها بعد استقالته -مضطرًا- من مدرسة جمعية خير. وقد أفتى بصحة زواج العلوية بغير العلوي مما أشعل نار الحقد عليه من قبل رجال الفكر العلوي المناوئ لأفكار السنة والتنوير.

هذا ويعتبر المشائخ: ربيع بن طالب، وعثمان بن محمد العمودي، ومحمد بن محمد العمودي من أهم شخصيات الإرشاديين الحضارم.

(٢) جمعية الإصلاح والإرشاد العربية:

انضم إلى جمعية الإصلاح والإرشاد العربية كثير من الحضارمة في إندونيسيا

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتأثرين بأفكار أهل السنة والجماعة من أصحاب المدرسة الإسلامية التجديدية في العالم الإسلامي، والمعجبين بالأفكار الإصلاحية حول مفهوم الحرية والعصرنة التي بثتها الثقافة الغربية القادمة إلى إندونيسيا مع الاحتلال الهولاندي لها. فكانت هذه الجمعية بمثابة منبر جديد يظهر في أوساط الجالية الحضرمية بالمهجر ليمتد إلى بقية المهاجر والوطن الأم حضرموت. جندت جمعية الإصلاح والإرشاد العربية ما تملك من وسائل تربوية كالمدارس، ووسائل إعلامية كالصحف وعلى رأسها جريدة (الإرشاد) لسان حال الجمعية، لنشر أهدافها وللدفاع عن أفكارها ورجالها ضد هجمات الجانب الحضرمي الآخر.

وفي حلبة الصراع الفكري والاجتماعي بين العلويين والإرشاديين كانت (الرابطة العلوية) أكثر حركة وأقوى نفوذًا وأوسع إعلامًا. لتفوقها ماليًا وثقافيًا، ولوجاهتها المتجذرة في صميم المجتمع الحضرمي منذ الدور الصوفي كما بينا. وكان موقف (جمعية الإصلاح والإرشاد العربية) في كثير من الأحيان موقف المدافع عن اللكمات والهجمات الإعلامية التي يشنها عليها الجهابذة من مفكري ومثقفي (الرابطة العلوية) وأنصارهم ممن تعشعش في عقولهم العصبية العلوية والتعالي الاجتماعي.

قانون جمعية الإصلاح والإرشاد العربية:

في ٢٠/ ٨/ ١٩١٥م نشر رسميًا قانون جمعية الإصلاح والإرشاد العربية. وهو مكون من عدة فصول تناولت تشكيلات الجمعية وأهدافها. تتمحور هذه الأهداف حول اتجاه الجمعية العربي والإسلامي وآرائها الاجتماعية الإصلاحية كالحرية والمساواة. فهي بهذا تتميز عن (الرابطة العلوية) بسعة أفقها واتساع دائرتها وجنوحها نحو العدالة الاجتماعية. وقد تميزت أنشطتها الخيرية والثقافية لتشمل الأسر العربية كلها في إندونيسيا دون تخصيص.

وكما سيطرت الشخصيات العلوية على مفاصل القيادة والتأثير في جهاز (الرابطة العلوية) فقد هيمنت بالمقابل على الجهاز القيادي في جمعية (الإصلاح والإرشاد العربية) شخصيات حضرمية غير علوية. وربما كان قادة الإصلاح

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإرشاد أكثر حساسية وتخوفًا من اختراق الطرف الآخر لهم حتى قيل: إن الفصل الخامس من قانون الجمعية تضمن هذه العبارة: (ولا يجوز لأحد من السادة أن يكون عضوًا من أعضاء الرئاسة) [١].

(٤) أنصار جمعية الإصلاح والإرشاد العربية من العلويين:

لم يكن كل علوي من الحضارمة أو غيرهم يقف موقف العداء من الإرشاديين، ومن أفكارهم التجديدية والتنويرية أو يناصر أفكار الاستعلاء والتمايز الاجتماعي التي رفعتها (الرابطة العلوية)، بل إن هناك العديد من الشخصيات التنويرية العلوية الهامة التي وقفت بشجاعة ونزاهة وإخلاص وبفهم راقٍ وأصيل لروح الإسلام الإنسانية رافضة التوجه الشيعي المغالي والنزعة الصوفية المتزمتة. ومن هؤلاء:

(أ) السيد محمد رشيد رضا:

وقف السيد العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة إلى صف الإرشاديين لتمسكهم بالسنة قولاً وعملاً مع أنه علوي النسب، ولكن الحق أحق أن يتبع، مما أغضب عليه صديقه العلامة محمد بن عقيل الذي كان من أبرز العلويين [٢]. وقد سبق أن أشرنا إلى فتوى السيد محمد رشيد رضا بصحة زواج العلوية بغير العلوي. وتنديده في مجلة المنار بمغالاة السادة العلويين الحضارمة بأنسابهم وأحسابهم.

(ب) السيد حسن بن جديد الحبشي:

أثر هذا السيد على آل الحبشي فحيدهم في الصراع العلوي الإرشادي فانسحبوا من (الرابطة العلوية) والتزموا الحياد. أما هو فقد ندد بمواقف المتشددين من إخوانه العلويين خاصة علوي بن طاهر الحداد. وندد بجريدة (حضرموت) التي وصفها بالحمارة ووصمها بالمنافقة لأنها تحمل لواء العداء ضد الإرشاديين، ولواء الفتنة بين أبناء البلد الواحد. وسخر من مسألة التعصب لكلمة

---

(١) لم أطلع على نصوص هذا القانون لأجزم بصحة هذه العبارة.
(٢) نقلاً عن كتاب «هجر العلم» ج٤ صفحة ٢٢٢٥: تأليف إسماعيل بن علي الأكوع.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(سيد) و(حبيب) وتساءل ما المانع من إضافة كلمة سيد إلى غير العلوي؟ لأن السيدة ليست خاصة بالعلويين وحدهم. وإن حركة علوي بن طاهر الحداد المضادة للإرشاديين عاقبتها وخيمة لأنها ستضر بالمناصب وتضعف من شأنهم لدى إخوانهم غير العلويين، وقد بدت آثار ذلك في (جفل) ومناطق أخرى من دوعن بحضرموت.

مساعي الصلح بين العلويين والإرشاديين وتوحيد صفوف الحضارم:

(١) عمق الخلاف وجوهره:

لعبت وحدة الصف الحضرمي في إندونيسيا تحت لواء (الجالية العربية) دورًا هامًا في نهضة الحضارمة خاصة في الجانب التربوي والتعليمي، حيث نشروا التعليم وأسسوا المدارس واستقدموا لها المعلمين من الخارج. وكانت هذه الحركة المباركة وشيكة لأن تؤتي أطايبب ثمارها، وأن تتطور تطورًا سريعًا ومرضيًا لولا ما أعقبها من ظهور نزعة الافتراق، وهبوب تلك الأعاصير الحزبية التي حرفت تلك الحركة عن اتجاهها وصبغتها بألوان التحزب والشقاق، وأدت إلى التنافس المفضي إلى نكاية كل بالآخر. ومما يؤسف له أنه يوجد في بعضها اتجاهات ترمي إلى حب الشقاق والتطرف وتنشيط روح الغرور وعدم توخي الاعتدال في الآراء والنزعات. والحق إنه لولم تنكب هذه الجالية بنكبة الافتراق وفتنة الخلاف، وبقيت على اتحادها مع تيار التطور ونباهة الكثير منهم ونشاطهم لكان لهم شأن غير هذا الشأن ولبقوا كما كانوا في الأعين ملحوظين بنظر التعظيم والإكبار [١].

وإذا غضنا في عمق نكبة الافتراق وفتنة الخلاف بين أبناء البلد الواحد والملة الواحدة لوجدناه صراعًا حقيقيًا بين فكر قديم متزمت مشوب بالغرور والعظمة وفكر مستنير صاعد، بين فريق من الحضارمة المتنورين المتعالين وفريق آخر من المتنورين المنادين بالتآخي والمساواة الاجتماعية دون اعتبار لنسب أو حسب. فهو إذن صراع فكري واجتماعي، وهو بما أورثته من شحناء وما فاض به من

(١) صالح بن علي الحامد: رحلتي إلى جاوا.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شتائم أعمق من أن يكون مجرد صراع للحد من سلطة السادة على (مدرسة خير) في بتافيا بجاوى كما تصوره هارولد إنجرامس أول مستشار بريطاني مقيم في حضرموت. وليس هو للسيطرة على (الجالية العربية) في إندونيسيا بين المحافظين من السادة والمتنورين من غير السادة كما اعتقد البروفيسور سرجنت الباحث البريطاني المهتم بالشئون الحضرمية.

(٢) المحاولات لحل الخلاف وإعادة لحمة الصف الحضرمي:

تتحمل القيادات في (الرابطة العلوية) و(جمعية الإصلاح والإرشاد العربية) - تاريخيًا- مغبة الخلاف ونتائجه بالرغم من أن الخلاف جوهري ومبدئي في نظر كل طرف خاصة المتطرفين والمتشددين منهم. ولسنا هنا في دور المحاكمة والإدانة بقدر ما نريد استخلاص العبرة من دروس الماضي التي تعلمنا أن الاعتدال في الرأي يفضي إلى التقارب والتفاهم، وأن التشدد والتعنت والكبرياء والأنانية تقود إلى الاختلاف ثم الافتراق ثم النكبة. وتاريخنا العربي والإسلامي زاخر بمثل هذه العبر والدروس. ولعل أبرزها - والتي يعيشها الجيل العربي المسلم اليوم- مأساة فلسطين.

وقد عانى جيل حضرموت في المهجر والوطن الأم -الذي عاش المأساة التي وصفها الأستاذ النبيه صالح بن علي الحامد بفتنة الخلاف ونكبة الافتراق- الشيء الكثير من شدة وطأتها وتجرع كأس مرارتها، لأن المساعي الحميدة التي بذلت لم تكلل بالنجاح.

ومن الشخصيات المرموقة التي بذلت مساعيها للإصلاح بين الطرفين بحكم وجاهتها نذكر:

١- السلطان القعيطي والسلطان الكثيري.
٢- عوض شحبل.
٣- إبراهيم السقاف.
٤- الشيخ علي بن محمد الشبلي.
٥- محمد رشيد رضا.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن تحرك ونشط للإصلاح وتوحيد الصف الحضرمي:

١. السيد إسماعيل بن عبد الله العطاس:

أثار هذا الشاب المتحمس مسألة المصالح الحيوية للحضارم المهاجرين في جاوا وقال: إن طرح قضاياهم وحقوقهم على الحكومة الهولاندية المستعمرة لإندونيسيا يتطلب وحدتهم وتكاتفهم وموقفهم الموحد تجاه مطالبهم. وعليه فقد تمكن عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م من تشكيل لجنة برئاسته لتوحيد صفوف الحضارم. وقد أعلنت هذه اللجنة بيانًا دعت فيه إلى عقد مؤتمر يحضره ممثلون عن كل الجهات والزعامات الحضرمية في جاوا لتدارس أوضاعهم وقضاياهم وطرحها على الحكومة الهولاندية عن طريق مجلس النواب خاصة فيما يتعلق بحقوق المهاجرين الحضارمة.

وقد عارض أكثر العلويين لجنة السيد إسماعيل العطاس لأن الشيخ العلامة أحمد السوكرتي زعيم الإرشاديين عضو فيها، وفشل انعقاد المؤتمر التصالحي التوحيدي الذي دعت إليه اللجنة.

٢- السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف:

من المفروض أن تنجح مساعي السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف في التقريب بين العلويين والإرشاديين لما يتمتع به - كشخصية علمية وثقافية عالية - من قوة حجة وأنصع بيان وصراحة في القول. ولكن تعنت الجانبين أقوى مما يملك فباءت محاولته الأولى ثم الثانية بالفشل. وقد وضع السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف ثلاثة شروط للصلح بين الجانبين وهي:

(أ) نبذ السباب بما في ذلك الطعن في أنساب العلويين لصحتها. وعلى الفريقين مجانبة كل ما يجرح العواطف.

(ب) مذهب الحضرميين جميعًا واحد هو المذهب الشافعي. ومرجعهم عند الاختلاف إلى المعتمد منه.

(ج) مبادلة حقوق الإسلام من الآن. وما مضى موضوع كله تحت الرجل. وكان من الممكن أن تكون هذه النقاط الثلاث الأساسية مدخلاً لحل

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشكلات الأخرى التفصيلية لكن تمسك كل طرف بشروطه الخاصة قد أدى إلى فشل كل المحاولات التصالحية والتوحيدية التي بذلت؛ لعدم توفر الثقة بين الطرفين.

٤- مؤتمر الإصلاح الحضرمي:

أ - وضع حضرموت عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م:

مرت عشر سنوات على توقيع معاهدة الصلح العام بين السلطنتين القعيطية والكثيرية التي قبل بموجبها سلاطين آل كثير بمعاهدة الحماية البريطانية المعقودة بين بريطانيا والسلطان القعيطي، والتي أقر بموجبها القعيطي والكثيري بتبعية حضرموت لبريطانيا، وتحكيم والي عدن البريطاني في أي خلاف ينشأ بين الطرفين. وظل شعب حضرموت يعيش أتعس حياته من جهل وفقر ومرض وفوضى قبلية في الداخل، واختلاف وافتراق وصراع فكري واجتماعي في الخارج خاصة في جاوا و سنغافورة حيث يوجد أكبر تجمع حضرمي مهاجر هناك يتمتع برغد العيش وسعة المال. هذا التخلف في الداخل وذاك اليسار في الحال في المهجر يحتاج إلى إنقاذ سريع وإصلاح شامل لحضرموت بتعاون بين الحاكم والمحكوم.

وتتهيأ الفرصة لهذه الخطوة المباركة بتولي السلطان صالح بن غالب القعيطي زمام السلطنة القعيطية نيابة عن عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي المسافر في الهند. وهو الشخصية الحضرمية المشهود لها بالعلم والمعرفة وبرغبتها الصادقة في إصلاح حضرموت إداريًا واقتصاديًا وعلميًا بطرحه عددًا من المشاريع الزراعية والصناعية والصحية والتعليمية لتطوير البلاد. وتبرز شخصية الشيخ محمد الطيب الساسي، الحجازي الأصل، الجاوي المولد في حياة السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي وصفه بأنه أحد رجاله الأخصائيين. تمكنت هذه الشخصية غير الحضرمية أن تتصدر الخطوات التي وضعت خطة عملية لإصلاح حضرموت وأن تميل إلى صف الشخصيات العلوية الحضرمية المرموقة والثرية في وادي حضرموت وفي سنقافورة. فمن هو اليد الخفية وراء بروز هذه الشخصية غير

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحضرمية لتقوم بمهمة المفوض السامي والمفاوض باسم سلاطين حضرموت لدى شعب حضرموت في الوطن والمهجر؟ هذا ما يتطلب مزيدًا من البحث لكشفه. ويفشل الحضرميون في إصلاح حالهم ويهيمون في خلافاتهم إلى أن أتيح معاهدة الاستشارة البريطانية التي وقعها السلطان صالح بن غالب القعيطي نفسه عام ١٩٣٧م والسلطان جعفر بن منصور الكثيري عام ١٩٣٩م لفرض الإصلاح والاستقرار في حضرموت والتي اختلف حولها أيضًا الحضرميون وافترقوا [1].

ب - الدعوة لوضع خطة الإصلاح:

وجه السلطان صالح بن غالب القعيطي أثناء غياب عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي في الهند رسالة إلى سلاطين آل كثير وأعيان ووجهاء حضرموت في الوادي يدعوهم فيها إلى الحضور إلى الساحل للتداول في إصلاح حضرموت. حمل هذه الرسالة الشيخ الطيب الساسي الذي فوضه السلطان صالح لاختيار أعضاء الوفد بالتداول مع سلاطين آل كثير والسادة والقبائل في سيئون وتريم.

وتألف الوفد من الأميرين علي بن منصور بن غالب الكثيري وعبد الله بن محسن الكثيري ومرافقيهم ومن السادة العلويين وعلى رأسهم السيد أبو بكر بن شيخ الكاف والسيد علي بن عبد الرحمن بن سهل والسيد عبد الرحمن بن محمد بلفقيه والسيد عبد الله بن حسين السقاف وغيرهم والمقدم علي بن أحمد بن بمماني وآخرين. تجمع أفراد الوفد في المكلا في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـ ونزلوا ضيوفًا على السلطان صالح بن غالب القعيطي. وتبودلت الخطب في أول اجتماع لهم ثم عقدت عدة جلسات نوقشت فيها الآراء والمقترحات وانتهت بوضع نقاط رئيسية على شكل معاهدة وقعت في مدينة الشحر. وكان الشيخ الطيب الساسي الدينامو المحرك في هذه اللقاءات والناطق المتحدث باسم السلطان القعيطي والوفد الحضرمي الضيف.

(١) راجع موضوع معاهدة الإستشارة والموقف منها في موضعها من هذا البحث.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جـ - معاهدة الشحر او (مؤتمر الإصلاح الأول):

بحكم طبيعة تكوين الوفد الحضرمي المجتمع في المكلا ثم في الشحر والذي يشكل فيه العلويون الأغلبية. وهم الأوسع ثقافة ومالاً وعلى رأسهم أبو بكر بن شيخ الكاف وعلي بن عبد الرحمن بن سهل وغيرهما فقد تمت صياغة بنود معاهدة الشحر ومحتوى رسالتي السلطانين القعيطي والكثيري الموجهتين إلى المهاجرين الحضارمة في جاوا في الاتجاه الذي أراده العلويون، وتحقيقًا لمقاصد الرابطة العلوية في الإصلاح بحضرموت التي أشرنا إليها في موضعها من هذا البحث.

وأهم ما جاء في هذه المعاهدة:

(أ) العمل على إصلاح حضرموت واستقرار الأمن فيها وإسكات القبائل والفتن فيها سلمًا أو بالقوة ومقاطعة القبائل المتمردة.

(ب) تأسيس حامية عسكرية مشتركة من السلطنتين.

(ج) تشكيل جمعية وطنية عامة تساعد السلطنتين في جميع الإصلاحات وهي مؤقتًا الوفد الحضرمي الذي سيتحرك في الداخل والخارج.

هذا وقد راعت هذه المعاهدة الاتفاقيات السياسية التي وقعها السلاطين مع بريطانيا كما التزمت بعدم الإخلال بمركز السلطنتين في الساحة الحضرمية.

وقد تم توقيع هذه المعاهدة في الشحر بتاريخ ٢٦ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـ من قبل السلاطين:

١. صالح بن غالب القعيطي نيابة عن عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي.

٢. علي بن منصور بن غالب الكثيري نيابة عن والده السلطان منصور بن غالب الكثيري. كما وقع عليها أيضًا السلطان عبد الله بن محسن بن غالب الكثيري.

وشهد عليها كل من: - الشيخ محمد الطيب الساسي و(١١) علويًا من بينهم أبو بكر بن شيخ الكاف سلطان حضرموت غير المتوج. و(٦) من آل كثير ويافع وآخرون.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د- أهم النقاط المشتركة في محتوى رسالتي سلطاني حضرموت إلى المهاجرين في جاوا:

بالرغم من أن الرسالتين الموجهتين من سلطاني حضرموت إلى المهاجرين الحضارمة في جاوا منفردتان وموقعتان في تاريخين مختلفين حيث كانت الرسالة القعيطية بتاريخ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦هـ وكانت الرسالة الكثيرية بتاريخ ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦هـ، فقد تضمنتا أفكارًا مشتركة وحملهما إلى سنغافورة مندوب السلطانين الشيخ الطيب الساسي. وأهم هذه النقاط المشتركة هي:

١.الرغبة السلطانية في إصلاح الوطن ونبذ الخلاف والقضاء على الفتن.

٢.الإشارة إلى تشكيل الوفد الحضرمي من القبائل والسادة والأعيان.

٣.الإشارة إلى اتفاقهم على وضع أسس الإصلاح الشامل لحضرموت.

٤.دعوتهم للحضارم في المهجر للاشتراك والإسهام في (الجمعية الوطنية) المؤلفة مؤقتًا من الوفد الحضرمي المشكل في اجتماعهم بالشحر.

٥.اعتماد الأستاذ الفاضل الشيخ الطيب الساسي كمندوب ومفوض عنهما لوضع خطة عملية تنفيذية للإصلاح بموجب معاهدة الشحر.

هـ - مؤتمر سنغافورة او (مؤتمر الإصلاح الثاني):

انعقاد المؤتمر:

بدلاً من أن يتوجه الشيخ الساسي إلى جاوا للالتقاء بالحضارمة هناك لتنفيذ المهمة التي أوكله إياها سلاطين حضرموت وحسبما جاء في رسالتيهم إلى المهاجرين الحضارمة في جاوا، فقد استقر هذا المندوب في سنغافورة حيث رحب به فرع الرابطة العلوية فيها وخاصة رئيس الفرع السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف وسكرتير الفرع السيد أحمد بن محمد بن علي الجنيد. واكتفى بدعوة الحضارمة في جاوى بالمجيء إلى سنقافورة.

وفي سنغافورة تمت الترتيبات لعقد مؤتمر الإصلاح الحضرمي الثاني بهيمنة ومشاركة فعالة من (الرابطة العلوية) واستبعاد تام (لجمعية الإصلاح والإرشاد

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العربية) بتكتيك علوي فطن. وانعقد المؤتمر في منزل السيد إبراهيم بن عمر السقاف خلال الفترة: ٢٥/ ١٠. ١٠/ ١١/ ١٣٤٦هـ، ١٧/ ٤. ١/ ٥/ ١٩٢٨م.

وتكونت للمؤتمر هيئة مؤلفة من:

١. إبراهيم بن عمر السقاف (رئيسًا للمؤتمر).
٢. عبد الرحمن بن شيخ الكاف (نائبًا لرئيس المؤتمر).
٣. أبو بكر بن طه السقاف (سكرتيرًا للمؤتمر).
٤. أبو بكر بن محمد بن علي التوي (معاونًا لسكرتير المؤتمر).

وأعلنت هيئة المؤتمر بأن الهدف من عقد هذا المؤتمر هو مناقشة مشروع خطة ترمي إلى إشراك الحضارمة في المهجر مع الوفد الحضرمي المشكل في الشحر وممثلي الحكومتين القعيطية والكثيرية في الإصلاح الشامل لحضرموت. وانتهى المؤتمر بإعلان قراراته الشاملة لـ ٢٣ مادة التي تمت المصادقة عليها في الجلسة الختامية للمؤتمر المنعقدة في منزل رئيس المؤتمر السيد إبراهيم السقاف بتاريخ: ٢٢/ ١١/ ١٣٤٦هـ الموافق: ١٢/ ٥/ ١٩٢٨م.

هذا وقد جاءت صيغة المواد لتعزز من شأن الرابطة العلوية ولتوسع نفوذها في شئون حضرموت وتنهي جمعية الإصلاح والإرشاد العربية بل ولجرها إلى المحاكمة والإدانة مما قوَّض في النهاية كل خطوات الإصلاح.

وأهم ما جاء في قرارات مؤتمر سنغافورة ما يلي:

(أ) تكوين وفد رباعي برئاسة السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف رئيس فرع الرابطة العلوية في سنغافورة لحمل قرارات المؤتمر إلى الحكومتين الحضرميتين القعيطية والكثيرية وإلى الوفد الحضرمي المشكل في مؤتمر الشحر، وللمشاركة في تشكيل الجمعية الوطنية للإصلاح.

(ب) تشكيل لجنة تنفيذية رباعية من أعضاء المؤتمر؛ لتكون مرجعًا في تنفيذ قراراته. وقد تكونت من نفس أعضاء هيئة المؤتمر الأربعة.

(جـ) الاكتتاب لجمع المال لتنفيذ الإصلاح الوطني على أن تسهم الحكومتان الحضرميتان بمبلغ سنوي يعتمد في ميزانيتيهما، وأن توضع هذه الأموال تحت

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إشراف اللجنة التنفيذية آنفة الذكر.

(د) يتولى السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف باعتباره شخصية مالية معتبرة تأسيس (شركة تجارية وطنية) بأسهم من المواطنين على أن تحدد أسهم الحكومتين بـ٥٠% من مجموع أسهم الشركة. وأن تقدم الحكومتان للشركة المعاملة التفضيلية والتسهيلات اللازمة. وسوف يتفق السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف مع الحكومتين الحضرميتين على نوع وطبيعة هذه المعاملة التفضيلية والتسهيلات المطلوبة للشركة.

(هـ) وجوب إصلاح القضاء واستقلاله، وإصلاح التعليم والإشراف عليه، وتنظيم الجمارك والعمل بنظام (الترانسيت)، وعقد صلح بين قبائل حضرموت.

(و) تشكيل لجنة صلح برئاسة السلطان صالح بن غالب القعيطي وعضو من العلويين وآخر من غيرهم للتوفيق بين الفريقين المتنازعين (العلوي والإرشادي). وإذا لم تنجح لجنة الصلح في مهمتها فعليها تشكيل محكمة لمحاكمة الطرفين لتصدر حكمها للرأي العام لنبذ وتحقير الطرف المخطئ [1].

(٢) بيان مؤتمر سنقافورة:

نشر مؤتمر سنغافورة بعد انعقاده بيانًا عامًّا إلى (الأمة الحضرمية) [2] وقع عليه رئيس المؤتمر السيد إبراهيم بن عمر السقاف. تناول هذا البيان المنشور جميع الخطوات التي تمت بدءًا بدعوة السلطان المصلح صالح بن غالب القعيطي أعيان ووجهاء حضرموت للحضور إلى المكلا، فمؤتمر الإصلاح الأول بالشحر وانتهاءً بمؤتمر الإصلاح الثاني بسنقافورة. وقد تعرض البيان إلى الحالة المؤلمة التي تعيشها حضرموت من فقر وجهل وفتن. وإنه في عهد سلطاني حضرموت: عمر بن عوض القعيطي ومنصور بن غالب الكثيري يحدث هذا التوجه المبارك للإصلاح. وركز البيان على إنشاء الجمعية الوطنية للإصلاح وتعهد دولتي حضرموت بدعمها وتنفيذ قراراتها. وورد في هذا البيان الموجه للشعب

(١) ملخص من وثيقة مؤتمر سنغافورة المطبوعة والموجودة في خزانة كتب السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف بمنزله بتريم.
(٢) هكذا ورد في البيان.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحضرمي: إن عقد مؤتمر سنغافورة تم بناء على دعوة من الشيخ الطيب الساسي مندوب الدولتين الحضرميتين والوفد الحضرمي المشكل من الأعيان والوجهاء الحضارمة في مؤتمر الشحر الذي وضع الأساس لخطة الإصلاح. وإن مؤتمر سنغافورة قد خرج بالخطة العملية لتنفيذ الإصلاح في حضرموت في شكل قرارات تضمنت ٢٣مادة.

(٣) ردود فعل مؤتمر سنقافورة:

بدلاً من أن تلقي قرارات مؤتمر سنغافورة وبيانه العام ترحابًا عامًّا من كل سلاطين حضرموت وجمعياتها وأعيانها فقد رفض السلطان عمر بن عوض القعيطي هذه القرارات ونددت جمعية الإصلاح والإرشاد العربية بالقرارات وسخر العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه من أساليب العلويين في الاستحواذ بمثل هذه القضايا الوطنية الهامة واستبعاد الآخرين منها. وشكك هؤلاء المنتقدون لمؤتمري الإصلاح الحضرمي بشخصية الشيخ الطيب الساسي الذي حظي بثقة عجيبة في الدور الذي رشح له!.

(أ) رفض السلطان عمر بن عوض القعيطي للقرارات:

وجه سلطان أكبر وأغنى سلطنة حضرمية وهو السلطان عمر بن عوض القعيطي إلى جميع الحضارمة منشورًا برفض قرارات مؤتمر سنقافورة. وزع هذا المنشور في داخل حضرموت وفي المهجر ونشر في الصحف. وقد علل المنشور السلطاني الرفض بمآخذ عدة أهمها:

(١) إن موفود السلاطين آل كثير وصالح بن غالب القعيطي نائب السلطان عمر بن عوض القعيطي قد خرج عن جادة الحياد وتحيز للعلويين وتأثر بهم أثناء إقامته عندهم في تريم، وهو الشيخ الطيب الساسي. وهو رجل يجهل حضرموت غير ملم بعوائدها وقبائلها لأنه غريب عنها.

(٢) إن ذوي العقول الراجحة في جاوا لم يلبوا دعوة الشيخ الطيب الساسي للمجيء إلى سنغافورة لحضور مؤتمر الإصلاح الثاني، بحجة أن الداعي رجل غريب عن حضرموت والحضارمة، لا ناقة له ولا جمل في هذا الشأن الحضرمي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) إن قرارات مؤتمر سنغافورة قد انطوت على أغراض شخصية ظاهرها إصلاح حضرموت. وإنما هي تعود بأضرار جسيمة على حضرموت وأنها تنطوي على التفرقة بين أهل حضرموت ولهذا رفضناها.

(ب) رأي جمعية الإصلاح والإرشاد العربية في مؤتمر سنقافورة:

نددت جمعية الإصلاح والإرشاد العربية على لسان أحد أركانها وهو الأستاذ صلاح عبد القادر البكري بقرارات مؤتمر سنغافورة ومما جاء في كلامه:

(١) لم يكن الشيخ الطيب الساسي مندوبًا محايدًا تجاه التحزب بين الحضارمة الموجود لديهم في شكل حركتي (الرابطة العلوية) وجمعية (الإصلاح والإرشاد) اللتين مقرهما جاوا حيث يقطن معظم الحضارمة المهاجرين. وهو بدلاً من أن يواصل طريقه إلى جاوا نزل ضيفًا مكرمًا على السادة آل الكاف في سنغافورة الذين أغدقوه بحفاوتهم وضيافتهم، مما جعله ينسى مواصلة رحلته إلى جاوا مسقط رأسه وغاية رحلته.

(٢) إن اختيار الساسي سنغافورة لعقد مؤتمر الإصلاح الحضرمي الثاني - حيث هي معقل الرابطة العلوية القوي وحيث يوجد نفوذ السادة آل الكاف الأثرياء- يعتبر تحيزًا منه لحركة (الرابطة العلوية).

(٣) حذرت المعارضة جميع الحضارمة في الوطن والمهجر من التعاون مع أقطاب مؤتمر سنغافورة وقراراته التي تقود إلى:

(أ) الهيمنة والسيطرة على الحكومتين الحضرميتين كما فعلت جمعية الحق بتريم بسيطرتها على جميع صلاحيات حاكمها عبر منحه مرتبًا منتظمًا.

(ب) إخضاع ميزانية الدولتين للجمعية الوطنية بالطريقة التي اتخذها مؤتمر سنغافورة دون أي حق في تعديل هذا القرار.

(ج) فرض السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف ليكون المؤسس لشركة تجارية وطنية تتمتع بالأفضلية لدى الحكومتين.

(د) عدم تمثيل (جمعية الإصلاح والإرشاد العربية) في مؤتمر سنغافورة الذي سيطرت عليه (الرابطة العلوية)..

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ج) رأي العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف في مؤتمري الإصلاح الحضرمي:

عايش السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف فعاليات مؤتمري الإصلاح حيث كان موجودًا في المكلا أثناء وجود الوفد الحضرمي المكون من السلاطين والأعيان، وكان موجودًا في سنغافورة أثناء انعقاد المؤتمر. ونكتفي هنا بإيراد بعض عباراته التي وردت في كتابه المخطوط (بضائع التابوت) التي قيم بها مؤتمري الإصلاح الحضرمي ونتائجهما:

-كتت وقتها في المكلا حين اجتمع أعضاء الوفد الحضرمي للإصلاح وتحاوروا دون الوصول إلى شيء يستحق الذكر سوى أنهم كتبوا المعاهدة في المكلا ووقعوها في الشحر بتاريخ ٢٦ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـ.

- أعجب ما يكون في اجتماع المكلا أن الساسي -وأصله من مكة- كان هو الخطيب نيابة عن الوفد ثم كان هو الخطيب نيابة عن السلطان كما نشر ذلك في جريدة النهضة.

- عقد مؤتمر سنغافورة أولى جلساته وكنت إذ ذاك في سنغافورة ولم أشهد شيئًا من مجالسه سوى المأدبة التي عملها الأخ الوجيه إبراهيم بن عمر السقاف بمناسبة الجلسة الختامية. وبالرغم من كثرة النسخ المطبوعة من قرارات المؤتمر المكونة من ٢٣مادة فإنها أصبحت في حكم النسخ بمنشور السلطان عمر بن عوض القعيطي.

- التواجد الفعلي لأنصار الرابطة العلوية منذ تشكيل الوفد الحضرمي المرسل إلى المكلا وإهمال يافع وآل كثير في عضوية هذا الوفد -مع أنهم قوام الدولتين- فيه تحيز. وما كان لهيئة تنوي الإصلاح أن تبخس الناس أشياءهم ولكن الأغراض تغطي على البصائر. وبعد هذا لم نشعر إلاّ وجريدة الأهرام المصرية وغيرها من الصحف تهبط على الناس بمنشور أمضاه السلطان عمر بن عوض القعيطي يرفض فيه قرارات مؤتمر سنغافورة [1].

---

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: بضائع التابوت.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا فشلت مساعي الحضرميين لإصلاح بلادهم وما ذلك إلاّ للصراع الفكري والاجتماعي الذي شب بينهم في المهجر ولاختلاف الأهواء والمصالح بينهم. وكانت الصحف العربية والحضرمية هي الوسيلة لنشر غسيلهم. وقد قام أنصار مؤتمر سنغافورة بمهاجمة منشور السلطان عمر بن عوض القعيطي في جريدة (حضرموت) إحدى صحف الرابطة العلوية وكذا في بعض الصحف المصرية. وتسير الأيام ويتطور الوعي الحضرمي نحو الأفق الأرحب خارجًا من نمقم التخلف من جهل وفتن وعصبيات لا تورث إلاّ البغضاء والتناحر كما سنرى لاحقًا.

٥- مجالات النهضة في حضرموت:

أ.تحرر الفقهاء من القيد الصوفي:

هيمن الفكر الصوفي خلال دوره على الحياة الفكرية في حضرموت بما في ذلك الفقه. وقد رأينا أن الفقيه المقدم الذي دشن الدور الصوفي الحضرمي هو نفسه كان فقيهًا ضليعًا. وقد غضب عليه شيخه علي محمد بامروان حينما انصرف إلى التصوف وترك حلقات شيخه؛ لأن الشيخ العلامة علي بن محمد بامروان كان يتوسم في الفقيه المقدم نبوغًا في العلوم الفقهية لما لاحظ عليه من ذكاء وفطنة. واستمالت علوم الصوفية وأفكارهم عددًا كثيرًا من العلماء والفقهاء بحضرموت فاشتغلوا بها، وانقطعوا لقراءة كتبها ودراسة رموزها ومصطلحاتها. ويقول مؤلف المشرع الروي: إن أهل حضرموت كانوا مشتغلين بالعلوم الفقهية والأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية ولا من يكشف مصطلحاتهم السنية فأظهر الفقيه المقدم علومها، ونشر في تلك النواحي أعلامها فأخذ عنه الجم الغفير، وتخرج به العدد الكبير من أجلّهم:

(١) الإمام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعباد.
(٢) الإمام الشيخ عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن باعباد.
(٣) العلامة عبد الله بن إبراهيم باقشير.
(٤) العلامة الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥) العلامة الشيخ علي بن محمد الخطيب [١].

وبالرغم من الخلاف الواضح بين النزعتين الصوفية والفقهية فإنهما ظلتا في حضرموت على وئام، ولم يحدث بينهما صراع كما حدث بين المتصوفة والفقهاء في شمال اليمن. بل إن كثيرًا من فقهاء حضرموت اعتنقوا الآراء الصوفية دون أن يروا فيها ما يصطدم مع نصوص ظاهر الشريعة الإسلامية. ويبررون شطحات الصوفية بأنها حالة خاصة خارجة عن نطاق التكليف. ولقد قال القطب الصوفي عبد الله بن علوي الحداد يصف التزام الصوفية بالكتاب والسنة:

والزم كتاب الله واتبع سنة واقتد هداك الله بالأسلاف.

هذا وبالرغم من الهدنة القائمة بين الفقهاء والصوفية فإن كبار الصوفية لم يسمحوا بأي علو منزلة للفقهاء دونهم كما فعلوا مع الشيخ العلامة الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة (٩٠٧ - ٩٧٢هـ) الملقب بالشافعي الصغير الغزير التأليف في الفقه والتوحيد وفي الرد على طائفة ابن عربي الصوفية، وفي الفلك والرياضيات، والذائع الصيت في الشحر وعدن وزبيد وتعز والحرمين الشريفين. لقد حارب الصوفية هذا الفقيه الجليل فأهملوا كتبه وفتاويه واعتمدوا كتب أحمد بن حجر الهيثمي في التدريس والفتوى. وفي ركب عبد الله بن عمر بامخرمة الذين استقلوا بالفقه والفتاوى خلال الدور الصوفي جاء من بعده فقهاء متميزون من أمثال:

١- محمد بن عبد الرحمن الأسقع باعلوي المتوفى عام ٩٧٤ هـ.

٢- علي بن على بايزيد الذي عينه السلطان بدر مدرسًا في مدرسته بالشحر وكانت له فتاوى جامعة. توفي في الشحر عام ٩٧٥هـ.

٣- عبد الرحمن بن محمد بامزروع الذي انتهت إليه رياسة الفتوى في عصره وكانت له فتاوى.

٤- عبد الله بن حسين بلفقيه باعلوي وله مجلد ضخم من الفتاوى وتآليف أخرى. توفي بتريم عام ١٢٦٦هـ.

(١) سعيد بن عوض باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- محمد بن عبد الله باسودان. وقد درَّس وأفتى وألَّف وتوفي في الخريبة بلدوعن سنة ١٢٨٢ هـ.

وكانت مسيرة العلامة عبد الله بن محمد المشهور مفتي الديار الحضرمية المتوفى عام ١٣٢٠هـ الذي ألَّف ودرَّس خطوة البداية لفقه متحرر وتدريس مميز استرجع به الفقهاء عافيتهم. فكانت الفتاوى المشهورة، وكانت الأربطة [١]، وتقلصت في أثرها الزوايا، ومنحت الشهادات والإجازات العلمية عبر الدراسة المنظمة للقرآن والسنة والاستنباط والقياس والمنطق والعقل، كبديل عن طريق الصوفية في الإجازة العلمية بوساطة طريقة إلباس الخرقة وما شابهها، أو عن طريق الواردات والإلهامات أو ما يسمى بالعلم اللدني. كما تأتي في نفس الاتجاه فتاوى الشيخ العلامة أبي بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب (١٢٨٦-١٣٥٦هـ).

فقد اخترق هذا الشيخ الجليل حاجز الكفاءة الزوجية القائم على النسب وأفتى بأن للعوامل المعيشية والمستوى الاجتماعي الدور الأكبر في تحديد الكفاءة الزوجية وليس النسب ككفاءة ذاتية كما يطرح ذلك المغالون في التشيع من أهل البيت. ولم تدون هذه الفتوى في كتابه (الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة) التي جمعها تلميذه الأستاذ الجليل السيد سالم بن حفيظ في ٣٠ كراسًا. وقبل الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب وضع القاضي العلامة السيد طه بن عمر بن طه بن عمر الصافي السقاف المتوفى عام ١٠٦٣هـ كتابه «المجموع لمهمات المسائل من الفروع» الذي أورد فيه العديد من المسائل الفقهية والفتاوى الشرعية. وفيه ذكر أن الشريف العلامة علي بن عبد الرحمن قال: ومن أراد الوقوف على أصول المذهب خصوصًا في الأنكحة تعب وأتعب. ومن تتبع الفتاوى في ذلك يجد المخلص إن شاء الله. فإن مذهب مالك أن الكفاءة لا تعتبر إلاّ في الدين أي الإسلام فقط. وقد عمل به بعض مشائخنا لمصلحة اقتضت ذلك أو خوف مفسدة.

(١) راجع موضوع الأربطة في كتاب المؤلف: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن الجزء الأول.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أسقط كثير من فقهاء حضرموت شرط النسب في الكفاءة الزوجية: فعقد الفقيه سليمان باحويرث وهو نائب الخريبة بدوعن بامرأة ولي أمرها كان غائبًا. ولما قدم الولي اعترض على عقد الزواج بحجة أن الزوج غير كفء لها. ورفع الأمر إلى قاضي الشحر عبد الله باعمر الذي أقر عقد الزواج. وبالمثل زوج الفقيه أحمد بن حنبل بنت الخطيب على معصر من عبيد آل يماني بغير إذن ولي أمرها وهو حاضر في تريم. وزوج السيد يوسف بن عابد شريفة من تريم وليها غائب على باحنان. وزوج السيد حسين بافقيه بنت بافضل في تريم على الخادم عبد الرحمن باصفط وأبوها غائب [1]. وجاء في نفس المصدر أن العلامة أبابكر العيدروس العدني ذكر أنه إن خرج إلى تريم سيزوج الشرائف بآل بافضل والقرار المستوين [2]. ويكون أبوبكر العيدروس العدني برأيه هذا أول صوفي علوي حضرمي يسقط شرط النسب في الكفاءة الزوجية آخذًا بمذهب الإمام مالك ومعلنًا مبدأ المساواة بين الحضرميين وهم عرب مسلمون. ويبدو من هذه الحالات أن الآباء هم حجر عثرة أمام تزويج بناتهم وإنقاذهن من سجن العنوسة وذلك تعصبًا منهم.

هذا ويمثل خريجو الأربطة والمعاهد الدينية في حضرموت والأزهر في مصر وكلية الشريعة في السودان علماء شريعة وفقهاء متحررين من قيود التصوف مما كان له الأثر الواضح في تأسيس نظام قضائي متطور في حضرموت.

ب - تنظيم القضاء وتعزيز دور المحاكم الشرعية:

*سادت خلال الدور الصوفي الفوضى القبلية والجهل معًا، مما كرّس أعرافًا وتقاليد في المدن تنظم العلاقات التجارية وشئون الملاحة والصيد والفلاحة، وأعرافًا وتقاليد بين القبائل تنظم العلاقات بينهم حربًا وسلمًا، كما تنظم

(١) طه بن عمر بن طه الصافي السقاف: المجموع لمهمات المسائل من الفروع.
(٢) جاء في الشكل رقم (٣) صفحة (٥٩) من بحثنا هذا أن السادة يمثلون فئة التعالي في الهرم الاجتماعي الطبقي. ويأتي المشايخ ومنهم آل بافضل وآل الخطيب في مرتبة أدنى فئة التعالي. وأما القرار والأخدام والعبيد فيمثلون فئة التمسكن وهي الفئة الثالثة والأخيرة في بنية ذلك الهرم الاجتماعي. ويحتل القرار وهم الحضر مرتبة أعلى في فئة التمسكن نفسها.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصالحهم مع سكان المدن والقرى والتي غالبًا ما تكون جائرة في حق أهل المدن وتجافي العدالة الاجتماعية وتخالف الأحكام الشرعية لدرجة أن وصف بعضها «بالباطل وباطل الباطل».

وباستقرار الأمن ورسوخ نظام الدولة، ونشوء الأربطة العلمية والمعاهد الدينية وتخرج أفواج من الدعاة وفقهاء الشريعة تهيأت الظروف والإمكانيات العلمية لإبراز دور الشريعة الإسلامية وبسط نفوذ القضاء الشرعي بين الناس جميعًا. والتقليل تدريجًا من دور المحاكم العرفية ومن هيمنة العادات والتقاليد المرعية. والانتقال من الفتاوى وكتب الفقه إلى التشريعات القضائية. هذا وقد سار تنظيم القضاء وتعزيز المحاكم الشرعية متوازيًا في السلطنتين الحضرميتين القعيطية والكثيرية. وكانت الكثيرية أكثر تحفظًا وأقل اندفاعًا نحو التغيير من أختها الكبرى. السؤال لماذا ؟ بالطبيعي لذلك لهيمنة آل علوي

ومن إجراءات هذا التغيير في السلطنة القعيطية والتي أشرف عليها الشيخ العلامة عبد الله عوض بكير ما نقلناه عن الموسوعة اليمنية:

١- في عام ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م صدر المرسوم السلطاني رقم (٥) الذي اعترف بشرعية الأحكام العرفية بين القبائل وحد من الأحكام التي تخالف النصوص الشرعية صراحة، أو ما خالف منها روح العدالة والأخلاق.

٢- وفي عام ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩م بدأ الإشراف على المحاكم والتفتيش عليها.

٣- وفي عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م صدر القانون رقم (١) الذي قضى بإعادة تنظيم وتشكيل محاكم الدولة القعيطية على النحو التالي:

أ- محاكم محلية تعمل بموجب قانون المجالس المحلية.

ب- محكمة القائم في المقاطعة وهي مكونة من القائم في المقاطعة.

جـ- محكمة النائب باللواء وهي مكونة من نائب السلطان باللواء.

د- محكمة المقاطعة ويشغلها قاضٍ واحد.

هـ- محكمة اللواء وتشكل من قاضيين أحدهما من الدرجة الأولى والآخر من الدرجة الثانية.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و- محكمة الاستئناف ومقرها المكلا وتشكل من ثلاثة قضاة: رئيس وعضوين.

ز- المحكمة العليا (المجلس القضائي) وتأتي في قمة السلم القضائي ويرأسها كبير القضاة في السلطنة وعضوان يختاران بموافقة رئيس مجلس الدولة.

٤- وفي عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م صدر المرسوم السلطاني الذي أدخل بعض التنظيمات على المحاكم ووزع الاختصاصات في المناطق المختلفة بين المحاكم الشرعية والعرفية. مما خفف من ممارسات النواب والقوام بأعمال السلطنة في الألوية والمقاطعات وتدخلهم في شئون القضاء. كما أوضح مهام المحكمة العليا [1].

وفي السلطنة الكثيرية تشكلت المحاكم الشرعية في أمهات المدن وعين لها القضاة ومن أندرهم أمانة ونزاهة كان الشيخ القاضي مبارك بن عمير باحريش المتوفى سنة ١٣٦٧هـ. وتأسست في سيون محكمة الاستناف وتشكل مجلس أعلى للقضاء. إلاّ إن هناك مجلس إفتاء مستقلاً مقره تريم ترأسه الشيخ العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان المتوفى سنة ١٣٨٦هـ. وتعتمد المحاكم الشرعية في السلطنة الكثيرية فتاوى هذا المجلس. وغالبًا ما يلجأ الناس إليه خاصة في مدينة تريم وأحباطها لبعده عن الروتين الحكومي. وقد دخل هذا المجلس في مطارحات فقهية انتقد فيها الإجراءات القضائية من لوائح ومنشورات التي صدرت في السلطنة القعيطية.

جـ - الصحافة والتعليم:

من أهم وأبرز أنشطة ومجالات النهضة الحضرمية الصحافة والتعليم، كوسيلتين فعالتين لخلق وتطوير الوعي الفكري والاجتماعي لدى الكبار والناشئة. وتسابق الحضرميون على اختلاف اتجاهاتهم في إصدار الصحف وتأسيس المدارس في المهجر والوطن. وكان للعلويين الحضرميين باع طويل في التربية والثقافة والعلم خلال الدور التنويري، فكان لهم السبق في ذلك لا يدانيهم

(١) الموسوعة اليمنية الجزء الثاني.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بنا غيرهم من المتنورين والمثقفين الحضارم. فألَّفوا الكتب وأصدروا الصحف وانشأوا المدارس مما يشهد لهم بذلك، بصرف النظر عن بعض التوجهات الفكرية التي يحملونها أو المغالاة في سرد مناقب أسلافهم. واهتم البريطانيون المحتلون لحضرموت بنشر التعليم وتحديثه خلال الدور التنويري خاصة بعد ارتباط مستعمرة عدن (وحضرموت إحدى محميات عدن) بوزارة المستعمرات البريطانية في لندن عام ١٩٣٧م.

ويبين الجدول رقم (٢) - الذي أخذت أكثر معلوماته من الجزء الثاني للموسوعة اليمنية - أسماء وأصحاب الصحف من جرائد ومجلات إسبوعية وشهرية التي صدرت في جاوا و سنغافورة خلال الفترة (١٩٠٦. ١٩٤٣م) التي زامنت الصراع الفكري والاجتماعي بين العلويين والإرشاديين من الحضارم. وبالرغم من اتجاهات هذه الصحف المتباينة فإنها قد أسهمت بفعالية في نشر المعارف والتراث الحضرمي وفي توعية الجماهير. وكان الأساتذة أحمد بن هاشم بن طاهر وعقيل بن محمد بن يحيى ومحمد سالم بارجاء من أبرز الشخصيات الأدبية والصحفية في المهجر. ولم يكن صدور هذه الصحف في زمن واحد كما لم تكن كلها متزامنة فقد تظهر هنا صحيفة وتختفي هناك صحيفة أخرى. أما في داخل حضرموت فقد كانت أقدم صحيفة ظهرت هي (السيل) خلال الدور التنويري والتي أصدرها السيد الداعية والأديب الصحفي محمد بن عقيل بن يحيى ثم تلتها صحف أخرى في مختلف مدن حضرموت منها:

١- التهذيب في سيون.

٢- إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الإخاء في تريم. والحلبة في مسيلة آل شيخ. ويكتب فيهما أعضاء جمعية الأخوة والمعاونة.

٣- النهضة، والمنبر، والأمل في المكلا.

٤- الاتحاد في عينات..

٥- شمس الآفاق في شبام.

٦- لسان الريف في القطن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدول رقم (٢) كشف بالصحف الحضرمية التي صدرت في جاوى وسنغافورة

الرقم	اسم الصحيفة	معلومات عنها
١	الإمام	صاحبها محمد بن عقيل بن يحيى
٢	الترجمان	باللغة العامية صاحبها محمد بن عقيل بن يحيى
٣	العميل	باللغة العامية صاحبها محمد بن عقيل بن يحيى
٤	برهوت	باللغة العامية صاحبها محمد بن عقيل بن يحيى
٥	المكوى	باللغة العامية صاحبها محمد بن عقيل بن يحيى
٦	البشير	أصدرها محمد بن هاشم بن طاهر
٧	الميزان	من أهم المحررين فيها محمد بن هاشم بن طاهر
٨	الإصلاح	صاحبها كرامه بلدرم
٩	الإقبال	صاحبها محمد سالم بارجاء
١٠	الإرشاد	الناطقة بلسان جمعية الإصلاح والإرشاد العربية
١١	الرابطة	الناطقة بلسان الرابطة العلوية
١٢	الدهناء	
١٣	الأحقاف	
١٤	الهدى	
١٥	الذخيرة	
١٦	حضرموت	صاحبها عيدروس المشهور
١٧	العرب	صاحبها حسين بن علي السقاف
١٨	النهضة الحضرمية	صاحبها طه السقاف
١٩	الشعب الحضرمي	صاحبها فرج طالب الحضرمي
٢٠	السلام	صاحبها أحمد عمر بافقيه
٢١	المرشد	أصدرها نخبة من الشباب المهاجرين
٢٢	الذكرى	صاحبها عبد الله بن عبد الرحمن الحبشي
٢٣	صوت حضرموت	صاحبها طه السقاف

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن أهم الصحف الأوسع انتشارًا والأرقى طباعة وإخراجًا والأبلغ دورًا في النوعية ومسايرة الأحداث والتي استمرت حتى الاستقلال حين صادرها النظام السباسي الجديد هي:

١- الطلعية في المكلا للأستاذ الصحفي والأديب أحمد عوض باوزير.

٢- الرائد في المكلا للأستاذ الشاعر والأديب حسين محمد البار.

٣- الرأي العام في المكلا للأستاذ الصحفي الأديب علي عبد الرحمن بافقيه.

وتميزت هذه الصحف الثلاث بترفعها (إلى حد ما) عن المهاترات والتوترات والتشنجات التي مارستها بعض صحف المهجر. كما كانت هذه الصحف الثلاث ميدانًا رحبًا لتنشر فيها أفكارها الطليعة الجديدة من الشباب الواعي المثقف.

هذا وقد رافق الحركة الإعلامية حركة تأليف لتاريخ حضرموت ودراسة نقدية واسعة للتراث. وقد اتهم عميد المؤرخين الحضارمة السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه (جني الشماريخ) الأخلاف في ضياع تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها وقال: «إن الأخلاف رأوا في سيرة الأسلاف ماينكرونه عليهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها» ولكن لم يذكر لنا من هم الأخلاف وماذا ينكرونه عن الأسلاف كما ذكر ذلك الأستاذ عبد القادر بن محمد الصبان في كتابه (الحركة الأدبية في حضرموت).

وفي مجال التعليم فقد انتشرت المدارس العديدة في كل جهات المهجر الحضرمي لكن أكثرها كالصحافة كانت في جاوى وسنغافورة ويأتي الأساتذة: أحمد السوركتي ومحمد بن هاشم بن طاهر وأحمد عبد الله السقاف من أبرز التربويين الذين نظموا التعليم وأسسوا المدارس ودرَّسوا فيها في بلاد المهجر. وأما في حضرموت نفسها فقد شهد الدور التنويري نهضة تعليمية في مختلف مناطق حضرموت. وآتت الأربطة أكلها، وتأسست المدارس الأهلية ثم جاء دور إدارتي المعارف في السلطنتين القعيطية والكثيرية في تحديث وتعميم التعليم الحكومي. وتناول التحديث المناهج والإدارة المدرسية وتدريب المعلمين وتأهيلهم ورفع مستوى المراحل التعليمية إلى التعليم الثانوي بل إلى التعليم

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العالي بافتتاح كلية المعلمين الوسطى في المكلا عام ١٩٦٦م. كما أرسلت البعثات التعليمية الأهلية منذ وقت مبكر إلى العراق ثم سوريا ومصر. كما توجهت البعثات التعليمية الحكومية إلى عدن والسودان ولبنان وبريطانيا. وبالنسبة لتعليم الفتاة وهي نصف المجتمع كما يقال فقد كان لجمعية الأخوة والمعاونة بتريم السبق في ذلك. ويبقى الشيخ العلامة عبد الله الناخبي إمام مسجد عمر ومشرف المكتبة السلطانية بالمكلا علمًا بارزًا كأول من نظم وأشرف على مدرسة البنات بالمكلا وهي أول مدرسة حكومية للبنات في حضرموت [1].

د - بروز الظاهرة الجماهيرية:

في بدايات الدور التنويري كانت التطورات الفكرية والاجتماعية مقتصرة على شريحة ضيقة من المجتمع.

وبانتشار التعليم على نطاق أوسع وتنامي الوعي الفكري والاجتماعي في صفوف مختلف فئات المجتمع نشأ جيل جديد ممن قربت بينهم مقاعد الدراسة والتحصيل العلمي بعيدًا عن انتماءاتهم الاجتماعية فاتحدوا وتعاونوا وتخلصوا من عقد آبائهم وتآلفوا في أندية رياضية وثقافية واحدة وفي جمعيات تعاونية ومهنية مشتركة. وأخذ الوعي السياسي يدب في صفوفهم ولم تعد حساسيات الماضي الاجتماعية والفكرية تؤرقهم أو تفرق صفوفهم. لكن لما كانت الأفكار السياسية التي أتوا بها من منابت دراستهم في الخارج أو هلّت عليهم عبر الصحافة والإذاعة العربية أو هي نتيجة اغترافهم من مناهل الثقافة الغربية، متعددة الأهواء والاتجاهات فقد تمزق شملهم من جديد ودفعت الخلافات السياسية بالكثير منهم إلى الهجرة من جديد ولكن هذه المرة صوب البر بدلاً من البحر كما حدث فعلاً خلال الدور الاشتراكي كما سنرى ذلك في حينه.

٦. أعلام التنوير الحضرمي:

برزت شخصيات حضرمية على مستوى عال من الثقافة الواسعة والمواهب

(١) راجع التفاصيل عن التعليم في حضرموت في كتاب «التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن» للمؤلف إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتعددة كانت لها بصماتها الجلية ودورها الفاعل في التجديد والتطوير والإصلاح ونقد مساوئ الجمود والتخلف الموروث. ودعت إلى التمسك بالأصيل والعودة إليه وترك الجمود والتكبر. وأبانت من خلال آرائها ومواقفها الإصلاحية أن ما شرعه الله وما حققه العلم هو ما يجب التمسك به وأن ما ابتدعه البشر وخالف الشريعة السمحاء وأورثه الجهل هو ما يجب نبذه. وقد اخترنا نماذج من رجال الإصلاح الحضرمي المجددين لتغطية مختلف جوانب النهضة التي تميز بها الدور التنويري الذي نحن بصدده. وقد تم ترتيبهم حسب التسلسل الزمني لحياتهم قدر الإمكان علمًا أن معظمهم كانوا متزامنين وهؤلاء هم:

أ- حسن بن علوي بن شهاب (١٢٦١- ١٣٣٣هـ):

يعتبر العلامة حسن بن علوي بن شهاب من أوائل رجال الإصلاح الحضرمي في عهد التنوير. اهتم بالتربية والتعليم وإصلاح أساليبه وطرقه. وانتقد الأوضاع الاجتماعية الطبقية والأفكار المتزمتة في حضرموت وكان شجاعًا صريحًا في طرحه للأفكار التي ضمنها كتابه (نحلة الوطن) ومقالاته التي نشرها في الصحف الحضرمية كجريدة (الإصلاح) والصحف المصرية مثل (المؤيد) و(المنار) وهما الصحيفتان اللتان تبنتا أفكار المدرسة التجديدية التي وضع أسسها المفكران الإسلاميان ابن تيمية وابن قيم الجوزية. وأدى احتكاك الداعية حسن بن علوي بن شهاب بأعيان طبقته العلوية إلى عداءٍ سافر نحوه. فقاسى منهم الأذى والمحن بما في ذلك الأفعال القبيحة كقطع إذن حماره وتلطيخ جدران منزله بالعذرة وهذا شأن المصلحين الجسورين.

ويكفيه فخرًا أن جده محمد رسول الله ﷺ قد لاقى قبله صنوفًا من الأذى من قومه كوضع (سلا جزور) على ظهره وهو ساجد حتى أتت ابنته فاطمة الزهراء فرفعتها من على أبيها المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وكان رجلاً عالمًا فقيهًا ملتزمًا بالسنة. وقف في وجه المغالين في التشيع وألَّف كتابه (الرقية الشافية من سموم النصائح الكافية) ردًا على كتاب زميله وابن أسرته الشاعر الموهوب أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب المسمى (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية).

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢ - ١٣٤١هـ): فلسفة التشيع

ولد بحضرموت وتوفي بالهند وتخرج من رباط سيون على يد شيخه علي بن محمد الحبشي. كان أبوبكر بن شهاب شيعي النزعة وثائرًا اجتماعيًا وفكريًا. انتقد بصراحة سلوك الدجالين والمشعوذين باسم التصوف. وبالرغم من تعدد تصانيفه وتنوعها فقد نبغ واشتهر كشاعر غزلي وناقد اجتماعي، عشق الخمر والمرأة. وتطاول في غلوه العلوي على الصحابة وعلى رأسهم كاتب النبي محمد ﷺ ومؤسس الدولة الأموية الصحابي معاوية بن أبي سفيان، وهو ينحى في هذا منحى بعض الأئمة الزيدية كمؤلف رسالة (نزهة الأنظار في مصطلح الحديث) والذي طبعته وزارة التربية والتعليم في الجمهورية اليمنية عام ١٤١٨هـ ككتاب مقرر لطلبة السنة الثالثة من المدرسة الثانوية. مما أثار ضجة فكرية في أوساط أهل السنة والجماعة في اليمن كلها فتعرقل تدريسه في المدارس. وهذا ما يذكرنا بكتاب (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) الذي ألَّفه السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب. فتصدى له السيد حسن بن علوي بن شهاب بكتاب سماه (الرقية الشافية من سموم النصائح الكافية). فعزز السيد محمد بن عقيل بن يحيى موقف شيخه أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب بكتابه (الحمية من مضار الرقية). وكما أثارت محاولة تدريس كتاب (نزهة الأنظار في مصطلح الحديث) ضجة اليوم في أوساط أهل السنة والجماعة فقد أثار بالأمس نشر كتابي (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) و(الحمية من مضار الرقية) ضجة في صفوف الفقهاء والعلماء الحضارمة. ويعلق الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري على ضجة الأمس بقوله: (اعتبروهما من الكتب الضارة التي تسمم أفكار الجيل وتصبغه بصبغة البدعة والرفض) [١].

في الواقع أنه بالرغم من أن علويي حضرموت يتفقون مع علماء الزيدية وأئمتها في تفضيل أهل البيت فإنهم يختلفون عنهم بل وينكرون عليهم موقفهم من الصحابة. وها هو العلامة العلوي الحضرمي علي زين العابدين العيدروس

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتوفى عام ١٠٥٦هـ يرسل من عدن رسالة إلى الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ردًا على رسالته له يقول فيها: وقلتم: بانحصار الخلافة في علي فقد أبطلتم عدالتهم التي بني عليها الإسلام الحنيف من أصله. ورددتم روايتهم التي نواردتها نقل كتاب الله على أئمته وأهله، ووجب على كل موحد أن يجاهدكم في الله حق جهاده، ويسلموا الدين بطاعته وانقياده، فلايتجاوز أحد منكم حده. فقد بدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده. ولقد شبههم المصطفى ﷺ الذي لاينطق عن الهوى بالنجوم المضيئة، وضمن لهم الهداية لمن اهتدى بأيهم فكيف بكلهم من البرية. وقال محرضًا أمته على اتباعهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين تمسكوا بهما وعضوا عليهما بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**». وقال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، ومن فارق الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**» هذا ويقول العيدروس في آخر جوابه (وليعلم الشريف إنا من جملة الأعوان على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان) (١).

وبالعودة إلى أبي بكر بن شهاب فإننا نجده قد خرج بشعره من صومعة الصوفية والعشق الإلهي إلى رحاب الدنيا وآفاق الحياة فمدح وهجا وتغزل وتشيع ونقد المجتمع في عصره:

(١) فمن غلوه في التشيع للأئمة العلويين أجداده هجاؤه للإمام البخاري لأنه لم يأخذ برواية جعفر الصادق فقال:

قضية أشبه بالمرزئة ... هذا البخاري إمام الفئة
بالصادق الصديق ما احتج في ... صحيحه واحتج بالمرجئة
قلامة من ظفر إبهامه ... تعدل من مثل البخاري مائة

وأعلن أبو بكر بن شهاب مذهبه الشيعي وندد ببني أمية فقال:

مذهبي مذهب الوصي أبى السـ ... ـبطين فالحق دائر حيث دارا
تمسكت بالشهيدين أني ... سائر في عقيدتي حيث سارا

(١) القاضي إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله: صفحة (١٠٧١) و(١٢٤١).

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى الباقر اعتمادي وزيد في سبيلي فلست أخشى العثارا
حصنوا العلم إذ بنو عبد شمس خبط عشواء يخبطون سكارا
غيروا بدلوا طغوا وتعامى حاملوا العلم خيفة واضطرارا
ألف شهر تمتعوا ثم حقت نقمة الله فاستحقوا الدمارا

(٢) وفي نقده الاجتماعي تعرض لسلوك الصوفية المشعوذين وقال:

نشكو إلى الرحمن من هذه الـ غوغاء شكوى من رماه الزمان
من ماكر ذى سبحة أو مرا ء قارئ همسًا وذى طيلسان
ورامز بالغيب ذي حيلة يلفظ بالقول الكثير المعان
رواد صيدٍ كلهم حاذق في الرمي لايصطاد إلّا السمان
شباكهم دعوى الكرامات والـ كشف وتزوير المرائي الحسان
هذا يرى المختار في نومه وذاك يستخبره بالعيان
كأنه من بعض أتباعهم يحضر في كل مكان وآن
ومنهم المخبر عن برزخ المـ ـوتى شقي أو سعيد فلان

ومن غزله الحسي المكشوف:

قوله:

عوج حواجبها قويم نهدها بيض ترائبها بياض المرمر

وقوله:

نظرت إليها وهي فضل وقد بدت محاسنها للعين معنى وجثمانا
تنفست الصعداء وقالت متيم كساه الضنى من صبغة الوجد ألوانا

(٤) وفي قوله للخمر يقول في قصيدته التي تبدأ أبياتها وتنتهي بحرف الراء:

روق الخمرة صرفًا وأدر واسقنيها في الظلام المعتكر
روح الأرواح بالراح فما ذاق طيب العيش إلّا من سكر
رقية الحزن يرى شاربها نفسه مثل مليك مقتدر
ربما أنكرها ذو شرعة ما درى قصة موسى والخضر
رده الجهل بها عنها وهل يعرف الجوهر غير المختبر
رأيه في العذل منها فاسد إنما العاذل كذاب أشر
رب ليل بته معتكفا بين كاسات وساق مسبكر

وهكذا يلتقي الشاعر المتحرر أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب مع الشاعر

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصوفي عبد الله بن علوي الحداد في صدق المشاعر وحرارة العاطفة حينما يعشقان ويثملان. ولكن شتان بين مشرق ومغرب. بين الولهان في جمال الحسان والفاني في عشق الديان. فلكل منهما كأسه الذي يشرب منه ووواديه الذي يهيم فيه.

جـ- عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف (١٢٩٩. ١٣٧٥هـ):

ولد العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف في سيون بحضرموت وتوفي بها. وعاش في بيئة دينية وتتلمذ على يد شيخه عيدروس الحبشي. وهو قوي الحجة والبيان وواسع الاطلاع نتيجة لرحلاته داخل وطنه وخارجه مما مكنه من الاتصال بكثير من الشخصيات المهمة بما فيهم سلاطين حضرموت وإمام اليمن والملك عبد العزيز بن سعود وولي عهده سعود. له ديوان شعر مطبوع وعدد من المؤلفات المخطوطة والمطبوعة مثل:

١- بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت.

٢- إدام القوت.

٣- نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر.

كان المفتي العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه في شعره ونثره وخطبه ثائرًا وناقدًا وصريحًا:

١- ففي ثورته على الدجالين والجهلة من متصوفي عصره:

قوله:

أرى الجهل قد مد الرواق على الخلف ... ولاداء مثل الجهل يفضي إلى التلف
وأعجب شيء إنهم في عيونهم ... كبار وقد باعوا السعادة والشرف
وأكبر من ذا انها سولت لهم ... سفاهتهم أن يدعو رتب السلف
يريدون بالتمويه ستر عوارهم ... وشتان ما بين الجواهر والخزف
فمن حاد عن نهج النبي ولو غدا ... على الماء يمشي فهو في الغي قد رسف
مات في أيامنا الصدق واختفى ... الصواب وزاد الحمق والمين والصلف

وقوله:

فها أنا حرب المضلين صاغة الـ ... أباطيل من ريح الغرور بهم عصف

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢. وفي نقده لعشيرته لاختلاق زعمائها النفاق والشقاق - وهو الذي حاول الصلح بين العلويين والإرشاديين فلم يفلح لتعنت قومه - يقول:

يارب شخص ذي جمال مؤنق من تحت بزته مثال نفاق
ورئيس قوم للصلاح مرشح أبدًا يفكر في اختلاق شقاق
ومقصر من خطوه ذي سبحة يمشي بتوأدة مع الإطراق
ما همه إلاّ اختراع مكايد يغوي بهن الجامدين دقاق
يا للعشيرة هل لنا من هذه الفتن التي نزلت بنا من واقي

٣. وانتقد السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف البعد عن المنطق والعلم والموضوعية في كتابة سير ومناقب السلف وفي تدوين تاريخ حضرموت لغرض وهوى في نفوس المتأخرين [ولعلهم هم أنفسهم الذين عناهم المفتي والمؤرخ علوي بن طاهر الحداد في قوله: (إن الأخلاف رأوا في سيرة الأسلاف ماينكرونه عليهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها)] الذين قال عنهم ابن عبيد اللاه: (ثم إن في تراجم العلويين وغيرهم من الجزاف مايبعث الشك ويذهب بكثير من الصدق عند العقلاء المفكرين. فلو لم تكن إلاّ هي لتعذر الوصول إلى حقيقة ما عليه السلف من الفضل الجم.

إلاّ إننا شاهدنا من بقيتهم ما يقطع مجال الشك ويسد منافذ الإبهام) ويقول ابن عبيد اللاه أيضًا: (وبعد فإن كثيرًا من المؤرخين الذين يرمون الكلام على عواهنه في الجزاف واعتماد الخوارق والاستكثار منها بالحق وبالباطل وجود كثير من المغرضين ملئوا مواضغهم وأوراقهم بالطامات، فتوهم أولئك البسطاء ومحسنو النية أن لا سبيل إلى التعريف بأهل المجد الحق إلا بمثلها، وما علموا أن أولئك الدجالين لم يلجئوا إلى تلك الأحلام والأوهام إلا لصفورة اليد من المكارم الصادقة التي لو ادعوها لأصحابهم لكذبهم العيان. فما اضطروا إلى الإحالة على ما في الغيب إلا لما أوعزوا مافي الجيب.

وقد أصّلوا في نفوس الجامدين. أن إنكار مثل ذلك علامة الحجاب ودليل الطرد والمقت، فتباروا في ذلك إلى أبعد شوط بعضهم من كيد وتضليل وبعضهم من بساطة وسذاجة وتأويل. لهذا تجد أكثر مايكون في تراجمهم الكرامات

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمدح المجرد والتفاخر بما يقرب من كلام الباطنية ولاحول ولاقوة إلابالله) [١].

٤. ومن أنشطته الدبلوماسية وعلاقته بالملوك والسلاطين نذكر أنه سافر عام ١٣٤٩هـ إلى شمال اليمن فكانت له اتصالات بالإمام يحيى حميد الدين الذي أنزله ضيفًا ٤٠ يومًا في قصر بالروضة شمال صنعاء. ولما تعرف الإمام يحيى على شخصية هذا الثائر على الحكام والأوضاع في حضرموت دعاه إلى قيام انتفاضة في حضرموت لصالح الإمام يحيى. ولكن ابن عبيد اللاه المدرك للظروف السياسية وصولة بريطانيا على حضرموت توجه من صنعاء إلى البيضاء ولم يحقق رغبات الإمام يحيى.

هذا وقد وجه الإمام يحيى حميد الدين مع صاحب مأرب رسالة إلى السلطان منصور بن غالب الكثيري يقول فيها: (ونحب لكم أن تعمروا جهاتكم بعدل بيِّن وشرع غير آسن. فقد غلب الجهل والهوى وركض الباطل والتوى. فقليل من الناس الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه... ونحب أيضًا معرفة ماعندكم فكيف أحوال جهاتكم) [٢]. وقد طلب السلطانان الكثيريان الحضرميان من رجل الدبلوماسية ابن عبيد اللاه الرد على رسالة الإمام لهما. فكتب الجواب الذي جاء فيه (قد ألقي إلينا منكم كتاب كريم أسفر به الداج... وإنا بمحبتكم متحققون وبأذيالكم أهل البيت متعلقون... أما أحوال بلادنا إذا سألتم عنها فإنا نقاسي من سياستها الأمرين، ونعاني من شر قبائلها الأضرين. ولانألو جهدًا في إعانة الضعيف وإعزاز الشريف ونصر الدين، ودحر المفسدين. غير أن الباع قاصر، ولانستغني عن الناصر. وقد انفتح بكتابكم الباب على مصراعيه. وبسط الأمل بوصيد مرحمتكم ذراعيه. وعندنا من سلالة جدكم عليه السلام أهلّة مقمرة وأغصان مثمرة نسأل الله أن يسلمنا من عقوقهم وأن يوفقنا للقيام بحقوقهم). وقد وقع السلطانان الكثيريان كلاهما على الجواب [٣].

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: بضائع التابوت.
(٢) السابق.
(٣) السابق.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د - محمد بن هاشم بن طاهر (١٣٠٠. ١٣٨٠هـ):

ولد الأديب والتربوي والصحفي الشهير الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر في حضرموت وتوفي فيها بعد رحلات إلى خارجها. تتلمذ وأخذ العلم عن شيخه شيخ العلم بتريم العلامة عبد الله بن عمر الشاطري. هاجر إلى جاوا عام ١٣٢٥هـ حيث يوجد أكبر تجمع حضرمي ثري هناك. نذر حياته للصحافة والتعليم في المهجر والوطن. فعلى يده تأسست المدارس الحديثة مديرًا ومعلمًا. وبقلمه نشر المقالات والأبحاث وأصاغ الأفكار التنويرية محررًا ومديرًا لعدد من الجرائد والمجلات الصادرة في جاوا وسنغافورة والقاهرة وتريم منافحًا عن آراء العلويين ومناهضًا لآراء الإرشاديين. ومع هذا كان مستنيرًا ومجددًا ونافضًا غبار التخلف والجهل الموروثين عن الدور الصوفي الذي شهدت حضرموت خلاله الفوضى القبلية والجهل العميم. وقد أثارت أفكاره الإصلاحية حفيظة المحافظين من قومه. وقد قال عنه الأستاذ العلامة محمد بن علي الجفري في تقديمه لكتاب (تاريخ الدولة الكثيرية): - (هو أحد طلائع قادة الفكر الجديد وزعماء النهضة الإصلاحية ودعاة انقلاب يشمل كافة مرافق الحياة. وهو من الأوائل الذين واجهوا العاصفة التي لابد أن يواجهها كل مجدد بهدف إمالة قومه عن نهج اعتادوه، أو جهالة أنسوا إليها، أو تقاليد ابتدعوها فأصبحت منهم بمثابة الدين الذي لايأتيه الباطل من أي الجهات).

غادر الأستاذ محمد بن هاشم جنوب شرقي آسيا على رأس بعثة تعليمية إلى مصر. ثم عاد إلى حضرموت عام ١٩٢٧م بدعوة من السادة الأثرياء آل الكاف الذين كان لهم باع طويل في الإصلاح بحضرموت باذلين كثيرًا من ثروتهم في الخدمات والاستثمارات وارتبطت مصالحهم بالأوضاع السياسية السائدة في حضرموت. وفي حضرموت -خاصة في السلطنة الكثيرية- باشر الأستاذ محمد بن هاشم رسالته التعليمية والصحفية. وانجذب إلى البلاط الكثيري حيث تولى سكرتارية السلطنة الكثيرية في عهد السلطان جعفر بن منصور الكثيري. وأخيرًا ترك الأستاذ ابن هاشم معمعة السياسة ودهاليزها ليعود إلى فطرته مربيًا وكاتبًا وصحفيًا. وتخلدت بصاماته في أنشطته بمدرسة الحق وصحيفة الإخاء

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتريم. كما تفرغ للتأليف فألف (رحلة إلى الثغرين) ويقصد بهما المكلا والشحر حيث رافق السادة آل الكاف في هذه الرحلة. وألف الجزء الأول من كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية) ولم تسعفه بقية حياته بإتمام المشوار في كتابة الجزء الثاني منه.

هـ- عبد الله عوض بكير (١٣١٤ - ١٣٩٩هـ):

ولد الشيخ العلامة عبد الله عوض بكير في قرية القارة القريبة من غيل باوزير ونشأ نشأة دينية على يد الشيخ عمر بن مبارك بادباه، وأخذ الإجازة العلمية من رباط الحبشي بسيون على يد شيخه العلامة الصوفي والفقيه واللغوي علي بن محمد الحبشي كأمثاله من شخصيات التنوير في حضرموت الذين كانت ركيزة ثقافتهم ثلاثة أربطة حديثة اشتهرت بها حضرموت، هي رباط الحبشي بسيون ورباط بن سلم في غيل باوزير ورباط تريم بتريم. وهي ثقافة إسلامية بحتة متميزة بذلك عن ثقافة المتنورين المتأخرين من الحضارمة الذين أشربت ثقافتهم باللبرالية من عربية قومية أو غربية علمانية. ومنهم من تأثر بالثقافات الثلاث الإسلامية والقومية والغربية وهم خريجو الجامعات في الوطن العربي وأوربا فكانوا أداة النهضة في الدور الاشتراكي.

يعتبر الشيخ عبد الله عوض بكير رجل الإصلاح الأول في مجال القضاء الشرعي بحضرموت. إذ تم على يده أو تحت إشرافه- بعد أن التحق بخدمة القضاء في السلطنة القعيطية عام ١٣٥١هـ ووصل إلى منصب رئيس القضاة الشرعيين عام ١٣٥٦هـ -ما يلي:

(١) اتخاذ إصلاحات عامة في القضاء وإلغاء أحكام العادات والتقاليد البالية.

(٢) نشر المحاكم الشرعية في مختلف الألوية وتعيين قضاة هم عادة من خريجي الأربطة.

(٣) إصدار اللوائح والقوانين والمنشورات التي يرجع إليها القضاة في أحكامهم.

(٤) ضم المحاكم الجنائية إلى إدارة القضاء الشرعي بعد صدور القانون الجنائي الشرعي عام ١٣٦٩هـ.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥) تأهيل القضاة الشرعيين، فأرسل إلى السودان على دفعات بعثات للدراسة في كلية الشريعة بجامعة الخرطوم بالسودان. فتخرج منها قضاة شرعيون كانوا أداة تطوير وإصلاح للمحاكم الشرعية بحضرموت بجانب خريجي الأربطة، وفي مقدمة القضاة المؤهلين كان الشيوخ العلماء: عبد الرحمن عبد الله بكير، عبد الله محفوظ الحداد، عبد القادر بن محمد العماري، علي بن محمد مديحج. وقد نكل النظام السياسي في الدور الاشتراكي بهؤلاء الشيوخ والقضاة الأجلاء مما اضطر البعض منهم إلى مغادرة حضرموت.

وبحكم رئاسة الشيخ عبد لله عوض بكير للمجلس الأعلى للقضاء في السلطنة القعيطية فقد تم تعيينه:

(أ) رئيسًا للجنة الشئون الدينية.

(ب) عضوًا في مجلس الدولة.

(ج) عضوًا في لجنة المعارف العليا.

(د) عضوًا في لجنة الجمعية الخيرية.

(و) علي أحمد باكثير (١٩١٠.١٩٦٩ م):

ولد الأستاذ القدير النابغة علي بن أحمد باكثير في مدينة سورا بايا بإندونيسيا وقدم مع أبيه إلى حضرموت حيث تلقى تعليمه الأولي في سيون على شيوخها وعلى رأسهم عمه العلامة محمد بن محمد باكثير وتوفي في مصر.

يعد الأستاذ باكثير من أعلام الأدب في الوطن العربي. وقد نبغ في كتابة الروايات بروح إسلامية ومن أشهرها روايته (وا إسلاماه). شب الأستاذ باكثير في معمعة الصراع الفكري والاجتماعي الذي نشب بين الحضرميين في المهجر وأفاق ليرى أوضاع قومه في بلده حضرموت من جمود وتخلف وتناحر فدعا إلى التحرر والنهضة لما آنس في الحضرميين من ذكاء وفطنة وهو القائل:

ولو ثقفت يومًا حضرميًا لجاءك آية في النابغينا

وظهرت ملكاته الأدبية في وقت مبكر فسخرها للإصلاح الاجتماعي ونقد المتاجرين باسم الدين فكانت أولى مسرحياته الاجتماعية باسم (همام) أو في

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاصمة الأحقاف. وتطلع إلى بيئة ثقافية عالية ونهضة جديدة إسلامية فسافر عام ١٩٢٤م إلى بيئة محمد عبده ومحمد رشيد رضا وتلامذتهما من الشباب المسلم الطالع. وهناك في مصر اشتغل بالتدريس وبوظائف أخرى وأخذ يرتقي سلم الأدب شعرًا وقصة ورواية فكانت له العديد من المؤلفات التي أثرت الأدب العربي وأغنت الثقافة العربية وأذكت الروح الإسلامية. وبالرغم من وجوده في مصر -الثقافة والحضارة- فلم يلق الأستاذ علي أحمد باكثير المنزلة والتقدير اللذين يستحقهما. وبعد وفاته اهتمت بلاده عن طريق اتحاد أدباء اليمن بآثار هذا المصلح الاجتماعي والإسلامي فأنشأت له في بلده سيون (دار باكثير) لحفظ ونشر تراثه.

ز- سعيد عوض باوزير (١٩١٥.١٩٧٨م):

ولد الأستاذ والأديب والمؤرخ سعيد عوض باوزير في مدينة غيل باوزير بحضرموت وتوفي فيها. تخرج من رباط بن سلم في غيل باوزير كغيره من أجيال الأربطة الدينية بحضرموت رواد النهضة فيها. وسجل حياة الأستاذ الشيخ سعيد عوض باوزير يشبه إلى حد كبير سجل حياة الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر مع فارق في كون أفكار (باوزير) ذات نزعة (إرشادية) وأفكار (ابن هاشم) ذات نزعة (علوية). فكل منهما تربوي وصحفي وأديب ومؤرخ، وكل منهما اغترب ودرَّس، ولكل منهما صلات وثيقة مع بعض الشخصيات في البيت المالك السلاطيني. فارتبط باوزير بالأمير علي بن صلاح القعيطي وارتبط ابن هاشم بالسلطان جعفر بن منصور الكثيري. للأستاذ سعيد عوض باوزير بصمات واضحة في معارف السلطنة القعيطية كمدرس ومفتش لمادتي اللغة العربية والدين ومؤلف لبعض الكتب المدرسية خاصة في مادة التاريخ المحلي مما يبين دوره المباشر في تربية وتنشئة أجيال حضرموت.

وتميزت شخصية الأستاذ سعيد عوض باوزير كأمثاله من شخصيات طلائع التنوير الحضرمي بتعدد المواهب والملكات وتعدد الأنشطة فهو إلى جانب أعماله التربوية قد كان صحفيًا ضليعًا نشر العديد من المقالات الاجتماعية والسياسية في صحيفة الطليعة خاصة التي كانت تصدر بالمكلا. كما دخل في

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحقيقات تاريخية مع زملائه الناقدين والباحثين من أمثال علوي بن طاهر الحداد وعبد الله بن حسن بلفقيه فأغنت آراؤهم التراث الحضرمي ونزهته مما علقت به من شوائب وهو في طرحه لنقد التراث يقترب من أفكار عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف. ومن مؤلفات الأستاذ الشيخ سعيد عوض باوزير التاريخية:

(١) معالم تاريخ الجزيرة العربية.

(٢) صفحات من التاريخ الحضرمي.

(٣) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي.

وإلى جانب هذه النماذج هناك شخصيات حضرمية أخرى لها دورها ونشاطها المتميز في مختلف جوانب ومجالات التنوير الحضرمي نذكر منها على سبيل المثال:

١. العلامة والمؤرخ الاجتماعي: محمد أحمد الشاطري.

٢. الأديب والباحث الاجتماعي: محمد عبد القادر بامطرف.

٣. عالم الآثار والتاريخ والتربوي: الدكتور محمد عبد القادر بافقيه.

٤. الأديب والباحث: عبد القادر محمد الصبان.

٧. نهضة المواليد في جاوا:

لقد تعرفنا في ما سبق على طبيعة نهضة الحضرميين في المهجر والوطن وتابعنا مراحلها وما رافقها من صراع بين ماض متخلف وحاضر متطور قاد إلى وعي فكري واجتماعي لدى الجميع بشر بنهضة إصلاحية في حضرموت. في هذا المجرى ما شأن ذلك الجيل الهجين من المولدين؟ كيف نشأ؟ وما موقعه في خضم الصراع بين الآباء؟

وكيف رسم مستقبله بنفسه في منأى عن عقدة الأجداد؟

حينما تدفق المهاجرون الحضارمة إلى جاوا فقد كانوا عزابًا وبدون زوجات. فكثير ممن استقر به المقام في هذه الجزيرة الجميلة ذات الربيع الدائم تزوج من حسانها، وأنسلوا منهن ذرية هجينة تلمح العرق الأصفر في ملامحها واللكنة الجاوية في لسانها إن نطقت بالعربية وإلاّ فهي تتكلم اللغة الجاوية أو الملايوية

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنها تربت في أحضان أمهات غير عربيات، وترعرعت في محيط الشعب الجاوي وما خالطه من جنسيات صينية أو هولاندية إلخ. فلم يعد يتميز عنها إلاّ بالأسماء العربية التي تربطه بأصوله الحضرمية. ولم تعد المدارس العربية بقادرة على تلبية طموحات هذا الجيل الناشئ من المولدين في مجرى تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع الإندونيسي تحت الاحتلال الهولاندي. وهم يرون بأم أعينهم أبناء أخوالهم الجاويين وأبناء الجاليات الأخرى يلحقون بالركب الناهض في جاوا فيدخلون الكليات والمعاهد العليا الحكومية ويحصلون على المؤهلات العالية وينتزعون حقوقهم. وهم في أسفل الركب وقد شغل عنهم آباؤهم بتحزباتهم وصراعاتهم ولم يأبهوا بمستقبل هذا الجيل من المولدين لدرجة أنه بلغ في جهة (مدورة) بجاوا من الشبيبة العربية ٩٩% يجهلون لغتهم كل الجهل، وإن هناك من البنات من بلغت الثلاثين والأربعين دون أن تتزوج وتجد من يعولها. إنهن يعانين من مرارة العيش وآلام الفقر المدقع ما لا يعلمه إلاّ الله، ولا سيما بعد أن كسدت تجارة الحضارمة وسنت القوانين السيادية على التجارة وزاحمهم الصينيون والهولانديون. فنهض شباب منهم يندد بما عليه آباؤهم من شقاق وافتراق ويعلن أن مدارس الآباء لم تعد تواكب التطور وأن عليهم أن يتحدوا جميعًا، وأن لا مكان لنزعة علوية أو إرشادية بين صفوفهم، وأن مصالحهم ومستقبلهم في إندونيسيا الواعدة لا في حضرموت القاحلة. وإن العلم الحديث هو السبيل لانتزاع حقوقهم في المجتمع الإندونيسي الجديد وإلاّ فسوف تسحقهم عجلة التقدم التي لا ترحم.

من هذا المنطلق كوّن المواليد الواعون منظمة لهم في بتافيا وأنشأوا لها فروعًا في مختلف مناطق جاوا. ومن أهداف هذه المنظمة:

(١) المطالبة بنصيبهم من الحقوق السياسية والمدنية.

(٢) إنشاء مدارس هولاندية عربية تمكنهم من الدراسة في الكليات والمعاهد العليا الحكومية.

(٣) توطيد علاقات حميمة بين الناشئة العربية والناشئة الإندونيسية.

ويقول علوي بن شهاب أحد أركان منظمة المواليد العرب في جاوا: إن هدفنا

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحصول على حقوق المولدين في الوظائف وغيرها كغيرهم من الوطنيين لأنهم من أبناء المواليد في هذه الجزائر. وإن من أهدافنا أيضًا نبذ الخلافات والمحن التي بذرتها فتنة (الصراع العلوي - الإرشادي)، والاتحاد للسعي في تحقيق أغراضنا في صفوف متراصة، وكذا جمع الصدقات وتوزيعها على العائلات العربية التي مستها الحاجة من غير تمييز بين علوي وغير علوي، وقد قضينا فيما بيننا على التعصبات الناشئة عن تلك الفتن. وثبت لدينا اعتقاد أن تلك الفرقة لم تكن سوى مفسدة عظيمة كان يجب القضاء عليها وقبرها في دور مهدها. وإن ما قيل أننا نسعى في الانفصال عن العروبة وعن أنسابنا الحقيقية والاعتزاز بها فهو فرية لا أصل لها، خلقها بعض المشفقين على التعصب والتحزب والحريصين على بقاء النزاعات العدائية بين أبناء الضاد فقط لا غير ببزوغ هذا الجيل الجديد من المولدين الحضارمة ذي الملامح الجاوية واللسان الجاوي أو الملايوي والذين أدغموا في المجتمع الإندونيسي الحديث تتوارى إلى الأبد أطروحات النظرية الاستعلائية القائمة على النسب والتي تشدق بها منظروها وحاولوا فرضها في حضرموت والمهجر والله المستعان على ما يصفون.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع الدور الاشتراكي

الحالة السياسية

١. حضرموت في ظل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية:

استقرار الوضع الإداري لحضرموت :

على إثر جلاء الاستعمار البريطاني عن مستعمرة عدن ومحميتيها الغربية والشرقية، واستلام الجبهة القومية السلطة فيها، تم إعلان قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٦٧م. وتم تقسيم هذه الجمهورية على أنقاض السلطنات والمشيخات البائدة إلى ست محافظات. ووزعت حضرموت التاريخ حسب السلطنات التي كانت قائمة فيها إلى ثلاث محافظات على النحو التالي :

(أ) **المحافظة الرابعة :** وشملت سلطنة الواحدي وسلطنات أخرى من المحمية الغربية.

(ب) **المحافظة الخامسة :** وشملت سلطنتي القعيطي والكثيري.

(ج) **المحافظة السادسة :** وشملت سلطنة المهرة.

وبعد الانقلاب الذي تم داخل المؤسسة العسكرية والسياسية للتنظيم السياسي الجبهة القومية عام ١٩٧٨م اتخذت عدة إجراءات إدارية من أهمها ما صدر عام ١٩٨٠م وهو :

أ- تغيير اسم الجمهورية إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

ب- تغيير أسماء المحافظات من الأرقام إلى الأسماء التاريخية لها فأعطي للمحافظة الرابعة اسم (شبوة) العاصمة التاريخية للمملكة الحضرمية. وأعطي للمحافظة الخامسة الاسم التاريخي العام للمنطقة وهو (حضرموت) كما أطلق على المحافظة السادسة الاسم التاريخي لها وهو (المهرة) حيث تسكن القبيلة الحضرمية القديمة مهرة المشهورة بإبلها المهرية وبأنها بلاد اللبان.

جـ- تغيير أسماء المديريات من أسماء الجهات الأربع (الشرقية والغربية،

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجنوبية والشمالية) إلى أسماء عواصمها أو مناطقها. فأصبحت أسماء المديريات في محافظة حضرموت كالآتي:

١- مديرية المكلا
٢- مديرية الشحر
٣- مديرية حجر
٤- مديرية دوعن
٥- مديرية القطن
٦- مديرية سيؤن
٧- مديرية العبر
٨- مديرية ثمود

وقسمت هذه المديريات الثمان إلى عدد من المراكز بلغ مجموعها ٢٩مركزًا.

وفي يناير عام ١٩٩٩م حولت المراكز إلى مديريات وضمت جزيرة سقطرى إلى محافظة حضرموت وأنشئ مكتب المحافظة في مدينة سيون.

وقد طالب بعض القياديين في يمين الجبهة القومية بمدينة سيون بتقسيم (المحافظة الخامسة) حينها إلى محافظتين فلم يفلحوا. وأعاد الطلب أخوة آخرون من سيون في ظل الوحدة اليمنية بتقسيم محافظة حضرموت إلى محافظتين بتشجيع من السلطة المركزية في صنعاء. وهي رغبات عند الأولين والآخرين لا تخلو من رواسب اجتماعية ومنافع اقتصادية محصورة خارجة عن إطار المصلحة العامة لكل أبناء حضرموت. وقد عبر عن المصلحة العامة لأبناء المحافظة وفد حضرمي مثَّل كل أبناء حضرموت ومناطقها أثناء لقائه بالقيادة السياسية في صنعاء. وجاء في البيان الذي أصدره هذا الوفد الحاشد بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٤١٨هـ الموافق ٢١/ ٩/ ١٩٩٧م ما يلي:

تواجد في صنعاء في الفترة ما بين ١١- ١٨/ ٥/ ١٤١٨هـ الموافق ١٣-٢٠/ ٩/ ١٩٩٧م وفد يضم أعضاء مجلس النواب، والمجلس الاستشاري، وعلماء وشيوخ قبائل ومناصب وأعيان ووجهاء من حضرموت. بلغ عددهم أكثر من ٢٢٥ شخصية لمقابلة القيادة السياسية، وإبلاغها عدم رضاء أبناء حضرموت في جميع مناطقها وبمختلف فئاتهم وتكويناتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بتقسيم المحافظة، ومناشدتهم القيادة السياسية الحفاظ على الوحدة الإدارية للمحافظة والعدول - إن كان ثمة نية - عن تقسيمها.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد تمكن الوفد خلال هذه الفترة من مقابلة كل من:

(١) الأخ الفريق علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية يوم السبت بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٤١٨هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٩٧م.

(٢) الأخ الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب يوم السبت بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٤٠١٨هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٩٧م.

(٣) الأخ الدكتور فرج سعيد بن غانم رئيس مجلس الوزراء يوم الأربعاء بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٤١٨هـ الموافق ١٧/ ٩/ ١٩٩٧م.

(٤) الأخ الأستاذ عبد العزيز عبد الغني رئيس المجلس الاستشاري يوم الثلاثاء ١٤/ ٥/ ١٤١٨هـ الموافق ١٦/ ٩/ ١٩٩٧م.

وخلال المقابلات تناوب الحديث عدد من أعضاء الوفد مؤكدين للقيادة السياسية عدم رضاهم عن التقسيم وتنبيهها لمضاره وأخطاره، ولقد كان للأخ فيصل بن عثمان بن شملان عضو مجلس النواب ورئيس لجنة التنسيق لأعضاء مجلس النواب الحضرميين الفضل الأول في استنهاض هذا الوفد وتنظيم تحركه لمقابلة القيادة السياسية في صنعاء ويشاركه في هذا بقية أعضاء مجلس النواب من حضرموت.

٢. الحضور الحضرمي في الصراع السياسي من الاستقلال إلى الوحدة:

في نهاية الدور التنويري وقبل استيلاء الجبهة القومية على زمام الأمور في حضرموت، كانت هناك عدة تنظيمات سياسية تنشط فيها، أهمها الجبهة القومية ورابطة أبناء الجنوب العربي وحزب البعث العربي الاشتراكي. أما الاتحاد الشعبي الديمقراطي الذي يرأسه الأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب فلا نشاط له يذكر في حضرموت بالرغم من أن قيادته حضرمية ويضم عددًا من المثقفين الحضارمة في عدن حيث يتواجد هذا الحزب الشيوعي. وتأثر نشاط التنظيمات السياسية في حضرموت بالنشاط السياسي العام على مستوى الجنوب كله حيث تتلقى هذه الفروع تعليماتها من قياداتها المركزية.

وباستيلاء تنظيم الجبهة القومية على زمام الأمور في حضرموت صادر باسم

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثورة ١٤ أكتوبر حقوق الإنسان السياسية، وألغى التنظيمات السياسية والاجتماعية التي لا تخضع له، كما ألغى الصحف الوطنية: الطليعة، والرائد، والرأي العام التي كانت تصدر في المكلا منذ أواخر الدور التنويري. وكبت بذلك الحريات والنفس الديمقراطي الذي بدأ يفوح في نهاية الدور التنويري. وانحصر الصراع السياسي داخل تنظيم الجبهة القومية بين قياداته الفكرية وولاءاته المناطقية والقبلية. وكان أول انفجار لهذا الصراع في ٢٢يونيو عام ١٩٦٩م (١) الذي عرف بالخطوة التصحيحية التي أزاحت في انقلاب أبيض الجناح (اليميني) الذي يرأسه المهندس الزراعي قحطان محمد الشعبي رئيس الجمهورية. وأبعدت على أثره شخصيات بارزة في القيادة العامة للجبهة القومية على رأسها عبد اللطيف الشعبي والقيادات الحضرمية المحسوبة على الجناح اليميني من أمثال خالد عبد العزيز وسعيد العكبري وغيرهما من القيادات الأساسية الحزبية في حضرموت نفسها؛ لتحل محلها قيادات محظوظة جديدة حسب ولاءاتها الفوقية. ودشنت (الخطوة التصحيحية) هذه العهد السالميني [1] الذي تميز (بالعنف الثوري) الذي قضى على الأخضر واليابس والذي عرف بثورة الريف على المدينة. وفي تخبط بين أفكار ماو الصيني ولينين الروسي عمت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ومن ضمنها حضرموت فوضى اجتماعية واقتصادية نسفت بموجبها المؤسسات الاقتصادية والفكرية والعلاقات الاجتماعية القائمة. وسخرت في أكبر مهزلة مأساوية الطبقات الأدنى لضرب الطبقات الأعلى في غرور وجهل وسادية القيادات الحاكمة وأعوانها. وكان نصيب حضرموت من هذه الفوضى العارمة عام ١٩٧٢م والتي عرفت بالانتفاضات قد فاق وعلا عما أصابها حين اجتاحها (سيل الليل) عام ١٠٧٠هـ.

وفي عام ١٩٧٥م نجحت الضغوط السياسية القادمة من موسكو ومن الفصائل العربية اليسارية لتوحيد الأحزاب اليسارية في الجنوب تحت لواء الاشتراكية العلمية والفكر الماركسي اللينيني في تنظيم واحد سمي التنظيم السياسي الموحد

(١) نسبة إلى سالم ربيع علي الذي خلف قحطان الشعبي في رئاسة الجمهورية وكان اسمه الحركي (سالمين) وهو من فدائي الجبهة القومية في الريف.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجبهة القومية. وقد تشكل من:

١- التنظيم السياسي الجبهة القومية.

٢- الاتحاد الشعبي الديمقراطي.

٣- حزب الطليعة.

وهي التي شكلت في أكتوبر عام ١٩٧٨م الحزب الاشتراكي اليمني بعد الإطاحة بسالم ربيع علي ومجموعته التي وصمت باليسار الانتهازي في انقلاب عسكري دموي. ويتسنم السلطة السياسية والحزبية علي ناصر محمد. وتستكين في حضرموت -كما في غيرها- قيادات العهد السالميني. وسبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه. والجدير بالذكر أن الاتحاد الشعبي الديمقراطي هو الحزب الشيوعي في اليمن منذ أن أسسه الأستاذ الأديب والصحفي والمفكر عبد الله عبد الرزاق باذيب. وهو من مواليد مدينة الشحر بحضرموت عام ١٩٣١م. وقد عرف الأستاذ عبد الله باذيب بميوله اليسارية ومناهضته للأفكار الغربية الاستعمارية منذ العهد الاستعماري. وقد سجن لمقاله (المسيح الجديد الذي يتكلم الإنجليزية). ولئن لم يشهد ربيب روسيا قيام الحزب الاشتراكي اليمني إذ توفي في عدن عام ١٩٧٦م. فإن أخويه: عليًا وأبا بكر قد نشطا خلال الدور الاشتراكي من مواقعهما الهامة في الحزب والدولة. أما حزب الطليعة فهو فرع حزب البعث العربي الاشتراكي الذي تبنى الفكر الماركسي من دون أن تنضم إليه مجموعة حزب البعث العربي الاشتراكي الحضرمية التي بقيت في خطها القومي العربي وعلى رأسها الأستاذ الجليل علي بن عقيل بن يحيى.

هذا وفي ظل الحكم الشمولي ودكتاتورية الحزب الواحد تم تشكيل المنظمات الجماهيرية التي يقودها الحزب الاشتراكي اليمني على مستوى العاصمة في عدن وعلى مستوى الفروع في المحافظات بل وفي المديريات والمراكز. وأهم هذه المنظمات:

١- الاتحاد العام لنقابات العمال.

٢- الاتحاد العام لنساء اليمن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- اتحاد الفلاحين اليمني الديمقراطي.

٤- اتحاد الشباب الاشتراكي اليمني.

٥- منظمة لجان الدفاع الشعبي.

وهكذا أطبق الحزب الاشتراكي اليمني الذي وصف بأنه الحزب الطليعي من طراز جديد على أنفاس الناس وسيطر على حركاتهم وسكناتهم في جميع المحافظات ومن بينها محافظة حضرموت. وكانت منظمات لجان الدفاع الشعبي في كل حي عين الحزب الاشتراكي اليمني الساهرة ويده البطاشة ورجله الجوالة. هذا من غير الجواسيس المستورين والمكشوفين. وهي صورة للأمن في المنظومة الاشتراكية.

ويعود الصراع من جديد بموروثاته الفكرية والمناطقية والقبلية وبمؤثراته الخارجية لينفجر فجأة في ١٣ يناير عام ١٩٨٦م. وهذا الصراع كما جاء في أدبيات الجبهة القومية عام ١٩٧٢م لم يكن مشروعًا عادلاً بعد الاستقلال فحسب بل هو ضروري من أجل الثورة وتقدمها. فجاء عليهم جميعًا يوم ١٣يناير الدامي [١]. ويجد الحضرميون الحزبيون أنفسهم في قمة السلطة السياسية والحزبية بعد أن أهلكت أحداث ١٣يناير الدامية معظم القيادات المتطرفة وانسحب علي ناصر محمد ومجموعته إلى شمال اليمن. وفي عام ١٩٩٠م حققت هذه القيادة السياسية في عدن مع القيادة السياسية في صنعاء الوحدة اليمنية. وتصبح حضرموت إحدى محافظات الجمهورية اليمنية لتشارك برجالها وكوادرها وإمكاناتها المادية والبشرية في بناء النظام الجمهوري الجديد الذي أعاد لحضرموت وغيرها من المحافظات الجنوبية والشرقية النفس الديمقراطي نوعًا ما والروح الإسلامية، والعودة إلى الحياة التنويرية [التي أجهز عليها قبل نضجها النظام الاشتراكي الذي ساد قبل الوحدة] ولكن في إطار أحزاب أكبر وأشمل أهمها المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للإصلاح دون أن يتوارى من الساحة السياسية نهائيًا الحزب الاشتراكي ورابطة أبناء اليمن اللذان تحالفا لإنهاء الوحدة

(١) كرامه مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن الجزء الثاني.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليمنية في حرب خاسرة انتهت بانتصار الوحدة اليمنية في ٧ يوليو عام ١٩٩٤م. وقد كان لمجموعة علي ناصر محمد دور غير مبخوس في تحقيق هذا النصر مما نقلها إلى الحياة السياسية والمشاركة في الحكم من جديد.

دور علي ناصر في ابقاء الوحدة.

الحالة الفكرية

١. الفكر الاشتراكي: اصوله وجذوره

أ. الاتجاهات الفكرية والعقدية في العالم:

إن توحيد الله سبحانه وتعالى الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، هو الأساس لعقيدة البشر كلهم منذ أن خلق الله آدم وعلمه الأسماء كلها. والانحراف عن هذه العقيدة إنما جاء بعد ذلك. فاتخذت الذرية الآدمية بعد أن انتشرت وتوزعت في أنحاء المعمورة عقائد متباينة تطورت في اتجاهات أساسية هي:

(١) الاتجاه التوحيدي:

وهو أصل العقيدة البشرية. وهو الذي يؤمن بوجود إله واحد خالق كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى. ويصدق بالبعث بعد الموت وبالحساب يوم الدين. المؤدي إلى جنة أو نار. ويعتبر الأنبياء والرسل هم حملة ودعاة هذا الفكر المنزل من عند الله سبحانه وتعالى منذ آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ. والكتب المنزلة من عند الله هي أساس (المعرفة) في الفكر التوحيدي. وما خالفها فهو انحراف عنها مما وضعه البشر. وقد تعرضت الكتب السماوية ما خلا القرآن الكريم لتحريف متعمد كما فعل أحبار اليهود ورهبان النصارى فأحلوا ماحرم الله وحرموا ما أحله الله ورفعوا أنبياءهم عبيد اللاه إلى منزلة الألوهية إلى جانب الإله الأحد الصمد. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٥-٢٦].

(٢) الاتجاه الشركي الوثني:

وهو أقدم الاتجاهات العقدية المنحرفة. وهو الاتجاه الذي يشرك مع الله

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبحانه وتعالى إله أو آلهة أخرى.

فاتخذ أصحاب هذا الاتجاه الفكري من الكواكب، والأشجار، والنار، والأوثان وغيرها آلهة تعبد وتقدس. وانصرفوا عن الإخلاص في العبادة لله الحق، وعن تعاليمه. وأنكروا البعث والحساب والجنة والنار. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت :١٧]. وقال تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون :٣٥-٣٧].

(٣) الاتجاه العلماني:

دعا أصحاب هذا الاتجاه إلى فصل الدين عن الدولة بصرف النظر عن كون هذا الدين توحيديًا أومنحرفًا أو وثنيًا أساسه الشرك بالله تعالى. ويحيد أنصار هذا الاتجاه العلماني الدين عن النظام المدني والحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع. وقد أطلق على أنصار هذا الاتجاه اسم العلمانيين. وهم الذين قادوا صراعًا قاسيًا ضد الكنيسة المسيحية تحت راية الإصلاح في أوربا خلال القرون الوسطى. واليوم يتبنى هذا الاتجاه العلماني الأنظمة الرأسمالية في أوربا وفي أمريكا المسيحيتين، وفي الهند واليابان الوثنيتين، وفي تركيا المسلمة.

(٤) الاتجاه المادي:

ويتميز هذا الاتجاه وينفرد بإنكار وجود إله أصلاً. ويتفق مع الاتجاه الوثني في نكران البعث والحساب والجنة والنار. وليس الرسل والأنبياء وفق هذا الاتجاه إلاَّ رجال مصلحون في زمانهم وفي مجتمعاتهم. وما الدين إلاَّ ظاهرة اجتماعية وحادثة تاريخية عابرة. والاتجاه المادي هذا كفكر وفلسفة قد تطور عبر التاريخ: وتعود جذور الفلسفة المادية إلى عهد الفلاسفة اليونان القدامى مثل (ديمقريطيس). ويقول هؤلاء بأن العالم أوالكون عبارة عن ذرات مادية متحركة، وأنَّ كل شيء في الكون يوجد ويبنى حسب حركة ذراته، وإن الذرات نفسها لا تنقسم ولا تخلق ولا تفنى. وفي العصر الحديث طور الفلاسفة الأوروبيون

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(الإنجليز، ألمان، فرنسيون. إلخ) الفلسفة المادية اليونانية القديمة. ويعتبر الفيلسوف الإنجليزي (بيكون) المؤسس الحقيقي لمادية العصر الحديث. وفي أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي أتى (ماركس وإنجلز) فوضعا أسس (الفلسفة المادية الدياليكتيكية) وطورها (لينين) قائد الثورة البلشفية في روسيا وأطلق عليها اسم الفلسفة الماركسية - اللينينية. وهو صاحب المقولة التي ترنم بها ثوار العالم. (لاحركة ثورية بدون نظرية ثورية) [1].

ب - أسس الاشتراكية العلمية:

أطلق على الفلسفة الماركسية - اللينينية اسم فلسفة الاشتراكية العلمية أو فلسفة الطبقة العاملة. وتبنى هذه الفلسفة على الأسس التالية:

(١) خلود المادة التي لم يخلقها أحد فهي أزلية لا تفنى.

(٢) تتحرك ذرات هذه المادة غير الفانية حركة دائمة وتتحول من حالة إلى أخرى.

(٣) تحرك هذه المادة مستمر على امتداد الزمان وحجم المكان. وبالتالي فالزمان والمكان لا نهاية لهما.

(٤) المادة أقدم من الوعي. والدماغ البشري أرقى حالة للمادة العضوية. والإنسان الحديث منحدر عن القرد الشبيه بالإنسان.

(٥) المجتمع البشري في تطور مستمر نحو الارتقاء أي أنه يتحول من المستوى الأدنى إلى المستوى الأرقى. وفي تطوره يخضع لنظم اجتماعية واقتصادية هي خمسة:

(أ) المشاعية البدائية.

(ب) العبودية.

(ج) الإقطاع.

(د) الرأسمالية.

(هـ) الشيوعية.

---

(١) الفلسفة مقرر سنه ثالثة ثانوي بمدارس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان المجتمع الإنساني في مرحلته المشاعية البدائية خاليًا من الصراع لعدم تميز طبقات فيه. ثم بدأ الصراع بين طبقاته وأخذ يشتد حتى بلغ ذروته في المرحلة الرأسمالية لينتهي في المرحلة الشيوعية التي تعقب انتصار الطبقة العاملة (المستغلَّة) بفتح اللام على الطبقة الرأسمالية (المستغلِّة) بكسر اللام. وأنَّ هذا الصراع وهذا الانتصار حتميان وفقًا للقانون الدياليكتيكي (وحدة وصراع الأضداد) في جانبه الاجتماعي [١].

٢ـ تطبيقات الفكر الاشتراكي في بلد عربي مسلم:

أ ـ اساليب تطبيق هذا الفكر في جنوب اليمن

بعد الحركة الانقلابية في ٢٢يونيو عام ١٩٦٩م التي عرفت بالخطوة التصحيحية تولى السلطة في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية يسار التنظيم السياسي الجبهة القومية فتهيأت الفرصة لفرض الفكر الاشتراكي في بلد عربي مسلم، وهو الذي أخذ في تطورلاحق اسم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وقد تم هذا الفرض بالوسائل والأساليب الآتية:

(١) القبضة العسكرية:

إنَّ تنظيمًا لا يؤمن بالتعددية السياسية ولا بانتقال السلطة سلميًّا بإرادة جماهيرية شورية، ولا يقبل التعايش مع أحزاب وتنظيمات أخرى إن هو قفز إلى السلطة كما هو حال كل الأحزاب الشيوعية في العالم، وإنَّ فكرًا يؤمن بالصراع وبدكتاتورية الحزب الواحد كما هو حال الاشتراكية العلمية، لا بد أن تكون الثورة المسلحة والقوة العسكرية وسيلته إلى الحكم والحفاظ عليه. فالقوات المسلحة إذن هي درع النظام من هذا النوع وسهامه الموجه ضد أعدائه الطبقيين الذي خلقهم وتوهمهم في الداخل والخارج. قال الأستاذ عبد الفتاح إسماعيل [٢]: (لتحقق

---

(١) فلسفة مقرر سنة ثالثة ثانوي بمدارس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

(٢) عبد الفتاح إسماعيل: أحد مناضلي حرب التحرير وقادة الجبهة القومية ويعتبر المنظِّر الأول للفكر الاشتراكي في اليمن. وقد مات في أحاث ١٣ يناير سنة ١٩٨٦م حرقًا في الدبابة كما أعلن رسميًّا.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلطة الوطنية الديمقراطية مهامها التقدمية عليها خوض الصراع الطبقي المنظم ضد كل القوى التي فقدت وتفقد مصالحها عبر التحولات المادية والروحية. وأن مؤسسات الثورة العسكرية (الجيش الشعبي، والشرطة الشعبية، والمليشيا، وجهاز أمن الثورة) التي تخضع لقيادة التنظيم السياسي، يجب أن تستخدم لضرب أعداء الثورة الطبقيين). ولكي يكون دور القوات المسلحة فعّالاً في الهجوم والدفاع لا بد من تسليح أفرادها معنويًا وتربويًا بأفكار الاشتراكية العلمية وماديًا بأحدث الأسلحة وتكتيكيًا بالمهارات العسكرية اللازمة عبر الدراسة العلمية والتدريب. وهكذا أرسلت البعثات العسكرية إلى مختلف الدول الاشتراكية للتأهيل والتدريب واشتريت الأسلحة الروسية التي كلفت الشعب ديونًا ظلت قائمة إلى ما بعد الوحدة اليمنية. وفي حرب الانفصال قوض الجيش الاشتراكي وانهار معسكر العند الأسطورة وفتح باب النصر للوحدة اليمنية.

التأطير الحزبي:

من أجل تغلغل التنظيم بين أوساط الجماهير تم تشكيل المنظمات القاعدية له في مواقع العمل والإنتاج. وتكوين لجان حزبية على مستوى المراكز والمديريات والمحافظات، تتوج باللجنة المركزية ومكتبها السياسي على مستوى الجمهورية. ولتمكين كوادر التنظيم وقياداته من توجيه أنشطة الجماهير شكّل الحزب الاتحاد العام للنقابات، والاتحاد العام لنساء اليمن، واتحاد الفلاحين، واتحاد الشباب اليمني الديمقراطي. وولى على هذه التنظيمات الجماهيرية قيادات هي أعضاء في اللجنة المركزية. كما استحدث الحزب الدوائر السياسية في وزارات الدفاع، والداخلية، والتربية والتعليم، للعناية بالنشاط السياسي والفكري بين صفوف القوات المسلحة والشرطة الشعبية والمليشيا وأمن الثورة، وبين صفوف التربويين والمعلمين والطلبة. وعين في كل مؤسسة تعليمية النائب السياسي الذي طغى وبغى على المدير التربوي الذي قد يكون غير حزبي، بدءًا من رياض الأطفال وحتى كليات الجامعة ورئاسة الجامعة. كما اهتم الحزب بالرياضة فشكل المجلس الأعلى للرياضة تحت رعايته وقيادته.

هذا ولتعزيز الدور القيادي للحزب (التنظيم السياسي) تولى المراكز العليا

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحساسة في الدولة أعضاء التنظيم بدءًا من رئاسة الدولة والحكومة ومجالس الشعب والقوات المسلحة والقضاء والادعاء العام ومعظم أعضاء الحكومة ونوابهم والحكام في المحافظات والمديريات والمراكز. ورفع التنظيم شعار (الحزب ضمير وعقل وشرف الشعب) وكان الانتماء الحزبي بمثابة (الحسب والنسب) للحصول على الأولوية والأفضلية في الجاه والمركز والترقي [١].

(٣) دعم المعسكر الاشتراكي:

إن قيام نظام سياسي يتبنى الفكر الاشتراكي وسط نفوذ (إمبريالي - رجعي) عميق الجذور في شبه الجزيرة العربية [حسب تعبير الأستاذ عبد الفتاح إسماعيل] لا يمكن أن يستمر إلاّ بدعم القطب الآخر في ساحة الصراع العالمي الذي عرف بالحرب الباردة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. فاستمرارية النظام الاشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالرغم من الصعوبات التي واجهها والصراعات التي عاشها يعود إلى الدعم المقدم من المعسكر الاشتراكي تحت قيادة الاتحاد السوفياتي. وحينما انهار الاتحاد السوفياتي انهار النظام الاشتراكي في جنوب وشرق اليمن. وقد أتى هذا الدعم الخارجي على أشكال عدة أهمها:

(أ) انفتاح على العالم الخارجي عبر النافذة الاشتراكية.

(ب) حصانة عسكرية مستمدة من قوة القطب الاشتراكي وتحديث للجيش تدريبًا وتجهيزًا حتى أصبحت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية مهابة بين جيرانها. ولما امتحنت قاومت وعاندت وانتصرت وثبتت.

(ج) تنمية تجسدت في الخطة الثلاثية والخطة الخماسية الأولى والثانية. فأرسلت إلى المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفياتي البعثات العلمية والعسكرية والحزبية، وتدفق إلى الجمهورية الخبراء في مختلف المجالات: العسكرية والأمنية والثقافية والتربوية والاقتصادية. وظهرت المشاريع السوفياتية في الزراعة والأسماك والنفط.

وبالرغم من التقصير والأخطاء التي رافقت تنفيذ هذه الخطط فهي في بلد نامٍ

(١) كرامه مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كبلادنا كانت لها نتائج إيجابية [١].

وعيب الدعم الخارجي هو فرضه (التبعية). كما يمارس معنا اليوم البنك الدولي، فقروضه مشروطة بما يسمى بالإصلاح الإداري والمالي كما يراه هو لا كما نريد نحن. وهذا هو القيد العالمي الجديد للشعوب النامية في ظل النظام العالمي الجديد الذي تسيطر عليه أمريكا والصهيونية العالمية.

(٤) الدعاية والتحريض:

الفكر الاشتراكي كأي فكر عقائدي في حاجة إلى الدعاية والتحريض. ونشاط الدعاة حجر الزاوية لاعتناق المذهب الذي يدعون إليه. والدعاية اليوم بمختلف الوسائل المشوقة لكسب الأنصار بل ولكسب الزبائن في الأعمال التجارية هي سمة العصر. والفكر السليم الملائم للفطرة البشرية لايحتاج إلاّ إلى الحكمة والموعظة الحسنة. أما الفكر النفعي أو المنافي للفطرة البشرية فلا يقبله العقل البشري ولا تطمئن إليه النفس الإنسانية إلاّ على مضض وبجهد، وفي جو من الكبت والإرهاب والاحتكار الإعلامي، والهيمنة التربوية إلى حد التضليل. ولهذا رافق تطبيق الإجراءات الاشتراكية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية كتخفيض الرواتب وتأميم المساكن ومصادرة الأراضي والممتلكات وحرق (الشياذر) وسحل العلماء حركة دعاية وتحريض منقطعة النظير، ومسيرات غوغائية واعتقالات واسعة بل وخطف وقتل وتشريد، وهياج جماهيري كالسيل العارم من اعترضه جرفه وأغرقه.

ب - مجالات التطبيق:

تناول تطبيق الفكر الاشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية مختلف جوانب الحياة وأهمها الجوانب الآتية:

(١) الجانب التربوي والثقافي:

استهدف النظام السياسي السائر في طريق الماركسية اللينينية المواطن في وعيه

---

(١) راجع كتاب الباحث الجزء الثاني «التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن لمزيد من التفصيل والمعلومات».

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسلوكه فعمل على:

(أ) استئصال كافة الثقافات الموروثة والسائدة والتي وصفها برنامج التنظيم السياسي للجبهة القومية بأنها ثقافات فكرية إقطاعية استعمارية برجوازية ذات تقاليد ومفاهيم رجعية.

(ب) غرس قيم فكرية وثقافية وأخلاقية جديدة تعتمد على نظرية الاشتراكية العلمية.

ولتحقيق هاتين المهمتين قامت (السلطة الوطنية الديمقراطية الشعبية) - كما يسميها النظام - بالدعاية والتحريض للفكر الجديد ومحاربة الفكر القديم بالوسائل التربوية والثقافية والإعلامية التي احتكرتها لنفسها والتي نلخصها بالآتي:

- وضع منهج وطني يسنِي تقدمي في مجال التربية والتعليم، يستند على أسس علمية وتربوية تقدمية، يمكّن الأجيال الجديدة من أن تتخلص من كافة الثقافات التربوية الإقطاعية والبرجوازية [1]. ومن أن تنبذ أفكار الرجعيين التي تسخر الدين لخدمة مصالحهم. وأدخل في المنهج (الماركسية اللينينية) كمادة إجبارية باسم الفلسفة تدرس في المدارس الثانوية العامة وفي المعاهد المهنية والفنية ودور المعلمين وكليات الجامعة.

إنشاء مدارس خاصة متخصصة في علوم الاشتراكية العلمية، مهمتها غرس أفكار الاشتراكية العلمية في أذهان الكوادر الحزبية والنقابية والشبابية، كالمدرسة العليا للعلوم الاشتراكية في عدن وفروعها في المحافظات، ومعهد الدراسات النقابية، ومدرسة الكوادر الشبابية.

تحجيم مادة الدين في جميع مدارس التعليم العام إلى معلومات ودراسات ثقافية لا تناقض الفكر الاشتراكي. بل وكيفت مواضيعها لمباركة الفكر الاشتراكي خاصة في المدارس الثانوية وذلك تحت إشراف المفكر العربي اللبناني الماركسي الدكتور حسين مروة.

(١) استخدمنا نفس المصطلحات والعبارات التي يستخدمها الفكر الاشتراكي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إرسال البعثات التعليمية للدول الاشتراكية خاصة الاتحاد السوفياتي من أجل التفقه في علوم الاشتراكية العلمية.

إنشاء المراكز الثقافية والمكتبات العامة والمدرسية، وتزويدها بكتب الاشتراكية العلمية ومؤلفات ماركس وإنجلز ولينين وغيرهم من الكتّاب الشيوعيين واليساريين العرب والأجانب.

توسيع البرامج الإذاعية والتلفزيونية والصحفية لنشر وتعميم أفكار ومبادئ الاشتراكية العلمية.

إغلاق الأربطة والمعاهد الدينية الإسلامية.

إغلاق المدارس الأهلية والمراكز الإسلامية.

إغلاق المدارس التبشيرية والأجنبية ومراكزها الثقافية المنتشرة في عدن.

إغلاق الصحف الأهلية والحزبية وإنشاء (مؤسسة ١٤أكتوبر للطباعة والنشر) لطباعة الصحف والنشرات الحكومية فقط وطبع نشرات المؤسسات والمنظمات التابعة لها.

(٢) الجانب الاجتماعي:

قسَّم الحزب الاشتراكي اليمني وفقًا لأفكار الاشتراكية العلمية الشعب إلى فئتين اجتماعيتين كبيرتين متناقضتين في مصالحهما المادية والروحية. تقف الأولى مع الثورة الوطنية وتقف الثانية مع الثورة المضادة. وتتكون الفئة الأولى من الطبقات التالية:

١- الطبقة العاملة: وهي المؤهلة موضوعيًا لقيادة الثورة.

٢- الفلاحين والصيادين.

٣- المثقفين الثوريين.

٤- البرجوازية الصغيرة.

كما تتكون الفئة الثانية من:

١- الإقطاعيين وشبه الإقطاعيين في الريف.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- الكومبرادور (كبار التجار) في المدينة.
٣- البرجوازيين ويتمركزون في الجهاز الإداري.

ولحسم الصراع الطبقي بين هاتين الفئتين والذي لا يمكن أن يتم سلميًا، فقد شجع التنظيم السياسي الفئة الأولى وقاد هو بنفسه الصراع بالعنف الثوري الذي عبر عن نفسه بالمسيرات الهائجة وبانتفاضات الفلاحين والصيادين، وبما رافقها من خطف وسحل وتشريد وتسريح من أجهزة الدولة والقوات المسلحة، ومن انتهاكات لحرمة النساء كحرق العباءات والتطاول على النصوص الشرعية فيما يتعلق بالزواج والعلاقات الاجتماعية، والتي دشنها المؤتمر الشعبي الأول لتحرير المرأة في ٢٥ - ٢٧/ ٢/ ١٩٧٣م الذي عقد بعتق عاصمة المحافظة الرابعة حينها شبوة حاليًا. إن نسف العلاقات الاجتماعية القديمة لم يقف عند العنف الثوري بل صدرت التشريعات المنظمة للعلاقات الجديدة وهي في جوهرها مخالفة لنصوص وروح الشريعة الإسلامية وأهمها:

١- دستور مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الذي عدل وأقر من قبل مجلس الشعب الأعلى بتاريخ ٣١/ ١٠/ ١٩٧٨م.
٢- قانون الإصلاح الزراعي رقم ٢٧ لعام ١٩٧٠م.
٣- قانون تأميم المساكن والمحلات التجارية بتاريخ ٥/ ٨/ ١٩٧٢م.
٤- قانون العمل الأساسي.
٥- قانون الأحوال المدنية.
٦- قانون العقوبات رقم (٣) لعام ١٩٧٦م.
٧- قانون الأسرة رقم (١) لعام ١٩٧٤م.

والجدير بالذكر أنه ليس كل ما في هذه القوانين سلبيًا فقد حوت وتناولت جوانب إصلاحية إيجابية عالجت أمراض المجتمع القديم، لكن شرها كان أكثر من خيرها خاصة في الجانب التطبيقي. والانحراف في الجانب التطبيقي وارد حتى في النصوص العادلة والسليمة إذا فسدت أداة التنفيذ كما نلمسه في ظروفنا وأحوالنا الحالية.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣. حضرموت تحت راية الاشتراكية العلمية والنجمة الحمراء:

أ. الرباط التاريخي بين عدن وحضرموت:

كانت عدن بالنسبة لحضرموت بعدًا سياسيًا وثقافيًا وتجاريًا واجتماعيًا عبر التاريخ. فالغزو التاريخي لعدن يصيب رذاذه حضرموت، وكان آخره الاحتلال البريطاني لعدن عام ١٨٣٩م. وحينما قامت الدول اليمنية المستقلة بعد الانفصال عن الخلافة العباسية وامتدت إلى عدن كانت حضرموت غالبًا ضمن الولاية التي مركزها عدن. هكذا كان الأمر بالنسبة للدول اليمنية: الصليحية والأيوبية والرسولية والطاهرية، وأخيرًا كانت حضرموت إحدى محافظات الجمهورية المستقلة بعد الجلاء البريطاني والتي عاصمتها عدن. وتطلع علماء وفقهاء وأدباء حضرموت نحوعدن فهاجروا إليها وعاشوا فيها وكان لهم نصيب وافر في المجال الديني والثقافي ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر [١]:

١- أبو بكر بن علي بن علوي الحضرمي: الذي أجاب إجابة شافية عن سؤال السلطان الفقهي الذي أعجز فقهاء البلد فولاه السلطان على خزائن الكتب.

٢- محمد بن أحمد بن النعمان الحضرمي: أصله من الهجرين وهو شيخ بن سمرة. ودرس على يديه جماعة من علماء وفقهاء عدن.

٣- أبو محمد عبد الله باقفل: فقيه وإمام مسجد أبان. وقد بنى مسجدًا شرقي مسجد أبان وقد اندثر.

٤- محمد بن سعد بن محمد بن علي باشكيل: أصله من الشحر تولى التدريس في عدن.

٥- محمد بن محمد بامعبد: أصله من دوعن: من أعيان المشايخ وزاهد وصاحب حال التف حوله المريدون من أبناء عدن.

٦- محمد بن يحيى باشعبة الحضرمي: لزم مسجد التوبة بعدن حتى سمي هذا المسجد بمسجد أبي شعبة.

---

(١) ابو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمه: ثغر عدن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧- عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة : صاحب تاريخ ثغرعدن.

وكان أبعد العلماء الحضارمة تأثيرًا على الحياة الفكرية في عدن وأكثرهم شهرة الصوفي الكبير أبوبكر بن عبد الله العيدروس المتوفى في عدن عام ٩١٤هـ.

ومن عدن توجه العلماء إلى حضرموت فدرسوا في الأربطة على شيوخها ومن أبرزهم الشيخ محمد سالم البيحاني الذي درس في رباط تريم على يد شيخه العلامة عبد الله بن عمر الشاطري.

وخلال الدور التنويري الحضرمي أسهم المثقفون والأدباء والسياسيون الحضارمة في النهضة اليمنية في عدن فكان منهم كتاب الصحف وزعماء الأحزاب السياسية خاصة رابطة أبناء الجنوب العربي. وحضرموت هي التي أنجبت أول مفكر يمني ماركسي هو الأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب الذي ولد في الشحر عام ١٩٣١م وتوفي في عدن عام ١٩٧٦م. فقد أسس في عدن عام ١٩٦١م أول تنظيم سياسي يتبنى الالتزام بالفكر الاشتراكي تحت اسم (الاتحاد الشعبي الديمقراطي) وقد اندمج هذا التنظيم مع حزب الطليعة الشعبية - البعثي الأصل - والجبهة القومية في إطار التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية في ٥ فبراير عام ١٩٧٥م.

وتحت راية الاشتراكية العلمية وفي إطار الحزب الاشتراكي اليمني أسهم الحزبيون اليساريون من الحضارمة في التحولات الاشتراكية والصراعات السياسية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وقد بلغ أفراد منهم قمة النظام في الحزب والدولة وساهم في قيام الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م، وارتبطت بذلك عدن وحضرموت بصنعاء عاصمة الجمهورية اليمنية.

واستثمر الحضرميون في عدن أموالهم في فترة الاحتلال البريطاني لها وأسهموا مع غيرهم من اليمنيين في الانتعاش التجاري والاقتصادي في عدن، وبرزت منهم بيوتات مال من أمثال: باشنفر، بازرعة، الكاف، العمودي، باحبيشي وغيرهم. فكانوا ممن طالت أموالهم وممتلكاتهم الاجراءات الاشتراكية في ظل النظام الاشتراكي.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - الإجراءات الاشتراكية في حضرموت:

حضرموت كإحدى محافظات جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية فجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قد شملها النظام السياسي بأفكاره وتطبيقاته التي سبق أن تطرقنا إليها.

ولنذكر الآن بعض الإجراءات الاشتراكية التي أصابت حضرموت بالتحديد:.

في الجانب التربوي والثقافي:

فضلاً عن ما قلناه عن تطوير المناهج والكتب المدرسية وفقًا والنهج الاشتراكي العلمي، كانت حضرموت مستهدفة في التغيير ثقافيًا وتربويًا. فهي متهمة بتأصيل التربية والثقافة الإقطاعية ذات التقاليد والعادات والمفاهيم الرجعية كمايصورها برنامج التنظيم السياسي. ولهذا أصبحت حضرموت مسرحًا ومرتعًا لهدم التقاليد والعادات، ولملاحقة المشعوذين وزجهم في السجون، ولإبطال الكثير من البرامج الدينية المتوارثة التي تعود إلى الدور الصوفي الحضرمي. وقامت سلطة النظام في حضرموت بما قامت به الحكومة التركية الكمالية العلمانية من محاربة للبدع والخرافات ومطاردة للشيوخ والعلماء ممن وصفتهم بمخدري عقول الجماهير والسذج من الشعب. وأهم الإجراءات التي اتخذتها السلطة المحلية في حضرموت في الجانب التربوي والثقافي هي:

١- إلغاء الأربطة والمعاهد الدينية الآتية:

(أ) رباط تريم.

(ب) رباط الحبشي بسيون.

(ج) رباط بن سلم في غيل باوزير.

(د) المعهد الديني الحكومي في غيل باوزير.

(هـ) رباط الشحر وغير ذلك من الأربطة الصغيرة في دوعن والزوايا الدينية في مختلف مناطق حضرموت.

٢- إلغاء دور المناصب وكل ما يتعلق بأنشطتهم الدينية والاجتماعية.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- إلغاء الأذكار وآلات السماع من طبول ودفوف ومزامير في المساجد ومايعرف بالحضرة الصوفية.

٤- إلغاء أناشيد أطفال الكتاتيب خلف الجنائز وغيرها كترانيم أخدام السقاف.

٥- إلغاء الزيارات الحولية للأضرحة والمشاهد الدينية.

٦- تشجيع تعليم البنت، وفرض التعليم المختلط في كل المراحل الدراسية.

٧- تجميع أبناء البدو الرحل في أقسام داخلية مختلطة في مدارس خاصة بهم في ساحل حضرموت وداخلها.

وللسيطرة على الثقافة العامة للشعب والإعلام الموجه قامت السلطة المحلية في حضرموت بالآتي:

أ- الاستيلاء على مكتبة الكاف بتريم. وأنشأت في تريم مكتبة الأحقاف للمخطوطات. وجمع فيها العديد من مخطوطات الخزائن الأهلية. ومكتبة الأحقاف للمطبوعات حوت ما جمع من الكتب المطبوعة وما أضيف إليها من الكتب الحديثة ذات التوجه الاشتراكي. وفي الواقع كان جمع كتب التراث في مكتبة واحدة حفاظًا لها وتعميمًا لنفعها لاسيما وأن كثيرًا من كتب التراث الشخصية قد أتت عليها دودة الأرضة وانقرضت مع هذه الدودة الشرهة. ويعود الفضل في ذلك إلى شخصيات حضرمية هي:

١- الأستاذ عبد الله محيرز مدير مركز الأبحاث في عدن.

٢- الأستاذ علي بن عقيل بن يحيى نائب مدير الأبحاث في عدن.

٣- الشيخ العلامة علي سالم سعيد بكير مدير مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم.

وفي مجال الدعاية والتحريض ضد الأفكار الرجعية كما يراها التوجه الاشتراكي استخدم المعلمون والطلاب في عملية التحريض وفرض عليهم قبل الذهاب إلى المدرسة صباحًا التجمع في أماكن عامة للتنديد بالرجعيين والكهنوت والخرافيين. وإذا مروا على بيت أحدهم قاموا بالأهازيج منددين ومنذرين بالويل والثبور للكهنوت والإقطاع

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) الجانب الاجتماعي:

يعتقد الاشتراكيون اليساريون كما تمليه عليهم فلسفتهم أن المجتمع البشري في تطوره يخضع لنظم اجتماعية واقتصادية. فجاءت إجراءات التنظيم السياسي في حضرموت مشتملة الجانبين معًا: الاجتماعي والاقتصادي، على أساس أن المجتمع مقسم إلى فئة إقطاعية رأسمالية برجوازية مستغلّة. وفئة عمالية فلاحية صيادية بدوية كادحة فقيرة مستغلَّة. وبمفهوم المادية الدياليكتيكية يتم الصراع بوعي وإحساس ويقضة من طبقة العمال في الدرجة الأولى، لأنها مؤهلة كما تدعي الاشتراكية العلمية موضوعيًا وتاريخيًا للقيام بالثورة. وفي حضرموت لم تكن هذه المقولات والتخريجات موضوعية. فقام الحزب نفسه بالمهمة الثورية وخبط خبطة عشوائية نالت المجتمع كله ولم تعد تميز هذه الخبطة بين الفئتين.

الخبطة الغوغائية:

في ١٥/ ٧/ ١٩٧٢م نظم وسيَّر التنظيم السياسي الجبهة القومية الحاكم قافلة كقافلة هولاكو التتارية على شكل مسيرات هائجة اجتاحت وادي حضرموت وهي تهتف بالزعيم: سالمين سالمين نحن أشبالك وأفكارك لنا مصباح اشعلناها ثورة حمراء باسم العامل والفلاح وفي انحدارها من شبوة إلى تريم وسط الوادي قامت في طريقها بالانتفاضات على الممتلكات الزراعية من أراضي الأوقاف أو على حيزات من الأفدنة دون المساحة المقدرة في قانون الإصلاح الزراعي للمصادرة، وعلى الآلات الزراعية التي كان الكثير منها ملكًا لفلاحين صغار. وصادرت دكاكين لجمعيات عمالية وزراعية بحجة أن أصحابها رفضوا الانتفاضة، وعلى رأسهم الزعيمان الفلاحان: سالم سعيد بارجيب وعلي سعيد بكير من أكبر حي فلاحي عمالي بمدينة تريم وزج بهما في السجن. وقد رافق هذا الاجتياح الهمجي عمليات سحل واختطاف واعتقالات. وسيق إلى سجن المنورة بالمكلا كل من يخشونه من علماء ومقادمة قبائل وقيادات عمالية وفلاحية وقضاة ومثقفين. وبنفس الأسلوب قامت في الساحل الحضرمي انتفاضات الصيادين التي استولت على شباك وقوارب الصيد، وكان الكثير منها لصيادين كادحين.

لقد كان الهدف من هذه الانتفاضات المسيَّرة والمنظَّمة من قبل قيادات التنظيم

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياسي الجبهة القومية القضاء على المعارضة في بلد محافظ متدين كحضرموت، ونسف التركيب الاجتماعي العميق الجذور القائم على الحسب والنسب والاستغلال المعوق للتطور نحو رحاب الاشتراكية وصولاً إلى الشيوعية الجنة الموعودة للمغرر بهم من الفقراء والكادحين. وعقب هذه الانتفاضات والاعتقالات هاجر رجال العلم والثقافة والقضاة إما إلى عدن كملاذٍ آمن لهم أو إلى دول الجزيرة والخليج. وأطفئت شعلة التنوير كما رأيناها تتقد خلال الدور التنويري الحضرمي.

(ب) تهشم الهرم الطبقي المستقر وقيام آخر مهزوز:

يعرف المجتمع في أي بلدٍ بأنه هيئة اجتماعية معقدة. يكون تنظيمها الداخلي عبارة عن مجموعة روابط وعلاقات اقتصادية واجتماعية وثقافية وفكرية. ووفقًا لهذه الروابط والعلاقات يتجمع أفراد المجتمع في فئات تحتل مواقعها في شكل هرم اجتماعي. ويتحدد موقع الفئة وفقًا لما تتمتع به من تفوق مادي أو تفوق فكري أو كليهما معًا. لتصعد نحو قمة الهرم الفئة المقتدرة وهي أقل عددًا، وتنحدر نحو قاعة الفئات المنحطة ماديًا وفكريًا، وهي أكثر فئات المجتمع عددًا. ويبرز هذا بشكل واضح في المجتمع الذي يسوده الفقر والجهل والفوضى كما بيناه في الدور الصوفي. انظر إلى الشكل رقم (٣).

وخلال الدور التنويري تلقى هذا الشكل الهرمي الطبقي ضربات موجعة هزت كيانه خلال الصراع العلوي - الإرشادي وجهها إليه رجال الإصلاح والتنوير الذين تحدثنا عن بعض أعلامهم في فصل الدور التنويري، وبفعل وسائل التنوير التي أخذت تتصاعد في حضرموت كالأربطة الدينية والمدارس الحديثة، والبعثات التعليمية إلى البلاد العربية والأجنبية، والصحافة وتأليف وإصدار الكتب، والحرية الفكرية التي قدمت مع الاحتلال البريطاني لجنوب اليمن. وعندما أطل الدور الاشتراكي على حضرموت في ظل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وحكم الحزب الاشتراكي اليمني حامل لواء الاشتراكية العلمية، سدد هذا الحزب ضربات أكثر عنفًا وقسوة هشمت تمامًا ذلك الهرم الاجتماعي الطبقي الموروث والمتصدع منذ الدور التنويري، حيث تم ما يلي:

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- انحدار فئات المناصب والسلاطين والمقادمة من عليائها، وتلاشت كفئة عليا.

٢- تسنم زعماء الحزب مواقع القيادة الفكرية والعسكرية في المجتمع.

٣- انتشار التعليم وتقلص ظل الأمية الذي كان مخيمًا على الفئات العريضة من المجتمع خاصة فئة التمسكن القديمة.

٤- نزع السلاح من القبائل وإخماد نار العصبية القبلية والنسبية.

٥- تسليح جماعات من الفئات المتمسكنة من فلاحين وصيادين وعمال وتكوين المليشيا الشعبية منهم.

٦- هبوط فئة التجار من قوى مساندة للسلطة ومتمصلحة معها وقريبة من مواقعها إلى قوى خدمية في أحضان القطاع العام.

٧- بروز فئة جديدة احتلت المكانة الثانية بعد القيادة الحزبية السياسية والعسكرية، وهي فئة الكوادر الفنية والحزبية والتي تميزت بكفاءتها أو بانتمائها الحزبي.

وهكذا نشأ على إثر انهيار الهرم الاجتماعي الطبقي المستقر هرم اجتماعي جديد لكنه غير مستقر. وفي كلا الهرمين كما في أي هرم اجتماعي دائمًا ثلاث طبقات اجتماعية رئيسية هي العليا والوسطى والدنيا. ويتكون الهرم الجديد المشكل من خلال إجراءات الدور الاشتراكي على النحو الآتي:

١- **الفئة القيادية:** - وتتكون من القيادة السياسية والعسكرية في الدولة - وتقابلها فئة التعالي في الهرم الاجتماعي السابق - وأبرزها أعضاء المكتب السياسي.

٢- **الفئة المتنفذة:** - وتتكون من الكوادر الفنية والحزبية في الدولة والتنظيم السياسي - وتقابلها فئة التسلط في الهرم الاجتماعي السابق - وأبرزها أعضاء الأمن السياسي.

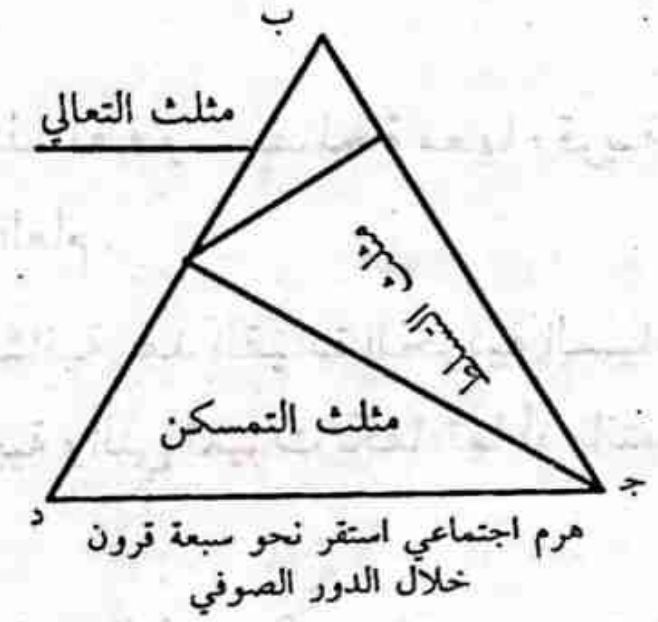
٣- **الفئة الهامشية:** وتتكون من الفئة المقهورة في المجتمع. وهي في معظمها نفس فئة التمسكن السابقة مع الجماعات المنحدرة إليها من فئتي التعالي والتسلط

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

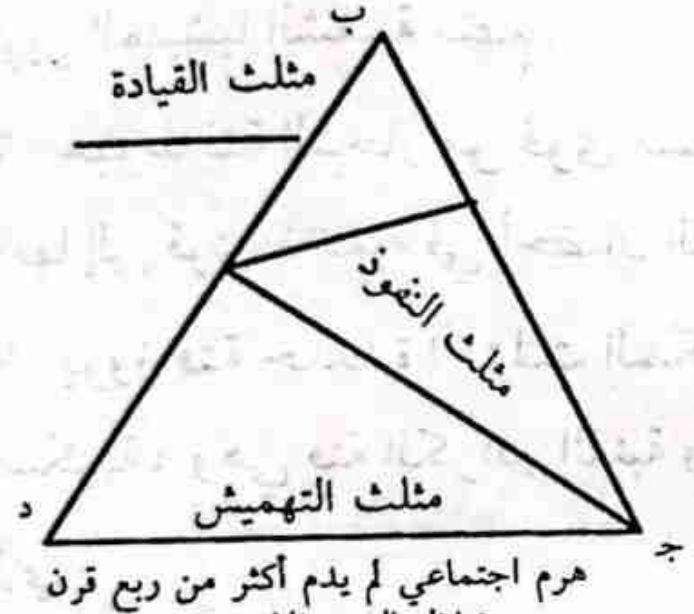
في الهرم الاجتماعي السابق بعد أن تم قهرهما. وتبسيطًا للهرمين الاجتماعيين: المستقر والمهزوز نرسم الشكل رقم (٧) ويمثل الهرم الاجتماعي الذي استمر نحو سبعة قرون، والشكل رقم (٨) للهرم الاجتماعي الذي لم يدم أكثر من ربع قرن. وقد رسمت الطبقات الثلاث على شكل مثلثات داخل الهرم الاجتماعي البارز كمثلث أكبر (ب جـ د).

شكل رقم (٧)



هرم اجتماعي استقر نحو سبعة قرون
خلال الدور الصوفي

شكل رقم (٨)



هرم اجتماعي لم يدم أكثر من ربع قرن
خلال الدور الاشتراكي

إن في تحقيق العدالة الاجتماعية، وتحكيم شرع الله، ونشر الوعي الديني والعلمي في أوساط المجتمع، وترسيخ تقوى الله في علاقة الناس بعضهم ببعض: يتأسس المجتمع المتبادل المنافع والمصالح، وتزول كل أشكال القهر والاستغلال بين فئات المجتمع، وتتلاشى كل معاني التعالي والتسلط والتمسكن موضوعيًا. فالقبيلي مثلاً الذي يركن إلى العصبية القبلية لتحميه أيام كان ثاويًا في أرض قبيلته ويدافع عنها أمام الأخطار، لم يعد اليوم وقد هاجر منها وارتبطت مصالحه بمجتمع خارج إطار قبيلته في حاجة إلى العصبية القبلية. والفلاح الذي تعلم ووعى لم يعد في حاجة إلى التمسكن في ظل نظام عادل يحميه ويتيح له فرص الترقي حسب قدراته ومؤهلاته. والمنصب الذي خلا له الجو في مجتمع يسوده الجهل والفقر والفوضى لم يعد له مقام عال في مجتمع تسوده المعرفة وفرص الحياة الكريمة والاستقرار الأمني والنفسي لكل أفراد المجتمع.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ نقد تجربة الفكر الاشتراكي في جنوب اليمن:

(أ) التخريجات الحالمة :

قال الأستاذ عبد الفتاح إسماعيل المنظر الأول لتجربة الفكر الاشتراكي العلمي في بلد عربي مسلم مفتخرًا ومتباهيًا : (إننا نفخر بكوننا نبني تجربة وطنية تقدمية في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التي تمر بها بلادنا على أساس الفكر الثوري الاشتراكي العلمي) وأضاف قائلاً : (إن تجربة الثورة في بلادنا قد استطاعت بدرجة متقدمة أن تحول شعارات التحرر الوطني إلى ممارسة عملية وسط نفوذ إمبريالي ورجعي عميق الجذور في شبه الجزيرة العربية باعتبارها منطقة استراتيجية هامة على الصعيدين العسكري والاقتصادي) وأصبحت الثورة (تشكل بكل ما تمثله من إجراءات وتحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية خطرًا يبشر بانتقال رياح الثورة إلى كل مناطق شبه الجزيرة، ويهدد بزعزعة المصالح والمواقع الاقتصادية للقوى الإمبريالية والرجعية فيها) [1].

هذه المقولات الفتاحية هي من قبيل قعقعة السلاح الكلامي في الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي الاشتراكي والغربي الرأسمالي. وكانت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية البلد الوحيد في شبه الجزيرة العربية في جانب المعسكر الاشتراكي. وكانت تحلم فعلاً في تصدير الثورة إلى شمال اليمن وإلى دول الخليج عبر ظفار وعمان. وكان في اللجنة المركزية والمكتب السياسي للتنظيم السياسي الحاكم أعضاء من شمال اليمن، وكان الأستاذ عبد الفتاح إسماعيل نفسه من مواليد الشمال اليمني. وكان في عدن مكتب لجبهة تحرير عمان والخليج ولها قواعد عسكرية في محافظة المهرة المجاورة لسلطنة عمان.

حرب ظفار ١٩٧٣م

وتهب رياح التغيير فعلاً في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لا لزعزعة المصالح والمواقع الاقتصادية للقوى الإمبريالية والرجعية في شبه الجزيرة العربية، وإنما لتعصف بالنظام الاشتراكي والتجربة الاشتراكية في الجمهورية نفسها.

(١) كرامه مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - فشل التجربة في الجانب التربوي والثقافي:

بالرغم من الإنجازات الملموسة في توسع التعليم وانتشاره على مستوى كل فئات الشعب ومختلف مناطق البلاد، ومن ارتفاع مستواه إلى المرحلة الجامعية وتأسيس جامعة عدن وكلياتها المتنوعة [١]. فإن النظام التربوي والثقافي لم ينجح في تحقيق أهدافه في غرس أفكار الاشتراكية العلمية في أذهان وسلوك النشئ الصاعد. بل رافق التجربة التربوية والثقافية الكثير من جوانب الفشل قال عنها قادة الحزب: إنها مجرد أخطاء ونواقص لا تمس صميم النهج الاشتراكي ولا تجربته في تكوين جيل يتمثل قيم الاشتراكية العلمية وعيًا وسلوكًا. وبدلاً من الاعتراف بعجز النهج الاشتراكي في الجانب التربوي والعمل على تطويره إيجابيًا في صالح التجديد الحقيقي والتوازن الفكري، شدد الحزب الاشتراكي اليمني أكثر من ذي قبل على التمسك بالاشتراكية العلمية ونهجها التربوي بالرغم من المعلومات التي تتوارد من موسكو عن الإصلاح والتجديد (البروسترويكا) على يد غورباتشوف زعيم الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي. ولَّد هذا التعنت الحزبي رد فعل عند الشباب من طلبة وطالبات الثانوية والجامعة بظاهرة العودة إلى المسجد والحجاب. وفسر الحزب حينها- مغالطة ومكابرة منه- هذه الظاهرة بالهجمة الشرسة لقوى الظلام والرجعية، عملاء الإمبريالية. وقد قوبلت ظاهرة العودة إلى المسجد بتنشيط العمل السياسي بين صفوف تلاميذ المدارس وطلاب الجامعة، وبتكثيف التربية السياسية لأعضاء منظمات الطلائع وأشيد وقواعد الحزب [٢]. وبإعادة تأهيل المدرسين خاصة مدرسي الفلسفة وقضايا المجتمع والتربية الدينية، وكذا تأهيل القيادة التربوية.

ومواجهة لهذا الخطر الداهم (خطر العودة إلى المسجد) وانطلاقًا من المقولة (الحزب هو القائد والموجه) عيّن الحزب أعضاءه في مزيد من وظائف وزارة التربية والتعليم القيادية على مستوى ديوان الوزارة وفروعها في المحافظات

---

(١) كرامه مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن.
(٢) أشيد: اتحاد الشباب اليمني الديمقراطي. والطلائع منظمة الأطفال.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمديريات وصولاً إلى إدارة المدارس والكليات نفسها. وبالمقابل أخذ الحجاب يتزايد لدى الطالبات، وبدأ ترك الفصول الدراسية للصلاة في فترة بعد الظهر عند الشباب. كما بدأت تظهر حلقات المساجد، وتفقد منظمات الحزب في المرافق التربوية وفي المدارس والكليات أعضاءها، وتفشل في كسب أعضاء جدد. وفي العام الدراسي ٨٨/ ٨٩م لم يكسب الحزب في مرحلة التعليم العام في مدارس الجمهورية كلها أكثر من (١٥) طالبة و(٢٦) طالبًا.

جـ - فشل التجربة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي:

لما كانت التغييرات الاجتماعية والتحولات الاقتصادية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فوقية وقهرية لا إرادة حقيقية فيها للشعب كله. كما إنها ماكانت منظمة ولا واعية بل كانت حركة فوضوية وخبطة عشوائية فإنها وقفت عند الهدم وعجزت عن البناء. وما بني من تعاونيات زراعية وصناعية وتجارية، وما قام من مشاريع زراعية وسمكية، وما أسس من قطاع عام ومؤسسات اقتصادية تحت إدارة الدولة، لم تنعش اقتصادًا متطورًا، ولم توجد تكاملاً اجتماعيًا واقتصاديًا راسخ البنيان عالي الأداء. وتحولت القوى المنتجة والخدمية في المجتمع إلى عطالة مقنعة وجهاز بيرقراطي وموظفين لا يهمهم إلاّ استلام الراتب، ولا يعنيهم من بعيد أو قريب نوعية ومستوى وطبيعة الأداء. وأصبح الولاء الحزبي أساسًا للترقي والحصول على المنافع. ولم تنجح رومانسية الأفكار الاشتراكية وأحلامها العريضة في الوصول إلى فردوس الشيوعية عبر نضال وكدح ونكد ضد الأعداء الطبقيين. كما أنها لم تنجح في القضاء على مخلفات الماضي ورواسبه كالقبلية والمناطقية. فشربت الفكرة مع الخمرة القيادات الحزبية وحولت الصراع ضد الجهل والجهالة إلى صراع مناطقي وقبلي تغذيه أياد خارجية. فتعرضت هذه القيادات لضربات جزاء في مباريات التصفية كانت الأولى عام ١٩٦٩م وكانت الثانية عام١٩٧٨م وكانت الثالثة عام ١٩٨٦م. أما الرابعة والأخيرة فكانت بعد الوحدة اليمنية عام ١٩٩٤م.

إن انهيار الاتحاد السوفياتي وتمزقه إلى دول مستقلة وسقوط الأنظمة الاشتراكية في أوربا الشرقية دليل على فساد الفلسفة الماركسية اللينينية وعجزها

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن التطبيق والاستمرار. ويأتي عجز الاشتراكية العلمية وعدم صحة وثبات قوانينها العلمية المبنية على المادية الديالكتيكية من خلال انهيارها وعدم انتصارها وانتقالها إلى المرحلة الشيوعية على أنقاض الرأسمالية. وفي أوربا بل وفي العالم كله يتوارى ظلام الشيوعية وتبزغ وتشرق أنوار الإسلام لتجابه بحق جاهلية وعولمة وجبروت النظام العالمي الجديد عند إطلالة القرن الحادي والعشرين الميلادي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

آفاق الصحوة الإسلامية في اليمن

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدرس الذي تعلمناه

استعراضًا للبحث الذي تناولناه في الفصول السابقة نستخلص منه نقاطًا أساسية هي:

(١) تشكل حضرموت بالنسبة لليمن مهدًا سكانيًا وحضاريًا له، ونافذة شرقية على الخليج العربي، وبوابة على المحيط الهندي المترامي الأطراف على شواطئ شرقي إفريقيا وجنوبي شرقي آسيا التي كانت مرتعًا لتجارة مزدهرة قديمًا وحديثًا للجزيرة العربية.

(٢) لبعد حضرموت عن مراكز النهضة العربية الإسلامية التي ازدهرت في دمشق وبغداد والقاهرة، ولشحة الموارد لدى معظم سكانها وفي أغلب مناطقها، فقد بقيت على جهلها وبداوتها حتى بداية الدور التنويري. إلاّ أن أمهات مدن حضرموت كتريم وشبام والشحر ظلت مراكز علم، وازدهار، وحكم، واتصال مع أمهات مدن اليمن الأخرى، ومع الحجاز خاصة مكة والمدينة، بل ودمشق وبغداد. وعبر هذا الاتصال تعرف الحضرميون على الأفكار الإسلامية كمذاهب وعقائد واعتنقوها عبر أدوار تاريخية تطرق إليها هذا البحث. وقديمًا شكل طريق البخور الشهير جسرًا حضاريًا بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها.

(٣) لعبت الهجرة من حضرموت وإليها في العصور الإسلامية دورًا في تطور الفكر والمجتمع فيها. فالمهاجر أحمد بن عيسى الذي قدم إلى حضرموت من البصرة عبر الحجاز عام ٣١٨هـ قد نقل إليها فكرًا إماميًا ذا نزعة شيعية تطور إلى فكر صوفي غمر حضرموت لأطول فترة عرفتها أدوار الفكر الحضرمي. أما الشيخ الجليل سالم بن فضل فقد قام بهجرة عكسية من حضرموت إلى العراق ومكث أربعين سنة يدرس ويجمع كتب أهل السنة، وعاد بأحمال من الكتب التي أغنت المكتبة الحضرمية بأمهات مصادر الثقافة العربية الإسلامية وعرف بمحيي السنة لعمله هذا. أما الهجرة الجماعية إلى جنوب شرقي آسيا فقد أدت إلى انتعاش اقتصادي وفكري في حضرموت تميزت به خلال الدور التنويري. هذا وإذا كانت شخصية المهاجر قد ارتبطت بالفكر الصوفي من خلال حفيده الفقيه المقدم فإن

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخصية سالم بن فضل قد ارتبطت بالفكر السني الذي تعزز بعد الدور الإباضي الذي ارتبط بشخصية عبد الله بن يحيى الكندي ناشر الفكر الإباضي في حضرموت إثر لقاءاته بزعامات إباضية في مكة والبصرة أيضًا.

(٤) تميز الفكر الصوفي الحضرمي بطول دوره وعمق تأثيره على الحياة العامة في حضرموت، وبتوليفته الفكرية المكونة من خطوط سنية وشيعية وصوفية حالت دون طغيان خط على خط فجاءت التوليفة الفكرية متوازنة بعيدة عن الغلو إلاّ في ماندر وشذ. وكان التأثير الاجتماعي لهذا الفكر هو المثير للجدل والصراع الذي نشب بين الحضارمة في المهجر وامتد إلى حضرموت والذي عرف بالصراع العلوي - الإرشادي خلال الدور التنويري.

(٥) الفسحة الفكرية التي أطلت على حضرموت خلال الاحتلال الغربي البريطاني ساعدت على غزو فكري علماني بتياراته القومية والرأسمالية والماركسية وعلى تراجع الأفكار التجديدية الإسلامية التي أخذت تتسرب إلى حضرموت عبر صحف وشخصيات الإخوان المسلمين ولا سيما بعد طغيان الإعلام الناصري المعادي للإخوان المسلمين لا في اليمن وحده بل في العالم العربي كله. هذه الفسحة الفكرية أتاحت المجال للفكر الاشتراكي الذي كان أقدر على توجيه الضربة الفكرية والاجتماعية لموروثات الفكر الصوفي في حضرموت حينها.

(٦) إن دراسة التطور الفكري والاجتماعي لحضرموت بموضوعية وبعيدًا عن الأحكام المسبقة والحساسيات الذاتية هي الكفيلة اليوم بتطوير الفكر وتنقية التراث من الشوائب التي تعيبه. وهذا أفضل مما فعله الخلف الذين طمسوا ما لم يعجبهم عن سلفهم والله أعلم.

إن الدرس الأعظم الذي يمكن أن يستوعبه المتابع للتطور الفكري والاجتماعي الحضرمي، كما وقفنا عليه، يتلخص في ثلاث نتائج مهمة هي:

- الجهل أساس التغرير.
- الأنانية أساس التعصب.
- التفرقة أساس الفشل.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أشرقت الصحوة الإسلامية لتقضي على الجهل والأنانية والتفرقة تحت لواء عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد آن الأوان لنخاطب العقول التي تفقه، والعيون التي تبصر، والآذان التي تسمع، والقلوب التي تخشع. قال الله تعال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء :٣٦]. حينئذ يتبين لنا أن طريق الصوفية طريق الخمول والروحانيات ويقود إلى العزلة والانزواء والانفراد، وأن طريق العلمانية طريق الشهوات والإلحاد، وأنه علينا أن نسلك طريقًا وسطًا هو الصراط المستقيم طريق النهضة والحياة الحقيقية للمجتمع. وعراكه من أجل حياة أفضل وأخير له. إنه عراك ضد التخلف والظلم. كما يتبين لنا أيضًا أن العمل المشترك لصالح المجتمع بابه واسع يسع الجميع. فلنتنافس لصالح المجتمع كله بدلاً من أن نبدد مالنا ووقتنا وجهدنا ليحطم بعضنا بعضًا استهواءً لأنانيتنا البغيضة والمميتة. والأنانية كما علمنا أسار الماضي وقيوده الفكرية والاجتماعية. لنتحرر من الأنانية والتعالي، ولنهدم الحواجز أيًا كانت ونتحد ولا نقول كما قال ابن عمرو بن العاص: أنا ابن الأكرمين ولا فخر، فأدبه الخليفة عمر بن الخطاب وأنصف القبطي وقال كلمته المشهورة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا). ولنعلم أن الصوفي الحقيقي هو من محا الأنانية من أعماق نفسه، وأن الرهبانية في الإسلام جهاد في سبيل الله.

تيار إسلامي صحوي يتعزز في اليمن

على طريق المدرسة التجديدية الإسلامية التي رفع قواعدها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، ومن سار على دربهما من بعدهما من أئمة الإجتهاد والتجديد والإصلاح من أمثال محمد الأمير الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني ومحمد عبده وحسن البنا أخذ يتعزز في اليمن تيار إسلامي صحوي في ظل دستور الجمهورية اليمنية الذي جعل القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة أساسًا للشريعة والعقيدة للشعب اليمني. لكن طريق هذا التيار محفوف بالمكاره ومواجه بالعقبات. فالنظام السياسي يسير في اتجاه العولمة وواقع في شرك البنك الدولي الربوي الصهيوني وسياساته الاقتصادية والاجتماعية. وفي ظل النظام العالمي الجديد الذي أخذت اليمن تتوجه إليه، وتنفتح عليه يمتحن

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليمنيون أهل الإيمان والحكمة في عقيدتهم وفي معيشتهم. فرياح التيارات الفكرية من علمانية متسترة وإسلامية مشبوهة مبتدعة تجد لها منفذًا إلى كل بيت غير محصن بالعقيدة الإسلامية المستقيمة المتمثلة في الصحوة الإسلامية طريق أهل السنة والجماعة. ولعل من أخطر التيارات الإسلامية المبتدعة التي وجدت لها في اليمن مرتعًا خصبًا المذهب الشيعي الإيراني. ولقد نبه إلى هذا القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه (الزيدية) [1] فقال: (أما اليوم فإن أكثر العلويين المنتسبين مذهبًا إلى زيد بن علي ونسبًا إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومن اعتزى إليهم من أهل اليمن وما أكثرهم قد تحول بعد قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م إلى شيعة اثني عشرية تحت غطاء مذهب الإمام زيد بن علي. ولوكان الأمر يتعلق بهؤلاء شخصيًا لهان الخطب. ولكنهم يسعون بنشاط دائم إلى التبشير بهذا المذهب بالدعاية له وتوزيع كتبه مجانًا غير ما يباع منها في مكتبات خاصة بأثمان زهيدة. وذلك للانتقام من النظام الجمهوري الذي نشر التعليم على نطاق واسع في ربوع اليمن مراعيًا في ذلك توحيد مناهج التربية الدينية بعيدًا عن المذهبية الضيقة؛ ليكون مقبولاً لدى أتباع المذهبين الشافعي والزيدي على حد سواء. والذي سهل لأهل السنة في المناطق السائد فيها المذهب الهادوي والزيدي ممارسة شعائر العبادة في المساجد علنًا بحرية تامة من دون خوف ولا وجل. فأقبل كثير من الناس على قراءة كتب السنة طواعية لتأكدهم أنها هي السبيل الوحيد لإزالة الفوارق المذهبية وتوحيدهم على قلب رجل واحد).

هذا ومن الكتب الخطيرة التي يروج لها النظام الشيعي في إيران كتاب (شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل) لمؤلفه السيد عيدروس بن أحمد السقاف العلوي المعروف بابن رويش والصادر عن (المجمع العالمي لأهل البيت) في قم بإيران ويوزعه مجانًا ولكنه يباع في بعض المكتبات بصنعاء. تكمن خطورة هذا الكتاب في إضافة كلمات أوعبارات التشيع للإمام علي بن أبي طالب إلى بعض آيات كتاب الله المنزلة من عند الله مثل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

(١) القاضي إسماعيل بن علي الأكوع: الزيدية. نشأتها ومعتقداتها. طبعة عام ١٩٩٧م.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]. فيضيفون إلى هذه الآية عبارة (أن عليًا مولى المؤمنين) فتصبح الآية كما يقرؤها ابن مسعود حسب زعمهم: «**ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن عليًا مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**». ومثل قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥] فيضيفون إلى هذه الآية كلمة «بعلي» يقصدون بذلك علي بن أبي طالب، فتصبح الآية كما وردت في مصحف عبد الله بن مسعود حسب زعمهم «وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ - بعلي - وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا» (١).

إن أمام الصحوة الإسلامية في اليمن اليوم مهامًا جهادية بين أوساط الشعب كله، على مختلف الأصعدة الدعوية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبمختلف الوسائل المشروعة، وعلى امتداد الأرض اليمنية كلها. فأى تهاون أو تقصير أو إهمال لهذه المهام الجهادية أو عرقلة أو محاربة لها ستعرض اليمن إما إلى ردود فعل لحركات جهادية متطرفة فجة أو مشبوهة داخلية أو مصدرة تكون مدخلاً لأعداء الصحوة الإسلامية العالمية المتجذرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من المغرب العربي إلى إندونيسيا. وإما إلى تدخل مباشر من التحالف العنصري الصليبي والصهيوني.

وما حصل في أبين وعدن من أعمال إرهابية باسم حركة الجهاد الإسلامية هو من قبيل هذا التطرف المشبوه أو الفج. وهو بمثابة دق ناقوس الخطر لتنبيهنا حكامًا ومحكومين، أحزابًا وجماعات وأفرادًا عن نقاط الضعف في إيماننا وعقيدتنا الدينية وعن نواحي التقصير في أخلاقنا وسلوكنا الإسلامي حيث يصبح الإصلاح الذي نعلنه وننادي به فسادًا عامًا في جميع نواحي حياتنا. وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. مما يستدعي اليقظة والحكمة والنظرة الشمولية للواقع إسلاميًا وعالميًا لتجنب الفتن التي أخذت تطل علينا في جميع

(١) عيدروس بن أحمد السقاف العلوي: شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربوع اليمن بوجهها الكريه والبغيض، والتي لا تورث إلاّ إثمًا وظلمًا وفسادًا. ولا تقود إلاّ إلى الوقوع في براثن الجبروت والاستكبار في العالم.

والصحوة الإسلامية في اليمن ليست بمعزل عن الصحوة في العالم الإسلامي. فهي امتداد لها وجزء منها. وهي بهذا ستنمو بنموها ويشتد أزرها بهذه الصحوة الأم التي نجد لها وجودًا فعليًّا وحقيقيًّا في أكثر مناطق العالم الإسلامي وتجمعات المسلمين في العالم. وتتأصل الصحوة الإسلامية في نفوس المسلمين اليوم بفضل التوعية النشطة لدعاة وعلماء المسلمين المتحررين من أسار الحكام الذين ما زالوا في أسار أنظمتهم العلمانية. كما تلعب في إيقاظ المسلمين وشحذ هممهم هذه الهجمة الشرسة للعنصرية الإمبريالية والصهيونية المتحالفتين في مواجهة صحوة الإسلام المنقذ الحقيقي للبشرية كلها من الظلم والاستغلال. ويعلن نيكسون الرئيس الأمريكي السابق في كتابه الضخم (١٩٩٩م نصر بلا حرب) عن التزام أمريكا للدعم المطلق لإسرائيل، ويدعو روسيا إلى التعاون مع أمريكا لضرب الأصولية الإسلامية التي أخذت تحل محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف، وهي أكثر جذبًا من الشيوعية؛ لأنها تضرب على أوتار الاحتياجات الروحية للإنسان.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وجهت المخابرات الغربية الأمريكية والبريطانية والفرنسية والإسرائيلية جهودها لمراقبة الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي، وها هو الرئيس الفرنسي السابق متران يفجر قنبلته الصليبية المذهلة حين قال: إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر فسوف أتدخل عسكريًّا كما تدخل بوش في بنما. وقد ألقى القنبلة الفرنسية ضباط الجيش الجزائري عملاء فرنسا الذين حولوا بلادهم إلى ساحة حرب بسوس لا تبقي ولا تذر.

وفي الختام ندعو علماء اليمن إلى وحدة الرأي أمام مستقبل اليمن والنصح للأمة حكامًا ومحكومين لما يعزز استقلال اليمن ووحدته ومساره الإسلامي وتنبيه المجتمع إلى المخاطر التي تحيط به، وقد حلت فعلاً بإخواننا في فلسطين والخليج العربي.

والله سبحانه وتعالى هو الهادي والموفق.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصادر ومراجع البحث

ا- المصادر الرئيسة:

(١) القرآن الكريم.

(٢) السنة النبوية.

ب- المراجع حسب أول ورود لها في الكتاب.

(١) **مالك بن نبي**: مشكلة الثقافة.

(٢) **محمد بن علي بن علوي خرد**: غرر البهاء الضوي.

(٣) **غالب بن عوض القعيطي**: تأملات عن تاريخ حضرموت.

(٤) **عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور**: شمس الظهيرة.

(٥) علي بن أبي بكر بن محمد بافضل: تحقيقات تاريخية لقبيلة آل باحرمي.

(٦) **علوي بن طاهر الحداد**: القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل.

(٧) **الندوة العالمية للشباب الإسلامي**: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

(٨) **عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس**: النور السافر عن أخبار القرن العاشر.

(٩) **الشيخ محمد الغزالي**: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه.

(١٠) **د. محمد رشاد جليل**: علم النفس الإسلامي العام والتربوي.

(١١) **محمد بن أحمد الشاطري**: أدوار التاريخ الحضرمي.

(١٢) **محمد بن أحمد الشاطري**: كيفية وضع كتاب مفصل عن مناقب آل الشاطري.

(١٣) **محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب**: برد النعيم.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٤) هارلود إنجرامز: تقرير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في حضرموت.

(١٥) الشيخ محمد بن عبد الله بامزروع الشبامي: الإكليل في مناقب الشيخ محمد بن أحمد عباد.

(١٦)علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها.

(١٧) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون.

(١٨) محمد عبد القادر بامطرف: الجامع الجزء الأول.

(١٩) هادون أحمد العطاس: عاد في التاريخ.

(٢٠) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت.

(٢١) طه الهاشمي: تاريخ الأديان وفلسفتها.

(٢٢) عز الدين كشار: اليمن دنيا ودين.

(٢٣) د. علي محمد عبد القوي الصليحي: الموسوعة اليمنية.

(٢٤) محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية.

(٢٥) د. محمد عبد الكريم عكاشه: يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين.

(٢٦) كرامه مبارك سليمان: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن.

(٢٧) عبد الله بن محمد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين.

(٢٨) عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: حضرموت بلادها وسكانها. مجلة العرب ج ٧، ٨ محرم وصفر سنة ١٤١٨هـ.

(٢٩) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام.

(٣٠) محمد محفوظ جوبان: اليمن والخوارج حتى نهاية العصر الأموي.

(٣١) صالح بن علي الحامد: رحلتي إلى جاوا.

(٣٢) علوي بن طاهر الحداد، ترتيب محمد رضاء شهاب: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى.

(٣٣) جعفر محمد السقاف: مجلة التراث العدد ٣ نوفمبر ١٩٧٩م.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣٤) د. صابر طعيمة: الإباضية عقيدةً ومذهباً.
(٣٥) علي يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية.
(٣٦) أ. د. آر. بي سارجنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة د.سعيد عبد الخير النوبان.
(٣٧) عبد الله بن حسن بلفقيه: الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت.
(٣٨) عبد الله بن حسن بلفقيه: استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات لسعيد عوض باوزير.
(٣٩) علوي بن طاهر الحداد:
أ- عقود الالماس في مناقب أحمد بن حسن العطاس.
ب- جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ.
(٤٠) محمد عوض بافضل: صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل.
(٤١) سعيد عوض باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي.
(٤٢) محمد بن علي بن عوض باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف.
(٤٣) عبد الله بن صالح الحداد: مجلة العرب ج ٧، ٨ محرم، صفر ١٤١٨هـ.
(٤٤) دكتور محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن.
(٤٥) فؤاد السيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن.
(٤٦) عمر بن علي بن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن.
(٤٧) محمد بن مالك المعافري، تحقيق محمد علي الأكوع: كشف أسرار الباطنية.
(٤٨) محمد بن علي الأهدل: نثر الدرالمكنون في فضائل اليمن المكنون.
(٤٩) القاضي إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن ج ٤ص ٢٠٠٣.
(٥٠) محمد ضياء شهاب وعبدالله نوح: الإمام المهاجر.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥١) عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر.

(٥٢) عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد: العقود العسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية.

(٥٣) محمد بن هاشم بن طاهر: تاريخ الدولة الكثيرية.

(٥٤) عبد الله بن أبي بكر العيدروس: الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر المعبر عنه بالدر والجوهر.

(٥٥) سالم بن محمد بن سالم الكندي: العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (تاريخ حضرموت).

(٥٦) عبد الله الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن.

(٥٧) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.

(٥٨) د. طه حسين: الفتنة الكبرى - علي وبنوه.

(٥٩) طه الولي: القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام.

(٦٠) أبوبكر بن شهاب: رشفة الصادي نقلاً عن مرآة الشموس لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس.

(٦١) علوي بن عبد الله الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية.

(٦٢) عمر بن عبد الله بن أحمد الخطيب: التمهيد الكريم في بعض أخبار تريم.

(٦٣) عمر بن أحمد بن سميط: النفحة الشذية من الديار الحضرمية.

(٦٤) عمر بن أحمد بن سميط: تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت.

(٦٥) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.

(٦٦) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب: الجوهر الشفاف في كرامات من في تريم من السادة الأشراف.

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٦٧) عبد القادر بن محمد الصبان: زيارة النبي هود.
(٦٨) صلاح عبد القادر البكري: تاريخ حضرموت السياسي الجزء الثاني.
(٦٩) عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت.
(٧٠) عبد القادر محمد الصبان: الحركة الأدبية في حضرموت.
(٧١) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث.
(٧٢) صلاح عبد القادر البكري: تاريخ الإرشاد في إندونيسيا.
(٧٣) حامد بن أبي بكر بن حسين المحضار: صفحات من تاريخ حضرموت.
(٧٤) مكتبة الأحقاف للمطبوعات بتريم: مجلة الرابطة المجلدان الأول والثاني.
(٧٥) طه بن عمر بن طه الصافي السقا: المجموع لمهمات المسائل من الفروع.
(٧٦) نخبة من المدرسين العرب: الفلسفة مقرر سنة ثالثة ثانوي بمدارس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.
(٧٧) أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بامخرمة: تاريخ ثغر عدن.
(٧٨) القاضي إسماعيل بن علي الأكوع: الزيدية: نشأتها ومعتقداتها.
(٧٩) عيدروس بن أحمد السقاف (ابن رويش): شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل.

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهرس

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهرس

مقدمة الطبعة الثانية ٣
الباب الأول المكونات البنائية للمجتمع في حضرموت ٩
الفصل الأول البيئة الحضرمية ١١
الفصل الثاني النسب ٢٩
الفصل الثالث العلاقات الاجتماعية ٤٩
أ- انهيار الحدود الوهمية للحافة ٥٤
ب - التخلي عن الالتزام بخدمة الطبانة ٥٤
ج- مناصرة السلطة للطبانة ٥٥
د - الثغرة التي حقق منها الطبانة نصرهم ٥٦
الفصل الرابع تطور المجتمع حضاريًا ٦٧
أ - تطور الملبس ٦٧
ب - تطور المسكن ٦٨
ج - تطور المواصلات ٧٠
د - تطور أسلوب العمل ٧١
هـ - تطور اللغة ٧٢
الباب الثاني الأدوار الفكرية ٧٥
الفصل الأول الدور الوثني ٧٧
الحالة السياسية ٧٧
١. دولة التبابعة ٧٧
٢. ثورة يوسف ذي نواس ٧٧
٣. ثورة سيف ذي يزن ٧٨
الحالة الفكرية ٧٩
١. عقيدة اليمنيين في الدور الوثني ٧٩
أ - الوثنية ارتداد عن التوحيد ٨٠
ب - التعددية الدينية في الدور الوثني ٨٢
ديانات أخرى عرفها اليمنيون ٨٩
هـ - انهيار الوثنية وسقوط الأصنام في اليمن ٩٣

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) الفكر والمجتمع في الدور الوثني ٩٤
٣ - رواسب الفكر الوثني الحضرمي بعد الإسلام ٩٧
* الفصل الثاني الدور التوحيدي ١٠٣
الحالة السياسية ١٠٣
١. انضمام اليمن للوحدة الإسلامية ١٠٣
٢. إدارة اليمن في الدور التوحيدي ١٠٦
٣. الحركات الانفصالية والتمردية في اليمن ١٠٧
الحالة الفكرية ١١٠
١- التوحيد تعريفه وجذوره ١١٠
٢- دور اليمنيين الحضارمة في نشر الدعوة الإسلامية ١١٣
٣- الفكر والمجتمع في ظلال القرآن والسنة ١٢١
* الفصل الثالث الدور الإباضي ١٢٥
الحالة السياسية ١٢٥
١ - الخلفية السياسية للحركة الإباضية ١٢٥
٣ - انتكاسة الثورة وتلاشيها ١٣٠
الحالة الفكرية ١٣٢
١- معالم الفكر الإباضي ١٣٢
أسباب قيام الثورة الإباضية ١٣٨
موقف أهل المدينة من الثورة والسلطة الأموية ١٣٩
تقييم رجال الثورة ١٣٩
٢ - الإباضية في الفكر العلوي الحضرمي ١٤٢
٣ - تقييم الحالة في حضرموت في ضوء أطروحات الفكر العلوي الحضرمي . ١٥٠
* الفصل الرابع الدور السني ١٦١
الحالة السياسية ١٦١
١. ارتباط حضرموت السياسي باليمن ١٦١
٢. ظهور حكومات المدن في حضرموت ١٦٤
الحالة الفكرية ١٦٥
١. الفكر السني بحضرموت ١٦٨
٢. الفكر الإمامي العلوي بحضرموت ١٧٥

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) عقيدة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى ١٨٢
(٣) دعوة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى ١٨٤
(٤) تقييم الدعوة الإمامية العلوية في الفترة (٣١٨ - ٥٢١هـ) ١٨٨
الفصل الخامس الدور الصوفي ١٩٥
الحالة السياسية ١٩٥
١. انحسار السّلطة اليمنية المركزية عن حضرموت ١٩٥
٢. الصراع في سبيل الحكم ١٩٦
٣. الحنين لإقامة إمامة علوية والانصراف عن الإمارة إلى الوزارة ١٩٩
الحالة الفكرية ٢٠٤
١. الفكر الصوفي العام ٢٠٤
موقف الفقهاء وأئمة الزيدية من الصوفية ٢٢١
٢ - الفكر الشيعي العام ٢٣١
أ - نشؤ التشيع ٢٣١
ب - المنشأ المقدس لأهل البيت ٢٣٣
جـ - الخلفية الفكرية للتشيع ٢٣٥
(١) الموقف من الرسول ﷺ ٢٤٧
(٢) الموقف من أهل بيت رسول الله ﷺ ٢٤٨
(٣) الموقف من صحابة رسول الله ﷺ ٢٤٨
(٤) الموقف من أولياء الله الصالحين ٢٤٩
٣. الفكر الصوفي في حضرموت ٢٤٩
أ- دخول التصوف إلى حضرموت وعلاقته بالتصوف في اليمن ٢٥٠
ب- سمات التصوف الحضرمي ٢٥٢
جـ- أقطاب التصوف في حضرموت ٢٥٤
الفكر الصوفي الحضرمي والفكر الزيدي اليمني في حوار بين الحداد والغشم . ٢٦٧
د - خصائص الفكر الصوفي ٢٦٩
(١) الخط الشيعي ٢٧٠
(٢) الخط الصوفي ٢٧٣
هـ- تأثير الفكر الصوفي الحضرمي ٢٧٨
ترسيخ المجتمع الطبقي ٢٧٩

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحويل زيارة الأضرحة إلى عادات وتقاليد راسخة ٢٨١
الزيارة المرغوبة والغاية منها ٢٨١
تطور الزيارة تاريخيًا ٢٨٧
موقف الصوفية من السلطة ٢٩٥
موقف الصوفية من الغزو الخارجي ٢٩٩
مصداقية المؤرخين ٣٠١
الفصل السادس الدور التنويري ٣٠٥
الحالة السياسية ٣٠٥
١. توطيد النفوذ الاستعماري ٣٠٥
(٢) معاهدة الحماية البريطانية سنة ١٨٨٨م ٣٠٦
(٣) معاهدة الصلح العام سنة ١٣٣٦هـ ٣٠٦
(٤) معاهدة الاستشارة ٣٠٧
٢. التنظيمات السياسية ٣١١
٣. موقف حضرموت من الاتحاد الفيدرالي ٣١٦
٤. الاستقلال ٣١٧
الحالة الفكرية ٣١٨
١. التنوير ٣١٩
٢. مؤثرات التنوير في حركة الإصلاح الحضرمي ٣٢٦
٣. تطور الوعي الفكري الاجتماعي الحضرمي ٣٢٩
الرابطة العلوية ٣٣٤
تكتل الإرشاديين وأنصارهم ٣٣٩
أسباب نشوء التكتل ٣٣٩
قانون جمعية الإصلاح والإرشاد العربية ٣٤١
مساعي الصلح بين العلويين والإرشاديين وتوحيد صفوف الحضارم ٣٤٣
٤- مؤتمر الإصلاح الحضرمي ٣٤٦
الدعوة لوضع خطة الإصلاح ٣٤٧
معاهدة الشحر أو (مؤتمر الإصلاح الأول) ٣٤٧
مؤتمر سنغافورة أو (مؤتمر الإصلاح الثاني) ٣٤٩
٥- مجالات النهضة في حضرموت ٣٥٥

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع الدور الاشتراكي ٣٧٩
الحالة السياسية ٣٧٩
الحالة الفكرية ٣٨٥
١. الفكر الاشتراكي أصوله وجذوره ٣٨٥
٢. تطبيقات الفكر الاشتراكي في بلد عزبي مسلم ٣٨٨
٣. حضرموت تحت راية الاشتراكية العلمية والنجمة الحمراء ٣٩٥
٤. نقد تجربة الفكر الاشتراكي في جنوب اليمن ٤٠٣
الخاتمة آفاق الصحوة الإسلامية في اليمن ٤٠٧
الدرس الذي تعلمناه ٤٠٩
تيار إسلامي صحوي يتعزز في اليمن ٤١١
مصادر ومراجع البحث ٤١٥
أ- المصادر الرئيسة ٤١٥
ب- المراجع حسب أول ورود لها في الكتاب. ٤١٥
الفهرس ٤٢٣

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس الأشكال والجداول

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس الأشكال والجداول

شكل رقم (١) خريطة لليمن تبين موقع حضرموت وتضاريسها الطبيعية ١٢
شكل رقم (٢) خريطة تبين عامل المناخ في نشوء وتتابع الحضارات اليمنية .. ١٥
شكل رقم (٣) الهرم الاجتماعي في الدور الصوفي ٥٩
جدول رقم (١) الثالوث الفلكي الإلهي ٨٤
شكل رقم (٤) مواقع أئمة المذاهب الشيعية وأجداد العلويين الحضرميين في السلسلة العلوية الأم ١٨١
شكل رقم (٥) الدائرة الصوفية كما يصورها الفكر الصوفي الحضرمي ٢٥٣
شكل رقم (٦) هيكل السلطة البريطانية في محمية عدن الشرقية ٣١٠
جدول رقم (٢) كشف بالصحف الحضرمية التي صدرت في جاوى وسنغافورة ٣٦٢
شكل رقم (٧) ٤٠٢
شكل رقم (٨) ٤٠٢

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
مختار محمد الضبيبي

Scanned with CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner